

المثنوي المعنوي جلال الدين الرومي

الجزء الرابع

تعريب وشرح
د. ابراهيم الدسوقي شتا

الكتاب الرابع
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة [المترجم]

الإنسان ذلك العالم الكبير أتزعم أنك جرم صغير * وفيك انطوي العالم الأكبر وأنت الكتاب المبين الذي * بأحرفه يظهر المضمرة (بيتان منسوبان إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه) .

1 - يعتبر الإنسان بمعناه « الأشمل الأعم » ثم بما اصطلح علي تسميته « بالإنسان الكامل » القاسم المشترك الأعظم في كل أعمال المتصوفة المسلمين ، فهو في تساميه وضعفه ، وعلوه وسقوطه ، وانصرافه إلى الملاء الأعلى وانصرافه عنه ، وطهره ودنسه الميدان الرحب الواسع الذي تدور حوله التجربة الصوفية ، يكون في بعض الأحيان الأكثر حضوراً ، فالمعبود دائم ، لكن تجلي العبادة لا يكون إلا بوجود العابد ، وتبدو العلاقة في بعض الأحيان علاقة ذات خصوصية بحيث يكاد يحس الإنسان أنه مخلوق الهي أو شبة الهي ، ويفني عن ذاته تماماً فينطق كما نطق أبو اليزيد البسطامي « سبحانه ما أعظم شاني » وينطق « ما في الجبة إلا الله » 1 « » .

(1) انظر تفسير مولانا لهذه الشطحيات في الأبيات 2102 - 2145 من الكتاب الذي بين أيدينا .

والواقع أن هذا الحضور الدائم لله في الإنسان هو الذي يعطي الجدلية الصوفية في بعض الأحيان بعض الغرابة والذي أوقعها كما سنري - في تناقضات عديدة مع كثير من المشارب والنحل الإسلامية الأخرى ، وجعلها تجربة شديدة الخصوصية بمصطلحاتها ومادتها .

ولعلنا نغفل كثيرا من جوانب الفكر الصوفي إذا قلنا أن هذا الفكر ينشغل فحسب بهذه العلاقة بين الإنسان والله أو المخلوق والخالق بشكل انتزاعي وأنه لا يأبه بحياة الإنسان في جحيم الأرض ويشغله بقضية فوق طاقته تستنزف منه الجهد والطاقة وتصرفه عن تنمية نفسه « وبلده » وتلقي به في أمور غريبة لا تفضي إلى نتيجة ولا تؤدي إلى ثمرة ، والذي ينظر هذه النظرة إنما ينظر إلى الفكر الصوفي أو بمعنى أصح إلى التصرف في عصور ضعفه وانحطاطه « وقد أصابه ما أصاب الإسلام ككل من سوء فهم وانحدار فكري وتحميل لفهم الآخرين أو لتفهم الآخرين لنا أصولنا الثقافية » ، فإن أساس التربية الصوفية ، وتشكيل الشخصية وتنميتها وصقلها وتقويتها على أسس سليمة قائمة على جعل هذا الإنسان الغارق في الطين ، المخلوق من الحمأ المسنون ، إنسانا أعلى كاملا جديرا بالنفخة الإلهية التي نفخت في آدم وورثها هو وأصبح مسؤولا عنها . . كل التربية الصوفية والأخلاق الصوفية تجعل جل همها محو آثار هذا الطين وتجليه الروح « النفخة الإلهية » ورد الإنسان إلى أصله « مخلوقا إلهيا » لا هو بالمتدني ولا بالوضيع ولا بالجبان ولا بالهلع ولا جاعلا الطين منتهي همه ومبلغ علمه مع ما يمكن أن يصل إليه هذا الاهتمام « بالطين » وإعطاء الظاهر تماما للنفخة الإلهية من أن يتحول « الإنسان » ذلك المخلوق الإلهي إلى دابة هملاء أو سبع ضار « 1 » . وما يؤدي إليه هذا

(1) أنظر الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 1454 - 1490 .

الاهتمام المتزايد بتربية « الطين » وجمع « القمامة » أي تحويل هذا العالم الذي نعيش فيه إلى غابة بكل ما في الغابة من مساوى ، بل وأسوأ ، لأن التكاثر هنا والتطاحن موجه بعقل جزئي لا يرى أبعد من مواطئ القدم ، فلا يكون هناك سوى « الجسد » ومطالبه فإذا شبع انطلق إلى الشذوذ في الفكر والمسلك وجر المجتمع من بعده إلى حماة من الرذيلة لا نهاية لها « 2 » .

ليس ميدان الفكر الصوفي إذن كما يقال هو الغيبيات - فهكذا أفهمنا - فإن المخلوق الذي فيه نفخة من الإله ، وكان مقره الجنة ، ثم نزل إلى الأرض منفاه وغربته ، لا بد وأن يعمل من أجل أن يكون جديرا بالعودة إلى أصله . . . ومن ثم فالفكر الصوفي - وبخاصة في تجليه عند جلال الدين - هو فكر سيادة الإنسان الذي لا بد وأن يرتفع عن التناقض الشديد الذي يعذبه ويبسط ظلا من الحيرة والصراع عليه طوال حياته ، ذلك التناقض الذي عبر عنه مجد الدين سنائي بقوله :

ماذا أفعل بالروح وأنا من الطين .

وماذا أفعل بالجسد وأنا من عليين . « 3 » وعبر عنه حافظ بقوله :

لا أدري من يوجد بداخلي أنا المعذب فأنا صامت وهو في صراخ وعويل . « 4 » بل وعبر عنه قبلهما الصوفي العظيم أبو سعيد بن أبي الخير (المتوفي سنة 440 هـ -) بقوله . . . « أحيانا أكون كالملاك ملازما للعبودية وأحيانا كالحيوان أحياء على الطعام

(2) أنظر الكتاب الثالث الأبيات 2660 - 2700 وشروحها حيث يقدم بيانا عن أنهيار الحضارات .

(3) سنائي ديوان ص 385 .

(4) جامع نسخ حافظ غ 82 ص 63

والنوم وأحيانا كالوحوش أمزق . . . سبحان الله ما هذا التفرق وهذه الحيرة « وعبر عنه الصوفي العظيم نجم الدين كبرى (المتوفي شهيدا في غزوة المغول 618) بقوله « في داخلي شيطان ، لا يخفى على . . وقطع رأسه ليس أمرا سهلا . . لقتته الإيمان ألف مرة .

ولم يدخل في الإسلام « هذه الحيرة التي يعبر عنها مولانا جلال الدين الرومي أجمل تعبير وأروعها وخاصة في ديوانه الأكبر « ديوان شمس الدين التبريزي » : أنا الشيخ . . أنا الشاب . . أنا السهم . . أنا القوس . . أنا الدولة الخالدة : ألسنت أنا أنا . . بل أنا أنا .

أنا سرورة في بستان . . أنا روح في بدن . . أنا نطقه في الفم . . ألسنت أنا أنا . . بل أنا أنا أنا في دهشة من هذه الواقعة . . أنا في وعيي . . وفي غير وعيي أنا ناطق صامت . . أنا نوح مسكت من ذلك اللون . . لماذا أنا بلا لون وأي تشبث لي بتلك الجداول أنا الرئيس ، أنا الإقبال معا . أنا الملك ، أنا العرش معا .

أنا المحنة والإقبال ، أنا الداء والدواء أنا الدم واللبن ، أنا الطفل وأنا الشيخ أنا التابع والأمير ، أنا هذا وأنا ذاك أنا « شمس » ناثر السكر وأنا مدينة تبريز

أنا الساقى وأنا الثمل . . . أنا المشهور المغمور « 1 » لا أنا بالثمل . . ولا أنا بالمففق
ولا أنا بالنائم ولا باليقظ ولا أنا مع الحبيب . . ولا أنا بدونه . . ولا أنا بالمحزون ، ولا
أنا بالمسرور . . .
ولو أنى أستريح لحظة . . فإن نفسي لا تستريح بل أنى أستريح . . إن لم أستريح
لحظة .

. . . .
هناك جذبات في روى من يجذبني أنا أعلمه أريد أن أستريح لحظة . . لكن هذا ليس
في الإمكان .
إنه يصيبني بالجنون في كل يوم .
ثم يخرجني منه مرة ثانية فأنا ألعوبة في يده ، ومن لعبه هذا أنا في حيرة أنا كأس يدار
به أنا كأس يصب الدم أنا خمر يغلي حينا ، وأحيانا يضحي بي ثمل « 2 » في هذا
الجهاد الأكبر « جهاد النفس » يرى المفكر الصوفى أو المرشد الصوفى أو الجامع
بينهما مثل مولانا جلال

-
- (1) عن خط سوم ناصر الدين صاحب الزمانى - تهران 1351 - ص ص 404 -
406
(2) عن صاحب الأمانى 406 - 408

الدين أن مسئوليته الأولى تجاه البشر أن يأخذ بأيديهم في هذه المعركة ويوصلهم إلى بر الأمان ، ففي مثل هذه المعركة التي تجري داخل الدم ، ولا تهدأ ، ولا هدنة فيها ، يقف العدو « النفس - الشيطان - الهوى - مغريات الدنيا - الهوس » - بالمرصاد ومن ثم لا بد للمقاتل من مرشد ومن أستاذ (التدقيق على لزوم المرشد يتردد كثيرا في كل أجزاء المثنوي « 1 ») وهذه سمة مهمة جدا من سمات عرفان مولانا جلال الدين : أنه مضاد تماما لتصوف الزهد والانسحاب أنه إن شئنا الدقة : تصوف الصراع والمواجهة والقتال ، ومن هنا تشيع روح « الحنو » علي البشر والنظر بعين الإشفاق بل وأحيانا الفهم إلى ألوان ضعفهم . .

فهي لازمة جدا في المعركة . . فلا معنى لعفة بلا إغراء . . ولا معنى لأي ارتفاع عن مغريات الدنيا إلا إذا كانت هذه المغريات موجودة بالفعل . . عرفان مولانا جلال الدين إذن عرفان ينزل إلى خضم الحياة . . ينازلها ويصارعها ويقف أمامها وجهها لوجه :

- وعندما لا يكون عدو فالجهاد محال ، وإن لم تكن شهوة لا يكون هناك امتثال .
- ولا يكون صبر عندما لا يكون لديك ميل ، وعندما لا يوجد خصم ما الحاجة إلى قيامك بالاحتياط .
- انتبه ولا تجعل نفسك خصيا . . ولا تصر راهبا ، ذلك أن العفة رهينة بوجود الشهوة .
- ولا يمكن النهي عن الهوى إن لم يوجد هوى ، ولا يمكن القيام بالغزو ضد الموتى .

(1) أنظر : الأبيات 1774 - 1777 من الكتاب الثالث .

- لقد قال « انفقوا » إذن فاكسبوا أولا . . ذلك أنه لا نفقه دون أن يسبقها دخل .
- وكذلك عندما قال اصبروا ، ينبغي أن تكون هناك رغبة حتى تشيح عنها بالوجه »

1 « .

ليس صراع الإنسان إذن في مقابل الأهواء ، وسعيه الحثيث نحو العودة إلى أصلة قائما على تجاهل هذه الرغبات والأهواء ، أو نفيها ، بل على مقاومتها مقاومة شديدة ، فالهروب هنا ليس يجرى ، وكيف يفر الإنسان من نفسه التي بين جنبيه ، ومن شيطان يجري منه مجرى الدم يقول مولانا :

فلأهرب . . ما دام في عرق ينبض .

ومتى يكون الهرب من الذات أمرا يسيرا .

فلا هو أمن في الهند ولا أمن في ختن .

ذلك الذي يكون خصمة نفسه التي بين جنبيه « 2 » .

الهدف إذن من كل التجربة الصوفية عند مولانا هو « سيادة الإنسان » أن يكون

بالفعل سيدا على الأكوان كما خلق في الأصل . . ليس الإنسان إذن كما يقول

الخيام . . ذرة تراب توحدت بالأرض . . أو قطرة ماء وامتزجت بالمحيط . .

ومجيئه إلى العالم مجئ ذبابة . . ظهرت ثم اختفت . . لا . . فماذا يكون الإنسان إذن

كما عبر عنه مولانا جلال الدين ؟ ! عليه أولا أن يعرف أصله وخلقفه فهذه المعرفة

هي الخطوة الأولى في معركته نحو التسامي إلى الأعلى .

2 - أ - يقول الحكماء إن الإنسان هو العالم الصغير ، وأن العالم هو الإنسان الكبير . .

لكن مولانا جلال الدين جاء وعكس الآية ، ذلك أنه لا يمكن أن يوجد هناك في الخليقة

ما هو أعظم من الإنسان :

(1) مثنوى ، الكتاب الخامس ، الأبيات : 575 - 581 .

(2) عن صاحب الزماني 416 .

- إذن فأنت في الصورة العالم الأصغر ، وأنت في المعنى العالم الأكبر .
- وفي الظاهر يكون ذلك الغصن أصلاً للثمرة ، لكن الفرع في الحقيقة من أجل الثمرة .

- فإن لم يكن الميل إلى الثمر والأمل فيه ، متى كان البستاني يغرس جذور الشجر ؟
- ومن ثم فإن ذلك الشجر على سبيل المعنى ولد من الثمر ، وإن كان الثمر قد ولد منه على سبيل الصورة « 1 » الإنسان إذن هو : أول الفكر وآخر العمل ، هو المقصود من خلقه الكون ذلك المفتقر إلى المعونة والعون (في تعبير لسنائي الغزنوي) وليست المقصودة بالعظمة والعمق تلك البضعة المحدودة من العظام أو ذلك الوجود الإنساني بل هو تلك العوالم المضمرة » أو بتعبير في شعر منسوب للإمام علي رضي الله عنه مطوبة » .

الحذر أيها المؤمنون فإن هذا العرق (أي عرق الفلسفة والغرور) كامن فيكم كما أن بكم عوالم كثيرة لا تحد « 2 » .

نعم : في تلك البضعة من العظام التي يسعها متر من الأرض عوالم وبحار وقارات . . يعايش المرء نفسه سنوات طويلة دون أن يستطيع مواجهتها . . ويوما بعد يوم . . قد تدفعه الحياة أو الحب أو البغض أو ما إلى ذلك إلى اكتشاف تلك النفس ذات الطبقات (أو ذات السبعين طبقة بتعبير لمولانا) أو بتعبير آخر :
أصمت وانظر إلى أعماق البحار لقد جعل الحق البحر مسخراً للإنسان .
فكل ما في الكون على عظمته مسخر للإنسان وَسَخَّرَ لَكُمْ . . ما في الأرضِ جَمِيعاً . .

(1) الكتاب الرابع أبيات 521 - 524 .

(2) الكتاب الأول بيت . 328 .

نعم يستطيع الإنسان كلما تعمق في أمر ما أن يجعل لنفسه عوالم جديدة من هذا الموضوع . . ليس تسخير العالم بمعناه المادي هنا بل تسخير العالم معناه أنه يخلق عوالم متشابهة داخل ذاته وداخل وعيه « 1 » . وبالعودة إلى قصة بهلول في الكتاب الثالث (أبيات 1886 - 1888) :

- قال بهلول لأحد الدراويش . . كيف أنت أيها الدراويش ، اجعلني واقفا على أحوالك .
- فأجاب : كيف يكون من تسير الدنيا وأمورها دوما وفق هواه ؟
- تتدفق السيول والأنهار وفق مراده ، وتصير الكواكب على النسق الذي يريد أن تكون عليه .

- والحياة والموت حراس له ، يسيران وفق مراده حيا بحي .
(ب) وليس هذه العظمة موجودة في الإنسان في حد ذاته ، بل لأنه خليفة الله في الأرض ، إنه ممثل للوجود الإلهي على الأرض :
إن الدنيا هي نفس ذلك الشخص والباقون كلهم أتباع وطفيليون أيها الأخ « 2 » .
ويتكرر عند مولانا تعبير يا ابن الخليفة (انظر على سبيل المثال لا الحصر الكتاب الثالث ابن العظيم الأبيات 3652 وما بعدها) :

- ويا أبناء الخليفة اعدلوا ، واحزموا أمركم من أجل اليوم الموعود .
- وجروا ذلك العدو الذي انتقم من أبيكم نحو السجن من عليين .
- أن ذلك الحسود اختطف من أماننا وأبيننا التاج والزينة بسرعة وحذق « 3 » نعم
جرعة الحسن الإلهي هي التي جعلت من الإنسان ذلك الخليفة :

(1) جعفري - تفسير ونقد وتحليل مثنوي ج - 2 ص 664 طبعه 11 شتاء 1366 هـ
- . ش

(2) من دفتر 1 نسخة جعفري ج - 2 / 355 وليست موجودة في بقية النسخ .

(3) الكتاب الثالث أبيات 2849 - 2851

- لقد سكبت جرعة من هذا الكاس خفية على أرض التراب من كأس الكرام .
- وعلى الوجه والجداول دليل من جرعته ، والملوك يلغون التراب من جرائها .
- إن جرعة الحسن في هذا التراب الجميل ، هي التي تقبلها أنت ليل نهار بمائة قلب .
- والجرعة الممتزجة بالتراب إن كانت تصنع أمثال المجنون ، ماذا تفعل بك إن كانت صافية (دون تراب) ؟ ! - وكل امرئ ممزق الثياب (وجدا أو ولها) أمام قطعة من المدر ، فإن هذا المدر تجرع جرعة من الحسن .
- فجرعة على القمر والشمس والحمل ، وجرعة على العرش والكرسي وزحل .
- اتسميها جرعة ويا للعجب أو كيمياء ؟ ! فمن تأثيرها يوجد العديد من البهاء « 1 »
- الإنسان إذن هو الجزء من الكل . . وكل جزء طالب لکله ، لا يتم كماله إلا به والفراق عنه هو الموت ، وهو الذل ، لا يغرنك أنه يتحرك . . فحتي العضو المقطوع يتحرك حركة بسيطة ولفترة قليلة ثم لا يلبث أن يهدم :
- ذلك لأن الانتقال من العز إلى الذل ، كأنه قطع عضو من البدن .
- والعضو الذي يقطع من البدن يموت ، إنه يتحرك قليلا بعد بتره لكن ليس لفترة طويلة .
- وكل من شرب من كأس « ألسن » في العام الفائت ، فإنه يحس هذا العام بالألم والخمار .
- وذلك الذي يكون في الأصل منسوباً إلى الحظيرة ، متي يكون لديه الحرص على السلطة « 2 » . لقد عزلت من العرش وليست معرفتك بأنك عزلت عن العرش هي الدافع للفخار بما مضى ، بل عد أولاً إلى العرش

(1) الكتاب الخامس الأبيات 372 - 379 .

(2) الكتاب الخامس أبيات 827 - 831 .

ثم تفاخر آنذاك .

ج - (كل ما هو موجود في العالم موجود في الإنسان ، وليس كل ما هو موجود في الإنسان موجود في العالم ، والفكرة لشمس الدين التبريزي :
« لا أقول لك صر إلها . . أنا لا أنطق كفرا . . انك آخر العناصر للنباتات والحيوانات والجمادات ولطافة جو الفلك ، فهي موجود داخل الإنسان ، وكل ما هو داخل الإنسان ، لا يوجد فيها . . أن هذه هي حقيقة العالم الأكبر . . فما أعجبه من إنسان ذلك الذي يساوى الأقاليم السبعة وكل الوجود » (عن صاحب الزماني ص 492) والتفصيل موجود عند ناصر خسرو القبادياني (المتوفي 481) .

« ومن ثم نقول إن الشمس في العالم الكبير بمنزلة القلب من العالم الصغير أي الإنسان ، والقمر من العالم الكبير بمنزلة المخ من العالم الصغير ، والكواكب الخمسة السيارة من العالم الكبير الذي يسميه الحكماء الإنسان الكبير بمنزلة الحواس الخمسة من الإنسان الذي يسمونه العالم الصغير ، تقابل البصر والسمع والشم والتذوق واللمس عند الإنسان . . .

وقال حكماء الدين : إن تركيب الإنسان عالم صغير ، وقالوا : إن تركيب العالم الصغير في هذا العالم على مثال فهرس من كتاب كبير فكل ما يكون في هذا الكتاب ربما ظهر أثر منه في الفهرس ، وليس من اطلاع على كليات الأشياء إلا بالاستدلال من جزئياتها ، ولا يستطيع استنباط الاستدلالات العقلية إلا المتعلقين بالحبل الإلهي والتمكنين علي مقعد الصدق والمتثبتين بمرصد الحق « 1 » . وتستمر الصورة بتفصيلات تصل في بعض الأحيان تجعل من شعر الإنسان مساويا للنبات وعظامه مساوية للجبال وهلم جرا .

(1) جامع الحكمتين ناصر خسرو الترجمة العربية لإبراهيم الدسوقي شتا - دار نشر الثقافة بالقاهرة 1974 ص 177 وما بعدها .

وقد ورد هذا عند محمود الشبستري في كلشن راز :

- كل ما يظهر في الحشر ، يبدو عليك عند النزع .
- فجسدك كالأرض ورأسك بمثابة السماء ، وحواسك الأنجم والشمس بمثابة الروح .
- والعظام كالجبل فهي شديدة ، ونبأتك هو الشعر وأطرافك هي الشجرة .
- وجسدك عند الموت من الندامة ، يتزلزل كالأرض يوم القيامة .
- ويضطرب الدماغ وتظلم الروح ، وتنطفئ حواسك وكأنها الأنجم .
- وتلتف مع الساق بالساق ، وكل أليف ينفصل عن أليفه .
- وعندما تنفصل الروح عن الجسد كلية ، تصبح أرضك قاعا صفصفا لا تري فيها عوجا ولا أمتا .

- والخلق دائما في خلق جديده ، وحتى وإن عاشوا العمر المديد « 1 » .
- وبالطبع فإن ما يميز الإنسان هو هذه الروح الإلهية التي يعبر عنها بتعبيرات عديدة :
- فهي الروح وهي السر وهي القلب « الذي هو بين إصبعين من أصابع الرحمن » وهو موضع سر الله ، وموضع نظره ، وموضع حلولة . . وحركة الكون جبر وحركة الإنسان اختيار (عن الجبر والاختيار انظر مقدمة الكتاب الخامس) والإنسان هو المكلف بالأمانة . . كل هذه رؤوس موضوعات استفاض فيها مفكرو الصوفية وتناولها مولانا جلال الدين في أكثر من موضوع من موسوعتيه : المثنوي المعنوي والديوان الكبير أو ديوان شمس الدين التبريزي ، وكل قيمة الإنسان الحقيقة في هذه الروح :

(1) عن رحلة الإنسان من الجنين إلى الجنان لقطب الدين عنقا الترجمة العربية لإبراهيم الدسوقي شتا ص 351 القاهرة دار الثقافة 1978 .

- ما أكثر تلك القنوات المخفية المتصلة هكذا بأرواحكم أيها الغافلون .
 - ويا من استمددت من السماوات والأرضين المواد حتى صار جسدك سمينا .
 - سرقت جسدك من أجزاء العالم . . وأخذته درجة درجة من هذا وذاك .
 - فهل تطمئن أن ما أخذته بالمجان ، لن يسترده منك هذا وذاك ؟
 - إن المتاع المسروق لا ثبات له ، لكنه يأتي باللص إلي المشنقة .
 - أنها عارية فقل تمسكك بها ، فإن كل ما أخذته ينبغي عليك أن تؤديه .
 - اللهم إلا تلك النفخة التي جاءت من الوهاب ، فكن روحا فكل ما عداها عبث لا طائل من ورائه « 1 » .

الإنسان إذن ليس بجسده ولا بصورته ، ويقدم المثنوي نماذج مضحكة عن الادعاء ، وعن آفات الاغترار بالمظهر ، وعن المرشدين الكاذبين ومحترفي النفاق والادعاء وأروع ما تتجلى سخريته العميقة عند تناول هذه النماذج ويدق دائما علي أن وراء الظاهر باطنا ينبغي أن يطلب وحقيقة ينبغي أن يتحري عنها المرء :
 - فالصورة كأنها اللباس وكأنها العصا ، وليس إلا بالعقل والروح تتحرك الصور « 2 » .

- فالإنسان في صورته فرع من فروع هذا الكون ، لكن فاعلم أنه بصفته أصل هذه الدنيا .
 - إن ظاهره تؤدي به بعوضة إلي الدوار حول نفسه ، لكن باطنه محيط بالعوالم السبعة « 3 » ويقول في موضع آخر :

-
- (1) الكتاب السادس : الأبيات 3591 وما بعدها وهناك أبيات زائدة من نسخة جعفري 14 / 346 .
 (2) . 4 / 3727 .
 (3) كتاب 4 / أبيات 3766 - 3767 .

- إننا نشعر بألوان من الحب نحو هذا التراب ، لقد خلق في حال من أحوال الرضا .
- أحيانا نخلق منه مثل هذا الملك ، وأحيانا نجعل منه والها أمام الملك العظيم .
- وهناك مئات الآلاف من العشاق والمعشوقين ، هم منه في صراخ ونفير وسعي وبحث .

- إننا نعطي هذه الفضيلة للتراب ، لكي نجعله عطاء لمن لازاد لهم .
- ذلك لأن هذا التراب ذو ظاهر أغير ، لكن في الباطن ذو صفات نورانية .
- وقد اشتبك ظاهره مع باطنه في جدال ، فباطنه كالجوهر وظاهره كالحجر .
- يقول ظاهره : ها نحن فحسب ولا شي آخر ، فيقول باطنه انظر جيدا قدامك ووراءك .

- ظاهره منكر قائل إن الباطن لا شي قط ، فيقول باطنه انتظر حتى تبدي لك الأيام .
- إن ظاهره في عراك مع باطنه ، فلا شك أن الذي ينتصر منهما من له قدرة علي الصبر « 1 » .

فالإنسان إذا انتبه إلى باطنه ورحل دائما إليه ، وتتبعه وراقبه فإن شيئا من هذا الكون كله لن يصيبه بالدهشة ولن يحيره .

- والإنسان كالجبل فكيف يصير مفتونا ، وكيف يصير الجبل مندهشا من أجل حية ؟
- فالآدمي المسكين لم يعرف نفسه ، بدأ من الزيادة وأخذ في النقصان .
- وباع الإنسان نفسه رخيصة ، كان « أطلس » فخاط نفسه علي خرقة .

(1) الكتاب الرابع من مثنوي مولانا جلال الدين الأبيات 1002 وما بعده .

- ومئات الآلاف من الحيات والجبال حائرة فيه فكيف صار هو مندهشا محبا للحيات ؟
- « 1 » د) كل ما يحقق بالإنسان إذن من هذا التنزل ، من جهله بقيمته وبذاته وبنفسه ، إن من يترك النفخة الإلهية لا يبقى له سوي الطين ، ومن يترك الماء العذب لا يجد أمامه سوي الماء المالح ، إنه مجرد كلب يجري خلف جيفة الدنيا ولا يشبع منها ، فإن كف عنها فترة لا يجد أمامه إلا مهاجمة خلق الله وإيذاءهم ، يستطيع الإنسان أن يختار لنفسه وأن يجد الجماعة التي ينتمي إليها ويكون جديرا بها .
- وكل نبات يلزمه حوض « خاص في هذا البستان » كل هذا النبات فوما أو قبار .
- وكل واحد من جنسه في حوضه الخاص به ، يشرب الطل من أجل أن ينمو وينضج .
- فإن كنت في حوض الزعفران فكن زعفران ولا تختلط بالآخرين .
- واشرب الماء أيها الزعفران حتى تنضج ، وتبلغ مرحلة أن تكون زعفران في تلك الحلوي .
- ولا تمدن فمك في حوض اللفت ، حتى لا يصير هو شريكا لك في الطبع والمذهب .
- لقد وضعت في حوض ووضع هو في حوض آخر ، وذلك لأن « أرض الله واسعة » .
- ففي ذلك البحر والصحراء والجبال ، تتقطع الأوهام وينقطع الخيال .

(1) الكتاب الثالث من مثنوي مولانا جلال الدين الأبيات 999 - 1002 .

- والماء الساكن الذي تكون حركته من الداخل ، أكثر عذوبة ونضارة من المياه الجارية « 1 » .
- الزم إذن نفسك ، تتبعها فيما تنزع إليه ، وانظر إلي نفسك من تكون : أنت موسي أو فرعون فموسي وفرعون في داخلك كلها نقد لحالك أنت ، وإن كان مولانا يتحدث عن موسي وفرعون فإنما يتحدث عن الناس أنفسهم الموجودين في كل قرن :
- لقد صار ذكر موسي قيذا علي الخواطر ، فكم من قائل : ما لنا نحن وهذه الحكايات القديمة ؟
- إن ذكر موسي هنا مجرد دريئة ومجاب ، لكن ليكن لك منه وفرعون في وجودك ، وينبغي أن تبحث عن هذين الخصمين في داخلك .
- وهناك نتاج من موسي حتى القيامة ، وليس نورا آخر وإن تغير السراج .
- فهذا المشكاة وهذه الفتيلة من نوع آخر ، لكن نورها لم يتغير لأنه من تلك الناحية .
- وإذا نظرت في الزجاجاة فإنك تضل ، ففي الزجاجاة توجد الأعداد وتوجد الإثنيانية .
- وإذا نظرت إلي النور تنجو من الإثنيانية وإعداد الجسد المتناهي المحدود « 2 » .
- أن الإنسان يستطيع أن يحدد موقفه في أي صف يكون أن تميز بحس « الرؤية » - ليست الرؤية التي يتميز بها كل مخلوق

-
- (1) الكتاب الرابع من مثنوي جلال الدين الأبيات 1083 - 1092 .
 - (2) مثنوي مولا جلال الدين ج - 3 الأبيات 1252 - 1258

حي ، لكنها الرؤية الخاصة بالإنسان ، وليست رؤية هذه القطعة من الشحم ، لكنها رؤية تلك العين الموجودة في القلب ، وإلا فإن النملة التي تركز بصرها علي الحبة إنما تصرف هذا النظر عن البيدر كله :

- إن النملة تكون مرتعدة « شوقا » إلي الحبة ، بحيث تعمي عن البيادر العظيمة .
 - إنها تجر هذه الحبة بحرص وخوف ، بحيث لا تري ذلك البيدر الكريم العطاء .
 - ويقول صاحب البيدر : - هيايا من عماك صارت الأشياء معدومة .
 - إن مبلغ رؤيتك من ببادرنا ، هو تلك الحبة إلي تعلقت فيها بروحك .
 - ويا من أنت كالذرة في صورتك انظر إلي عطار د ، إنك نملة عرجاء ، فاذهب وأنظر إلي سليمان .
 - إنك لست هذا الجسم ، إنه ما رأيته ، وتنجو من الجسم إن رأيت الروح .
 - إن الإنسان هو الرؤية ، والباقي لحم وجلد ، وهو نفس ذلك الشئ الذي تراه عيناه .
 - إن دنا واحدا ليغرق من القطر ، لو أن عين هذا الدن مفتوحة صوب البحر .
 - وعندما تكون روح الدن متصلة بالبحر ، فإن ذلك الدن يزري بجيحون « 1 » .
- الإنسان إذن بقدر (رؤيته) وفي موضع آخر يقول مولانا جلال الدين :

(1) . 6 / 811 - 819 .

- أنك مجرد هذا الفكر . . . وما تبقي منك عظام وعروق .
- هذه الرؤية ، وهذا الفكر (المتصل بالأصل) وبالبحر الكلي ، والعلم الذي هو ينجي الإنسان من كل أنواع الفرقة ، والخيال والوهم ، يجعله مجموعا متمركزا ليس موزعا علي مائة هوي ، محققا لذاته ولوجوده ، جديرا حقا بكونه إنسانا ، عارفا بطريقه ، ثابتا راسخا متمكنا ، ولا يكون مثل القشة التي تتقاذفها كل ريح .
- أن ذلك العقل يحمل كل صباح الدرس اليومي من اللوح المحفوظ وكأنه الملك .
- فانظر من العدم إلي كتابات بلا بنان ، ومن علمها تحير أرباب الشهوات .
- فصار كل إنسان مقلوبا مضحكا بالنسبة لخيال ، صار طلعة من اشتهااته لكنز ما .
- فمن خيال . . صار أحدهم ممتلئا بالعظمة ، متجها إلي مناجم الجبال .
- ومن خيال اتجه آخر بجهد المرير إلي البحر من أجل الدر . .
- ولأن تلك الخيالات كلها غير مؤتلفة ، فإنها عندما ظهرت صارت مختلفة .
- وعندما خبئت قبلة الروح عن الأنظار ، فإن كل جماعة اتجهت إلي ناحية ما « 1
- » .
- والحل هو التسليم والتوبة : التسليم لله ، ثم التسليم للمرشد بحيث يكون كالميت بين يدي الغسال ، ولا بد من الطلب ، فمن لج ولج ، ولزوم الباب كفيل بفتحه ، وإن لم تفكر فتأمل :
- فبدون برق القلب روشحات العينين ، كيف كانت تسكن نار التهديد والغضب ؟ .

(1) . 325 - 317 / 5 .

- وكيف كانت تنمو خضرة ذوق الوصال ، أم كيف كانت تجيش العيون بالماء الزلال ؟
- وكيف كانت حديقة الورود تبوح بسرها للبستان ، أم كيف كان البنفسج يرتبط بالعهد مع الياسمين ؟
- وكيف كان شجر السنار يبسط أيديه في الدعاء ؟ ! أم كيف كانت أية شجرة تعلو برأسها في الهواء ؟ ! - وكيف كانت الراعم ذات الأكمام الحافلة بالنثار تنفض أكمامها أيام الربيع ؟ ! .
- ومتي كانت خدود الأقاحي تشتعل بلون الدماء ؟ ومتي كان الورد يبرز العسجد من أكياسه ؟
- ومتي كان البلبل يأتي ويشم عبير الورد ؟ ، ومتي كانت الفاخنة تهتف « كوكو » كأنها تقول : أين ؟ ! أين ؟ ! .
- ومتي كان اللقلق يهتف بروحه « لك لك » وماذا تعني لك ؟ أنها تعني : لك الملك أيها المستعان .
- وكيف تظهر الأرض أسرار الضمير ؟ وكيف يغدو البستان منيرا كالسماء ؟
- ومن أين قد جاءوا بهاتيك الحل ؟ إنها كلها من كريم رحيم .
- فهذا اللطائف كلها علامة للشاهد ، أنها آثار القدم (يقتفيها) الرجل العابد .
- وليس يسعد بالأثر إلا من رأي المليك ، أما من لم يره فليس له انتباهه إلي ذلك .
- فروح ذلك الإنسان الذي في ساعة « ألتست » رأي ربه ، وغدا ذاهلا ،

- هو الذي يعرف رائحة الخمر ، لأنه قد احتسي الخمر ، ومن لم يكن قد احتساها فإنه لا يعرف شذاها .

- ذلك لأن الحكمة مثل الناقة الضالة ، لكنها كالحادي ، دالة الملوك « 1 » .
وهكذا ففي كل أعمال الصوفية نلتقي بها التناقض البين الواضح للعيان بشأن الإنسان : فالإنسان هو كل شيء وهو لا شيء .

1 - هناك من أمثال الحلاج وأبي اليزيد ، شطحوا عند الحديث عن هو يتهم في مقابل الإله وكانوا أكثر جرأة من الآخرين ، أحيانا جري علي لسان كل منهما ما يدل علي ضعفه اللانهائي وانعدام قيمته تماما أما الخالق :

لا حركة ولا فكر ولا إرادة : نعم من منطلق النفس يكون الإنسان لا شيء ، أما من منطلق الروح فهو العالم الأكبر وهكذا يبدو الأمر عند مولانا جلال الدين تماما « 2 » .

2 - جوهر الإنسان إذن إلهي علي الدوام وعند مولانا جلال الدين « لا تذلل الإنسان » ولأن تحقيق الوجود الإلهي ليس ميسرا علي هذه الأرض ، وتحقيق جزء قليل من هذا الوجود الإلهي علي الأرض ، يحمل الإنسان إلي آفاق عظمي ، وكان هذا منطلق الصوفية إلي بلورة مفاهيم الإنسان الكامل بالمعنى الأعم ، والإنسان الكامل المتمثل في خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، ثم الولاية بمعناها العام وبمعناها الخاص .
أ (والإنسان الكامل هو قمة تجلي الشخصية الإنسانية وقيامها بذاتها واستغنائها عن سواها ، وهو ما عبر عنه مولانا جلال الدين بفكرة

.....

(1) كتاب 2 الأبيات / 1655 - 1673 .

(2) خليفة عبد الحكم : عرفان مولوي 122 - 123

الجدول الذي ينبع من الداخل ، ثم ثناها بصفاء هذا الجدول بحيث تنعكس فيه صور كل الأشياء ، هنالك تكون الكرامة الحقيقية « 1 » .

وعلي كل حال نستطيع أن نجد عند كل الصوفية أصحاب المؤلفات الماعات إلي هذه الموضوعات ، فقد كان الغرض الحقيقي من التصوف والعرفان كما ذكرت آنفا هو تربية الإنسان المثالي : الإنسان الأعلى بالتعبير المعاصر وإن لم تتبلور بشكل مستقل في صورة نظرية للتربية أو نضج الشخصية الإنسانية . . بل في الأغلب الأعم ينظر إليها من وجهة النظر القائلة بأن الإنسان ليس منبت الصلة بشكل كامل عن الله سبحانه وتعالى وعند شمس الدين التبريزي ومن بعده جلال الدين الرومي تتخذ هذه الفكرة جانبا عمليا وتعليميا . وكلاهما لم يستخدم مصطلح الإنسان الكامل بل استخدمتا مصطلحات من قبيل : الكمل ، العظماء ، الخواص ، خواص

(1) من نافلة القول أن نذكر أن فكرة الإنسان ، الكامل أو الإنسان الإلهي موجودة في التصوف الإسلامي منذ الحلاج وأبي اليزيد ، ولقد استخدم أبو اليزيد مصطلح « الكامل التمام » للتعبير عن الإنسان الذي بلغ حد تكامل الشخصية ، ولعل ابن عربي (المتوفي 638 هـ -) هو أول من استخدم مصطلح الإنسان الكامل للتعبير عن كمال النضج الإنساني في الفصل الأول من كتابه « فصوص الحکم » ويبدو أن عزيز الدين النسفي المتوفي سنة 700 هـ - هو صاحب أول مؤلف في الإسلام يحمل عنوان الإنسان الكامل وبعد النسفي ألف عبد الكريم الجيلاني (المتوفي سنة 811) كتابه المشهور باللغة العربية الإنسان الكامل . (عن خط سوم صاحب الزماني 576 - 578 هـ - وعند سنائي الغزنوي المتوفي سنة 435 هـ - توجد الماعات إلي شخصية الإنسان المتوازن الإلهي بل أن تناوله للرسول صلى الله عليه وسلم يوحى بأنه كان يعتبره الإنسان الكامل وهي فكرة عزيز فيما بعد إلي صوفية متأخرين جدا : انظر : حديقة الحقيقة وشریعة الطريقة الترجمة العربية لإبراهيم الدسوقي شتا (دار الأمين 1995)

الله . . ولهذا دلالة علي أن الإنسان الكامل في هذا المفهوم لم يكن شخصا واحدا ، بل من الممكن علي من يتعرض للكيمياء الإلهية أو كيمياء التبديل (المرشد) أن يتحول من نحاس إلي ذهب ، كما كانت صنعة الكيمياء القديمة تهدف إلي تحويل النحاس إلي ذهب . وصورة الإنسان الكامل عند شمس الدين التبريزي ذات أبعاد تبلغ أربعة عشر بعدا استقاها ناصر الدين صاحب الزماني من كتابه الصغير العميق ، المقالات «
انظر : خط سوم 574 - 626 « وهي تمثل أيضا في فكر جلال الدين الرومي تأثيرا لا بأس به وهي :

الفكر « أو عند مولانا جلال الدين التدبر في العاقبة والنظر إلي نهاية الأمور قبل بداياتها « والمثنوي حافل بالأمثلة والحكايات الكثيرة حول هذا الموضوع . ثم الرؤية والنظر والبصيرة وعند مولانا جلال الدين يتكرر كثيرا مثال الأعمي الذي ينبغي عليه أن يستعين بأحد يقوده فإن لم يوجد فعصا فإن لم يوجد فليسر بحبطة وحذر شديدين . . وثمة بصيرة داخلية وبصيرة خارجية . . . فالبصيرة هنا وسيلة للمعرفة في مواجهة الإدراك الحسي والتجربة والنقل والاستدلال العقلي ، ويواظب مولانا دائما علي توصية المريد بأن يسأل الله البصيرة النافذة التي ترينا الأشياء « كما هي » . . والبصيرة في مرحلة من مراحلها المتقدمة تؤدي إلي الشهود ثم إلي انكشاف الباطن . . وهنا يمكن للفراسة أن تقوم بدورها أما البعد الثالث من أبعاد الشخصية المتكاملة الوعي بالزمان بأبعاده الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل وعدم الإفراط أو التفريط في بعد عن هذه الأبعاد الثلاثة ، فمن الماضي البصيرة ، والتزود للحاضر ، والأمل في المستقبل أو الرجاء الذي بدونه يصبح الطريق أشد وعورة وأكثر صعوبة ، فإن

كانت في البداية تصيح : ما أبعدك يا مكة فلن تصل إلي مكة أبدا أو ستظل تدور حلقات مفرغة » مثل التضارب بين هوي المجنون وهوي ناqqته « 1 » . . وإن كانت الأزمنة من ماضي وحاضر ومستقبل كلها تمتزج عن الصوفي . . فيكون ابن وقته ثم يتجاوزها ليكون « أبا وقته » أي مسيطرا كل السيطرة علي كل أحواله ووارداته ، فهو ليس عبدا لأي شئ ، وليس ابنا لأي شئ « 2 » (أما البعد الرابع فهو الوعي بذاته ، إنه يقيم ذاته بوعي تام يعطيها حقها لا تنقص ولا تقل يعرف عيوب نفسه ومزاياها ، يكون مراقبا لها ، ممسكا بزمامها ، في غاية التنبه . . ولمولانا تعبيرات في غاية الدقة والذكاء في هذا المجال ، وأولئك الذين لا يعرفون ذواتهم أو يتظاهرون بأنهم أعظم مما هم عليه بالفعل هم الذين يثيرون دائما عند مولانا جلال الدين الميل إلي السخرية أنهم أشبه بابن آوي الذي نزل في دن الصباغ (انظر في الكتاب الثالث حكايات القروي والحضري وسقوط ابن آوي في دن الصباغ والرجل الذي كان يدهن شاربته ثم فرعون وموسي) فهناك شعرة واهية جدا لا تكاد تري بين الوعي بالذات ومعرفة الذات وبين الغرور ، والامتحانات الصعبة الحقيقية لا تصل بالفعل إلا بعد أن يكون الوعي بالذات قد بلغ مداه فاعلم ذاتك . . لكن آمن من المكر فإبليس وبلعم ابن باعوراء أضلهما الله علي علم ، وهاروت وماروت سقطا عندما تعرضا لأول امتحان ، فأنت ان دقت النظر لن تجد سوي العجز ، وليس لك بالفعل إلا التسليم ، وهذا الوعي بالذات عن الإنسان الكامل ينقسم إلي وعي بالباطن ووعي أيضا بالظاهر فمن الأوفق للإنسان أن يكون عالما بموقعه من مجتمعه وموقعه

(1) الأبيات 1534 وما بعدها من الكتاب الذي بين أيدينا .

(2) انظر 3 / 1426 وما بعده .

ممن يحيطون به وإلا اختطفه طوفان الحياة (كنعان بن نوح وفرعون وهامان والنمرود وكل جبابرة الأرض لم يكن لديهم هذا الإحساس وكانوا يظنون أنهم علي الصواب وأنهم أعظم من أن يتبعوا دعوة الأنبياء وفوق ذلك أن الناس يسجدون لهم حبا لا خوفا ولا طعما) . . وهناك الكثير من الشخصيات عند مولانا جلال الدين تثير الضحك لأنها كانت تظن أنفسها بالنسبة لمجتمعاتها فوق ما هي بالفعل بكثير (الوزير اليهودي والأعرابي حامل الجرة بالماء هدية إلي الخليفة في بغداد والمشعوذ الذي سرق الحية من المشعوذ والصوفي الذي بيع حمارة والصوفي والفقيه والعلوي اللذين كانوا يسرقون من البستان والمخنت الضخم في الكتابين الأول والثاني والحضري الذي استحمقه القروي والذي تعلم لغة الطير وصاحب الثور في قصة الذي كان يطلب رزقا بلا سعي وصياد الحيات في بغداد والأستاذ المريض بالوهم في الكتاب الثالث والدباغ في سوق العطارين واللص الذي سرق عمامة تافهة في الكتاب الذي بين أيدينا وعشرات من الشخصيات الأخرى التي تتميز بالاتزان ومعرفة موقعها بالفعل وإمكاناتها في معرض فياض بالحياة لتصوير الشخصيات بغرض تجسيد أفكار ومعاني) .

ويستمر مولانا في بيان عناصر الشخصية الإنسانية المتكاملة ومن أهمها بالطبع ضبط النفس والسيطرة عليها فلا يكون المرء « كقشة في مهب الرياح » تأخذها وتقذف بها حيث تشاء ، ويكون المرء هلوعا موزعا مشتتا . . الثبات النفسي إذن لازمة من لوازم النفس الإنسانية . . وهو من أهم صفات كبار المشايخ والأولياء (الولي الذي كان لا يبدي تأثرا لموت أولاده في الكتاب الثالث والولي الذي كان يضحك أثناء القحط في الكتاب الخامس . . قصه الدقوقي أيضا في الكتاب الثالث

حيث كان اهتزازه وانطلاقه في الدعاء سببا في اختفاء الأولياء الآخرين عن ناظره (نوع من التناسق والتعادل يسيطر علي الشخصية ، وما هذا التعادل والتناسق إلا نتيجة للإحساس بالغني الروحي الناتج بدوره عن وجود صلة مباشرة بالخالق ومعرفة كاملة به وعشق كامل له لا يشاء المرء لنفسه بعدها إلا ما شاء الله له ، فالإنسان المتوازن تهتز الصم الرأسيات ولا يهتز . . . لكن هذا لا يعني أن الشخصية المتوازنة شخصية متفوقة داخل ذاتها لا تهمها مصائر الآخرين فهناك دائما عند مولانا جلال الدين تفرقة بين شخصيتين : الفضولي أو أبو الفضول بتعبير مولانا الذي يتدخل بالعذل أو بالملام في أمور لا يفهمها ولا يصل إلي غورها لأنه مرتبط دائما بالظاهر والمظاهر ، وبين العارف الحقيقي الذي هو معدن الرحمة علي خلق الله تعالى ، ويقاس غالبا حبه لله بحبه للبشر (انظر خطاب المرأة لزوجها في قصة الشيخ الذي لم يكن يبكي موت أطفاله في الكتاب الثالث ص 155 أبيات 1780 وما بعده) ويزداد حذب المرء علي الإنسان كلما كان هذا الإنسان يقاسي بعض أنواعه الابتلاء التي تبعده عن طريق الله (انظر هنا حكاية الواعظ الذي لم يكن يذكر في دعائه إلا الظلمة والمجرمين والحائدين عن الطريق) الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 81 وما بعدها) ويطول بنا المقام إذا ذكرنا أمثلة أخرى في هذا المجال من شعر مولانا جلال الدين ويكفي أن أحيل القارئ الكريم إلي قصة عتاب الوحي موسي من أجل الراعي لنري كيف تفيض نفس مولانا جلال الدين حبا لكل البشر (الدفتر الثاني . .) بل إنه يري في بعض الأحيان أن ذلك الناجي وحده لا ينجو ، بل إن عدم علاج من يقبل العلاج أمر يخالف الرحمة .

« عندما تحس بالبسط في قلبك قم بري هذا البسيط . . . سوف ينبت ثمارا . . هب هذه الثمار إذن للأصدقاء » 1 « ، وحذار من التفرقة بين البشر فإن اختلاف القبلة من اختلاف وجهات النظر واختلاف الدراويش الأربعة من اختلاف لغاتهم وإلا فإنهم جميعا كانوا يرغبون في شراء العنب ولو أن كل واحد منهم كان يعرف لغة الآخر لما تشاجروا » 2 « فالشخصية الكاملة هي التي تمارس فضيلة الإيثار ، فالإيثار أوله بذل المال . . ثم مراحل أخرى عديدة في رأي لشمس الدين التبريزي نقله الأفلاكي » 3 « وهي المعيار الأول للصدقة التي يعدها مولانا جلال الدين الرومي » بذرة النفس الأخير » 4 « .

وثمة نقطة مهمة ركز عليها مولانا جلال الدين بشأن بناء الشخصية الإنسانية السوية هو التخلص من الحكم المسبق والرأي المسبق ، والشخصية القوية شخصية الإنسان الكامل حرة من القوالب والأطر والألوان والنمطيات التي تلتصق بشئ معين ، وذلك الذي يلتصق بالألوان والرسوم أشبه بذلك الذي دخل حظيرته وأخذ يربت علي أسد افترس ثوره علي أنه ذلك الثور المحبب » 5 « وأكثر ما تنصب سخرية مولانا جلال الدين على أولئك المرائين المدعين من الصوفية ، وكثيرا ما مارس السخرية من أولئك الذين اعتمادا على المظهر يسارعون بإطلاق الأحكام ، إن أولئك الذين يخادعون الناس بالمظهر يضلون الناس ، يقومون بسقياهم الماء المالح علي أساس أنه ماء

(1) . 360 / 3 - 364 .

(2) الكتاب الثاني الأبيات 3681 - 3685 .

(3) خط سوم ص 599 .

(4) . 259 / 3 .

(5) الكتاب الثاني ص 32 .

عذب ، والماء المالح يزيد الناس ظمأ « 1 » وحكاية الصوفي الذي اشتاق إلي الجهاد دون أن يكون مستعداً له في الكتاب الخامس الأبيات 3739 - 3769 وقصة الصوفي والقاضي في الكتاب السادس (وعشرات من الأمثلة يصادفها القارئ تبين سخرية مولانا جلال الدين من المظهر الخلاب الذي يخفي باطننا شديد الخواء) ومن ثم فإن خصلة النفاق من الخصال التي تناولها مولانا بالسخرية الشديدة . « 2 » ويرى مولانا جلال الدين أن النفاق ليست خصلة مكتومة باطنة كما يظن المنافقون وإلا فهي أشد ظهوراً مما يتصورون « 3 » ويبقى أن نذكر أن هناك سمتين رئيسيتين للإنسان الكامل ذي الشخصية المتكاملة :

الأولي : أن يكون مستنداً ومتكئاً علي شخصيته هو وعلي ذاته ، يكون قائماً بذاته غير معتمد علي « الآخرين » وإلا فهو مجرد صورة إنسان « فالعالم الواقف علي قدمين » ما دام متميزاً بصفات الإنسان الكامل يكون نموذجاً لكل ما في العالم فأية حاجة به إلي الآخرين ، يخاطب سليمان بلقيس قائلاً :

- وسوف تعلمين أنت نفسك عندما تأتين إلي ، أنك بدوني كنت صورة في حمام .
- والصورة سواء كانت صورة سلطان أو غني ، فهي مجرد صورة لا طعم لها في حد ذاتها من الروح .

(1) أنظر حكايات الصوفي والفقيه والعلوي في الكتاب الثاني الأبيات 2167 - 2211 .

(2) أنظر علي سبيل المثال لا الحصر قصة الصوفي الذي ضبط زوجته مع خدنها حيث تجد مستويات عديدة في تحليل النفاق وهي في الكتاب الذي بين أيدينا الأبيات 158 - 230 .

(3) أنظر حكايات : الأصم الذي ذهب ليعود جاره في الدفتر الأول وحكاية المداح الذي لا تبدو عليه أثر النعم في الكتاب الذي بين أيدينا في البيت 1840 .

- ويا من قامرت بنفسك في النزال ، إنك لم تميز بين الآخرين وبين نفسك .
- إنك تقف أمام كل صورة تصل إليها قائلاً : هذه أنا ، والله إنها ليست أنت .
- وأنت إن بقيت لحظة واحدة بعيداً عن الخلق ، تبقي في حزن وقلق حتى الحلق .
- وهذا هو أنت . . فمتى تكون ذلك الأحد ، وأنت جميل بنفسك ثمل بنفسك حلو بنفسك .
- أنت طائر نفسك وفخ نفسك وصدر نفسك وأرض نفسك وسماء نفسك .
- الجوهر فحسب هو الذي يكون قائماً بنفسه ، ويكون عرضاً ذلك الذي يكون فرعاً له .
- فإذا كنت ابن آدم فاجلس مثله ، وأنظر في نفسك إلي كل الذرية .
- وماذا يكون في الدن غير موجود في النهر ؟ وماذا يكون في الدار غير موجود في المدينة ؟ « 1 » ! السمة الثانية أن يكون الإنسان صاحب هدف معلوم وكل الأهداف في النهاية تتوحد لكي تكون لهدف الأسمى وهو العشق (أنظر مقدمة الكتاب الثالث) .
- فالمر يصير حلوا « إذا صدر » عن ذوي الشفافة الحلوة ، والشوك يصير شارحاً للقلوب في الرياض .
- ومن المعشوق يصير الحنظل رطباً ، وتصير الدار مرجاً من ربيعة الدار .
- وما أكثر المنعمين الذين يحملون الشوك ، أملاً في محبوب قمري الوجه وردي الوجه .
- وما أكثر الحمالين الذي صاروا ممزقي الظهور ، من أجل محبوباتهم الفاتنات ذوات الوجوه كالأقمار .

- وذلك الحداد سود وجهه الجميل ، حتى يقبل القمر عندما يجن الليل .
- والسيد مسمر في حانوت حتى الليل ، ذلك أن « سروة » ممشوقة القوام قد مدت بجذورها في قلبه .
- وتاجر ما يمضي في البر والبحر ، لكي يسرع بحب نحو قعيدة منزل .
- إن لكل واحد منهم شهوة مع ميت ، أملا فيمن عنده ملامح حي .
- فكن مجتهدا علي أمل الحي الذي لا يتحول بعد يومين إلي جماد .
- ولا تختتر خسيسا مؤنسا ، فالأنس مع خسيس يكون شيئا مستعارا .
- فأين أنسك مع أبيك وأمك ، إذا كان هناك وفاء من مؤنسيك جميعا سوي الحق .
- وماذا جري لأنسك مع الحاضنة والمربي ، إذا كان لأحد غير الحق أن يكون لك عضدا .
- لم يبق أنسك مع اللبن ومع الثدي ، ولم يبق أيضا نفورك من أول مدرسة .
- كان ذلك شعاعا علي جدارهم ، وعادت تلك العلامة نحو الشمس الساطعة .
- وكلما يقع هذا الشعاع على شي ، تقوم أنت بعشقة أيها الشجاع .
- وعشقك لكل ما هو في الخليقة ، هو بالنسبة لصفة الحق كان طلاء ذهب .
- وعندما ذهب الطلاء الذهبي إلى حال سبيله وبقي النحاس مل الطبع منه وطلقه « 1 » ب (هذا فيما يتصل بالدرجة التي يمكن أن يتوصل إليها كل إنسان ، ومن بين البشر من يكونون أكثر استعدادا لتلقي هذه الملكات والمواهب ، وبشيوع النظرة التدريجية وتقسيم الطريقة إلى طبقات « 2 » وبتأثير نظرية

(1) . 555 - 538 / 3 .

(2) . 2105 / 4 وما بعده .

الإمامة الشيعية خاصة فيما يصل بأن الإمام هو نائب الله على الأرض ، انعكس هذا الأمر في نظرية الصوفية حول النبوة والولاية ، وما القطب الغائب عند الصوفية إلا الترجمة الصوفية للإمام الغائب (وعند مولانا جلال الدين تلتقى كثيرا بهذا التصور ، والغريب أنه يجسده إما في صوفية لم يكن لهم وجود تاريخي (مثل الدقوقي في الكتاب الثالث) أو ما روي عنهم لا يسمح بوجود هذا التصور عند مولانا جلال الدين الرومي (مثل العارف سررزي الغزنوي في الكتاب الخامس) وهو أمر له دلالة عند مولانا جلال الدين الرومي الذي دق كثيرا علي أن « ما للأنبياء يكون للأولياء » وعن أن « الشيخ في قومه كالنبي في أمته » . .

- إن القطب هو الأسد وعمله هو الصيد ، وبقية الخلق من أكلة بقاياها .
- فجاهد ما استطعت في رضا القطب ، حتى يقوى ويقوم بصيد الوحوش .
- ذلك أنه عندما يتعب يظل الخلق بلا زاد ، وذلك لأن رزق الخلق بأجمعه يكون من كف العقل .
- إنه كالعقل والخلق مثل أعضاء الجسد ، وتدبير البدن منوط بالعقل .
- وضعف القطب يكون من الجسد لا من الروح ، إن الضعف يكون في السفينة لا في نوح .
- والقطب هو ذلك الذي يدور حول نفسه ، بينما يكون دوران الأفلاك حوله هو « 1 » .

فتصور هذا الإنسان الكامل بمعناه الفلسفي أي الإنسان الواحد الجامع لعناصر الكمال شبيه بتصور الرواقيين للحكيم - فقلبه هو عرش الله وعقله قلم التقدير وروحه هي اللوح المحفوظ « أنه ليس رملا ولا تنجيما ولا اضطراب ، أنه -

وحي الحق والله أعلم بالصواب « فالأرواح كلها من أصل الروح التي نفخت في عيسى « 1 » والعلم اللدني البشر مخصوص بهولاء وهو بالطبع الذي رفع الإنسان من مرحلة التراب إلى السماء السابعة . « 2 » وهو من ثم ينظر بنور الله « 3 » هذا الولي الحاضر دوما في مثنوى جلال الدين يمثل المثل والقُدوة والمثل الأعلى وغاية ما يمكن للمرء أن يصل إليه من كمال ، هو شخصية معنوية - وأن أوحى في بعض الأوقات في مواضع متفرقة من المثنوي أنه أبو اليزيد البسطامي « 4 » إلا أن الغالب أن هناك نماذج لأولياء لا يحددون بالاسم يكادون يماثلون المفهوم الصوفي للعقل الكلي وربما صدم هذا التصوير للدور الذي يلعبه الولي بعض غير المأنوسين بالرمز الصوفي . ذلك أن اعتبار الولاية صنوا للنبوة أمر فيه ما فيه من مبالغة فالرسول صلى الله عليه وسلم) ويطول بنا الحديث هنا أن تتبعنا صورة الرسول في المثنوى لكن انظر على سبيل المثال لا الحصر : 4480 / 3 وما بعدها - 915 / 4 وما بعدها) هو النموذج الذي لا خلاف حوله عن الإنسان الكامل إلا أن انقطاع الرحي ظل يمثل مشكلة مؤرقة عند كافة النحل الفكرية الإسلامية . . وإذا كان الشيعة قد حلوا هذا المشكلة عن طريق نظرية الإمامة بعد أن حلها الصوفية عن طريق نظرية الولاية . . ومن ثم تنسب كل خصائص الأنبياء للأولياء - ما عدا الإتيان بالشرعية بالطبع - وإذا كان للأنبياء معجزات فللأولياء الكرامات - ومع ذلك فعلى طول المثنوي نادرا ما يذكر مولانا كرامات الأولياء لكنه لا يفتأ يذكر معجزات الأنبياء - لكن هذا لا ينفي أن فلسفة العرفان تدق كثيرا على أن الأمور الجزئية تدل على الكلية -

-
- (1) . 1598 / 1 - 1599 .
 (2) . 1512 / 1 .
 (3) . 3400 / 4 .
 (4) أنظر 2102 / 4 وما بعدها و 3356 / 5 وما بعده .

« وحفنة القمح تدل على ما هو موجود في الأهرام » ومولانا كالغزالي تماماً يرى « أن الإيمان بالنبوة أن يقر بإثبات طور وراء العقل تتفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل السمع عن إدراك الألوان . وبالجمله فمن لم يرزق شيئاً بالذوق فليس يدرك في حقيقة النبوة إلا الاسم » « 1 » ويصل الأمر إلى اعتبار الوحي أحياناً درجة من درجات العلم اللدني بل إلى اعتبار الوحي والإلهام شيئاً واحداً . . ويتفق مولانا أيضاً مع الغزالي في تفاوت عقول البشر منذ الميلاد (انظر حكاية الأستاذ المريض بالوهم في الكتاب الثالث) . .

حتى تجربة النبوة تخضع عند جلال الدين كما كانت تخضع عن الغزالي لا على مجرد النقل بل العقل أيضاً . . الغزالي وقف هنا فحسب ولم يتقدم إلى ما تقدم إليه مولانا جلال الدين من اعتبار كل ما هو للأنبياء حق للأولياء - فأرواح الأولياء ليست كأرواح غيرهم من البشر « 2 » وتجربة الولي ينبغي أن تقوم بلغة أخرى :
 - إن اللوح المحفوظ دليل له ، ومن أي شيء هو محفوظ ؟ أنه محفوظ من الخطأ) .
 - إنه ليس تتجيماً ولا رملاً ولا رؤياً (نائم) ، إنه وحي الحق والله أعلم بالصواب .
 - ومن أجل التعمية على العوام عند البيان ، يسميه الصوفية وحي القلب .
 - فاعتبره وحي القلب فهو موضع تجليه ، وكيف يكون خطأ ما دام القلب واعياً له ؟
 - أيها المؤمن إن كنت تنظر بنور الله ، فقد أمنت هنا من الخطأ والسهو « 3 » .
 هذه الصراحة المتناهية عند مولانا في التعبير عن هذه الفكرة كانت قد

(1) المنقذ من الضلال ص 12 .

(2) . 410 / 4 .

(3) . 1855 - 1851 / 4 .

أصبحت بعد ابن عربي وابن الفارض مقبولة إلى حد كبير ومن ثم يفيض مولانا في تفصيل الفكرة ، ويوحى في بعض الأحيان أن أي إنسان قد يوحى إليه ، وقد يتحدث الروح القدس إليه وهو في هذا ليس أقل من النحل ولا من الغراب على كل حال :
- وبقي شيء آخر لكنه قول لك منوط بالروح القدس ، يتحدث به إليك دون واسطة مني .

- لا إنك تتحدث به إلى نفسك ، تهمس به في أذني نفسك ، لا أنا ولا غيري يتحدث به إليك يامن أنت مني .

- ومثل ذلك عندما تروح في النوم ، إنك تنتقل من جوار نفسك إلى جوار نفسك .
- تسمع من نفسك وتظن أن فلانا من الناس قد تحدث إليك في النوم وأفضى إليك بهذا السر .

- ولست واحدا قائما بذاتك أيها الرفيق ، بل إنك فلك و بحر عميق « 1 » .
ومن ثم فالذي يؤمن أيمانا عميقا بالإنسان وملكاته وأبعاده وبأنه بالفعل يحمل قبسا من النور الإلهي ، لا يستطيع أن يؤمن بأن هذا الإنسان قد يترك هكذا ، بل لا بد من لطف الهي ورحمة إلهية متمثلة في الأولياء تستطيع أن تهديه السبل ، وعلى كل فإن هذا الأمر لا يستبعد عن فلسفة العرفان ، وهو على كل حال أكثر اعتدالا بكثير من شطحيات أبي اليزيد والحلاج ، إذ تظل فلسفة العرفان تدق دائما على أن الولي ليس بنبي ، وأنه ليس مرسلا ، ولم يأت بشريعة ، وكل ما فيه مقتبس من النبوة ، وسعي في مدارج الكمال الإنساني يجعله أكثر معرفة من غيره وأكثر فهما من غيره . . بل ويقدم مولانا أحيانا تفسيرات غاية في -

(1) . 3 / 1299 - 1303 .

البساطة والإقناع عن ذلك الذي يقوم به الولي ويبدو خرقا للعادة وهو بسيط تماما كمعجزات الأنبياء .

- وذلك الفقير ، وأن لم يكن يذكر حاجته ، كان يعطيه إياها وكان يعرف ما في ضميره .

- وما كان في قلب ذلك الكسير الظهر ، كان يعطيه مقداره دون زيادة أو نقصان .

- ثم قيل له : أي علم لك يا عماه بلك القدر الذي يفكر فيه ؟

- فكان يقول : إن منزل القلب خلوة . . . وهو خال من الكدية ، وكأنه الجنة .

- وليس فيه من عمل إلا عشق الله ، وما فيه من ديار إلا خيال الوصال .

- لقد كنست منزل « القلب » مما فيه من خير وشر ، فأصبح منزل « قلبي » مليئا بعشق الأحد .

- وكل ما أراه فيه غير الله ، لا يكون ملكا لي ، بل انعكاس لضمير السائل .

- فلو ظهر في الماء (صورة) عرجون أو نخلة ، فإنه لا يكون إلا انعكاس لنخلة

(خارج الماء) !! - وإن رأيت صورة في قاع النهر ، فإن تلك الصورة تكون

انعكاسا لشيء (موجود) في الخارج أيها الفتى .

- لكن هذا يحدث عندما ينقى الماء من القذى ، فالتنقية شرط لهذا الأمر في نهر البدن

« 1 » .

ومن ثم فإن الرحمة الإلهية لا تنقطع عن البشر .

- ومن ثم ففي كل دور ولي قائم . . . والتجربة قائمة حتى القيامة .

- وإذن فالإمام الحي القائم هو ذلك الولي .

(1) . 5 / 2799 - 2808 .

- سواء كان من نسل عمر أو من نسل على « 1 » .
وربما كان الأمر من الناحية الاجتماعية والسياسية باعثا على تكوين تلك الحكومة
الصوفية ذات الحضور المستمر في الضمير الشعبي والتي كان لها من الآثار
المحسوسة فوق لها من آثار فكرية مما يطول الحديث عنه ،
إبراهيم الدسوقي شتا 13 محرم 1413 13 يولية 1992

.....
(1) . 8151 / 2 و 820 / 7 .

.

[الدفتر الرابع]
(النص)

.

[ديباجة الدفتر الرابع]
(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) *

الظعن الرابع إلى أحسن المرباع وأجل المنافع ، تسر قلوب العارفين بمطالعتة كسرور
الرياض بصوب الغمام ، وأنس العيون بطيب المنام ، فيه ارتياح الأرواح وشفاء
الأشباح ، وهو كما يشتهي المخلصون ويهوونه ، ويطلبه السالكون ويتمنونه ، للعيون
قرة ، وللنفوس مسرة ، أطيب الثمار لمن اجتتي ، وأجل المرادات والمني ، موصل
العليل إلى طيبة ، وهادي المحب إلى حبيبه ، هو بحمد الله من أعظم المواهب وأنفس
الרגائب ، مجدد عهده الألفة ، مسهل عسر أصحاب الكلفة ، يزيد النظر فيه أسفا لمن
بعد ، وسرورا وشكرا لمن سعد ، تضمن صدره ما لم يتضمن صدور الغانيات من
الحلل ، جزاء لأهل العلم والعمل ، كبدر طلع وجد رجع ، زايد من تأمل الآملين ، رايد
لرود العاملين ، فهو يرفع الأمل بعد انخفاضه ، ويبسط الرجاء بعد انقباضه ، كشمس
أشرقت ، من بين غمام تفرقت ، نور لأصحابنا ، وكنز لأعقابنا ،
ونسأل الله التوفيق شكره ، فإن الشكر قيد للعديد ، وصيد للمزيد ، ولا يكون إلا ما
يريد .

ومما شجاني أنني كنت نايما * أعلل من برد بطيب التنسم
إلى أن دعت ورقاء في غصن أيقة * تغرد مبكاها بحسن الترتم
فلو قبل مبكاها بكيث صباة * لسعدي ، شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا * بكاهها فقلت الفضل للمتقدم

رحم الله المتقدمين والمتأخرين والمنجزين والمتتجزين بفضله وكرمه وجزيل آلائه
ونعمه ، فهو خير مسؤول وأكرم مأمول ، والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وخير
المؤنسين والوارثين وخير مخلف رازق للعابدين الزارعين الحارثين . .
وصلى الله على محمد ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، آمين يا رب العالمين .

- يا ضياء الحق حسام الدين ، أنك من فاق المثنوي القمر ضياء به . .
- إن همتك العالية أيها المرتجى ، تجذبة إلى حيث يعلم الله .
- وأنت تجذب المثنوي هذا معقود الجيد إلى قد حيث علمت .
- إن المثنوى مسرع منطلق وجاذبه غير طاهر . إنه غير ظاهر بالنسبة للجاهل المحروم من الرؤية .

- 5 -** ولما كنت أنت المبدأ للمثنوي ، فهما يزيد فإن زيادته منك أنت .
- وما دمت تريد الأمر هكذا فهكذا يريدك الله ، إن الله تعالى يحقق رغائب المتقين .
 - « من كان لله » تعبر عن وجود سابق ، وسرعان من تحل « كان الله له » جزاء عليها .
 - إن المثنوي مدين لك بآلاف الشكر ، لقد رفع كفيه « ضارعا » بالشكر والدعاء .
 - ولقد رأى الله سبحانه وتعالى شكره إياك في شفتيه وكفيه ، فقدم الفضل وأمر باللطف والمزيد .

- 10 -** ذلك أنه - سبحانه - وعد الشاكر بالزيادة ، كما جعل - جل شأنه - القرب أجرا للسجود .
- وقال إلها « القدير » : واسجد واقترب ، صار السجود ، وهو من فعل أبداننا - قربا للأرواح .
 - فإن كان ثم زيادة فهي من هذا القبيل ، لا من أجل التظاهر والجاه الدنيوي .
 - ونحن معك كما يكون الكرم في الصيف ، والأمر في يدك ، هيا قم بالجذب ، حتى نجذب .

- واجذب هذه القافلة نحو الحج جذبا رفيقا ، يا أمير القول القائل : الصبر مفتاح الفرج .

15 - إن الحج هو زيارة للبيت ، أما الحج إلى رب البيت فهو من أفعال الرجال .
- ومن هنا فإن سميتك ضياءً يا حسام الدين ، فإنك الشمس وهاتان الصفتان ؛ - أي « كونك » حساما وضياء « صفة واحدة ، وإن حسام الشمس يكون من الضياء لا محالة .

- فالنور للقمر والضياء للشمس ، وأقرأ هذا المعنى في القرآن الكريم .
- لقد سمي القرآن أيها الأب الشمس ضياءً والقمر نورا . .
فأمعن النظر في هذا « الأمر » .

20 - ولما كانت الشمس أعلى في حد ذاتها من القمر ، فاعلم أذن أن الضياء أعلى مرتبة من النور .

- ومن ثم فإن أحداً لم يبصر السبيل في نور القمر ، لكن هذا السبيل ظهر عندما سطعت الشمس .
- فإن الشمس قد أبدت التبدلات في الأشياء « 1 » جيداً ، فلا جرم أن الأسواق تنصب نهاراً .
- وذلك حتى يميز الخبيث من الطيب جيداً ، وحتى يكون المرء بعيداً عن الحيلة ، والغبن .
- ومنذ أن يكتمل ضياؤها في الأرض ، تكون للتجار رحمة للعالمين .

25 - لكنها بالنسبة للمزيف مبعوضة قاسية ، ذلك لأن بضاعته ومتاعه يصيران كاسدين .

(1) حر : الأعواض . . . وفي نسخة المولوي الأعراض ، والمقصود بالطبع كل ما يظهر في ضوء الشمس من أشياء وبضائع .

- وإذا كان الزيف (من العملة) هو عدو الصراف اللدود ، فمن يكون عدوا للدرويش سوى الكلب .
- وعندما يشتبك الأنبياء مع أعدائهم ، تصيح الملائكة : يا رب سلم .
- ولتحفظ ذلك المصباح الذي يهب الضياء . . من محاولات اللصوص إطفاءه « 1 » ومن أنفاسهم .
- وكفى باللص والمزيف أن يكونا عدوين للضياء . . فالغوث من هذين أيها المستغاث

- 30 -** وقم برش النور على هذا الدفتر الرابع ، فإن شمساً قد سطعت من الفلك الرابع .
- هيا وهب من هذا « المجلد » الرابع الضياء كالشمس ، حتى يسطع على البلاد وعلى الديار .
 - وهو أسطورة لكل من يقرأه كأسطورة ، لكنه بالنسبة لمن رآه نقداً لأحواله رجولة .
 - إنه ماء النيل ، ظهر لآل فرعون « 2 » دماً ، ولم يكن دماً بالنسبة لقوم موسى ، بل كان ماءً (زلالاً) .
 - وعدو هذا الكلام يبدو الآن للنظر وقد نكس مقلوباً في سقر .

- 35 -** ولقد رأيت أحواله يا ضياء الحق . . وأبدي لك الحق الجزاء الذي ناله علي فعاله .
- إنها بصيرتك التي تنفذ إلي الغيب أستاذة كأنها الغيب ، ألا لا قلل الله من الدنيا هذه البصيرة والعطاء .

.....

(1) حر : نفخات .

- (2) في النص يذكر القبطي والمقصود التابع لفرعون والسبطي وهو التابع لموسي وقد أثرنا الترجمة بآل فرعون منعاً لأي لبس أو سوء فهم .

- وخليق بنا هنا أن نكمل تلك الحكاية التي هي نقد لأحوالنا .
- ودعك ممن ليسوا بأهلها من أجل من هم أهل لها ، وأتمم الحكاية واستخلص نتيجتها .
- أنك تلك الحكاية . . . وإن لم تتم هناك « 1 » ، انظمها إذن في الكتاب الرابع .

[حكاية ذلك العاشق الذي هرب من العسس]

بقية حكاية ذلك العاشق الذي هرب من العسس في حديقة مجهولة ،
فوجد المحبوب نفسه في الحديقة فأخذ من فرحته يدعو للعسس
بالخير ويقول عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم .

- 40 - كنا نقول أن ذلك الشخص أسرع « 2 » نحو الحديقة خوفاً من العسس .
 - كان تلك الجميلة في الحديقة ، تلك الجميلة التي كان من تعلقه بها في عناء طويلة ثمان سنوات .
 - ولم يكن خلالها يمكنه رؤية ظلها . كان يستمع إلي وصفها وكأنها العنقاء .
 - لم يكن ثم لقاء إلا اللقاء الأول الذي قضى به عليه ، ومن بعده سلبت منه القلب .
 - ومهما كان يسعى بعد ذلك ، لم تكن تلك العنود تمنحه فرصته « اللقاء » .
- 45 - لم تكن له حيلة لا بالضراعة ولا بالمال ، وكانت تلك الهيفاء « 3 » شبعة العين لا طمع عندها .

(1) المقصود الكتاب الثالث .

(2) حرفياً : ساق الفرس .

(3) حر : الغصن

- إن العاشق لكل عمل ولكل مجال ، يذيقه الله بعض متعته في بدايته .
- وعندما يبدأون في السعي مدفوعين بهذه (المتعة) ، يضع أمام أقدامهم عقبة كل يوم .
- وعندما ألقى بهم في « معمعة » البحث عن الأمر ، أغلق الباب بعدها قائلاً : هاتوا المهر .
- وعلي ذلك الأمل « 1 » يمضون ويذهبون ، يتنازعهم اليأس والرجاء في كل لحظة

- 50 - إن لكل إنسان أملاً في كسب ما ، ورجاء في أمر يفتح له باب الرزق .
- ثم يغلق الباب ، وذلك العابد للباب ، مقيم علي نفس ذلك الأمل كمن لسعت النار قدمه .
- وعندما دخل ذلك الشاب البستان سعيداً ، عثر قدمه فجأة في كنزه .
- لقد جعل الله العسس سبباً ، حتى يسرع خوفاً منهم إلي البستان ليلاً .
- فرأي محبوبته تلك وهي تمسك بمصباح ، وتبحث عن خاتم لها في جدول البستان .

- 55 - ومن فرط سعادته أخذ يقرن تلك اللحظة الدعاء للشرطة بالثناء علي الحق .
- يا إلهي : لقد جلبت الخسارة علي الشرطي بهربي . . . فصب عليه الذهب والفضة عشرين ضعفاً .
- وخلصه يا إلهي من صنعة الشرطة التي يقوم بها ، وأسعده بقدر ما أنا سعيد .

(1) حر : الرائحة .

- أسعده في الدنيا والآخرة . وخلصه يا إلهي من صنعة العسس ومن صفاته الكلبية .
- وبالرغم من العسس بطبعهم يا إلهي يطلبون البلاء للخلق علي الدوام .

- 60 -** ولو علموا أن الملك قد فرض علي المسلمين غرماً ، ينتفخون من السعادة .
 - ولو علموا أن الملك أشفق علي المسلمين وأسقطه جوداً منه .
 - فإن مأتماً يصيب روحهم من جراء ذلك . . إن العسس يتصفون بمئات من أمثال هذا الشؤم .
 - وهكذا أخذ يدعو للعسس . . فإن العسس هو الذين أو صلوه إلي مثل هذه المتعة .
 - كان سما بالنسبة للناس جميعاً وترياقاً بالنسبة له . . كان ذلك الشرطي صلة لذلك المشتاق .

- 65 -** ومن هنا ، فليس هناك شر مطلق في هذه الدنيا ، إعلم إذن أن الشر نسبي .
 - ولا يكون أبداً سم وسكر في وقت واحد لا يكونان قوة لأحد وقيداً لآخر .
 - فما يكون قوة لأحد يكون قيداً لآخر ، يكون سما بالنسبة لأحد ولآخر كأنه السكر .
 - وسم الحية يكون حياة لتلك الحية ، لكنه بالنسبة للإنسان موت .
 - والبحر بالنسبة لأحياء البحر كالحديقة ، لكنه لمخلوقات الأرض موت ومصيبة .

- 70 -** وهكذا دواليك يا رجل العمل عد نسبة الأمر الواحد من شخص واحد إلي ألف .

- فزيد الذي يكون في رأي ذلك الشخص شيطانا ، يكون في رأي شخص آخر سلطانا .

- يقول ذاك : زيد صديق سني ، ويقول هذا : بل مجوسي جدير بالقتل .

- وزيد ذات واحدة لكنه كالجنان بالنسبة لإنسان ، وبالنسبة لآخر أذي مستمر وخسارة .

- فإذا أردت أن يكون بالنسبة لك كالسكر فانظر إليه بعين عشاقه .

75 - ولا تنظر إلي ذلك الجميل بعينيك ، بل انظر إلى المطلوب بعين الطالبين .

- وأغمض عينيك بالنسبة لهذا الجميل ، واستعر عينا من عشاقه .

- بل استعر منه عينا ونظرا ، وانظر بعينه هو إلي وجهه .

- حتى تصير آمنا من الشبع « منه » والملال ، ومن هنا قال ذو الجلال « كان الله له » .

- أي أكون له عينا ويذا وقلبا ، حتى ينجو إقباله من « أنواع » الإدبار .

80 - وكل مكروه حبيب و خليل ما دام قد صار دليلا لك إلي محبوبك .

حكاية لك الواعظ الذي كان يقوم في بداية كل موعظة

بالدعاء للظلمة وقساة القلوب والملحدين .

- كان هناك أحد الوعاظ كلما كان يصعد المنبر . . كان يقوم بالدعاء لقطاع الطرق .

- وكان يرفع يديه قائلا : اللهم ارحم الأشرار والمفسدين والطغاة .

- وكل الساخرين من أهل الخير ، وكل الكفار وسكان الدير .

- لم يكن يدعو للأصفياء ، كان كل دعائه للخبثاء .

85 - فقل له : إن هذا ليس بالأمر المعهود ، والدعاء ، لأهل الضلال ليس منك بالجود

- فقال : لقد رأيت منهم الخير ، ولهذا السبب أدعو لهم .
- لقد ارتكبوا كثيراً من الخبائث والمظالم والجور ، بحيث ألجأوني من الشر إلي الخير
- وكلما كنت أنصرف إلي الدنيا . كنت أتلقى منهم الضربات والطعنات .
- فكنت اتنحي عن الطعنات إلي ذلك الجانب ، كان الذئب هو الذين يعيدونني إلي الجادة .

- 90 -** ولما كانوا صناع السبب في صلاحي . . فالدعاء لهم واجب علي أيها الأريب .
- إن العبد يجأر بالشكوي إلي الحق من الألم ومن الوحز ، ويقدم مائة شكوي من الألم الذي يعانيه .
 - فيقول الحق : إن التعب والألم في النهاية ، قد جعلاك متضرعاً وقاماً بتقويمك .
 - فاشك من تلك النعمة التي تردك عن بابنا وتجعلك بعيداً ومطروداً .
 - وفي الحقيقة فإن كل عدو هو دواء لك هو كيمياء ، بالنسبة لك ، نافع لك مواس لك .

- 95 -** فإنك تنطلق هارباً منه نحو الخلوة . . وتطلب العون من اللطف الإلهي .
- والحقيقة أيضاً أن أصدقاءك أعداء لك ، إنهم يبعدونك عن الحضرة ويشغلونك عنها .
 - وهناك حيوان اسمه العزيراء ، إنه يزداد سمناً وضخامة عندما يضرب بالعصي .
 - أنه يتحسن ما دمت تضربه بالعصي ، أنه يزداد سمناً بضربات العصي .

- وبقينا إن نفس المؤمن كالعزيراء ، إنها قوية سميحة بطعنات الألم .

100 - ولهذا السبب ، فمن بين كل خلق الدنيا ، يكون التعب والبلاء أكثر انصبابا علي الأنبياء .

- بحيث صارت أرواحهم أقوى من كل الأرواح ، فلم يبتل مثل هذا البلاء قوم آخرون .

- والجلد يتمدد من عقار البلاء ، ويصير لنا كأنه الأديم الطائفي .

- وإن لم يكن قد عولج بالمر والملح ، لتعفن ولصار سيئا نجسا .

- فاعلم أن للإنسان جلدا غير مدبوغ ، صار من الرطوبات قبيحا ثقيلًا .

105 - فعالجة بشدة بالمر والملح ، حتى يصير طاهرا لطيفا ذا بهاء .

- وإن لم تستطع ، فارض أيها العيار ، ولو ابتلاك الله بلا اختيار .

- فإن البلاء من الحبيب تطهير لكم ، وعلمه أعلي من تدبيركم .

- فعندما ينظر إلي الصفاء يكون البلاء حلوا ، ويطيب الدواء عندما يكون المرء ناظرا إلي الصحة .

- إنه يري نفسه منتصرا في عين الهزيمة ، فيقول إذن أقتلوني يا ثقات .

110 - لقد كان هذا الشرطي نفعا بالنسبة لغيره ، لكنه بالنسبة لنفسه صار مردودا .

- لقد قطعت عنه رحمة الإيمان ، والتف حوله الحقد الشيطاني .

- فصار منبعاً « 1 » للغضب والحقد ، وأعلم أن الحقد هو أصل الضلال والكفر .

.....
(1) حرفيا : مصنع .

سؤال أحدهم عيسى عليه السلام :
ما هو أشد شئ من بين شدائد الحياة ؟

- قال أحد الأذكياء لعيسى عليه السلام : ما هو أشد شئ في الوجود ؟
- أجاب : أيها العزيز ، أن غضب الله هو أشد ما في الوجود ، إن الجحيم مثلنا تماما يرتعد منه .

115 - قال : فماذا يكون الأمان من غضب الله ؟ قال : ترك غضب النفس في التو واللحظة .
- ومن ثم فإن الشرطي الذي صار منبعا « 1 » لهذا الغضب ، جاوز غضبة القبيح هذا السباع .
- فأى أمل له في الرحمة إلا أن يرجع ذلك الذي لا فضل له عن هذه الصفة .
- فبالرغم من أنه لا بد للعالم من وجودهم ، فإن هذه الفكرة نفسها لجديرة بالإلقاء بهم في الضلال .
- فلا بد للعالم أيضاً من وجود المراحيض ، لكن تلك المراحيض لا تكون ماء معيناً .

هم العاشق بالخيانة وزجر المعشوق له

120 - عندما رآها ذلك الرجل الساذج وحيدة ، سرعان ما هم بتقبيلها ومعانقتها .
- فزجرته تلك الحسناء زجراً شديداً قائلة : لا تتقدم أيها الوقح واحفظ الأدب .
- قال : نحن في خلوة آخرا ولا وجود لأحد ، والماء موجود ، وأنت ظامئة مثلي .

(1) حرفيا : منجم .

- إن أحد لا يتحرك هنا ، ولا حركة إلا للريح ، من الذي يوجد ومن الذي يمنع هذا الانبساط ؟

- قالت : لقد كنت أبله ، أنت أبله ولم تسمع من العقلاء .

- 125 -** إنك إن رأيت الريح تتحرك ، فأعلم أن هنا أيضا محركا للريح وسائقا للريح .
 - إن مروحة التصريف وهي من صنع الله ، ساقها علي هذه الريح فهي تحركها .
 - فإن جزء الرياح الذي هو في حكمنا . لا يتحرك ما لم تحركه المروحة .
 - وإن حركة هذه الرياح الجزئية أيها الساذج . لا تحدث بدونك وبدون المروحة .
 - وحركة ريح النفس الذي في الشفة ، تابع تصريف الروح والبدن .

- 130 -** حينما تجعل النفس مدحاً ودعوة ، وحينما تجعل النفس هجاءً وشتما .
 - إذن فاعلم أحول الرياح الأخرى ، فإن أولي النهى يرون الكل عندما يرون الجزء .
 - فالحق يجعل الريح حين ربيعا ، وهو يعريها من هذا اللطف في الشتاء « 1 » .
 - ويجعل الرياح صرصرا علي قوم عاد ، ثم يجعلها معطرة علي قوم هود .
 - ويجعل من ريح السموم سما زعافا ، كما يجعل من رياح الصبا مباركة طيبة .

135 - ولقد جعل رياح النفس أساسا لك ، حتى تقيس عليها كل ريح .

(1) حرفياً : شهر ديماء وهو يوافق ديسمبر ويناير .

- لا يتحول النفس إلى كلام دون لطف أو قهر ، فهو علي قوم شهد ، وعلى آخرين سم .

- وهو محرك المروحة من أجل الإنعام علي أحد ، لكنها تكون من أجل قهر كل بعوضة وذبابة .

- ولماذا لا تمتلئ مروحة التقدير الإلي من الامتحان والابتلاء .

- ما دامت الرياح الجزئية الموجودة في النفس ، لا تكون إلا في نفع أو ضرر .

140 - وهذه الشمال وهذه الصبا وهذه الدبور ، كيف تكون بعيدة عن اللطف والانعام ؟

- فانظر من الأهراء إلي كف من القمح ، وأفهم أن كل القمح يكون علي نفس النسق .

- فكل الريح من برج الهواء السماوي ، فكيف تنطلق دون مروحة ذلك الذي يزجي السحاب ؟ ! - وعلي رأس البيدر عند التذرية ، ألا يطلب الفلاحون من الحق أن يزجي الرياح ؟

- وذلك من أجل أن يقوموا بفصل القمح عن التبن ، حتى ينقلوه إلي المخازن والأهراء .

145 - وعما تتأخر هذه الرياح في هبوبها ، تراهم جميعا يضرعون إلي الله .

- وهكذا في الطلق وهو ريح الولادة ، إن لم تهب ، يرتفع صوت الأم بالاستغاثة .

- فإذا كانوا لا يعلمون أنه هو الذي يزجي الرياح ، فما تلك الضراعة منهم .

- وأولئك الذين يركبون السفين يطلبون الريح ، كلهم يطلبونها من رب العباد .

- وأيضا بالنسبة لآلام الأسنان الحادة ، تقوم بدفعه بالحرقة والاعتقاد .

150 - وأولئك الجنود أيضا متضرعون إلى الله ، قائلين : سق ريح الظفر يا ولي التوفيق !

- كما أنهم يطلبون رقعة بالتعويذ عند آلام الطلق عند المرأة من كل عزيز .
- ومن ثم فكل الناس عرفوا يقينا . . أن رب العالمين هو الذي يرسل الرياح .
- وتعلم عقل كل عالم علي سبيل اليقين . . إن كل متحرك لا بد من محرك يكون معه .
- فإذا كنت لا تراه ظاهرا ، فافهم وجوده بظهور آثاره .

155 - إن الجسد يتحرك بالروح وأنت لا تري الروح ، لكن اعرف الروح من حركة الجسد .

- قال « العاشق » : إذا كنت أبله فيما يختص بالأدب ، فأنتي ماهر وذكي في الوفاء والطلب .
- قالت : إن الأدب إذن هو ما شوهد منك ، أما الآخر فأنت تعلمه أيها المجادل « 1 » .

قصة ذلك الصوفي الذي ضبط زوجته مع غريب

- جاء أحد الصوفية إلى منزله نهاراً ، كان المنزل إذا باب واحد والزوجة مع إسكاف .
- لقد التحمت مع عاشقها تلك المرأة من وسواس الجسد ، وكان ذلك في تلك الحجرة .

(1) يوجد بيتان بعد في نسخة يوسف بن أحمد المولوي :
هكذا كان أدبك وما خفي كان أفضع مما رأيناه علي وجه اليقين ، وكل ما ينضح من
هذا الإناء فيما بعد ، سوف يكون علي هذا النمط بأجمعه « 38 / 4 »
كما يوجدان عند جعفري « 330 / 9 » .

160 - وعندما دق الصوفي الباب عند الضحي باصرار ، بقي كلاهما بلا حيلة ، ولا طريق « للفرار » .

- فلم يكن من المعهود أن يعود في ذلك الوقت « من النهار » من الدكان إلي الدار .
- فلا شك أنه عاد قاصداً ذلك اليوم ، ولعل شكا روعه ، فعاد إلى الدار .
- كان اعتماد المرأة علي أنه لم يعد من عمله إلي الدار في ذلك الوقت قط من قبل .
- ولم يصدق قياسها هذا من القضاء ، فبالرغم من أنه ستار إلا أنه يعطي الجزاء .

165 - فما دمت قد أسأت فخف ولا تكن آمنا . . ذلك أن « اساءتك » بذرة ينميها الإله .

- إنه يستر عدة مرات . . عل الندم يعتريك من هذا الذنب أو (يحل بك) الحياء .
- وفي عهد عمر رضي الله عنه ، سلم أمير المؤمنين لصا إلى الشرطة والجلاد .
- فصاح ذلك اللص : يا أمير الديار ، الأمان !! إن هذا أول جرم ارتكبه .
- فقال عمر « رضي الله عنه » : حاشا لله أن يقسو عليك في الجزاء وأنت في « فعلتك الأولى » .

170 - إنه يستر مرات من أجل إظهار الفضل ، ثم يأخذ من أجل إظهار العدل .
 - وذلك حتى تظهر هاتان الصفتان ، تكون تلك بشيرة وهذه نذيرة .
 - إن تلك المرأة كانت قد أتت الفاحشة مرات ، ومرت عليها هونا فكانت تبدو لها سهولة .

- لم تكن تعلم واهية العقل والقدم ، إنه ليس في كل مرة تسلم الجرة « 1 » .
- وعندما يريد أن يصيب المنافق بموت الفجاءة ، يقوم بتضييق القضاء عليه .

- 175 -** فلا رفيق ولا طريق ولا أمان ، لقد مد ذلك الملاك يده نحو الروح .
- وهكذا ، فإن تلك المرأة وخذنها قد تبيسا من البلاء ، وهما في حجرة الجفاء تلك .
 - فقال الصوفي لنفسه : سوف أنتقم منكما أيها الكافران ، لكن بصبر .
 - لكن على أن أظهار بأني لم الحظ شيئا هذه اللحظة ، حتى لا تصل الفضيحة إلى أسماع كل إنسان « 2 » .
 - إنه ينتقم منكما خفية وبحق ، قليلا قليلا كما يكون مرض السل .

- 180 -** فالمصاب بالسل ينقص في كل لحظة كأنه الثلج ، وهو يظن في كل لحظة أنه أفضل من اللحظة السابقة .
- إنه يكون كما الضبع يمسك به « الصيادون » ، وهو مخدوع بصياحهم : أين هذا الضبع ؟ ! - لم يكن هناك مخبأ لتلك المرأة ، لم يكن هناك دهليز أو سندرة أو طريق إلى السطح .
 - لم يكن هناك فرن تختبئ فيه ، لم يكن هناك جوال يصلح أن يكون حجابا لها .
 - كان « المكان » كأنه ساحة القيامة ، لا حفرة ولا تل ولا مهرب .

- 185 -** لقد قال الله تعالى في وصف هذا المكان الحرج من أجل الحشر : لا ترى فيه عوجا ولا « أمتا » .

-
- (1) حر : ليس في كل مرة تعود الجرة سالمة من الجدول .
- (2) حر : حتى لا تسمع كل أذن هذا الجرس .

أخفاء المعشوق تحت الحجاب ، وتعلل المرأة بالحجج مصادقا لقوله تعالى : إن كيدهن عظيم .

- لقد أَلقت عليه حجابها السابغ سريعا ، وجعلت من الرجل امرأة وفتحت الباب .
- كان الرجل تحت الحجاب ظاهرا مقتضحا للعيان كأنه جمل على سلم « 1 » .
- قالت إنها سيدة من أكابر المدينة لها نصيب من المال والجاه .
- ولقد أغلقت الباب حتى لا يدخل غريب الدار في غفلة منا أو منه .

- 190 - قال الصوفي :** أية خدمة لها هنا حتى أؤديها لها دون انتظار لشكر أو منة ! ! -
قالت : إنها تطلب « القرب » والمصاهرة ، وهي سيدة طيبة والله أعلم بها .
- أرادت أن ترى ابنتا بحيث لا تراها هي ، واتفق أن البنت موجودة في « الكتاب » .
- ثم قالت لي : حتى وإن كانت دقيقا أو نخالة ، سوف أجعل منها عروسا بالروح والقلب .
- وإن لها ابنا ليس موجوداً في المدينة ، طيب وماهر وجلدٌ وحسن الكسب .

- 195 - قال الصوفي :** نحن فقراء ومساكين وفي قلة « من الأهل » ، وأهل السيدة أغنياء محترمون .

(1) في نسخة نيكلسون : جمل على سلم ، وفي نسخة المولوي : جمل على قناة والأول أصح لأنه مثل فارسي . كما يوجد بعده بيت عند المولوي وجعفري وعند استعلامي :

قال الصوفي عجا ما هذا أنني لم أر هذه قط فمن تكون ؟ ! مولوى : 4 / 32 .
جعفري 9 / 350 . استعلامي 4 / 17 .

- فمتى تكون هذه كفؤاً لهم في الزواج ؟ ! أليكون مصراع باب من خشب وآخر من عاج ؟ !!
- ينبغي أن يوجد التكافؤ بين الزوجين في النكاح ، وإلا ضاق بهما الحال ولما بقي ارتياح !!

قول المرأة أنها لا تفكر في الجهاز بل مرادها الستر والصلاح وجواب الصوفي على هذا الأمر كناية

- قالت : لقد أخبرتها بهذا العذر ، قالت : لست من هؤلاء اللاتي يبحثن عن الجهاز .
- نحن ملولون من الذهب والمال متخمون بهما ، ونحن لسنا كالعوام حريصين على الجمع والكنز .

200 - إن هدفنا هو الستر والطهر والصلاح ، فبهذه الأمور يكون الصلاح في الدارين .

- فكرر الصوفي اعتذاره بالفقر ، كرر هذه الأمر وزاد فيه حتى لا يبقى شئ خفيا .
- قالت المرأة : لقد كررت القول في هذا المجال ، وقررت ألا يكون هناك جهاز .
- لكن رغبتها أكثر رسوخا من الجبل . . بحيث أنها لا تهتم لو كنا أشد فقرا من هذا بكثير « 1 » .
- إنها تقول : إن العفة هي مرادي ، والمقصود فيكم هو الصدق والهمة .

(1) حرفيا : بمائة ضعف .

205 - قال الصوفي : لقد رأت هي نفسها « جهازنا » ومالنا . . وترى منا ما « بطن وما ظهر » .

- والمنزل ضيق يسع فرداً واحداً . . ولا تخفى فيه إبرة .
- أما عن الستر والطهر والزهد والصلاح . فهي أكثر معرفة بها منا بشكل واضح .
- إنها تعرف أحوال الستر أفضل منا ، وما يتصل بالستر من وراء وقدام ومن أسفل ومن أعلى .
- إنها في الظاهر بلا جهاز ولا خادم . . وهي عالمة بصلاحها وسترها .

210 - وليس بالمتبع تفصيل القول في هذا الستر من الأب ، لأنه واضح لها وضوح النهار .

- لقد قصص لك هذه الحكاية ، حتى تقلل من ادعائك عندما اتضح الخطأ الذي بدر منك « 1 » .

- وهو لك أيضا يا من أنت تتزيد في الدعوى ، هكذا كان اجتهادك وإعتقادك .
- كنت خائنا كزوجة الصوفي ، ونصبت شباك مكرك من أجل الاحتيال على .
- بحيث أصبحت تخجل من كل ثرثار لم يغسل وجهه « ولا تستحي » من إلهك .

الغرض من تسمية الله سبحانه وتعالى بالسميع والبصير

215 - من أجل هذا قال الحق عن نفسه أنه بصير ، لأن رؤيته إياك نذير لك في كل لحظة .

(1) من هذا البيت يبدأ حوار المحبوبة مع عاشقها .

- ومن أجل هذا قال الحق عن نفسه أنه سميع ، حتى تغلق شفقتك عن القول الشنيع .
- ومن أجل هذا قال الحق عن نفسه أنه عليم ، حتى لا تفكر في الفساد خوفاً منه .
- وليست هذه بأسماء أعلام على الله ، فإن الأسود يتسمى بكافور .
- إن الاسم مشتق والأوصاف قديمة وليست سقيمة على مثال العلة الأولى .

220 - وإلا فمن قبيل السخرية والضحك والدهاء ، أن يسمى الأصم بسماع والضرير بضياء .

- أو أن يكون « حى » علماً على وقح ، أو أن يسمى أسود قبيح ب - « صبيح » .
- أو أن يلقب طفيل وليد بالحاج ، أو أن تلقبه « بالغازى » من أجل أن يكون لك كنية « جيدة » .

- فإذا كانت هذه الألقاب تقال على سبيل المديح ، فما لم يتصف بها حاملها ويكون الأمر صحيحاً ، - تكون من قبيل السخرية أو الجنون ، وتعالى الحق عما يقوله الظالمون .

- 225 -** لقد كنت أعرفك من قبل الوصال ، أنك حسن الوجه لكنك سئ الخصال .
- وكنت أعرفك قبل اللقاء إنك مجادل ومقيم على الشقاء .
 - وعندما تحمر عيني عندما يصيبها داء أعرف ذلك من الألم دون أن أراها .
 - وعندما رأيتني مثل حمل بلا راع ، ظننت أنه ليس هناك من يحرسني أو يحافظ علىّ .
 - لقد أن العشاق الما من ذلك ، إنهم ألقوا أنظارهم إلى حيث لا يجب .

230 - لقد اعتبروا ذلك الطبي بلا راع ، واعتبروا ذلك السبي لهم بالمجان .
 - وعندئذ أصابه سهم حاد في الكبد ، قائلاً لهم : أنني أنا الحارس فقلل النظر جزافاً .
 - فمتى أكون أقل من حمل أو أقل من شاة بحيث لا يكون هناك حارس خلفي ؟ ! - إني
 لي حارساً جديراً بملكه ، ويعلم حتى الريح التي تهب علىّ .
 - وإن ذلك العليم ليس غافلاً عن هذه الريح باردة كانت أو حارة وليس غائباً عنها أيها
 السقيم .

235 - والنفس الشهوانية صماء عن الحق عمياء عنه ، وكنت أرى بالقلب عماك عن
 بعد .
 - ومن هنا لم أسالك طيلة ثمان سنوات عن أي شيء ، فقد وجدتكم مليئاً بالجهل
 والأعوجاج .
 - وأي سؤال لي ممن هو في المستوقد عن حالة ما دام منكسا فيه ؟ !

مثال الدنيا كالمستوقد والتقوي مثل الحمام

- إن شهوة الدنيا على مثال المستوقد ، يكون حمام التقوى مشتعلاً منه .
 - لكن نصيب المتقى من ذلك المستوقد هو الصفاء ، فهو موجود في الحمام وفي
 النقاء .

240 - والأغنياء مثل حملة البعر والقمامة ، من أجل إشعال النار عند الحمامي .
 - لقد وضع الله الحرص في نفوسهم ، حتى يبقى الحمام رائجا معمورا .
 - فاترك هذا المستوقد وأسرع نحو الحمام ، واعتبر أن ترك المستوقد هو « الذهاب »
 إلى عين الحمام .

- وكل من هو في المستوقد يكون كالخادم لكل من هو صابر وحازم .
- وكل من صارت سيماه في الحمام ، فإنما يبدو ذلك على وجهه الجميل .

245 - ومن هم في المستوقد أيضاً سيماهم واضحة ، من ملابسهم ومن الدخان ومن الغبار .

- وإذا كنت لا تراه فاذهب وشمه ، فالرائحة بمثابة العصا بالنسبة لكل ضرير .
- وإذا كنت لا تشم فجره في الكلام ، وأعلم السر القديم من الحديث الجديد .
- فيقول الوقاد صاحب الذهب : لقد حملت عشرين سلة من القمامة حتى الليل .
- وحرصك كأنه النار في الدنيا ، كل شعلة منها قد فتحت مائة فم .

250 - وهذا الذهب أمام العقل سئ وقذر كالبعر ، بالرغم من أنه كالبعر وقود النار .
 - والشمس التي تحاكي النيران ، تجعل البعر الطري صالحاً للنار .
 - كما أن الشمس قد جعلت هذا الحجر ذهباً ، حتى تستعر النيران في مستوقد الحرص .

- وذلك الذي يقول : لقد جمعت مالا كثيراً فإن الذي يعنيه هو : إنني حملت قمامة كثيرة .
- وهذا الكلام بالرغم من أنه يزيد الفضيحة ، إلا أنه مجال الفخر بين الوقادين .

255 - فهذا يقول : لقد حملت ست سلال حتى الليل ، وذاك يقول : وأنا حملت عشرين سلة دون أدنى تعب .

- ومن ولد في المستوقد ولم ير النظافة ، فإن رائحة المسك تسبب له ألماً شديداً .

قصة ذلك الدباغ الذي أغمي عليه ومرض في سوق العطارين من رائحة العطر والمسك

- فقد أحدهم الوعي وانهار على الأرض ، عندما وصل إلى سوق العطارين .

- لقد أدارت رائحة العطر عند العطارين الكبار رأسه وسقط في موضعه .

- وسقط كالميتة غافلاً بلا حس ، في رابعة النهار على قارعة الطريق .

260 - فتجمع الناس حوله في التو واللحظة ، محوقلين معالجين .

- أخذ أحدهم يده ويمسح على رأسه ، وأخذ آخر يرش عليه ماء الورد .

- وهو لا يدري ما حدث من واقعة إنما حدث من وجود ماء الورد في هذا السوق .

- أخذ أحدهم يده ويمسح على رأسه ، وثالث أخذ يحضر الطين الطري المخلوط بالتبن .

- وكان أحدهم يخلط بخور العود بالسكر ، بينما يقوم آخر بتخفيف ملابسه عنه .

265 - ورابع يجس نبضه وكيف يدق ، وخامس يشم فمه .

- ليرى هل شرب خمراً أو أكل حشيشاً ، لقد عجز الخلق عن « معرفة السبب » في فقدانه الوعي .

- وسرعان ما طيروا الخبر إلى أهلة قائلين : إن فلاناً قد سقط عن ذلك الموضع مهتماً تماماً .

- ولا يعلم أحدا به ، هل أصابه صرع ؟ ! أو ماذا حدث له حتى افتضح أمره هكذا ؟ !
« 1 » .

- وكان لذلك الدباغ العظيم أخ ذكى وماهر ، حضر على الفور .

270 - كان في كفه قليل من بعر الكلاب ، فشق صفوف الخلق وجاء في حنين .
- وقال : أننى أعلم سبب تعب . . وعندما يعرف السبب يكون العلاج واضحا .
- وعندما يصبح السبب معلوماً لا يبقى إشكال في دواء الوجع ولو كان فيه مائة محمل .

- وما دمت قد علمت السبب فقد صار سهلاً معرفة الأسباب التي صارت دافعة للجهل .

- وقال لنفسه : إن وجوده أي عروقه ومخه ، طية بعد طية « وقرت فيها » رائحة هذا البعر ، وبعر الكلب .

275 - إنه بين القاذورات حتى وسطه إلى الليل ، غريف في الدباغة طلباً للرزق .
- ومن هنا قال جالينوس العظيم ، أعط المريض ما تعود عليه .
- فمن خلاف العادة يأتية التعب ، فابحث عن دواء ألمه بما اعتاد عليه .
- لقد صار كالجعل من حملة للبعر ، ومن ماء الورد يصاب الجعل بالإغماء .
- ومن بعر الكلب يكون دواؤه ، فهو معتاد عليه مطبوع به .

280 - فاقراً الخبيثات للخبيثين ، وأعلم ثانية ما ظهر من هذا الكلام وما بطن .

.....
(1) حرفياً : سقط طسته من فوق السطح .

- إن الناصحين يعالجونه بالعنبر وماء الورد من أجل حل هذا الإشكال .
- والطيبات لا تتفق مع الخبيثين ، فهم ليسوا لائقين لها أو جديرين بها أيها الثقات .
- ولما كانوا منحرفين عن عطر الوحي ضالين عنه ، كانت صرختهم : أنا تطيرنا بكم .
- إن هذا المقال تعب ومرض بالنسبة لنا ، وليس وعظكم بطيب الفأل بالنسبة لنا .

- 285 -** ولو أنكم بدأتُم بالنصح علانية ، لرجمناكم في التو واللحظة .
- لقد سمنت أجسادنا على اللغو واللهو ، ولم نطبع أنفسنا على النصح والعظات .
 - إن قوتنا هو الباطل والهذر واللهو ، ومن هذا البلاغ تصاب معدتنا بالهياج .
 - إنكم تجعلون الألم مائة ضعف أو ما يزيد ، وتعالجون العقل « بإعطائه » الأفيون

معالجة أخ الدباغ للدباغ بالبعر خفية

- وأخذ ذلك الشاب يبعد الخلق عنه ، حتى لا يرى أولئك الأشخاص دواءه .
- 290 -** وقرب رأسه في أذنه كأنه يفضي له بسر ، ثم وضع ذلك الشئ بين أنخريه .
- فقد كان في كفه مسحوق بعير الكلب ، كان قد رأى أنه علاج مخة الدنس .
 - ومرت برهة وبدأ الميت في الحركة ، فقال الخلق : لقد كانت هذه تعويذة مدهشة .

- لقد قرأ هذا « الشاب » تعويذة ونفخ بها في أذنه ، وكان ميتا ، وأنقذته هذه التعويذة .

- إن حركة أهل الفساد تكون في تلك الناحية التي يكون فيها الزنا والغمز بالعيون وتحريك الحواجب .

295 - وكل من لا يجدى فيه مسك النصيحة ، لا جرم أنه جدير بالاعتقاد على الرائحة الكريهة .

- ومن هنا فقد سمى الحق المشركين « نجسا » ، وذلك أنهم ولدوا في البعر فيما سبق .

- والدودة التي ولدت في بعر الأبد ، لا تتحول طبيعتها بالعنبر .

- ولما لم يسقط عليها من نثار « رش النور » فإنها كلها جسم بلا قلب كالقشور .

- ولو قسم لها الحق من رش النور ، لولدت كما يحدث في مصر طيرا من بين البعر .

300 - لكن ليس ذلك الطائر الخسيس المنزلى ، بل طير العلم والذكاء .

- وأنت « 1 »

تشبهها إذ أنك فارغ من هذا النور وذلك لأنك تضع أنفك على الدنس .

- لقد أصفر منك الوجه والوجنة من الفراق ، أنت ورقة صفراء وثمره فجة .

- لقد صارت القدر سوداء من النار ملوثة بالدخان ، أما اللحم فقد بقي من صلابته فجأ على حالته .

.....
(1) الحديث من المحبوبة للعاشق .

- لقد غليت لك لثمان سنوات « فوق نار » الفراق ، ولم تنقص ذرة واحدة من فجاجتك ونفاقك .

305 - لقد تحجر حصرمك ومن السقام ، أصبح الحصرم كله زبيبا ولا زلت ساذجاً فجاً .

اعتذار ذلك العاشق عن ذنبه بالحيلة والكناية وفهم المعشوق له أيضا

- قال العاشق : كنت اختبرك فلا تدققي . . كنت أريد أن أرى هل تتجاوبين معي أم أنك عفيفة !!
- وكنت أعرفك بلا امتحان ، ولكن متى يكون الخبر كالعيان ؟ !
- إنك شمس ، اسمك مشهور ومنتشرة ، فأني ضرر سيحيق بك لو قمت باختيارك ؟ !
- أنت أنا . . وأنا أمتحن نفسي كل يوم في النفع والضرر .

- 310 -** ولقد أمتحن الأنبياء أعداؤهم ، حتى ظهرت منهم المعجزات .
- ولقد أمتحنت عيني بالنور ، ألا فلتبتعد عن عينيك عين السوء .
- إن هذه الدنيا كالخرابة وأنت كالكنز ، فلا يضيقن صدرك إن بحثت عن كنزك .
- ومن هنا فقد تجاوزت حدودي معك جزافاً ، حتى أثرثر مع الأعداء (عن عفتك) في كل أن .
- ولكي أقدم أدلة مما شاهدته العين ، عندما يذكر لساني اسمك .

315 - فإذا كنت قد أصبحت قاطع طريق في طريق الشرف ، فلقد جئت أيها القمر بالسيف والكفن .

- فلا تقطعي قدمي ورأسي إلا بيدك ، فأنا من هذه اليد ولست من يد أخرى .
- إنك تتحدثين ثانية عن الفراق ، إفعلي ما تشاءين إلا هذا .
- لقد ارتج على الآن في عمران الكلام ، ولم يعد إمكان الكلام . . فقد تأخر الوقت .
- لقد قلنا القشور أما اللب فظل دفيناً ، لو بقينا فإنه لا يبقى هكذا « دفيناً » .

رد المعشوقة على غدر العاشق ومواجهته بتلبيسه

- 320 -** فأجابته تلك المحبوبة قائلة : إن الأمر بالنسبة لنا « واضح » كالنهار وبالنسبة لك « مستور » كالليل .
- فلماذا تقوم بالحيل المظلمة في تقييمك للأمور أمام المبصرين ؟ !
 - فكل ما في قلبك من مكر والتواء ، هو عندنا واضح ولائح كأنه النهار .
 - وإذا كنا قد سترنا عليه من اللطف بالعباد ، فلماذا تمضي في توقحك إلى ما لا حد ؟!
 - وتعلم من الأب فإن آدم في ذنبه ، هبط برضا وتسليم نحو مستقره .
- 325 -** وعندما تيقن آدم أنه عالم الأسرار ، وقف على قدمية مستغفرا .
- وحط على تراب الهموم ، ولم يقفز من موضوع إلى آخر متعللاً « 1 » .
 - لقد قال « ربنا إنا ظلمنا » فحسب ، عندما رأى ملائكة « العقاب » من قدامه ومن ورائه .
 - ورأى ملائكة العقاب مختفين كأنهم الأرواح ، وكل منهم في يده مقمعه ممتدا إلى عنان السماء .

.....
(1) حرفياً : يقفز من غصن إلى غصن .

- فهيا كن نملة أمام سليمان « عليه السلام » حتى لا تشترك هذه المقامع .

330 - ولا تقف لحظة واحدة إلا في مقام الصدق . . فليس للأخرس « من معين » سوى العين .

- فالأعمى وإن تطهر من الموعظة ، فإنه يتلوث في كل لحظة .
- ويا أيها الإنسان ، لست أعمى البصر ، لكن إذا جاء القضاء عمى البصر .
- وينبغي أعمار لكي يحدث . وهذا أمر نادر - أن يسقط مبصر من قضاء الله في بئر .
- بينما يكون هذا القضاء رفيقا للأعمى ، فإن السقوط عنده طبع وجبلة .

335 - إنه يسقط في القذارة ولا يعلم مصدر الرائحة ولا يزال يتساءل : أهى منى أو من القذارة .

- ولو أن أحد رشه بالمسك ، فإنه يظن أنه من لدنه وليس من إحسان الصديق .
- ومن ثم فإن عيين مبصرتين يا صاحب النظر ، هما بالنسبة لك بمثابة مائة أم ومائة أب .

- خاصة عين القلب وهي سبعون ضعفا « من عين الحس » ، وعين الحس قاطفة بيدرها .

- وا اسفاه فإن قطاع الطرق قد كمنوا لي ، وعقدوا مائة عقدة تحت لسان .

340 - وكيف يسير مقيد القدم سريعا وخفيفا ، إن القيد شديد الثقل فاعذره .
- إن هذا الكلام يصدر متقطعا أيها القلب ، فهذا الكلام در في در والغيرة طاحون .
- والدر حتى إن كان صغيرا منكسرا يصبح توتيا للعين المتعبة .

- فيا أيها الدر لا تلطم رأسك من انكسارك ، فمن الانكسار يتولد الضياء .
- وكذلك الكلام غير المترابط ، فإن الحق يقوم بإصلاحه في النهاية فهو الغنى » الحميد » .

- 345 -** والقمح إن تحطم وطحن ، أتى إلى الدكان ، فهذا هو الخبز الصحيح .
- وأنت أيها العاشق عندما افتضح جرمك ، اترك الحيلة والتعلل « 1 » وكن كسيرا .
 - ذلك أن الخواص من أبناء آدم ، إنما يتحدثون بنفس « إنا ظلمنا » .
 - فاعرض حاجتك ولا تقدم حجتك ، مثل ذلك الذي فعله إبليس اللعين الصفيق .
 - فإذا كانت صفاقة قد نجحت في إخفاء عيوبه ، فاذهب وجاهد في الجدل والصفاقة .

- 350 -** لقد طلب أبو جهل من الرسول صلى الله عليه وسلم معجزة ، مثل حاقد من الأتراك الغز .
- لكن ذلك الصديق الحق لم يطلب معجزة ، بل قال : حرى بهذا الوجه ألا يقول غير الصدق .
 - فمتى يصل الحال بمن هو مثلك أن يقوم بامتحان حبيب مثلي .

قول ذلك اليهودي لعلي كرم الله وجهه : إذا كنت تعتمد على حفظ الحق ، فألق بنفسك من فوق هذا القصر وجواب أمير المؤمنين عليه .

- قال أحد المعاندين ذات يوم للمرتضى ، ولم يكن ذلك المعاند على علم بتعظيم الله .

(1) حرفيا : الزيت والماء .

- كان على سطح قصر شديد العلو ، قال له : هل أنت متفهم لحفظ الحق أيها الأريب ؟ !

355 - قال : نعم ، إنه حفيظ وغنى ، « وحافظ » لوجودنا منذ أن كنا أطفالا ونطفًا .
 - فقال هل : هيا وألق بنفسك من فوق السطح ، واعتمد تماما على حفظ الحق !!
 - حتى يثبت لي يقينك ، واعتقادك الحسن « الثابت » بالبرهان .
 - فقال له الأمير : امض واذهب عنى ، حتى لا تهلك روحك من هذه الجرأة .
 - فمتى يبلغ بالعبد أن يمتحن الله « إن هذا الأمر » يكون محض ابتلاء .

360 - ومتى تكون للعبد الجرأة من فضوله ، أن يقوم بامتحان الحق أيها الأبلّة المخدوع .
 - بل خليك بالله سبحانه وتعالى أن يقوم في كل لحظة بامتحان عبيده « وابتلائهم » .
 - حتى يبدي لنا في كل لحظة عيانا ، ماذا نسرّه في « بواطننا » من اعتقاد .
 - ولم يقل إنسان قط لله ، إنني أمتحنك ، بهذا الجرم والخطأ (الذي ارتكبه) .
 - حتى أرى غاية حلمك أيها المليك . . آه أي إنسان يكون له مجال هذا الفعل ؟ ! أي إنسان ؟ !!

365 - ومن كثرة الضلال في عقلك ، فإن عذرك أقبح من ذنبك .

- ذلك الذي رفع السماء بغير عمد « 1 » كيف تستطيع أنت أن تمتحنه .
- ويا من لم تعرف الشر والخير ، امتحن نفسك أولاً ثم أمتحن الغير .
- وعندما تقوم بامتحان نفسك يا فلان ، فإنك تفرغ من امتحان الآخرين .
- وعندما تعلم إنك مجرد ذرة من سكر ، تعلم أنك أهل إذن لمخزن السكر .

370 - وأعلم أذن أن الإله لن يرسلك إلى مكان غير لائق بك إن كنت سكران .
 - فاعلم هذا بلا امتحان من علم المليك ، إنك إن كنت رئيساً لن يرسلك إلى صف النعال !!

- فهل قام عاقل قط بالقاء در ثمين في مرحاض ملئ بالفضلات ؟ !
- وإن الرجل الحكيم الواعي لا يرسل القمح أبداً إلى مخزن القش .
- والشيخ الذي هو دليل ومرشد ، إذا قام مريد بامتحانه فهذا المريد حمار .

375 - وإنك إذا امتحنته في طريق الدين ، فإنك تصير أيضاً ممتحناً يا من أنت بلا يقين .

- تتعري جراتك وجهلك ويفتضحان ، ومتى يصير « المرشد » عارياً من ذلك الافتضاح .

- فإذا جاءت ذرة لتزن الجبل ، فهي تحطم ميزانها بهذا الجبل أيها الفتى .
- وذلك الذي يضع رجل الحق في ميزانة ، فإنه يضع الميزان بقياسة هو .
- وإذا كان ميزان العقل لا يسعة ، فإنه يحطم ميزان العقل .

380 - فاعلم أن الامتحان هو أشبه بالسيطرة عليه ، ولا تطلب السيطرة على هذا المليك .

(1) حر : الذي رفع سقف السماء .

- وأية محاولة من الصور للسيطرة على مثل هذا المصور امتحانا له ؟ !!
- فإذا كانت قد عرفت ماذا يعنى الامتحان ، فإن الذي جعلها تعرفه هو المصور الذي صورها .
- وأي قدر لهذه الصور التي صورها . . إلى جوار الصور التي لا تزال موجودة في علمه ؟ !!
- وعندما يوسوس لك الشيطان بهذا الامتحان ، فاعلم أن مآل السوء قد وقع عليك وقطع رقبتك .

- 385 -** وعندما تشعر بهذا الوسواس ، فعد بأسرع ما يمكن إلى الله ، واسجد .
- واجعل سجودك مبللا بدمعك الجاري ، و « أدع » قائلا : يا الله خلصني من هذا الظن » .
- وفي ذلك الزمان الذي صار فيه الامتحان مطلبا لك ، فاعلم أن مسجد دينك قد صار ملأنا بالخروب .

[حكاية المسجد الأقصى والخروب]

قصة المسجد الأقصى والخروب وعزم داود عليه السلام على بناء ذلك المسجد قبل سليمان عليه السلام

- عندما صح عزم داود عليه السلام على أن يبني المسجد الأقصى بالحجارة .
- أوحى إليه الحق قائلا : دعك من هذا الأمر ، فإن « بناء » هذا المكان لن يتم على يديك .

- 390 -** وليس في تقديرنا أن يكون أنت هو الذي يبني المسجد الأقصى أيها المختار .
- قال : فما هو جرمي يا عالما بالسر ، حتى تأمرني ألا أقوم ببناء المسجد .

- قال : لقد لقد سفكت دماء كثيرة دون ذنب جنت ، وحملت دماء المظلومين على عاتقك .
- ومن حلاوة صوتك أسلم خلق لا حصر لهم الروح ، لقد صاروا صيداً « لهذا الصوت الجميل » .
- لقد سفك دم كثير من جراء صوتك ، من جراء صوتك الحلو السالب للروح .
- 395 - قال « داود » :** لقد كنت مغلوباً لك ثملاً بك ، كانت يداي مقيدتين بيدك .
- أليس كل مغلوب للمليك مرحوماً ؟ ! وأليس المغلوب كالمعدوم .
- قال سبحانه وتعالى : أين ذلك المعدوم المغلوب ؟ ! ، أيقنوا إنه ليس معدوماً إلا بشكل نسبي .
- إن مثل هذا المعدوم الذي غاب عن وعيه ، هو أفضل الموجودات وأعظمها .
- إنه فان بالنسبة لصفات الحق ، وفي الحقيقة فإن البقاء له في « هذا » الفناء .
- 400 - وكل الأرواح في تدبيره . وكل الأشباح في مرمى سهمه .**
- إن من هو مغلوب في لطفنا ، ليس مضطراً (مجبوراً) بل هو مختار بالولاء (والمحبة) .
- ومنتهى الاختيار يصبح لمن يكون اختياره مفتقداً هنا .
- وليست هناك لذة عند المختار ، إنه لم يصّر له محو الأنية في نهاية الأمر .
- وفي الدنيا إذا كانت هناك لقمة أو شريحة ، فإن لذتها فرع اللذة الخالصة .
- 405 - وإن صار المرء بلا تأثر باللذات (الدنيوية) ، لصار لذة في حد ذاته وأخذاً للذات .**

شرح : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، والعلماء كنفس واحدة ، وبخاصة اتحاد داود وسليمان وسائر الأنبياء عليهم السلام بحيث إنك إن أنكرت واحدا لا يصح الإيمان بأي نبي وهذه علامة الاتحاد بحيث إذا خربت منزلا من آلاف المنازل فكأنك خربتها جميعا ولا يقوم جدار واحد ومصادقا لقوله تعالى : لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، والعقل تكفيه الإشارة وهذا في حد ذاته جاوز الإشارة . « 1 »

- بالرغم من أنه لن يتأتى من جهدك وقوتك ، إلا أن هذا المسجد سوف يبينه ابنك .
- وفعله هو مثلك أيها الحكيم ، فاعلم أن بين المؤمنين اتصالا من قديم .
- والمؤمنون متعددون والإيمان واحد ، أجسادهم متعددة لكن روحهم واحدة .
- وغير الفهم والروح الموجودين في الثور والحمار ، للإنسان عقل آخر وروح أخرى .

(1) ج / 9 - 431 :

ثم خاطب داود من قبل الله تعالى يا أيها النبي المجتبي حسن اللقاء .
دع قلبك من التفكير من هذا الخبر ولا تجعل للحزن سبيلا إلى قلبك ولا تغتم لا تدع
للمهم سبيلا إلى قلبك أيها الطاهر ونظف مرآتك من أي غبار إذ قلنا لك دعك من هذا
البناء فلا سباحة لك في هذا البحر هذا أمر القضاء . وحكم القضاء وليس في وسعك
أمامه إلا الرضا فارض بقضاء الله وأسعد وسلم وانج من قيد الحزن أنه لن يتم بجهدك
فدعك من هذا السعي وانصرف عنه .

410 - وغير روح الإنسان وعقله ، هناك روح في ولى ذلك الزمان .
 - وليس بين الأرواح الحيوانية اتحاد ، فلا تبحث أنت عن هذا الاتحاد من الهواء .
 - فإذا أكل هذا الخبز لا يشبع منه ذاك ، وإن يحمل ذاك حملا لا يحس هذا بثقله .
 - بل أنها تفرح عند موت « روح حيوانية » أخرى ، وتموت حسدا عندما ترى روحا ذات مثونة .
 - وأرواح الذئاب والكلاب كل روح منها على حدة ، لكن أرواح أسد الله متحدة .

415 - لقد جمعت أرواحهم على سبيل اللفظ ، لكن الروح الواحدة منها تكون كمائة بالنسبة للجسم « 1 » .
 - مثل ذلك النور الموجود في شمس السماء ، يكون مائة « نور » بالنسبة لأفنية الدور .
 - لكن أنوارها كلها تكون واحدة ، عندما تقوم برفع الحواجز فيما بينها .
 - وعندما لا تبقى هناك قواعد للدور (الأجساد) ، يكون المؤمنون مثل نفس واحدة .
 - وهناك فروق واشكالات تتأتى من هذا المقال ، فذاك لا يكون مثل هذا . .
 لكنه مثال .

420 - وهناك فروق بلا حد بين شخص الأسد وبين شخص الإنسان الشجاع .
 - لكن عند ضرب المثل يا طيب النظر ، هناك اتحاد في التضحية بالروح والشجاعة فانظر .

(1) عنوان في نسخة جعفري قبل الآبيات التالية . (9 / 445) .

- بحيث يكون ذلك الشجاع على مثال الأسد في النهاية ، لكنه ليس كالأسد في كل الأمور .

- وهذه الدار ليس فيها صورة متحددة ، حتى أضرب لك منها مثالا .

- بل حتى لكي أورد مثالا واحدا ناقصا . . حتى أخلص العقل من حيرته .

425 - إنهم يضعون ليلا في كل دار مصباحا ، حتى يتخلصوا بنوره من الظلمة .
- إن ذلك المصباح كالجسد ونوره كالروح ، وهو - أي النور - محتاج لفتيل ومواد أخرى .

- وذلك المصباح ذو الفتائل الستة من هذه الحواس ، كله ذو أساس واحد من الأكل والنوم .

- إنه لا يعيش نصف لحظة دون أكل أو نوم ، حتى مع الأكل والنوم لا يظل يعيش أيضا .

- وبلا فتيل ولا زيت ليس له بقاء ، ومع وجود الفتيل والزيت هو أيضا بلا وفاء .

430 - ذلك أن نوره لعله باحث عن الموت، وكيف يعيش والنهار المضي هو موته ؟!

- وكل أحاسيس البشر هي أيضا بلا بقاء ، وذلك أنها فانية أمام نور يوم الحشر .

- وأنوار أحاسيس آبائنا وأرواحهم ، ليست فانية بشكل كلي كالنبات .

- لكنها على مثال النجم وضوء القمر ، تمحى كلها إن سطع عليها ضوء القمر .

- هذا كما أن لدغة البرغوث وألمها تنمحي تماماً عندما تأتي الحية إليك .

435 - كعار قفز في الماء ، حتى نجا من هذا الماء من وخز النحل .
 - وهناك نحلة تطوف حول رأسه ، وكلما رفع رأسه لا تعفية (من الوخز) .
 - إن هذا الماء هو ذكر الحق (جل وعلا) ، ووخر النحل في هذا الزمان هو ذكر «
 فلانة » وذكر « فلان » .
 - فابق لحظة في ماء الذكر واصطبر (عليه) ، حتى تنجو من الفكر والوسواس
 القديم .
 - وبعد ذلك تتخذ لنفسك طبع هذا الماء الصافي جملة ومن قمة الرأس إلى أخمص
 القدم .

440 - وأيضا فإن نحل الشر يهرب منك وأنت في الماء ويأخذ حذره منك .
 - وإن أردت من بعد ذلك فابتعد عن الماء ، لأنك قد صرت شريكا في الأصل للطبع
 المائي .
 - ومن ثم فأولئك الذين تجاوزوا الدنيا ، ليسوا بفانين بل استغرقوا في الصفات .
 - (فنيت) كل صفاتهم في صفات الحق ، كالنجوم أمام تلك الشمس ، وأصبحت بلا
 أثر .
 - وإذا كنت تريد دليلا منقولاً من القرآن أيها الحرون ، فاقراً : «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ
 لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ» .

445 - والمحضرون لا يكونون معدومين فانظر جيدا ، حتى تعلم بقاء الأرواح يقينا .
 - والروح المحجوبة عن البقاء في عذاب شديد ، والروح الواصلة في البقاء متجردة
 من الحجاب .

- والمراد أنى قلت لك حذار ، لا تبحث عن الاتحاد مع مصباح هذا الحس الحيواني .
- وأوصل روحك على وجه السرعة يا فلان مع أرواح قدس السالكين .
- فإذا كان لك مائة مصباح ، سواء كانت هذه المصابيح مشتعلة أو مطفاة . . فهي منفصلة ، وليست (مصباحا) واحدا .

450 - ومن هنا فإن أصحابنا « إياهم » في قتال ، ولم يسمع أحد عن حرب وقعت بين الأنبياء .

- ذلك أن نور الأنبياء كان شمسا ، ونور حسنا مصباح وشمع ودخان .
- تموت واحدة من هذه الشموع ، وتبقى واحدة حتى الصباح ، تكون إحداها ذابلة والأخرى ذات ضياء .
- والروح الحيوانية التي تحيا من الغذاء ، تموت هي الأخرى بكل طيب وكل قبيح .
- فإذا مات هذا المصباح وطويت (أيامه) ، متى يصير منزل الجار مظلما (من ذلك) ؟ !

455 - وما دام نور هذا المنزل قائما بدونه . . فإن مصباح حس كل دار قائم على حدة .

- وهذا مثال عن الروح الحيوانية ، وليس مثالا عن الروح الربانية .
- ثم إن القمر عندما ولد من هندی الليل ، سقط النور من كل كوة .
- فاعتبر نور تلك المائة منزل نوراً واحداً ، إذ لا يبقى نور هذى الدار دون نور تلك الدار .
- وحين تطلع الشمس الساطعة من الأفق ، يكون نورها ضيقاً على كل دار .

- 460 -** ثم عندما تأفل شمس الروح ، يزول النور عن كل الدور .
 - وهذا هو مثال على النور وليس مثله ، أنه يكون هاديا لك قاطعا لطريق العدو .
 - وذلك القبيح الطوية على مثال العنكبوت ، إنه ينسج حول نفسه حجابا متعفنة .
 - لقد جعل من لعبه حجاباً على النور ، وأصاب بصيرة إدراكه بالعمى .
 - وأن من يأخذ بعنق الجواد ينقاد له ، لكن من يأخذ بقدمه يتلقى الرفسات .
- 465 -** فقلل ركوب جواد حرون بلا زمام ، واجعل العقل والدين إمامين لك والسلام .
 - وفي هذا الاتجاه لا تنظر بوهن وخمول ، ففي هذا الطريق ينبغي الصبر وشق الأنفس .

بقية قصة بناء المسجد الأقصى

« 1 »

- عندما بدأ سليمان البناء ، طاهرا كالكعبة ذا إقبال كمنى .
 - كان يرى في بنائه العظمة والشموخ ، لم يكن غثا (دميما) كالأبنية الأخرى .
 - وعند (البناء) كان كل حجر يقطعونه من الجبل ، كان يصيح من البداية «
 سيروابى » .

- 470 -** وكان النور يشع من قطع الحجر ، وكأنه من ماء جسد آدم وطينه .
 - كان الحجر آتيا دون حمال ، وصارت تلك الأبواب والجدران (مفعمة) بالحياة .

.....

(1) ج / 9 - 455 :

عد تحدث عن قصة المسجد مع سليمان النبي حسن السجايا .

- ويقول الحق : إن جدران الجنة ، ليست كالجدران القبيحة الخالية من الروح .
- وعندما يكون باب الجسد وجدرانه على وعى ، تكون الدار حية لأنها منسوبة إلى المليك .
- وسواء الشجر والثمر والماء الزلال ، تكون مع ساكن الجنان في حديث ومقال .

475 - ذلك أن الجنة لم تصنع من مواد ، لكنها صنعت من الأعمال والنيات .
 - وهذا البناء كان ميتاً لأنه من الماء والطين ، وذلك البناء صار حياً لأنه من الطاعات .

- هذا من الأصل بقي مليئاً بالحلل ، وذاك من أصله هو العلم والعمل .
- كذلك تكون السرر والقصر والتاج والثياب ، مع ساكن الجنة في سؤال وجواب .
- فالفرش يطوى دون أن يقوم بذلك فراش ، والدار تكنس دون كناس .

480 - فانظر إلى منزل القلب تغضن من الحزن ، وكنس دون كناس من التوبة .
 - لقد صار سريرها (أي الجنة) سياراً بلا حمال ، وصارت الحلقة وصار الباب مطرباً وقوالاً .
 - فحياة دار الخلود موجودة في القلب ، وما فائدة القول إن كنت لا أستطيع التعبير عنها .

- وعندما كان سليمان يدخل المسجد كل صباح من أجل إرشاد العباد .
- كان يعظ حيناً بالقول واللحن والموسيقى . . . وحيناً بالفعل أي بالركوع أو الصلاة .

485 - إن الموعدة بالفعل أكثر جذبا للخلق ، إذ تصل إلى روح كل من له أذن وكل أصم .
- وفيها يقل وهم الإمارة ، وتأثيرها يكون قويا في الأتباع .

**قصة بداية خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وخطبته في بيان
أن ناصحا فعلا بفعل أفضل من ناصح قوال بقول**

- إنها قصة عثمان عندما صعد المنبر ، عندما ولى الخلافة أسرع قلعا .
- كان منبر العظيم ثلاث درجات ، وكان أبو بكر قد ذهب وجلس على الدرجة الثانية .
- وجلس عمر في نوبته على الدرجة الثالثة ، من أجل حرمة الإسلام والدين .

490 - وعندما حلت نوبة عثمان ، جاء وصعد أعلى المنبر وجلس ذلك المحمود البخت .

- وسأله أحد الفضوليين : إن هذين (السابقين) لم يجلسا في موضع الرسول .
- إذن كيف بحثت أنت عن علو عليهما . ما دامت أقل منهما في المرتبة ؟ !
- قال : لو أنني جلست على الدرجة الثالثة ، لتوهم الناس أنني على مثال عمر .
- ولو أنني جلست على الدرجة الثانية ، ل قيل : هو أبو بكر وهو مثله .

495 - وهذا هو مقام المصطفى ، وليس لو هم أن يمثلنى بهذا السلطان .
- ثم إن ذلك الودود جلس في موضع الخطبة حتى العصر صامت الشفة .
- ولم تكن عند أحد الجراة أن يقول له : هيا قل ، أو أن يخرج من المسجد آنذاك .

- لقد حطت هيبة على الخاص والعام ، كان ذلك الصحن والسقف مليئين بنور الله .
- وكان كل مبصر ناظر النور ، وحتى الأعمى أحس بالحرارة من تلك الشمس .

- 500 -** كانت عين الأعمى تفهم من الحرارة ، أن الشمس قد تصاعدت بلا فتور .
- وهذه الحرارة تقوم بفتح البصيرة ، حتى ترى العين كل مسموع .
 - فمن حرارتها يكون (للأعمى) ضجر وحالة (ضيق) ، ومن حموها يكون للقلب انبساط وفسحة .
 - وعندما صار الأعمى دافئا من نور القدم ، يقول من الفرح : لقد أصبحت مبصرا .
 - إنك ثمل جدا ، لكن يا أبا الحسن ، هناك قدر من الطريق حتى الإبصار .

- 505 -** وهذا يكون نصيب الأعمى من الشمس ، ومائة ضعف لهذا ، والله أعلم بالصواب .
- وذلك الذي يكون مبصرا بهذا النور ، متى يكون تفسير (إبصاره هذا) عمل أبى علي بن سينا ؟ !!
 - وحتى إذا كان وكان له لسان مائة ضعف كلسانه ، فماذا يكون حتى يحرك بكفه حجب العيان ؟ !!
 - فويل له إن لمس الحجاب ، فإن السيف الإلهي يبتز يده .
 - وماذا تكون اليد ؟ ! بل يقطع رأسه نفسها ، تلك الرأس التي تفضي الأسرار من الجهل .

- 510 -** ولو كان للخالة خصية لصارت خالا ، وهذا الأمر تقديري لو أنها كانت هو !!

- ومن اللسان حتى العين التي تكون خالية من الشك ، إذا قلت توجد مئات الألوف من السنين فهي قليلة .
- وهيا ، لا تكن قانطاً ، عندما يشاء الحق ، يصل النور من السماء في لحظة واحدة .
- وهناك مائة أثر من الكواكب توصلها قدرته إلى المناجم في كل لحظة .

- 515 -** إن كوكب الفلك ناسخ للظلم ، لكن كوكب الحق راسخ في صفاته .
- والفلك ذو الطريق الذي يستغرق خمسمائة عام أيها المستعين ، جاء في الأثر أنه اقترب من الأرض .
 - وثلاث آلاف سنة وخمسمائة حتى زحل ، تقوم خاصيته لحظة بلحظة بالعمل .
 - إنه يقلبه رأساً على عقب كالظل في الإياب ، وماذا يكون طول الظل أمام الشمس .
 - ومن النفوس الطاهرة كأنها الفلك مدد يصل نحو كواكب الفلك .

- 520 -** وفي الظاهر تكون هذه الأفلاك قواماً علينا ، لكن بواطننا (في الحقيقة) صارت قواماً على السماء .

في بيان أن الحكماء يقولون أن الإنسان هو العالم الأصغر
ويقول الحكماء الإلهيون : إن الإنسان هو العالم الأكبر ذلك
لأن علم الحكماء كان مقصوراً على صورة الإنسان وعلم هؤلاء
الحكماء والإلهيين كان متصلاً في الحقيقة بحقيقة الإنسان

- إذن فأنت في الصورة العالم الأصغر ، وأنت في المعنى إذن العالم الأكبر .
- وفي الظاهر يكون ذلك الغصن أصلا للثمرة ، لكن الفرع في الحقيقة صار من أجل
الثمرة .

- فإن لم يكن الميل إلى الثمرة والأمل فيه ، متى كان البستاني يغرس جذور الشجر ؟
- ومن ثم فإن ذلك الشجر على سبيل المعنى ولد من الثمر ، وإن كان الثمر قد ولد منه
على سبيل الصورة .

525 - ومن هنا قال المصطفى عليه السلام ، إن آدم والأنبياء خلفي تحت لوائي .
- ومن أجل هذا ساق صاحب الفنون قوله : نحن الآخرون السابقون .
- فبالرغم من أنني ولدت من آدم بالصورة ، فإنني كنت في المعنى جدا للجد .
- ومن أجل أن كنت سجدة الملائكة ، ومن أجل أن صعد إلى الفلك السابع .
- ومن ثم فمضى ولد أبي في المعنى ، ومن ثم ولد الشجر في المعنى من الثمر .

530 - وفي البداية يكون الفكر وفي النهاية يكون العمل ، خاصة ذلك الفكر الذي يكون
وصفا للأزل .

- والنتيجة ، إنه في لحظة واحدة ، تأتي قافلة من السماء وتذهب قافلة .
- وليس هذا الطريق طويلا على القافلة ، فمتى تكون المفازة صعبة على سالكيها ؟ ! «
1 » .

- إن القلب ليذهبن إلى الكعبة كل لحظة ، ويتطبع الجسد بطبع القلب امتنانا .

(1) في تفسير للسبزواري « متى تمتلئ الصحراء بسالكيها ؟ شرح المثنوي ص
275 .

- إن هذا الطول والقصر يكون بالنسبة للجسم ، فأى طول وقصر حيثما يكون الله .

- 535 -** وعندما بدل الله الجسم ، جعل ذهابه وسيره (لا يقاسان) بفراسخ أو أميال .
 - وفي هذه اللحظة يوجد مائة أمل ، فاخط أيها الفتى بعشق وخل الكلام .
 - وبالرغم من أنك تطبق جفنى عينيك ، إلا أنك تقطع طريقك نائما في سفينة .

**تفسير هذا الحديث : مثل أمتي كمثلى سفينة نوح من تمسك بها
 نجا ومن تخلف عنها غرق**

- من أجل هذا قال الرسول عليه السلام : إننى كالسفينة في طوفان الزمن .
 - أنا وأصحابي مثل سفينة نوح ، وكل من تعلق بها يجد الفتوح .

- 540 -** وما دمت (عاكفا) على شيخ فأنت بعيد عن القبح ، أنت مسافر ليل نهار ،
 لكنك (مستريح) في سفينة .
 - وفي حمى الحبيب الذي يهب الروح ، تقطع طريقك نائما في سفينة .
 - ولا تنقطع عن رسول زمانك ، وقلل الاعتماد على فنك وعلى هواك .
 - وحتى إن كنت أسدا ، حينما تمضى في الطريق بلا دليل ، فأنت مغرور وفي ضلال
 وذليل .
 - انتبه ، ولا تحلق إلا بجناح الشيخ ، حتى ترى العون من جنود الشيخ .

- 545 -** ففي لحظة يكون موج لطفة بمثابة القوادم لك ، وفي لحظة أخرى تكون نار
 قهرة حمالة لك .

- وقلل اعتبار قهرة مضادا للطفة ، وانظر إلى اتحادهما معا في التأثير .
- وهو في لحظة يجعلك أخضر كما يخضر التراب ، وفي لحظة أخرى يملؤك بالريح فيجعلك ضخما .
- إنه يعطى جسد العارف صفة الجماد ، حتى ينمو عليه الورد والنسرین نضرين .
- لكن ما يراه هو لا يراه غيره ، ولا يعطى الخلد عبيره إلا للعقل الطاهر .

- 550 -** فافرغ العقل من إنكار الحبيب ، حتى تجد الريحان من روضة الحبيب .
- حتى تجد عبير الخلد من حبيبي ، كما وجد محمد عليه السلام رائحة الرحمن من قبل اليمن .
 - وإن وقفت في صف أهل المعراج ، يجذبك العدم كأنه البراق .
 - ليس كمعراج الأرضي حتى (وصوله) إلى القمر ، بل كمعراج البوص حتى (وصوله) إلى مرتبة السكر .
 - وليس كمعراج البخار حتى السماء ، بل كمعراج الجنين إلى (أن يكون من أهل) النهى .

- 555 -** لقد صارت مطية العدم براقا جيدا ، يأتي بك إلى الوجود إن كنت عدماً .
- إن حافره يحول الجبال والبحار إلى نحاس ، حتى يجعل عالم الحس تابعا له .
 - فضع قدمك في السفينة وداوم على السير (خفيفا) حاذا ، كالروح تمضى نحو محبوب الروح .
 - فسر نحو القدم ، ولا يد ولا قدم ، مثلما تهجم الأرواح من العدم .
 - وإن لم يكن هناك كل من سمع السامع ، لمزقت في الكلام حجب القياس .

560 - فلتمطر أيها الفلك جوهرًا على أقواله « 1 » ، ولتخجل أيتها الدنيا من (عظمة) عالمه .

- وإن فعلت تضاعف جوهرك مئات المرات ، بل يصير جامدك ناطقا ومتحدثا .
- وبذلك يكون نثارك (وجودك) من أجل نفسك ، ما دام كل رأسمال عندك يتضاعف مئات المرات .

[إرسال بلقيس هدية]

قصة إرسال بلقيس هدية من سبأ إلى سليمان عليه السلام

- كانت هدية بلقيس أربعين جملا ، كلها محملة بلبنات الذهب .
- وعندما وصلت إلى الصحراء السليمانية ، وجدت كلها مفروشة بالذهب النضار .

565 - أخذت تسير مسيرة أربعين منزل على أرض من الذهب ، حتى لم يعد هناك رونق للذهب في أنظارهم .

- فقالوا مرارا : لنرد الذهب إلى مخزنه ، فأية سخرية هذه وعمل لا طائل من ورائه (نقوم به) .

- إنه من البلة أن يحمل الذهب إلى الساحة التي يكون ترابها ذهباً خالصا .
- ويا من حملت العقل هدية إلى الله ، العقل هناك أقل من تراب الطريق .
- وعندما صار كساد هديتهم ظاهرا لهم ، كان خجلهم يجذبهم إلى الورا .

570 - ثم قالوا : إذا كانت هديتنا كاسدة أو رائجة ، ماذا علينا . . إننا عبيد مأمورون .

(1) الضير هنا عائد علي الشيخ أو المرشد .

- فإذا كان علينا أن نحمل الذهب أو نحمل التراب ، فيجب علينا أن ننفذ الأمر فحسب .
- وإن أمرو أن عودوا بها وردوها . . فما علينا إلا طاعة الأمر .
- وعندما رآها سليمان عليه السلام غلبه الضحك . . وقال : متى طلبت منكم ثريداً ؟ !
- إنني لا أقول لكم قدموا لي هدية ، إنني أقول لكم : كونوا لائقين للهدية جديرين بها .

575 - إن لدى من الغيب هدايا نادرة ، لا يجرؤ البشر على مجرد طلبها .
 - إنكم تعبدون كوكبا هو الذي يصنع الذهب ، فامضوا وتوجهوا إلى صانع هذا الكوكب .

- إنكم تعبدون شمس الفلك ، وأرخصتم الروح التي هي غالية الثمن .
- إن الشمس (تقوم لنا بعمل) الطباخ بأمر الحق ، ومن البله أن نقول أنها الإله .
- وماذا تصنع إذا أصاب الكسوف شمسك ؟ ! وكيف تطرد عنها ذلك السواد .

580 - ألسنت تصرخ على الأعتاب الإلهية داعيا : إكشف السواد (يا إلهي) وأعد الشعاع .

- وإذا هم أحد بقتلك في منتصف الليل ، فأين الشمس لكي تجأ إليها بالشكوى أو تطلب منها الغوث ؟ !
- وأغلب الحادثات إنما تقع بليل ، وفي ذلك الزمان يكون معبودك غائبا .
- وإنك إذا انحنيت بصدق أمام الله ، لتخلص من (عبادة) الكوكب وصرت من المسموحين لهم (بالسر) .

- وعندما تصير من المسموحين لهم أتحدث معك ، حتى ترى الشمس في منتصف الليل .

585 - وليس لهذه الشمس من مشرق إلا الروح الطاهرة ، وليس عندها في الطلوع فرق بين ليل أو نهار .

- يكون النهار عندها إذا أشرقت ، ولا يبقى الليل ليلا لو أنها برقت .
- وكيف تبدو الذرة أمام الشمس ؟ هكذا تكون شمس (المعنى) (أمام أولى)
الألباب .

- والشمس التي تكون ساطعة ، وتصبح العين أمامها كليله حائرة .
- نراها كالذرة أمام نور العرش ، أمام نور العرش الموفور الذي لا حد له .

590 - تراها ذليلة مسكينة لا قرار لها ، لكن البصر أكتسب قوة من الخالق .
- وكيمياء (الخلق) التي هي ماثرة واحدة من ماثرة ، سقطت على الدخان فصار منه كوكب .

- إنه أكسير النار الذي كان منه خافتا ، رمى به على الظلام فحواله إلى شمس .
- إنه الكيمياء العجيب الذي جعل لزحل كل هذا العدد من الخواص بعملية واحدة .
- وقس على هذا أيها الطالب بقية الكواكب وجواهر الروح .

595 - إن بصر الحس ضعيف أمام الشمس ، فابحث عن البصيرة الربانية تجدها .
- حتى تضعف أمام تلك البصيرة ، شعشعات الشمس التي تلقى بالشرر .

- فإن هذه البصرة نورانية بينما هذه (أي الشمس الحسية) نارية ، والنار أمام النور تكون مظلمة جدا .كرامات الشيخ عبد الله المغربي قدس الله سره ونوره
- قال الشيخ عبد الله المغربي : أنني لم أر ظلمة من الليل طيلة ستين عاما .
- أنني لم أر ظلمة خلال الستين سنة ، لا في نهار ولا في ليل ولا من علة .

- 600 -** قال الصوفية : إنه صادق في قوله ، كنا نسير ليلا في أثره .
- وفي الصحارى المليئة بالشوك والحفر ، كان قائدا (ودليلا) لنا كبدر التمام .
 - وكان يقول ليلا دون أن يدير وجهه ، انتبه فهناك حفرة ، مل ناحية اليسار .
 - وبعد لحظة كان يقول : بل مل إلى اليمين ، فأمام القدم شوكة .
 - وفي الصباح كانت قدمة تتحول إلى موضع لقبلنا ، وكانت قدمه كقدمى العروس .
- 605 -** فلا أثر من التراب أو من الطين عليها ، ولا من خمش الشوك وأذى الحصى .
- لقد جعل الله المغربي مشرقا ، وجعل المغرب كالمشرق مشعا بالنور .
 - ونور هذه الشمس الغالب ظاهر وباهر ، وهو حارس ليوم الخواص ويوم العوام .
 - وكيف لا يكون حارسا ذلك النور المجيد ، الذي يبذل آلاف من الشموس .
 - فامض على نوره في أمان ، بين الأفاعي وبين العقارب .

- 610 -** فإن هذا النور الطاهر يتقدمك ، يمزق كل قاطع طريق إربا .
 - وأعلم أذن أن « يوم لا يخزى الله النبي » قوله صادقة ، واقرأ « نورهم يسعى بين أيديهم » .
 - وهذا النور وإن كان يزداد يوم القيامة ، فاطلب من الله قبسا منه هنا .
 - فهو الذي يهب السحاب والضباب نور الله ، والله أعلم بالصواب .

رد سليمان عليه السلام لرسل بلقيس بتلك الهدايا التي كانوا قد أحضروها ودعوة بلقيس إلى الإيمان وترك عبادة الشمس

- عودوا خجلين أيها الرسل ، فالذهب لكم ، وايتوني بالقلب الذي هو قلب .
- 615 -** وذهبي هذا ضعوه على ذهبكم ذاك ، ومن عمى قلوبكم إجعلوه على مؤخرة البغال .
- إن مؤخرة البغل جديرة بحلقة الذهب ، وذهب العاشق وجه أصفر شاحب .
 - فهو موضع نظر الله ، ومن نظرة من الشمس يكون المنجم .
 - وأين موضع نظر شعاع الشمس من موضع نظر رب الأرباب .
 - واجعلوا من الروح مجنا من أخذى ، بالرغم من أنكم الآن أسارى لي . .
- 620 -** إن الطائر المفتتن بالحبّة موجود على السطح ، لقد فتح الجناح لكنه مقيد بالفخ .
 - وما دام قد أعطى جماع قلبه للحبة ، اعتبره أسيرا وإن لم يؤخذ بعد .
 - وتلك النظرات التي يلقيها على الحبة ، أعلم أنها عقدة عقدت حول قدمة .

- إن الحبة تقول : إذا كنت تسترق النظر ، فإنني أسرق منك الصبر والقرار .
- وما دام ذلك النظر قد جذبك في أثرى ، أعلم إذن أنني لست غافلة عنك .

**قصة العطار الذي كان حجر الميزان عنده من الطفل وسرقة المشتري
آكل الطين من ذلك الطين عند وزن السكر خلصة وخفية .**

- 625 -** ذهب أحد آكلي الطين إلى عطار ، كي يشتري قطعة ضخمة خاصة من السكر الأبيض .
- وكان عند العطار السارق المرائي ، حجر للميزان من حجر الطفل .
 - فقال هل : إن موازيني من حجر الطفل ، إذا كانت لديك رغبة في شراء السكر .
 - قال : إنني أريد السكر في أمر مهم ، ولتكن موازينك ما تكون .
 - وقال في نفسه : بالنسبة لآكل الطين . . ماذا يكون الحجر ؟ ! إن الطين عنده أفضل من الذهب .

- 630 -** مثل تلك الخاطبة التي قالت (لأحدهم) : يا بنى ، لقد وجدت (لك) عروسا باهرة الجمال .
- إنها حسناء جدا لكن هناك أمرا واحدا ، إن هذه العقيلة ابنة صانع للحلوى .
 - قال : إنني أفضل أن تكون هكذا ، فإن هذه العروس تكون أحلى وأطعم .
 - وهكذا ، إن لم يكن لديك صنج وصنجك من الطين ، فهذا أفضل ، وأفضل لي الطين ثمرة للقلب .

- فوضع وهو واثق تماما في كفة الميزان الأخرى طينا بدلا من الصنج .

635 - وأخذ بيديه يقطع السكر ويضعه في الكفة الأخرى بقدر ذلك الطين .
 - وتأخر في عمله إذ لم تكن لديه بلطة ، وجلس المشتري ينتظر هناك .
 - كان وجهه إلى الناحية الأخرى أكل الطين المسكين ، وأخذ في سرقة الطين (من الكفة) خلسة .
 - كان خائفا وجلا يقول لنفسه : علّ عينيه لا تقع على فجأة وتكون ضجة وبلاء .
 - ورأى العطار ذلك وشغل نفسه عنه ، قائلا لنفسه : اسرق أكثر من هذا يا أصفر الوجه .

640 - فإذا كنت تسرق من طيني ، فامض إذ أنك تأكل من جانبك ونصيبك .
 - إنك تخشاني وهذا من حماريتك ، إذ أنني أخشى أن تأكل أقل .
 - وبالرغم من أنني مشغول إلا أنني لست ذلك الأحمق . . بحيث أجعلك تأخذ من بوصى سكرأ أكثر .
 - وعندما ترى السكر في الميزان ، تعلم إذن من الذي كان أحمق غافلا .
 - إن الطائر ينظر سعيدا إلى الحبة ، والحبة أيضا على البعد تقطع الطريق عليه .

645 - ألسنت عندما تنال حظا من زنا العين . . تأكل الشواء من جنبك ؟ !
 - فهذا النظر من على بعد كالسهم والسم ، يجعل عشقك زائدا والصبر قليلا .
 - إن مال الدنيا هو شبكة الطيور الضعيفة ، وتلك العقبي هي شبكة الطيور الشريفة .

- حتى أنهم بهذا الملك وهو فخ عميق ، يقومون بصيد الطيور الضخمة .
- إنني سليمان ولا أريد ملككم ، لكني أخلصكم من كل هلاك .

- 650 -** إنكم أنفسكم الآن مملوكون للملك ، ومالك الملك هو الذي نجا من الهلاك .
- ويا أسير هذه الدنيا ، إنك على العكس قد سميت نفسك أميرا على هذه الدنيا .
 - ويا من أنت عبداً لهذه الدنيا حبيبا لها بالروح ، حتام تسمى نفسك سييدا للدنيا ! !

كرام سليمان لأولئك الرسل وملاطفتهم ودفع الخوف والضيق عن قلوبهم ،
وشرح الاعتذار عن عدم قبول الهدية لهم .

- أيها الرسل ، سوف أرسلكم رسلا (منى) ، إن ردى أفضل لكم من القبول .
- فقولوا لبلقيس ما رأيتموه من العجب ، وحدثوها عن صحراء الذهب .

- 655 -** حتى تعلم أننا لسنا طامعين في الذهب ، لقد أتيتنا بالذهب من خالق الذهب .
- ذلك الذي إن شاء جعل كل تراب الأرض ذهباً ودرائميناً .
 - من أجل هذا يا من اخترت الذهب ، يجعل الله الأرض يوم القيامة من الفضة .
 - إننا لا نفكر في الذهب . . فإن لدينا الكثير من الفنون ، نجعل بها أهل التراب بأجمعهم من الذهب .

- فمتى نتسول نحن الذهب منكم . . ونحن نقوم بالكيمياء (الروحانية) من أجلكم ؟ !
- 660 -** واتركوا هذا بأجمعة ، فإن كان هناك ملك سبأ ، فهناك كثير من الممالك خارج الماء والطين .
- إنه جبيرة ساق ذلك الذي تسمونه عرشا ، تظنه صدر (المجلس) وهو قد بقي على الباب .
- وإن لم يكن هناك سلطان لك على لحيتك ، فكيف تقوم بالملوكية على الخير والشر .
- تصير لحيتك بيضاء على الرغم منك ، فاخلج من لحيتك يا معوج الأمل .
- إنه هو مالك الملك وكل من يطأطئ الرأس أمامه ، يهبه مائة ملك خارج عالم التراب .

- 665 -** ولذة سجدة واحدة أمام الله ، تفضل لديك مائتي دولة .
- فتشكو حينذاك صائحا : لست أريد الممالك ، لكن سلمني ملك تلك السجدة .
- وإن ملوك الدنيا من دناءتهم ، لم ينالوا النذر اليسير من العبودية « 1 » .
- وإلا (صاروا) ذاهلين مشردين كأدهم ، وجعلوا عالي ملكهم سافله في التو واللحظة .
- لكن الحق وضع الختم على أفواههم وعيونهم ، من أجل ثبات هذه الدنيا .

(1) حرفيا : لم يشموا رائحة من العبودية .

- 670 -** حتى يحلوا لهم العرش والتاج ، (وقولهم) : إننا نأخذ من أهل الدنيا الخراج .
 - وإنك إن جمعت الخراج مالا كالرمل ، فإنه يبقى عنك في النهاية ميراثا .
 - ولا يكون الملك والذهب رفيقين لروحك ، فادفع الذهب وخذ الكحل من أجل
 (جلاء) البصر .
 - حتى ترى هذه الدنيا بئراً ضيقة ، فتثبت كأمثال يوسف عليه السلام بهذا الحبل .
 - حتى تقول الروح : يا بشرى هذا غلام ، عندما تصعد من البئر إلى سطح
 (الأرض) .

- 675 -** وفي هذه البئر أنعكاسات النظر ، وأقل ما يبدو فيه هو حجر الذهب .
 - وعند اللعب ، يبدو ذلك الخزف عند الأطفال ذهباً ومالا من عدم نضج عقولهم .
 - لقد صار العارفون به من محترفي كيمياء (الروح) ، حتى صارت المناجم أمامهم
 بلا قيمة .

رؤية درويش لجماعة من المشايخ في النوم ، وطلبه لرزق حلال دون انشغال
 بالكسب عن العبادة وإرشادهم إياه وتحول فاكهة الجبل المرة الحامضة إلى فاكهة
 حلوة في فمه بهمة أولئك المشايخ .

- قال أحد الدراويش في سمره ، لقد رأيت المنسوبين إلى الخضر عليه السلام في
 النوم .
 - فقلت لهم : من أين أطلب رزقا حلالا . . خاليا من وبال (الكدح) ؟ .

680 - فقادوني إلى الجبل ، وكانت الثمار تتساقط من الغابة في ذلك المكان .
 - وقالوا : إن الله تعالى قد قسم أن تكون هذه الفاكهة حلوة في فمك بهمتنا ودعائنا .
 - هيا . . كل . . أكلا طاهرا حلالا بلا حساب وبلا تعب وبلا سعى هنا وهناك .
 - ومن ذلك الرزق انبعث في نوع من النطق بحيث كانت لذة أقوالي تخطف القلوب .
 - قلت : هذه فتنة يا رب العالمين . . هبني عطاءً خفيا عن كل الخلق .

685 - فذهب هذا النطق عني ، وصرت سعيدا ، وأخذت اتشقق حلوة كأني الرمان .
 - وقلت : لو لم يكن هناك شيء في الجنة إلا هذا السرور الذي أحس به في جبلتي .
 - فإنني لن أتمنى نعمة أخرى ، ولن أشغل عنها بالحوار أو بقصب السكر .
 - وكانت قد بقيت معي حبة وحبتيان (من الذهب) ، خطت عليهما بطانة جبتي من أيام الكسب .

قوله في نفسه : لقد نويت أن أعطى هذا الذهب لذلك الحطاب حيث أنني وجدت الرزق بكرامات المشايخ وضيق ذلك الحطاب مما في ضميره ونيته .

- وكان هناك فقير يحمل الحطب ، قد وصل من الغابة متعبا مهودا .

690 - فقلت في نفسي : أنني فارغ من أمر الرزق ، ومن الآن فصاعدا ليس عندي هم الرزق .

- إن الفاكهة المموجة قد صارت حلوة بالنسبة لي ، وحصل جسدي على رزق خاص به .
- وما دمت قد أصبحت فارغاً من أمر الخلق . . فلأعطه هذه الحبات « من الذهب .
- «
- لأعط هذا الذهب لذلك الذي يعاني التكليف ، حتى يفرغ من أمر الرزق يومين أو ثلاثة .
- لكنه كان يعلم حتى ما في ضميري ، وذلك أن سمعه كان ذا نور من شمعه (جل وعلا) .

- 695 -** كان سر كل فكر موجوداً عنده . كأنه مصباح داخل زجاجة .
- لم يكن الضمير يخفى عليه قط ، كان أميراً على مضامين القلوب .
 - ومن ثم أخذ يهمس لنفسه جواباً على نيتي ذلك (الرجل) العجيب .
 - (قائلاً) : أمثل هذا التفكير من أجل الملوك ؟ ! « كيف تلقى الرزق إن لم يرزقوك
 - « ؟ » 1 « .
 - لم أكن أفهم كلامه جيداً ، لكن عتابه كان يدق على قلبي شديداً وعنيفاً .

- 700 -** واتجه إلى بهيئة كهية الأسد ، وقد حط حمل الحطب عن كاهله .
- إن شعاع الحالة التي إنتابته عندما وضع الحطب ، جعل الرعدة تصيب كل عضو في .
 - وقال : يا رب ، إن كان لك خواص دعوتهم مباركة وخطاهم مباركة .
 - فإني التمس من لطفك أن يكون مشغلاً بكيمياء (التبديل) ، وتتبدل حزمة الحطب هذه إلى ذهب في التو واللحظة .

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن الفارسي .

- فرأيت أن حطبه قد تبدل إلى ذهب على الفور . . أخذ يلمع لمعانا شديدا على الأرض كأنه النار .

705 - فقدت الوعي برهة من الزمن ، وعندما عدت إلى وعيي أصابني الوله .
- ثم قال : يا إلهي : إذا كان هؤلاء الكبار غيورين جدا زاهدين في الشهرة .
- فاجعل هذه ثانية حزمة من حطب على الفور وعلى نفس الحال التي كانت عليها .
- فصار ذلك الذهب حطبا في التو واللحظة ، وحرار في عمله هذا العقل والنظر .
- ثم حمل حطبه ومضى نحو المدينة متقدما إياي مسرعا جدا .

710 - فأردت أن أسير خلف هذا السلطان ، أسأله عما لدى من مشكلات واسمع منه .
- لكن الهيبة التي كانت عليه قيدتني ، فليس هناك طريق للعوام إلى الخواص .
- وإذا أصبح هناك طريق لأحد ، فقل له ضح بروحك ، فهذا يكون من رحمتهم وجذبهم .

- ثم اغتنم إذن هذا التوفيق ، عندما تجد صحبة صديق .
- ليس مثل ذلك الأبله الذي يجد القرب من الملك سهلا يسيرا فيسقط في تلك اللحظة خارج الطريق .

715 - وعندما يعطونه من الأضحية نصيبا أكبر ، يقول : لعل هذه فخذ بقرة .
- ليست هذه فخذ بقرة أيها المفترى ، إنما تبدو لك فخذ بقرة من حماريتك .
- إن هذا بذل الملوك دون مقابل « 1 » ، هو عطاء محض من الرحمة .

(1) حرفيا : دون رشوة .

حث سليمان عليه السلام الرسل على التعجيل في هجرة بلقيس من أجل الإيمان .

- وهكذا فإن الملك سليمان في نزاله ، جذب خيل بلقيس وعسكرها .
- قائلاً : تعالوا أيها الأعزاء على وجه السرعة ، فقد تعالت الأمواج من بحر الجود .

720 - إن هدير أمواجه يقذف صوب الساحل كل لحظة مائة جوهرة بلا خطر .
- لقد قلنا : هيا : هيا يا أهل الرشاد ، ففي هذه اللحظة فتح في هذا الدين .
- ثم قال سليمان : اذهبوا أيها الرسل صوب بلقيس وادخلوا في هذا الدين .
- ثم قولوا لها أن تأتي إلى هنا سريعاً فإن الله يدعو للسلام .
- هيا أسرع وتعال يا طالب الدولة ، فالفتوح موجود في هذه اللحظة ، وانفتح
الأبواب .

725 - وتعالى أيضاً يا من لست بطالب ، حتى تجد الطلب من هذا الصديق الوفي .

سبب هجرة إبراهيم بن أدهم قدس الله سره وترك ملك خراسان

- أهجر الملك مثل أدهم سريعاً حتى تجد مثله ملك الخلود .
- كان ذلك الملك نائماً ليلاً في فراشه ، والحراس فوق السطح يمارسون الضبط
والربط .
- ولم يكن هدف الملك من الحرس ، هو أن يدفع بهم اللصوص والغوغاء .
- فقد كان يعلم أنه عادل ، وأنه فارغ من الحادثات ، مطمئن الفؤاد .

730 - إن العدل هو حارس الرغائب ، وليس بمن يدقون العصى على السطوح ليلاً .
 - لكن هدفه من صوت الرباب ، كان « كهدف » المشتاقين ، خيال ذلك الخطاب .
 - إن أنين المزممار وهدير الطبول ، فيه شبه قليل من ذلك الناقور العام .
 - ومن ثم قال الحكماء : لقد أخذنا هذه الألحان من « حركة » دوران الفلك .
 - إنها أنغام دوران الفلك ، تلك التي يتغنى بها الخلق بالطنبور والحلق .

735 - ويقول المؤمنون إن آثار الجنة ، جعلت كل صوت قبيح حلوا .
 - لقد كنا جميعاً أجزاء من آدم ، وسمعنا تلك الألحان في الجنة .
 - وبالرغم من أن الماء والطين قد صبا علينا شكا (في هذا الأمر) ، فإننا لا نزال نتذكر منها النذر اليسير .
 - لكن (هذا التذكر) عندما امتزج بالتراب ، كيف « لو ترى » الخفيض والجهير أن يمنحاً الطرب ؟ !
 - إن الماء عندما اختلط بالبول وبول الحيوان ، صار مزاجه من هذا الاختلاط مرا حريفاً !!

740 - وهناك في جسده (أي الإنسان) شئ من الماء ، فاعتبره بولا يطفئ النيران .
 - وبالرغم من أن هذا الماء قد صار نجساً فقد بقيت طبيعته فيه ، هو بهذه الطبيعة أطفأ نيران الحزن .
 - ومن هنا فإن السماع كان قوت العاشقين ، فإن فيه خيالاً للوصال .

- و (به) تقوى خيالات الضمير ، بل تتحول إلى صور (من تأثير) الصوت والصغير .
- ولقد أسعرت نار العشق من الألحان ، مثل (أسعرت) نار ذلك الذي كان يرمى الجوز .

حكاية ذلك الرجل الظمان الذي كان يلقي بالجوز من فوق شجرة جوز في جدول ماء كان في منخفض ولم يكن يصل إلى الماء ، فكان يفعل هذا حتى يسمع صوت الماء من سقوط الجوز فيه ، إذا كان يطربه هذا الصوت كسماع حسن .

- 745 - كان الماء غورا فتسلق ذلك الظمان شجرة جوز ، وأخذ يلقي الجوز فيه .
- وكان الجوز يسقط من فوق شجرته في الماء ، وكات صوت (ذلك) السقوط يبلغ مسمعه ، ويرى الحباب .
- فقال له أحد العقلاء : أقلع عن هذا الأمر أيها الفتى ، إن الجوز في حد ذاته يصيبك بالظما .
- فكلما كثر سقوط الثمر في الماء ، ابتعد عنك الماء وغار أكثر .
- وحتى تنزل أنت من عل بكل مشقة ، يكون ماء الجدول قد حملها بعيدا عنك .

- 750 - قال : ما إلى هذا قصدت من إلقاء الجوز ، أنظر بعمق أكبر ولا تقف عند الظاهر .
- إنما أقصد أن أسمع صوت الماء وأرى هذا الحباب على سطحه .
- وأي عمل للظمان في هذا العالم ، إلا أن يطوف دائما بجوار (حوض) الماء ؟ ! !

- (والطواف) حول النهر وحول الماء وخرير الماء ، كالحاج الطائف حول كعبة الصواب .

- وكذلك مقصودى من هذا المثنوى ، هو أنت يا ضياء الحق ويا حسام الدين .

755 - فالمثنوى بأصوله وفروعه كله لك ، وقد جعلته (أنت) كله مقبولا .
- إن الملوك يقبلون الحسن والقبيح ، وعندما يقبلون ، فالغالب ألا يكون رد .
- وما دمت قد زرعت غرسا فاروه ، وما دمت قد سمحت له بالسموق ، ففك ما فيه من عقد .

- إن هدفى من ألفاظه هو شرك ، وهدفى من إنشائه هو صوتك .
- إن صوتك عندي هو صوت الله ، وحاشا أن يكون العاشق منفصلا عن المعشوق .

760 - وهناك اتصال بلا كيفية أو قياس ، لرب الناس مع أرواح الناس .
- لكني قلت الناس ، لا النسناس ، والناس ليسوا سوى الروح العارفة بروح الروح .
- الناس هم البشر وأين البشر ، إنك لم تر رؤوس البشر ، فأنت ذيل .
- لقد قرأت « ما رميت إذ رميت » ، لكنك جسد ، فبقيت في تحلل وتجزؤ « 1 » .
- فاترك ملك جسدك أيها الغبي ، مثلما فعلت بلقيس من أجل سليمان النبي .

(1) عند يوسف بنى أحمد (4 / 106) بقيت في التحري (بدلا من التجزي) أي بقيت تسأل وهذا في رأيي أقرب إلي المعني

- 765 -** أنني أستعيز بالله ، ليس من قولي ، بل من وساوس ذلك الذي يعبد الظن .
 - إنه يستريب في قولي ، وفي قلبه ما فيه من الوسائس وانكارات الظن .
 - أنني أقول « لا حول ولا قوة إلا بالله » أي لا حيلة ، ما دام هناك في قلبك حديث ضدى جدير بالقول .
 - وما دام حلقك قد غص بقولي ، فما أنا قد صمت ، فهات ما عندك .
 - كان أحدهم من نافخى الناي ينفخ في نايه سعيداً ، فخرج من مقعده ريح على حين غرة .

770 - فوضع الناي على مؤخرته قائلاً : إذا كنت تستطيعين النفخ أفضل منى فانفخى .

- أيها المسلم ، إن الأدب في الطلب ، ليس إلا التحمل من كل من لا أدب عنده .
 - فكل من تراه يشكو قائلاً : إن فلانا سئ الطبع وسئ الجبلة .
 - فأعلم أن ذلك الشاكى سئ الطبع ، ذلك أنه أساء القول في سئ الطبع ذاك .
 - ذلك أن حسن الطبع ذلك الذي يكون في استسلام متحملاً لسئ الطبع والجبلة .

775 - لكن الشكوى (الصادرة) من الشيخ هي بأمر الله ، ليس من الغضب أو المراء والهوى .

- ليست شكوى بل هي إصلاح للروح ، إنها مثل الشكوى التي تصدر عن الأنبياء .
 - وعدم احتمال الأنبياء أعلم أنه بأمر الله ، وإلا فإن أحلامهم حمالة للسوء .

- لقد قتلوا طبعهم (كبشر) في تحملهم للسوء ، فإن كان هناك ثمة عدم تحمل فهو بأمر الله .
- فيا سليمان كن حكما بالحق بين البزاة وطيور الزاغ ، وأنتلف مع كافة الطيور .

780 - ويا من المئات « 1 » مثل بلقيس ضعيفات أمام حلمك ، عندما قال : اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون .

**إنذار سليمان عليه السلام لبلقيس طالبا منها ألا تصر على الشرك ،
وألا تتأخر (في اللحاق به) .**

- هيا يا بلقيس وإلا ساء الأمر ، يصبح جندك خصما لك ويتمرد عليك .
- ويهتك حاجبك بابك ، وتكون روحك خصيمة لك بكل قواها .
- وكل ذرات الأرض والسماء ، تكون جندا للحق عندما (يحين) الامتحان .
- لقد رأيت ماذا فعلت الريح بقوم عاد . ورأيت ماذا عمل الماء في الطوفان .

785 - وما صنعه ذلك البحر المنتقم لفرعون ، وما أبدته تلك الأرض لقارون .
وما فعل طير الأبابيل بالفيل ، وكيف أن بعوضة افترست رأس النمرود .
- وأن داود ألقى بيده حجرا ، فتحول إلى ستمائة قطعة وهزم جيشا .
- وكيف أمطر قوم لوط بالحجارة ، حتى غاصوا في المياه السوداء .
- وإن تحدثت عن جمادات العالم ، وعن العون الذي قدمته للأنبياء .

790 - لزداد هذا المثنوى بحيث ينوء أربعون بعير تحت ثقله الشديد .
- إن اليد تشهد على الكافر ، وتصبح من جند الحق ، فيطأطيء (الكافر) رأسه .

(1) حرفيا : مائتين .

- ويا من أبديت في فعلك درسا معاديا للحق ، أنت بين عسكريه ، فخف .
- إن أجزاء جسدك جزءا جزءا جند له في وفاق ، إنهم مطيعون لك الآن من النفاق .
- وأن أمر العين قائلا : عذبيه ، لدمرك تماما ألم العين .

- 795 -** ولو أمر الأسنان قائلا : صبي عليه الوبال ، لرأيت العقاب الشديد من الأسنان .
- فافتح كتاب الطب واقرأ باب العلل ، حتى ترى جند العقل في عمل .
 - وإذا كان هو روح الروح لكل شئ ، فمتى تكون العداوة سهلة مع روح الروح .
 - واحسبى جند الشياطين والجن على حدة ، وهم بجماع قلوبهم يشقون الصفوف من أجلى .
 - فاتركى الملك يا بلقيس من البداية ، وعندما تلحقين بي فالملك كله لك .

- 800 -** وسوف تعلمين أنت نفسك عندما تأتين إلى ، إنك بدونى كنت صورة في حمام .
- والصورة سواء كانت صورة سلطان أو غنى ، فهي مجرد صورة لا طعم لها في حد ذاتها من الروح .
 - وزينتها وزخرفها من أجل الآخرين ، لقد فتحت بلا جدوى العين والفم .
 - ويا من قامرت بنفسك في النزال ، إنك لم تميز بين الآخرين وبين نفسك .
 - أنك تقف إمام كل صورة تصل إليها قائلا : هذه أنا ، والله إنها ليست أنت .

805 - وإنك إن بقيت لحظة واحدة بعيد عن الخلق ، تبقى في حزن وقلق حتى الحلق .
- وهذا هو أنت ، فمتى تكون . . ذلك الأوحى ، وأنت جميل بنفسك ثم بنفسك حلو
بنفسك .

- أنت طائر نفسك وفخ نفسك وصدر نفسك ، وأرض نفسك وسماء نفسك .
- والجوهر فحسب هو الذي يكون قائماً بنفسه ، ويكون عرضاً ذلك الذي يكون فرعاً
له .
- فإذا كنت ابن آدم فاجلس مثله ، وأنظر في نفسك إلى كل الذرية .

810 - وماذا يكون في الدن غير موجود في النهر ؟ ! وماذا يكون في الدار غير
موجود في المدينة .
- وهذه الدنيا دن والقلب مثل جدول الماء ، وهذه الدنيا مجرد حجرة والقلب مدينة
(العجب) العجاب .

إبداء سليمان عليه السلام (ما في نفسه) قائلاً : إن جهدي في إيمانك خالص لأمر
الله وليس عندي ذرة من غرض لا في نفسك ولا في حسنك ولا في ملكك . .
وسوف ترين أنت نفسك عندما تنفتح منك عين الروح بنور الله

- هيا تعالى فأنا رسول داعية ، لست رجل شهوة ، فأنا كالأجل أقتل الشهوة .
- وإن كان ثم شهوة فأنا أمير عليها ، ولست أسيراً لها من أجل وجه حسناء .
- كان أصلنا الأكبر محطماً للأصنام ، وأنا مثل خليل الحق وكل الأنبياء .

815 - وإذا دخلنا أيها العبد إلى معبد الأصنام ، فإن الصنم هو الذي يسجد لنا عابداً
ولا نسجد نحن له .

- لقد دخل أحمد عليه السلام وأبو جهل بيت الأوثان ، وهناك فرق شاسع بين هذا الذهب وذاك الذهب .
- فذاك يدخل فتسجد له الأصنام ، وهذا يدخل فيسجد هو كبقية الأميين .
- وعالم الشهرة هذا معبد للأصنام ؟ وهي عش للكافرين ، والأنبياء أيضا .
- لكن الشهوة تكون أمة للأطهار ، فالذهب لا يحترق لأنه نقد للمنجم .

820 - والكفار مزيفون والأطهار كالذهب ، وكلاهما له البوتقة هذان الفريقان .
- وعندما دخلها الزيف اسود في لحظة واحدة ، لكن الذهب عندما دخلها ظهرت طبيعته عيانا .

- لقد ألقى الذهب بيده وقدمه في البوتقة سعيدا ، تضحك منه العروق في وجه النار .
- لقد صارت أجسادنا ستارا علينا في الدنيا ، ونحن كالبحر تحت هذا التبن في الخفاء .
- فلا تنتظر أيها الجاهل إلى ملك الدين (بعين) الطين ، فهكذا نظر إبليس للعين .

825 - فمن الذي يمكن له أن يدهن هذه الشمس بكف من الطين قل لي آخر الأمر .
- وأنت إن نثرت التراب ومائة (نوع) من غباره في وجه النور فإنه يرتفع عنه .
- وماذا يكون القش حتى يخفى وجه الماء ؟ ! وماذا يكون الطين حتى يغطي وجه الشمس ؟ « 1 » .

(1) بعد البيت عنوان في نسخة جعفري (10 / 28) باقي قصة إبراهيم بن أدهم
قدس الله سره .

- إنهضى يا بلقيس مثل أدهم بملوكية ، واحرقى هذا الملك الذي يدوم يومين أو ثلاثة أيام .

بقية قصة إبراهيم بن أدهم قدس الله سره

« 1 »

- سمع ذلك الطيب الاسم وهو في فراشه ، ضجة وصخبا وصيحات في الليل قادمة من فوق السطح .

830 - كانت هناك خطوات مسرعة على سطح القصر ، قال لنفسه أترى من تكون له مثل هذه الجرأة ؟ !

- فصاح من فتحة (سقف) القصر قائلاً : من هناك ؟ ، لا يمكن أن يكون هذا إنسان فلعله من الجان ؟ !

- فأطل قوم برؤوسهم . . ويا للعجب ، قائلين : إننا نطوف ليلاً نطلب (ضائعا) .
- فقال لهم : ويحكم . . عما تبحثون ؟ ! قالوا : إبل ، قال : من الذي يبحث عن الإبل فوق السطح . . انتبهوا !!

- فقالوا له : كيف تطلب أنت لقاء الله . . وأنت (متربع) على عرش الجاه ؟ !

835 - كان هذا هو كل ما حدث ، ولم يره أحد بعدها ، اختفى كما يختفى الجنى عن عيون الناس .

- إن معناه خفى مستور وهو أمام الناس ، ومتى يرى الخلق إلا اللحية والخرقة ؟ !

(1) يوجد بيت زائد في نسخة جعفري (28 / 10) :
تحدث عن أحوال إبراهيم سريعاً * وقل لأي سبب هجر ملكه

- وعندما اختفى عن عيون أهله وعيون الخلق ، صار مشهوراً في الدنيا كأنه العنقاء .
- وإن روح كل طائر جاء صوب جبل قاف ، كل الدنيا تثرثر عنه ادعاءً أو تزيذاً .
- وعندما وصل إلى سبأ هذا النور المشرقي ، وقعت الضجة في (وجود) بلقيس وفي كل الخلق .

840 - وقد رفرفت الأرواح الميتة بأجنحتها ، وأطل موتى الجسد برؤوسهم من القبور .

- وظل كل منهم ينقل البشرى للآخر قائلاً له : إن ثمة نداءً ينزل من السماء الآن .
- ومن هذا النداء سوف تصير أديان (الناس) في رفعة وسمو ، وسوف تخضر أغصان القلوب وأوراقها .
- إن هذا النفس من سليمان كأنه نفخ الصورة ، لقد خلص الموتى من القبور .
- ولتكن لك السعادة من بعد هذا ، لقد مضى (دوره) والله أعلم باليقين .

بقية قصة أهل سبأ ونصيحة سليمان عليه السلام لقوم بلقيس وإرشاده لكل واحد بما يناسبه من مشكلات دينه وقلبه ، وحين تحدث أي كل نوع من طيور الضمير بصفير ذلك النوع من الطيور

845 - إنني أروى عن سبأ كالمشتاق ، عندما هبت رياح الصبا على مزرعة الشقائق ،

« لاقت الأشباح يوم وصلها * عادت الأولاد صوب أصلها
أمه العشق الخفي في الأمم * مثل جود حوله لؤم السقم
ذلة الأرواح من أشباحها * عزة الأشباح من أرواحها
أيها العشاق السقيا لكم * أنتم الباقون والبقيا لكم

850 - أيها السالون قوموا واعشقوا * ذاك ريح يوسف فاستنشقوا « 1 »
- وتعال يا منطق الطير السليماني ، وتغن بتغريد كل طائر يحضر !!
- إذ أن الحق عندما بعثك إلى الطيور ، وهبك مسبقا « فهم » تغريد كل طائر .
- فتحدث مع الطائر الجبري بلغة الجبر ، وتحدث إلى الطائر كسير الجناح عن
الصبر !!
- وهنئ الطائر الصابر على العافية ، وأتل على طائر العنقاء أرصاف جبل قاف .

855 - وقل للحمامة أن تأخذ حذرهما من البازي . . وحدث البازي عن الحلم
والتقى !!
- وذلك الخفاش الذي بقي محروما ، إجعله دوما قرينا للنور مؤتلفا معه !!
- وعلم الحجل المقاتل السلام ، وأشرح للديكة أشراط الصبح (الصادق) .
- وهكذا فامض من الهدهد حتى العقاب ، أرشدهم إلى الطريق والله أعلم بالصواب .

**تحرر بلقيس من الملك وسكرها من شوق الإيمان والتفات همتها
عن الملك عند هجرتها . . إلا عن العرش**

(1) ما بين القوسين بالعربية في الأصل .

- عندما صفر سليمان مرة واحدة تجاه طيور سبأ قيدها وأسرها بأجمعها .

- 860 - اللهم إلا طائراً بلا رورح أو جناح ، أو كان كالسمكة أصم من الأصل .**
 - لا . . لقد أخطأت ، فإن الأصم لو استسلم أمام وحى الكبرياء لرد إليه سمعه .
 - وعندما صح من بلقيس العزم بالقلب والروح ، تأسفت على ما مضى من الزمان . .
 - لقد تركت المال والملك كما يترك هؤلاء العاشقون الفخر والعار .
 - لقد صار أولئك الغلمان والجواري المنعمات أمام عينيها كالبصل المهترئ .

865 - ومن العشق . . كانت البساتين والقصور والمياه الجارية تبدو أمام عينيها كالمستوقد .

- والعشق عند الاستيلاء والتسلط ، يجعل الأشياء اللطيفة قبيحة أمام العين .
 - إنه يبدي الزمرد كأنه الكراث . . وهذه هي غيرة العشق ومعنى (لا) .
 - هذه هي (لا إله إلا هو) أيها الملاذ ، هي التي تبدى لك القمر كأنه قدر أسود .
 - لم تكن تأسف على مال قط ولا على كنوز ولا على ثياب ، لم تكن تأسف إلا على العرش .

870 - فعلم سليمان خبر قلبها فقد كان هناك طريق بين قلبه وقلبها ! !
 - وهذا الذي يسمع أصوات النمل ، لا بد وأن يسمع صرخات قلوب البعيدين ! !

- وذلك الذي يتحدث بسر (قالت نملة) ، لا بد وأن يعلم سر هذا الطاق القديم (الدنيا) .
- رأى من على البعد أن تلك التي ديدنها التسليم ، صعب عليها فراق عرشها ذاك .
- ولو أنني ذكرت السبب . . لطال الأمر . . أقصد السبب في عشقها للعرش وألفتها به !!

- 875 -** وبالرغم من أن هذا القلم نفسه بلا حس ، وليس من جنس الكاتب إلا أنه مؤنس له !!
- وكذلك كل آلة لحرفى . . بلا روح . . لكنها مؤنسة لروح المرء . . .
 - ولو لم تكن عين فهمك قد أصيبت بالرطوبة ، لشرحت لك السبب في هذا الأمر .
 - فسر عظمة العرش التي كانت تزيد عن الحد ، أنه لم يكن في الإمكان نقل هذا العرش . .
 - كان عملاً دقيقاً . . . وجله أمر خطير ، وكأنه أوصال البدن (يتصل) بعضها ببعضها الآخر .

- 880 -** قال سليمان : بالرغم من أن (عشق) العرش والسرير (الملكي) سوف يبرد عندها في النهاية ،
- وعندما تطل الروح إطلالة واحدة من الوحدة ، لا يبقى مع هذا المجد مجد للجسد على الإطلاق .
 - وعندما يستخرج الجواهر من قاع البحار ، تنظر إلى الزبد والغناء بكل احتقار .
 - وعندما تطل الشمس ذات الشرر ، من الذي يجعل ذنب العقرب مستقراً له ؟ !

- لكن مهما يكن من أمر ، ينبغي في التو واللحظة ، البحث عن وسيلة لنقل عرشها .

885 - وحتى لا تكون في ضيق عند اللقاء ، ينبغي قضاء حاجتها الطفولية هذه !!

- إنه بالنسبة لنا أمر سهل لكنه شديد الصعوبة بالنسبة لها ، مثلما يكون الشيطان (موجودا) على موائد الحور .

- إن عرش النعيم هذا يكون عبرة لروحها ، مثلما كان دلق إياز بالنسبة له وحذاؤه الريفى .

- وحتى تعلم تلك المبتلاه في أي شئ كانت . . وإلى أين وصلت مما كانت فيه !!

- وإن الله سبحانه وتعالى يحفظ التراب والنفطة والمضغة أمام أعيننا .

890 - وذلك لكي يقول لنا . . من أين أتيت بك يا سى النية ، مما تبدى له كل ذلك الاشتمزاز .

- لقد كنت في فترة هذا عاشقا له . . وكنت منكرا لما أنت فيه الآن من فضل ، وذلك الزمان .

- وهذا الكرم كأنه دفع لذلك الإنكار منك ، الذي كنت تبديه من البداية وأنت في المرحلة الترايبية . .

- لقد صار خلقك حجة على إنكارك ، وصار مرضك هذا أكثر سوءا بعد تناولك الدواء

- فمن أين يكون للتراب تصور هذا الأمر ، ومن أين للنفطة الخصومة والإنكار .

895 - وكنت في تلك اللحظة بلا قلب ولا سر ، فكيف كنت منكرا للفكر والإنكار ؟ !

- وعندما نجا إنكارك من مرحلة الجمادية . من نفس هذا الإنكار صار حشرِك صحيحاً !!
 - وأنت على مثال قارع الباب ، ويقول له السيد من الداخل إن السيد ليس موجوداً !!
 - والقارع على الباب يدرك من نفس هذا الإنكار أنه موجود ، فلا يرفع يديه عن الحلقة على الإطلاق !!
 - ومن ثم فإن إنكارك في حد ذاته يبين ، إنه يقوم من الجماد بمائة من الحشر .
- 900 -** لقد تمت كثير من الصنائع أيها المنكر حتى أنكر الماء والطين مفهوم «هَلْ أتى» . .
- كان الماء والطين يقول : ليس في الأمر في حد ذاته إنكار لكن الغافل كان يصيح : لا اقرار . .
 - وأنا أفسر هذا الأمر بمانة طريق ، إلا أن الخاطر يحيد عن القول الدقيق . « 1 »

توسل سليمان عليه السلام في إحضار عرش بلقيس من سبأ

- قال عفريت أنا آتيك بعرشها . . بفنى . . قبل أن تقوم من مقامك هذا .
 - قال آصف : وأنا باسمه الأعظم آتيك قبل أن يرتد إليك طرفك .
- 905 -** وبالرغم من أن العفريت كان أستاذاً في السحر . . لكن الأمر تم من نفس آصف !!

(1) ج / 10 - 42 :

فلأكف عن شرحه أيها العظيم ، من أجل « الحديث عن » نقل عرش بلقيس من سبأ .

- لقد حضر عرش بلقيس في تلك اللحظة . . لكن من آصف وليس من فن المنسوبين إلى الجان !!
 - قال سليمان : حمدا لله على هذا . . وعلى مائة منه أمثال هذا أتانيها رب العالمين .
 - ثم نظر سليمان إلى العرش . . وقال : نعم . . إنك صيادة الحمقى أيتها الشجرة .
 - وأمام الخشب وأمام الحجر المزخرف بالحفر . . ما أكثر الحمقى المخدوعين الذين يطمأنون الرؤوس . .

910 - والساجد والمسجود له كلاهما لا خبر عن الروح ، وإن كان قد رأى من الروح حركة وأثرا قليلين .
 - لرأى أنه عندما صار ذاهلا مبهوتا . . أن الحجر تكلم وأشار !!
 - وعندما لعب نرد الخدمة في غير موضعه ، اعتبر الشقي الأسد الحجري أسدا (حيا) . .
 - ومن كرمه أبدى الأسد الحقيقي الجود ، وألقى بالعظام سريعا أمام الكلب .
 - وقال : بالرغم من أن هذا الكلب ليس على قوام الأمر إلا أن العظام عندنا لطف عام .

قصة استعانة حليمة بالأصنام عندما فقدت المصطفى صلى الله عليه وسلم
عقب فطامه ، وارتعاد الأصنام وسجودها ، وشهادتها بعظمة أمر
المصطفى صلى الله عليه وسلم

915 - إنني سوف أروى لك قصة سر حليلة ، حتى تمحو هذه القصة الحزن عنك .
 - عندما فطمت المصطفى عن الرضاع ، حملته على كفها كالريحان والورد .
 - كانت تجعله بعيدا عن كل خير وكل شر ، حتى تسلم ذلك المليك إلى جده . .
 - وعندما كانت تأتي بالأمانة (إلى ذويها) اتجهت من خوفها إلى الكعبة ودخلت الحطيم .

- فسمعت هاتفًا ينادى من الهواء قائلا . . أيها الحطيم ، لقد أشرقت عليك شمس شديدة العظمة .

920 - يا حطيم . . اليوم توهب سريعا مئات الآلاف من الأنوار من شمس الجود .
 - يا حطيم ، اليوم ينزل فيك ، ملك ذو هيبة رسوله الإقبال . .
 - يا حطيم أنك اليوم تصير بلا ريب ومن جديد منزلا للأرواح السامية .
 - وسوف تأتيك أرواح الأطهار جماعة بعد جماعة وفوجا بعد فوج من كل فج ثمة بالشوق .
 - فتحيرت حليلة من هذا الصوت ، فلم يكن هناك أحد من قدامها أو من ورائها .

925 - كانت الجهات الست خالية من الصورة ، لكن ذلك النداء صار متواليا . .
 لتكن الروح فداء له !!
 - فوضعت المصطفى على الأرض ، حتى تبحث عن ذلك الصوت الحسن .
 - وأخذت تلقى بنظراتها من ناحية إلى أخرى ، متسائلة : أين ذلك المليك المتحدث بالأسرار ؟ !

- إن هذا الصوت العالي يصل (إلى) من يمين ويسار ، فأين الذي يبلغه إياي يا الله . .

- وعندما لم تبصر شيئاً . . تحيرت . . وأصابها القنوط وارتعد جسدها كأغصان الصفصاف .

930 - ثم عادت نحو ذلك الطفل الرشيد . . لكنها لم تر المصطفى في مكانه !!
- فداخلت قلبها حيرة فوق حيرة ، وأظلم عليها منزلها ظلمة شديدة من الحزن .
- فأسرعت نحو بقية المنازل ونادت . . صائحة ملتاعة ؟ من سلب منى حبة الفؤاد العزيز ؟ !

- فقال لها أهل مكة : لا علم لنا ، ولم نعلم أن هناك طفلاً .
- فذرفت الدمع الثخين . . وازداد صراخها . بحيث بكى الآخرون لبكائها .

935 - أخذت تبكى بشدة وتدنق صدرها ، بحيث بكت الكواكب لبكائها .

حكاية ذلك الشيخ العربي الذي دل حليلة على الاستعانة بالأصنام

- فتقدم منها شيخ متوكئاً على عصاه . . وسألها : ما الذي جرى لك آخراً يا حليلة ؟
- بحيث أشعلت ناراً كهذى في القلب ، وأحرقت هذى الأكباد غماً وألماً .
- قالت : لقد أحضرت رضيعي المعتمد أحمد حتى أسلمه لجده .
- وعندما وصلت إلى الحطيم أخذت أصوات تبلغ مسمعى . . كنت أسمعها قادمة من الهواء .

940 - وعندما سمعت هذه الألحان من الهواء ، وضعت الطفل هناك . . بسبب هذه الأصوات !!

- حتى أرى صوت من يكون هذا النداء ، إنه نداء لطيف جدا وشهى جدا .
- فلم أكن أرى ما يدل على وجود أحد حولى ، ولم يكن النداء ينقطع لحظة واحدة . .
- وعندما عدت من حيرة القلب ، لم أر الطفل في مكانه فويلاه لقلبي .
- قال لها : لا تغتمى يا ابنتي ، فإنني سوف أدلك على أحد الملوك .

- 945 -** يحدثك إن أراد عن حال الطفل ، فهو يعلم مزل الطفل وترحاله .
- فقالت حليلة : جعلت فذلك أيها الشيخ الطيب حسن النداء .
 - دلني على ذلك المليك العظيم الذي يكون عنده خبر عن حال طفلي .
 - فاصطحبها إلى (العزى) قائلاً لها : إن هذا الصنم مغتم فيما يختص بأخبار الغيب .
 - لقد وجدنا آلاف المفقودين عن طريقه . . عندما أسرنا إليه طائعين .

- 950 -** فسجد له الشيخ وقال متلهفا : يا إله العرب ويا بحر الجود .
- ثم قال : أيتها العزى لقد قمت بكثير من الإكرام حتى نجونا من الشباك .
 - وحق على العرب تبجيلك ، وفرض على العرب أن يخضعوا لك .
 - هذه حليلة السعدية ، جاءت إليك راجيه ، واستظلت بظلال صفصافك .
 - لقد ضاع منها طفل ، واسم ذلك الطفل محمد .

- 955 -** وعندما نطق باسم محمد ، انقلبت تلك الأصنام وسجدت في التو واللحظة ،
- قائلة امض أيها الشيخ ، ما هذا السعي والبحث عن محمد هذا الذي يكون عزلنا على يديه ،

- منه سوف ننقلب وسوف نقذف بالأحجار ، ومنه تكسد سوقنا ونبقى بلا اعتبار .
- وتلك الخيالات التي كان أهل الهوى يرونها منا بين الآن والآخر .
- تضيع منا عندما يهل (زمان) بلاطه ، لقد حضر الماء فأبطل التيمم .

- 960 -** ابتعد أيها الشيخ وكفاك إشعالا للفتنة ، وهيا لا تحرقنا حسدا من أحمد !!
- وابتعد بالله أنت أيضا أيها الشيخ ، حتى لا تحترق أنت أيضا بهذه النار المقدرة .
 - أي تحريك هذا لذيل الأفعى ، ألا تعلم أي إخبار هذا ؟ !
 - فمن هذا الخبر يغلى قلب البحر والمنجم ، ومن هذا الخبر ترتعد السماوات السبع .
 - وعندما سمع الشيخ هذا الكلام من الأصنام ، ألقى ذلك الشيخ المهدم عصاه .

- 965 -** ومن الرعدة والخوف والرعب من هذا النداء ، أخذت أسنان الشيخ تصطك
- مثلما يكون الإنسان عاريا في الشتاء ، أخذ يرتعد ويدعو ثبورا .
 - وعندما رأت الشيخ على هذه الحالة ، أفقدتها دهشتها التدبير .
 - وقالت : أيها الشيخ بالرغم من أنني في محنة ، فأنا في دهشة شديدة وفي حيرة من أمرى .
 - فحينما تخطب في الريح ، وحينما تحدثني الحجارة وكأنها أديب (مفوه) .

- 970 -** توجه إلى الحجارة الأحاديث بكلام ، وتفهمنى الحجارة والجبال الأشياء .
- وأحيانا يختطف أهل الغيب طفلى ، أهل الغيب ذوو الأجنحة الخضر من السماء .
 - فمن أي شئ أنوح ؟ ولمن أشكو ، لقد صرت مصابة بالجنون مشتتة القلب .

- لقد عقدت غيرته شفتى عن شرح الغيب ، فيكفي أن أقول : ضاع طفلى
- ولو أنني قلت شيئاً آخر الآن ، لقيدنى الخلق بسلسلة الجنون .

975 - قال لها الشيخ : فلتسعدى يا حليلة ، اسجدى سجدة شكر ولا تلطمى وجهك .
- لا تحزني فإنه لن يضيع منك ، بل إن العالم (بأجمعه) سوف يحار فيه
- وفي كل لحظة ، حسدا للغيرة ، هناك أمامه ووراءه مئات الآلاف من الخفر
الحرس .

- ألم ترى كيف أن تلك الأصنام ذات الفنون ، قد انقلبت عندما ذكر اسم طفلك ؟ !
- إن هذا لقرن عجيب على وجه الأرض ، لقد شخت لكني لم أر له مثيلاً من قبل .

980 - وإذا كانت الحجارة قد أنت من هذه الرسالة ، فما بالك بما سوف يلحق منها
بالمذنبين .

- وإن الحجر لبرئ من كونه معبودا (وليس هذا من اختياره) ، لكنك لست مجبرا
على عبادته .

- إن المضطر قد صار خائفاً إلى هذا الحد ، فما بالك بما سوف يتهمون به المجرم
(الذي عبدها !) .

علم جد المصطفى عبد المطلب عن فقدان حليلة لمحمد عليه السلام
وبحثه عنه حول المدينة وتضرعه علي باب الكعبة ودعائه للحق
وعثوره على محمد عليه السلام

- عندما علم جد المصطفى خبر حليلة وصراخها على الملا .
- وعن هذه الأصوات العالية والصرخات ، إذ كان تفجعها يصل إلى بعد ميل .

- 985 -** علم عبد المطلب سريعا ما حدث ، فأخذ يدق صدره بيده وبكى .
 - ومن الحزن جاء إلى باب الكعبة بحرقه قائلا : يا خبيرا بسر الليل وسر النهار .
 - إنني لا أرى في نفسي أي حول وميزة ، حتى يكون نجيا لك من هو مثلي
 - إنني لا أرى نفسي فضلا ، حتى أصبر مقبولا لهذا الباب المسعود .
 - أو إنه لطأأة رأسي وسجدتي قدرا ، أو أنه بدموعي سوف يضحك لي الإقبال .
- 990 -** لكنني قد شاهدت لطفك أيها الكريم ، في سيماء هذا الدر اليتيم .
 - إنه لا يشبهنا بالرغم من أنه منا ، إننا كلنا نحاس وأحمد هو كيمياء (التبديل) .
 - ولكن العجائب التي رأيتها فيه ، لم أرها قط في حبيب أو عدو .
 - وما وهبه فضلك إياه في طفولته ، لا يهديه أحد في مائة سنة من الجهاد
 - وعندما شاهدت عناياتك على وجه اليقين ، وإنه هو الدرة (الفريدة) في بحرك .
- 995 -** فإنني أتشفع به إليك ، فأخبرني عن أحواله يا عالما بالأحوال .
 - فجاءه صوت من داخل الكعبة سريعا ، هاتفا : إنه الآن سوف يسفر عن وجهه .
 - إنه محفوظ منا بمزيد « 1 » من الإقبال ، وهو محفوظ لدينا بمائتي كتيبة من
 الملائكة .
 - ونجعل ظاهره مشهورا في العالم ، لكننا نحفظ باطنه ونجعله (مستورا) عن جميع
 (الناس) .
-
- (1) حرفيا : بمائتي .

- لقد كان ذهب المنجم مجرد ماء وطنين ، ونحن الصاغة أحيانا نجعل منه خلخالاً وأحيانا نجعل منه خاتماً .

1000 - أحيانا نجعل منه حمائل سيف ، وأحيانا نجعل منه طوقاً لأسد .
- أحيانا نجعل منه أترجة للعرش ، وأحيانا نجعل منه تاجاً على مفرق باحث عن الملك (الأزلي) .
- إننا نشعر بألوان من الحب نحو هذا التراب ، لقد خلق في حال من أحوال الرضا « 1 » .

- أحيانا يخلق منه مثل هذا الملك ، وأحيانا نجعل منه والها أمام الملك العظيم .
- وهناك مئات الآلاف من العشاق والمعشوقين ، هم منه في صراخ ونفير وفي سعى وبحث .

1005 - إن هذا هو عملنا . . برغم ذلك الذي لا يميل بكل روحه إلى عملنا .
- إننا نعطي هذه الفضيلة للتراب ، لكي نجعله عطاء لمن لا زاد لهم .
- ذلك لأن هذا التراب ذو ظاهر أغبر ، لكنه في الباطن ذو صفات نورانية .
- وقد اشتبك ظاهره مع باطنه في جدال ، فباطنه كالجواهر وظاهره كالحجر .
- يقول ظاهره : هذا نحن . . فحسب (ولا شئ آخر) ، فيقول باطنه : أنظر جيداً قدامك ووراءك .

1010 - ظاهره منكر قائل إن الباطن لا شئ قط ، فيقول باطنه انتظر حتى تبدى لك الأيام .

.....
(1) حرفياً : خلق في « قعدة الرضا » .

- إن ظاهره في عراك مع باطنه ، فلا شك أن الذي ينتصر منها من له قدرة على الصبر

- ومن هذا التراب العبوس نصنع الصور ، ونجعل ضحكه الخفي ظاهرا .
- ذلك أن ظاهر التراب (الأرض) حزن وبكاء ، وفي باطنه مئات الآلاف من الضحكات

- ونحن كاشفو الأسرار ، هذا هو عملنا ، هو أن نخرج هذه الخفايا من مكانها .

1015 - وبالرغم من أن اللص يصر على الإنكار ، فإن الشرطي يبدي ما يخفيه عن طريق تعذيبه .

- وقد سرقت هذه (المخلوقات) من تراب هذه الأنواع من الفضل حتى نجعلها تقربها عن طريق الابتلاء .

- ولقد كان لهذا التراب أبناء عجيبيون ، لكن أحمد قد زاد عليهم جميعا .
- صارت الأرض والسماء ضاحكين سعيدين قائلين لقد ولد مثل هذا الملك منا زوجين .

- فالسماء تنشق من فرحتها ، والأرض صارت كالسوسن من الحرية التي منحها لها .

1020 - ولما كان ظاهره وباطنك أيها التراب الطيب في قتال وفي عراك .
- هكذا من يكون مع نفسه في حرب من أجل الحق ، يصير المعنى فيه دائما خصما لرائحته ولونه .

- تكون ظلمته في قتال مع نوره ، فلا يكون لشمس روحه زوال .
- وكل من يجاهد من أجلنا عند الامتحان ، تتحني السماء تحت قدمه .
- وظاهره من الظلمة يكون صارخا ، بينما يكون باطنك روضة في روضة .

1025 - وإنه ليفعلها عن قصد كالصوفية العبوسين ، وذلك حتى لا يتعاشروا مع كل قاتل للنور .

- والعارفون عبوسون كالقنافذ ، لقد أخفوا السرور تحت (غطاء) من الشوك الحاد .
- إن الحديقة مستورة وذلك الشوك المنتشر حولها يقول : أيها العدو اللص ابتعد عن هذا الباب !!

- ويا أيها القنفذ لقد جعلت الشوك حارسا لك ، ووضعت رأسك في جيب (ثوبك) كالصوفى .

- فإن إحدى أولاد الحسان ذوات الوجنات الموردة والطباع الشوكية لن تستطيع أن تقلل مقدار ذرة « 1 » من سرورك .

1030 - وبالرغم من أن طفلك كان في طبع الأطفال ، فإن كلا العالمين كانا طفليين عليه « 2 » .

- إننا نحى به عالما . . ، ونجعل الفلك عبدا في خدمته .
- فقال عبد المطلب : أين هو في هذه اللحظة ، ويا عالما بالسر أبد لنا الطريق الصحيح .

**طلب عبد المطلب أمارات موضع محمد عليه السلام متسائلا أين أجده ؟
ومجنى الجواب من داخل الكعبة وتلقيه الأمارات**

- وصل إليه الجواب من داخل الكعبة قائلا : يا باحثا عن ذلك الطفل الرشيد « 3 » .

.....
(1) حرفيا : نصف الربع

(2) البيت في نسخة جعفري (10 / 88) بعد العنوان .

(3) ج 10 - 88 : قال له الهاتف لا تغتم ففي التو واللحظة سأدلك علي موضع ملك العالم هذا .

- إنه في وادى كذا تحت تلك الشجرة ، فانطلق إليها مسرعا أيها الشيخ المقبل .

1035 - كان في ركابه أمراء قريش ، ذلك أن جده كان من أعيان قريش .
 - وكان كل أسلافه حتى آدم سادة الحرب والجمع والملحمة .
 - كان هذا النسب - في حد ذاته - نسبا لبذنه ، فقد صفى من ملوك عظام - أما لبه وحقيقته فقد كان بعيدا عن النسب منفيًا عنه ، وليس هناك أحد من جنسه من باطن الأرض السابعة « 1 » إلى السماك .
 - ولا يبحث أحد عن نور الحق في النسب ، وأية حاجة لخلعة الخالق إلى السدى واللحمة

1040 - وإن أقل خلعة يهبها على سبيل الثواب ، إنما تزيد على (خلعة) الشمس المطرزة .

بقية قصة دعوة الرحمة لبلقيس

- انهضى يا بلقيس ، وتعالى ، وشاهدي الملك (الحقيقي) ، واجمعى الدر من شاطئ بحر الإله .
 - إن أخواتك ساكنات في الفلك السنى . . فأى سلطان لك تزاولينه على جيفة ؟ ! !
 - وهلى لديك أدنى علم بما وهبه ذلك السلطان من هدايا سنية لأخواتك ؟ ! « 2 » .

(1) حرفيا ، السمك والمقطود السمكة التي تحمل الأرض في المأثور القديم .
 (2) ج / 10 - 90 :

أنهض يا بلقيس وأدخلي بحر الجود وفي كل لحظة اظفري بكسب دون رأسمال .
 إن إخوانك كلهن في لهو وطرب . . فكيف صار حلوا عليك هذا النصب والتعب .
 انهضى يا بلقيس وكوني رفيقة للسعادة ، ولتشعري بالضيق من كل ملك سبأ هذا .

- فكيف أخذت من فرحك في قرع الطبول قائلة : إنني أنا الملكة ورئيسة مستوقد الحمام !!

مثل قناعة الإنسان بالدنيا وحرصه في طلبها وغفلته
عن دولة أهل الروح وهم من أبناء جنسهم . .
الصائحين فيهم : يا ليت قومي يعلمون

1045 - رأى أحد الكلاب متسولا أعمى في الحي ، فأخذ يهاجمه ويمزق أسماله .
- لقد تحدثنا عن هذا الموضوع مرة من قبل ، لكننا نكرر القول فيه لتأكيد الخبر .
- قال الأعمى : إن رفاقك آخرا على الجبل في هذه اللحظة يبحثون عن صيد ،
- قومك على الجبل يصيدون حمر الوحش ، وأنت في الشارع تصيد العميان .
- فاترك إذن هذا الاحتيال أيها الشيخ النفور ، إنك ماء مالح تجمع حولك عددا من العميان .

1050 - قائلا : هؤلاء يريدون لي وأنا ذلك الماء الملح ، إنهم يشربون منى ويتحولون إلى عميان .
- فاجعل ماءك حلوا من بحر « لدن » ، ولا تجعل الماء الكدر فحا لهؤلاء العميان .
- وانفض وانظر إلى أسد الله وهي تصيد حمر الوحش ، وأنت كالكلب تصيد العميان باحتيالك .
- وما حمر الوحش ؟ ! إنهم نفورون تماما من صيد غير الحبيب ، إنهم جميعا أسد ، صيادون للأسد ، ثملون بالنور .

- إنهم ينظرون إلى الصيد وإلى كيفية صيد الملوك ، لقد تركوا الصيد وماتوا ولها .

1055 - لقد اعتبرهم الحبيب كالطيور الميتة ، وذلك حتى يصيد جنسهم عن طريقهم .
 - والطائر الميت مضطرب بين الوصل والبين ، ولقد قرأت : « القلب بين إصبعين » .
 - وكل يصير صيدا لطائره الميت ، عندما يراه قد صار صيدا للملك .
 - وكل من أشاح بالوجه عن هذا الطائر الميت ، لم يجد قط ذلك الصياد .
 - ويقول الطائر الميت : لا تنظر إلى كوني ميتا ، وانظر إلى عشق الملوك في الحفاظ على .

1060 - ولست أنا بالميتة لكن الملوك قتلني ، وصارت صورتني شبيهة بالميت .
 - كانت حركتي من قبل بالجناح والقوادم ، وحركتي الآن تكون من يد العادل .
 - ولقد خرجت حركتي الفانية من الجسد ، وحركتي باقية الآن ذلك لأنها منه .
 - وكل من يتصرف باعوجاج أمام حركتي ، أقتله صبرا حتى ولو كان العنقاء .
 - فانتبه ولا تعتبرني ميتا إذا كنت حيا ، وانظر إلى في كف الملوك إذا كنت عبدا .

1065 - لقد أحيا عيسى - عليه السلام - الميت من (عطايا) الكرم ، وأنا موجود في كف خالق عيسى - عليه السلام - .

- ومتى أبقى ميتا وأنا في كف الإله ؟ ! وإياك أن تجيز هذا أيضا على كف عيسى ! !
- إنني أيضا عيسى ، لكن من وجد الروح من أنفاسي يبقى (حيا) إلى الأبد .
- لقد صار (أحدهم) حيا من أنفاس عيسى النبي لكنه مات ثانية ، وسعيد ذلك الذي أسلم روحه إلى عيسى هذا (المرشد) .
- إنني عصا في كف موسى الذي يخلصني ، وموسى الذي يخلصني خفي وأنا ظاهر أمام (الخلق) .

- 1070 -** ولأصبح للمسلمين جسرا على البحر ، ثم لآتحول إلى أفعى بالنسبة لفرعون .
- فلا تعتبر أن هذه العصا وحيدة يا بني ، فإن العصا دون كف الخالق لا تكون هكذا .
 - لقد كان موج الطوفان عصا في حد ذاته فقد ابتلع من الألم طنطنة عبدة الشجرة .
 - ولو أنني أحصيت عصي الله جل وعلا ، لمزقت احتيال قوم فرعون هؤلاء .
 - لكن دعهم يراعون بضعة أيام ، في هذه الأعشاب الحلوة المخلوطة بالسم

- 1075 -** وإن لم يوجد جاه فرعون وكبرائه ، فمن أين تجد جهنم ما يغذيها .
- فسمنه ثم اقتله بعد ذلك أيها القصاب ، ذلك أن الكلاب في جهنم بقيت بلا زاد .
 - وإن لم يكن هناك خصم وعدو في الدنيا ، لمات الغضب إذن من بين الناس .

- وذلك الغضب هو جهنم ويلزمه خصم حتى يعيش وإلا قتلته الرحمة .
- وبقي إذن لطف بلا قهر وشر . ومتى كان كمال الملك يتم آنذاك .

1080 - لقد سخر هؤلاء المنكرون ، من أمثلة الذاكرين وبيانهم .
 - وإذا أردت أنت أيضا فاسخر ، فحتام تريد العيش أيها الجيفة حتام .
 - واهنأوا أيها المحبين في احتياجكم ، على نفس هذا الباب الذي يفتح اليوم - وكل نبات يلزمه حوض (خاص) في هذا البستان ، كان هذا النبات فوما أو قبارا .
 - وكل واحد منها مع جنسه في حوضه الخاص به ، يشرب الطل من أجل أن ينمو ونضج

1085 - فإذا كنت في حوض الزعفران فكن زعفران ولا تختلط بالآخرين .
 - واشرب الماء أيها الزعفران حتى تنضج ، وتبلغ مرحلة أن تكون زعفران في تلك الحلوى .
 - ولا تمدن فمك في حوض اللفت ، حت لا يصير هو شريكا لك في الطبع والمذهب .
 - لقد وضعت في حوض ووضع هو في حوض آخر، وذلك لأن «أرض الله واسعة» .
 - خاصة تلك الأرض التي من سعتها ، يتوه فيها أثناء السفر الجنى والشيطان .

1090 - ففي ذلك البحر والصحراء والجبال ، تتقطع الأوهام وينقطع الخيال .
 - فهذه الصحراء كأنها شعرة إلى جوار صحارية ، كأنها شعرة في بحر خضم .

- والماء الذي تكون حركته من الداخل ، أكثر عذوبة ونضارة من الجداول الجارية .
- لأن له في داخله كالروح والنفس ، سير خفى وحركة سيارة .
- لقد نام المستمع فاقصر الخطاب . وكفاك أيها الخطيب من رسم على الماء « 1 » .

1095 - وانهضى يا بلقيس فهذه السوق رائجة ، واهربى من هؤلاء الأخساء الذين يسببون الكساد .

- انهضى يا بلقيس الآن طوعا ، قبل أن يأتي الموت بالمعمعة « 2 » .
- ثم يأخذ الموت بأذنك كما يؤتى باللص على يد الشرطي وهو يعاني المشقة والعذاب .
- فحتام تكونين سارقة للسناك من هذه الحمر ، فإذا كنت تسرقين ، فتعالى واسرقى الياقوت .
- لقد وجدت أخواتك ملك الخلود ، وأنت استوليت على ملك البؤس والظلام « 3 » .

1100 - وما أسعد ذلك الذي فر من هذا الملك ، فإن الأجل مخرب لهذا الملك .

- انهضى يا بلقيس وتعالى وانظري مرة واحدة إلى ملك ملوك الدين وسلاطينه .

(1) في نسخة جعفري عنوان « بقية دعوة سليمان لبلقيس أن تغتنم الفرصة » (ج - 101 / 10) .

(2) ج : (101 / 10) .

انهضى يل بلقيس قبل أن يحين أجلك ، وانظري إلى ملك لا خلل فيه .

انهضى يا بلقيس ولا تدلي بجاهك وهاتي الضراعة إلى هذه العتبة لا الدلال .

انهضى يا بلقيس ثمة بما جاد عليك به القضاء ، وإلا أتى الموت وعرك أذنك .

(3) حر : الملك الأعمي أزرق العينين .

- إن (أحدهم) يكون في الباطن جالسا في روضة ، بينما يكون في الظاهر حاديا للرفاق .
- يكون البستان سائرا معه حيثما يسير ، لكن ذلك الأمر يكون مستورا عن الخلق .
- والثمار متضرعة إليه قائلة : كل منى . . وماء الحيوان يسعى إليه قائلا : اشرب منى

1105 - وداومي التطواف فوق الفلك دون جناح أو قوادم ، كالشمس وكالبدر وكالهلال .

- تكونين كالروح سيارة ولا قدم ، تأكلين مائة قطعة من الدسم دون أن تكوني ماضغة بالفم - ولا تمساح من الحزن يضرب على سفينتك ، ولا يبدو عليك قبح من الموت .
- فأنت الملك وأنت العسكر وأنت العرش ، وتكونين مقبلة بل تكونين الإقبال نفسه .
- فإذا كنت مقبلة الان ، ومملكة عظيمة ، فالإقبال غيرك ، ويمضى (عنك) يوما ما .

1110 - وتبقي أنت كالشحاذين بلا زاد فكوني أنت إقبال نفسك أيتها المجتابة .
- وعندما نضج إقبال نفسك أيها المعنوي ، فكيف تضيع من نفسك ويمضى عنك الإقبال

- كيف تضل عن نفسك يا حسن الخصال ، ما دام قد صار لك من عين ذاتك الملك والمال ؟ !

بقية قصة عمارة عليه السلام للمسجد الأقصى بتعليم من الله
ووحيه لحكم يعلمها ومعاونة الملائكة
والشياطين والجن والإنس ظاهرا

- يا سليمان قم ببناء المسجد الأقصى ، فإن جيش بلقيس جاء للصلاة .
- وعندما وضع أساس ذلك المسجد ، جاء الجن والإنس وبذلوا أبدانهم في العمل .

1115 - كانت جماعة تعمل عشقا والأخرى (تعمل) كرها ، كما يكون العباد في طريق الطاعات .

- إن الناس مجانين والشهوة كالسلسلة . تجذبهم نحو الحانوت ونحو الغلة .
- وهذا القيد هو من الخوف والوله ، فلا تنظر إلى هؤلاء الخلق بلا سلسلة (ظاهرة) .

- إنها تجذبهم نحو الكسب والصيد ، وتجذبهم نحو المنجم والبحار .
- تجذبهم نحو الخير ونحو الشر ، ولقد قال الحق : فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ

1120 - « قد جعلنا الحبل في أعناقهم ، واتخذنا الحبل من أخلاقهم .

- ليس من مستقذر مستنقه ، قط إلا طائره في عنقه » « 1 » .
- وحرصك من أعمال السوء مثل النار ، والجمر سعيد من لون النار الطيب .
- وسواد الفحم ذاك مستور في النار ، وعندما خمدت النار ظهر السواد للعيان .

(1) بالعربية في المتن الفارسي

- ومن حرصك صار الجمر فحما أسود ، وعندما انتهى الحرص بقي ذلك الفحم الفاسد .

1125 - وذلك الزمان الذي كان الفحم يبدو فيه جمرا ، لم يكن من طيب العمل ، بل كان من نار الحرص .
 - فالحرص كان قد زين منك الفعل ، ومضى الحرص وبقي عمك الأسود .
 - إن نبات الغولة (الحامض) الذي يزينه غول (النفس) يظنه الأبله المخدوع (نبات) حلوا مستساغا .
 - وعندما تبدى روحه التجربة ، تتلم أسنانه من هذا الامتحان .
 - إن صورة غول الحرص كانت تبدى تلك الشبكة حبا من الهوس ، وهذا في حد ذاته كان أمرا مفضوحا .

1130 - فاطلب الحرص في أمر الدين وفي الخير ، وعندما لا يبقى الحرص عند المرء يكون جاد السير .
 - وأمور الخير دقيقة في حد ذاتها لا من صور الغير ، وإن ذهب ألق الحرص يبقى ضياء الخير .
 - وعندما مضى ألق الحرص عن أمور الدنيا ، يكون فحما ما تبقى تحت النار .
 - إن الحرص يصيب الأطفال بالغرور ، بحيث يركبون أطراف ثيابهم وقلوبهم فياضة باللذة .
 - وعندما يمضى عن الطفل حرصه السيئ ، يضحك من بقية الأطفال .

1135 - قائلا لنفسه : ماذا كنت أفعل ؟ ! وماذا كنت أرى في هذا (الأمر) ، لقد تبدى الخل من انعكاس الحرص عسلا !!
 - والبناء (الذي يبنيه) الأنبياء يكون بلا حرص ، ولهذا فإن رونقه في ازدياد على الدوام .

- وما أكثر المساجد التي بناها الكرام ، لكن لم يكن اسمها المسجد الأقصى
- فإن ما يزيد الكعبة في كل لحظة عزا ، إنما يعزى إلى اخلاص إبراهيم عليه السلام .
- وفضل ذلك المسجد ليس من التراب والحجر ، بل لأنه لم يكن من وراء بنائه حرص أو خصومة .

- 1140 -** ولا كتبهم مثل كتب الآخرين ، ولا مساجدهم ولا كسبهم ودورهم وأقوالهم .
- ولا أدبهم ولا غضبهم ولا نكالهم ، ولا نعاسهم ولا قياسهم ولا فعالهم « 1 » .
 - فإن لكل واحد منهم مجدا من نوع آخر ، وطيور أرواحهم محلقة بأجنحة مختلفة .
 - وإن القلب ليرتعد من ذكر أحوالهم ، وقبله أفعالنا هي أفعالهم .
 - كان لطيورهم بيض ذهبي ، فصارت أرواحهم ناظرة إلى الفجر في منتصف الليل .

- 1145 -** إن كل ما قتلته مخلصا عن القوم الطيبين قتلته ناقصا ، لقد صرت المتحدث إلى القوم بالكلام الناقص .
- فابنوا المسجد الأقصى أيها الكرام ، فإن سليمان عليه السلام قد عاد ، والسلام .
 - ولو أن واحدا من هؤلاء الشياطين والجن قد عصي الأمر ، لأخذه ملائكة العذاب مغلولا .

.....
(1) ج : (10 / 105) :

- لقد أعطي الحق كل واحد منهم في المرتبة مئات الألوف من أنواع الحشمة والمكرمة .

- والشيطان الذي يسلك لحظة واحدة باعوجاج من مكره وكيده ، كان السوط يلهب رأسه كأنه البرق .

- فكن مثل سليمان حتى تقوم الشياطين بحمل الحجارة من أجل إيوانك

1150 - فكن مثل سليمان بلا وسواس (من الشيطان) ولا حيلة ، حتى لا يخضع لامرك الشيطان والجن .

- والخاتم بالنسبة لك هو القلب كسليمان على الدوام ، فانتبه حتى لا يصيد الشيطان الخاتم .

- ثم يزاول الحكم عليك ذلك الشيطان ذو الخاتم ، فحذار ، والسلام .

- وتلك « السليمانية » أيها القلب ليست منسوخة ، ففي رأسك وسرك (قلبك) مزاولة للسليمانية (الحكم) .

- والشيطان يقوم أحيانا بمزاولة الحكم كسليمان ، لكن متى ينسج كل نساج الأطلس .

1155 - إنه يحرك يديه مثله ، لكن بينهما بونا شاسعا « 1 » .

قصة إعطاء الملك صلة لشاعر ومضاعفة

وزير يمسي أبو الحسن لها

- قدم شاعر قصيدة أمام الملك ، املا في خلعة وأكرام وجاه .

- وكان الملك جوادا فأمر له بألف من الذهب الأحمر والعطايا والهبات .

- فقال له وزيره : إن هذا قليل : صلة بعشرة آلاف حتى يمضى إلى حال سبيله .

- ليس من أجل شاعر مثله ملئ الفم (بالمديح) بل منك يا من يدك كالبحر ، تكون تلك العشرة آلاف التي ذكرتها قليلة .

(1) ج / 10 - 106) : وفي تفسير هذا الحديث المعنوي استمع إلي حكاية في المتنوي .

1160 - لقد حدث ذلك (الوزير) الملك بالفقه والفلسفة ، حتى نال ما يقرب من عشر بيدر من كفه .

- وصله بعشرة آلاف وخلعة مناسبة ، فتوسع له في منزل الشكر والثناء
- ثم استفسر قائلاً : سعى من كان ؟ ! ومن الذي أظهر للملك استحقاقى ؟ ! .
- قالوا له : إنه « فلان » الدين الوزير ، ذاك الطيب الاسم والحسن الخلق والضمير .
- فنظم قصيدة طويلة في مدحة ، وانقلب عائداً إلى داره (مسرورا) .

1165 - وبلا لسانه وشفته فإن عطايا الملك في حد ذاتها وخلعه كانت تقوم بمدح الملك .

عودة الشاعر بعد بضعة سنوات أملا في نفس تلك الصلة ، والأمر له بألف دينار حسب العادة ، وقول وزير جديد يسمى أيضا حسن للملك : إن هذا كثير جدا عليه ، وعلينا نفقات ، والخزينة خاوية ، وأنا أجعله راضيا بعشر هذا (المبلغ)

- وبعد عدة سنوات ، صار الشاعر محتاجا من الفقر والعوز إلى قوت يومه وحبوب بذاره .

- فقال : عند الفقر وضيق ذات اليد ، من الأفضل الطلب عند المجرب .
- ولأحمل حاجتي الجديدة . إلى تلك العتبة التي جربت بها في الكرم .
- لقد قال سيبويه ذاك : إن معنى لفظ الله هو الذي يولّهون في الحوائج إليه .

1170 - قال ، الهنا في حوائجنا إليك ، والتمسناها وجدناها لديك « 1 » .
 - ومئات الآلاف من العقلاء عند الألم ، كلهم شاكون أمام هذا الديان الفرد
 - ولا يمكن أن يقوم إلا مجنون أو أبله بالكدية من لدن بخيل عاجز .
 - فإن لم يكن العقلاء قد (جربوه) في حاجاتهم آلاف المرات أو ما يزيد متى كانوا
 يجذبون أرواحهم أمامه ؟ !
 - بل أن كل الأسماك بين الأمواج ، وكل الطيور في أوج (السماء) ،

1175 - والفيلة والذئاب وأيضا أسد الصيد ، والأفاعي العظيمة والنمل وأيضا
 الحيات .
 - بل والتراب والماء وكل شئ ، تجد كلها منونتها منه سواء في الشتاء « 2 » أو في
 الربيع .
 - بل إن هذه السماء تتضرع إليه في كل لحظة ، قائلة : لا تسقطني (من رعايتك)
 لحظة واحدة أيها الحق .
 - إن عمادى هو عصمتك وحفظك ، وكل شئ مطوى بيمين هاتين اليدين
 - وهذا الأرض تجار إليه بالضراعة قائلة ثبتني ، يا من جعلتني مستوية على الماء .

1180 - إن هذه الأشياء كلها قد ملأت أكياسها بنواله « 3 » ، وكلها تعلمت منه
 - سبحانه - كيف تقضى الحاجات .
 - وكل نبي أتى منه بالبراءة ، قال لنا « استعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ » !!
 - وهيا أطلبوا منه - جل وعلا - لا من غيره ، أطلب الماء من اليم لا من الجدول
 اليبس .

-
- (1) بالعربية في المتن الفارسي .
 (2) حرفيا : في « دي » وهو ديماء أحد شهور الشتاء .
 (3) حرفيا : قد خاطت قد خاطت أكياسها منه .

- وإذا طلبت من آخر ، فهو أيضا الذي يعطى ، وهو الذي يضع الميل إلى السخاء في كفه .
- وذلك الذي يجعل من أحد العصاة (في غنى) قارون بذهبه ، ماذا يفعل لو تتوجه إليه بالطاعة ؟ !

- 1185 -** ومرة أخرى ، فإن الشاعر ، أملا في العطاء ، توجه إلى ذلك الملك المحسن .
- وماذا تكون هدية الشاعر إلا أن يأتي بالقصيدة الجديدة إلى المحسن ويعرضها عليه .
- والمحسنون بدورهم بكل رغبة « 1 » في العطاء والجود والبر ، إدخروا الذهب في انتظار الشعراء .
- وعندهم أن بيتا واحدا ومن الشعر ، أفضل من مائة حمل من الصوف ، خاصة من الشاعر الذي يأتي بجواهر (المعاني) من قاع (بحر الشعر) .
 - والإنسان في البداية يكون حريصا على الخبز ، ذلك أن القوت والخبز هو عصب الروح .

- 1190 -** وفي سبيل الكسب والغصب ومئات الحيل ، وضع روحه على كفه حرصا وأملا .
- وعندما يستغنى عن الخبز ، وهذا يكون نادرا ، يعشق الشهرة و (حسن) السمعة ومدح الشعراء .
 - حتى يرفعوا من أصله ومن فصله ، ويضعون المنابر من أجل بيان فضله - حتى يفوح كره وفره وجوده بالذهب . أثناء الحديث كأنه العنبر .

(1) حرفيا : بمائة عطاء وجود وبر .

- لقد جعل الحق خلقنا على صورته ، ووصفنا بأخذ المثل من وصفه .

1195 - ولما كان الخلق - جل وعلا - راغبا في الشكر والحمد ، فإن في جبله الإنسان أيضا طلب المدح .

- خاصة رجل الحق السباق في الفضل ، إنه يمتلئ بهذه الريح تمام كالقربة .
- وإن لم يكن أهلا لها فقد مزق قربته بتلك الريح الكاذبة . ، فمتى يكون أهلا للضياء .
- إنني لم آت بهذا المثل من عندي أيها الرفيق ، فلا تسمعه بهزل ما دمت مفيقا .
- لقد قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سمع الكفار يقدحون فيه قائلين : لماذا يسر أحمد من المديح ؟ !

1200 - لقد ذهب الشاعر إلى ذلك الملك ، وعرض عليه شعرا في شكر الإحسان الذي لم يمت .

- لقد مات المحسنون وبقي الإحسان ، وما أسعده ذلك الذي ساق هذه المطية .
- ومات الظلمة وبقي الظلم ، فويل للروح التي تقوم بالمكر والدهاء .
- وقد قال الرسول عليه السلام : ما أسعد الذي مضى عن هذه الدنيا وبقي عنه الفعل الحسن .
- مات المحسن لكن إحسانه لم يمت ، والدين والإحسان عند الله ليسا بالشئ الهين .

1205 - فويل لذلك الذي مات ولم يمت عصيانه ، حتى لا تظن أنه بموته قد نجا بروحه « 1 » .

(1) في نسخة جعفري (10 / 148) عنوان : حمل الشاعر قصيدته إلى الملك وخسة الوزير .

- دعك من هذا ، فإن الشاعر في طريقه ، مدين وفي أمس الحاجة إلى المال
- لقد حمل الشاعر قصيدته إلى الملك ، أملا في عطاء الصديق وفي إحسانه .
- كانت قصيدة رقيقة مليئة بالدر الحقيقي ، لقد (كتبها) أملا وانتظارا للإكرام الأول .
- فقال الملك على عادته : أعطوه ألفا ، لقد كانت هذه عادة الملك (مع جميع الشعراء) .

- 1210 -** لكن الوزير الجواد في هذه المرة كان قد غادر الدينا على براق العز .
- وخلفه وزير جديد ، جلس في الصدر ، لكنه كان شديد القسوة والخسة
 - قال : يا أيها الملك إن لدينا نفقات (كثيرة) ، ولا يصح أن تكون هذه العطية مكافأة لشاعر .
 - إنني بربع عشر هذا أيها المغتتم ، اجعل الشاعر سعيدا راضيا .
 - قال له الناس : إنه في المرة الأولى ، أخذ عشرة آلاف من هذا الهمام .

- 1215 -** فكيف يمص البوص من بعد السكر ؟ ! وكيف يتكدى بعد أن كان سلطانا ؟ !

- قال (الوزير) لأضيغن عليه الخناق ضيقا : بحيث يصير نحिला مسكينا من الانتظار .
- وبعدها إن منحتة ترابا من طريقي ، سوف يختطفه كأنه أوراق ورود الرياض .
- اترك هذا على فأنا أستاذ في هذا الأمر ، حتى وأن كان الطالب ناري (الطبع) !!

- ولو أنه على سيل الفرض كان يطير (غضبا) من الثرى إلى الثريا فإنه سيهدأ ويستكين عندما يراني .

1220 - قال له السلطان : اذهب فالأمر لك ، لكن اجعله راضيا فهو مادحنا .
 - قال : اتركه لي ومائتين ممن يلحقون الأمل ، واكتب على هذا .
 - ثم ألقاه صاحبا في (محنة) الانتظار ، فانقضى الشتاء وشهر ديماء وجاء الربيع .
 - وشاخ الشاعر من الانتظار ، وسقط ضحية لهذا الحزن والكبد .
 - قال : إن لم يكن ثم مال فلعلك تشتمني حتى تنجو روعي وأمضى إلى حال سبيلي .

1225 - لقد قتلتني الانتظار فقل لي مرة : امض (إلى حال سبيلك) حتى تنجو هذه الروح المسكينة من الحبس .
 - ومن بعدها أعطاء ربع عشر ذلك المبلغ ، فبقى الشاعر في هم ثقيل .
 - وأخذ يقول : كانت تلك العطية على الفور وكانت كثيرة إلى ذلك الحد ، أما ذلك الذي تأخر في التفتح فهو باقية من الشوك .
 - ثم أخبروه قائلين : إن ذلك الوزير الجواد ، قد مضى عن الدنيا أجرك الله .
 - فقد كان ذلك العطاء يتضاعف منه ، وقليل ما كان يخطئ في عطاياه .

1230 - لكنه مضى الان وأخذ معه الإحسان ، إنه لم يمت حقيقة بل مات الإحسان .
 - لقد ذهب عنا الوزير الجواد الرشيد ، وجاء الوزير الذي يسلم (جلود) الفقراء .
 - اذهب ، وخذ (ما أعطيت) وأهرب من هنا بليل ، حتى لا يعاديك هذا الوزير .

- لقد أخذنا منه هذا العطاء (لك) بمائة حيلة ، يا من أنت لست بعالم بجهدنا .
- فالتفت إليهم قائلاً : أيها المشفقون . . قولوا لي من أين جاء هذا الظالم ؟ ! من أين ؟ !

1235 - ما اسم هذا الوزير الذي يعرى المرء من ملابسه ؟ ! قال له القوم : إن اسمه أيضا حسن .
- قال يا رب : كيف كان اسم ذاك الوزير واسم هذا الوزير واحدا ، واحسرتاه يا رب الدين !!
- فحسن ذاك من توقيع واحد منه . . كان يتأتى مائة وزير من صفاتهم الجود .
- وهذا . . واسمه أيضا حسن . . من لحية هذا الحسن القبيحة . .
تستطعين أيتها الروح أن تجدلى مائة حبل .
- وعندما يصغى الملك إلى مثل هذا الوزير ، فإن الملك وملكه يضيعان إلى الأبد !!

**تشبيهه سوء رأي هذا الوزير في افساد مروءة الملك بهامان
وزير فرعون في إفساد قابلية فرعون**

1240 - لقد حدث عدة مرات أن فرعون كان يرق ويخضع عندما كان يستمع إلى كلام موسى .
- ذلك الكلام الذي كان يستدر اللبن من الصخر ، من حلاوته التي لا نظير لها
- وعندما كان يستشير هامان الذي كان وزيرا له وكان الحقد من جبلته .

- كان يقول له : لقد كنت حتى الآن سيذا فصرآ عبدا لإنسان خلق الملابس بحيله وكيده .

- وكان ذلك الكلام كحجر المنجنيق ، كان يلقي به على منزله الزجاجي .

1245 - كان كل ما يفعله الكللم حلو الخطاب في مائة يوم ، يحطمه هو في لحظة واحدة .

- إن عقلك هو الوزير ، وهو مغلوب للهوى ، وهو في وجودك قاطع طريق (يقف) في طريقك إلى الله .

- والناصح الرباني يقوم بوعظك ، لكنه يطرح هذا الكلام جانبا بفنه (وحيلته) .
- قائلا : ليس هذا في محله ، انتبه ، لا تتحرك عن موضعك ليس هذا بذى قيمة ، فعد إلى نفسك ، ولا تخدع !!

- فويل لذلك الملك الذي يكون مثل هذا وزيره ، إن مكان كليهما نارا ذات (لهب) وحقد .

1250 - وسعيد ذلك الملك الذي يكون له عون في عمله من وزير مثل آصف .

- وعندما يكون الملك العادل قرينا (لمثله) وزيرا فإن هذا هو « نور على نور » .

- مثل سليمان الملك وآصف الوزير ، فهما نور على نور وعنبر على عنبر

- أما أن يكون الملك هو فرعون ووزيره هامان ، فلا مفر لهما من الإدبار .

- ويكون الأمر « ظلمات بعضها فوق بعض » ، فلا العقل بالرفيق ولا الإقبال في يوم العرض .

1255 - وأنا لم أر إلا الشقاوة من اللئام فإذا رأيتهم فبلغهم منى السلام .

- فالملك بمثابة الروح والوزير كالعقل ، والعقل الفاسد يوجه الروح نحو الفساد .
- عندما صار هاروت ملاكا للعقل ، صار معلما للسحر لمائتي طاغوت .
- فلا تتخذ من العقل الجزئي وزيرا لك ، واجعل العقل الكلى وزيرا لك أيها السلطان .
- ولا تجعل الهوى وزيرا لنفسك ، فهو يمنع روحك الطاهرة من الصلاة .

1260 - فهذا الهوى شديد الحرص ناظر إلى الحال ، أما العقل فهو يفكر في يوم الدين .

- وللعقل عينان في نهاية الأمر ، وهو من أجل ذلك الورد يتحمل أذى الشوك .
- ذلك الورد الذي لا يذبل ولا يتساقط في الخريف ، ويكون بعيدا عن ربح كل أنف أخشم .

**جلوس الشيطان في مقام سليمان عليه السلام وتشبهه في أعماله
بسليمان عليه السلام ، والفرق الظاهر بين السليمانية - الحقيقية)
وبين السليمانية الإسمية التي قام بها الشيطان**

- وعندما يكون لك عقل فصاحب عقلا آخر ، وقم باستشارته أيها الأب .
- فأنت بعقلين تنجو من بلايا كثيرة ، وتضع قدمك على مفرق الأفلاك « 1 »

1265 - وإذا كان الشيطان قد سمى نفسه بسليمان ، واستولى على الملك واخضع المملكة .

(1) هذان البيتان في نسخة جعفري قبل العنوان (10 / 153)

- كان قد رأى ظاهر عمل سليمان ، لكن الصورة كانت تبدو في الباطن شيطانية - فقال الخلق : إن سليمان هذا بلا صفاء ، وهناك فروق عديدة بين سليمان هذا وسليمان ذاك .

- فإذا كان سليمان يقظا فهذا كالوسن ، إن الفرق بينهما كالفرق بين حسن (الجواد) وحسن (الخسيس البخيل) .

- وكان الشيطان يقول : لقد وضع الله « لأهر من » (الشيطان الأكبر : إله الظلمة) صورة حسنة . . حسنة على صورتني أنا .

1270 - لقد أسبغ الله على الشيطان صورتني ، فأياكم أن يلقيكم جميعا في شبابه .
- وحذار منه إذا ظهر بدعواه هذه ، وإياكم أن تأخذوا صورته في الاعتبار .
- كان الشيطان يقول لهم هذا من مكره ، لكن صورة هذا الكلام كانت تصل معكوسة إلى القلوب الطيبة .

- إن لا يستطيع أن يقوم بالأعبية هذه مع من يميز ، خاصة من يكون تمييزه وعقله متحدثين إلى الغيب .

- فلا سحر قط ولا تلبيس ولا شعوذة يمكن أن تضع حجابا على أرباب السلطان (الإلهي) .

1275 - ومن ثم فقد كانوا يقولون ردا عليه ، إنك تسير مقلوبا يا معوج الخطاب - وهكذا سوف تمضي منقلبا حتى جهنم ، (ويلقى بك) في أسفل سافلين .
- انه (أي سليمان الحقيقي) وإن كان قد عزل وصار فقيرا ، فإن البدر المنير (يتلأأ) من جبينه .

- وأنت وإن كنت قد سرقت خاتمة ، (فواضح عليك) أنك جهنمى قد تجمدت كالزهرير .

- ونحن بالمكر والمظاهر والأبهة (المزيفة) والنفخة الكاذبة ، لا نسلم له بظفر (حقير) فضلا عن طأطأة رؤوسنا .

1280 - ولو وضعنا له الجبين غافلين ، فسوف تنبت قبضة من الأرض تمنعنا (من السجود له) - قائلة : لا تطأطئوا رؤوسكم لهذا الخسيس ، انتبهوا ولا تسجدوا سجدة مقرونه بالإدبار .

- وكانت لأشرح هذه القصة شرحا مفصلا لتزيد الأرواح انشراحا ، هذا إن لم تكن الغيرة الإلهية موجودة .

- فاقنع بهذا القدر وابقبله ، حتى أفصلها تفصيلا في موضع آخر .

- ولقد سمى نفسه سليمان النبي ، وكان يضع قناعا من أجل كل صبي .

1285 - فتجاوز الصورة وخل عنك الاسم ، وانتقل من اللقب والاسم إلى المعنى .
- ثم سل عن حدة وعن فعله ، وابحث عنه في حده وفعله « 1 » .

دخول سليمان عليه السلام كل يوم إلى المسجد الأقصى بعد بنائه للعبادة وارشاد العابدين والمعتكفين ونمو النباتات الطبية في المسجد .

- عندما كان سليمان عليه السلام يدخل كل صباح خاضعا إلى المسجد الأقصى .

(1) ج : (10 / 157) ليس هذا بفعل كل انسان فاكبح الزمام وابن المسجد الأقصى وأتمه .

- كان يرى نباتا جديدا قد نبت فيه ، فكان يسأله قائلا : أخبرني عن اسمك ونفعك .
- أي عقار أنت ؟ ! وماذا تكون ؟ ! وما اسمك ؟ ! ولمن تكون ضررا ولمن تكون نفعاً ؟ !

1290 - فكان كل نبات يجيبه باسمه وفعله . . كان يقول له : أنا لذلك حياة ولهذا حمام .

- أنا لهذا سم ولذلك سكر ، واسمى هو كذا على اللوح المحفوظ .
- ثم أن الأطباء صاروا من (تعليم) سليمان عارفين بذلك النبات ، وصاروا مقتدين في علمهم .
- حتى وضعوا كتب الطب ، وأخذوا يخلصون الأجسام من العلل .
- فعلوم النجوم وعلوم الطب من وحي الأنبياء ، وأي اتجاه للعقل والحس نحو (فن) لا طريق إليه ؟ !

1295 - إن العقل الجزئي ليس عقل استنباط ، وأنه مجرد قابل للفن والتعليم محتاج .
- فهذا العقل قابل للتعليم والفهم ، ولكن صاحب الوحي يقوم بتعليمه .
- وبقينا أن كل الحرف من الوحي ، وكان الوحي أولها ، لكن العقل زاد عليها .
- وانظر (لترى) انه لا توجد حرفة قط تستطيع عقولنا أن تتعلمها بلا أستاذ .
- ومهما كان المرء من مكره يستطيع أن يشق الشعره ، إلا أنه لم يحصل على مهنة واحدة دون أستاذ .

1300 - ولو كانت معرفة الحرف من هذا العقل ، لحصلت الحرفة دون أستاذ .

تعلم قابيل لمهنة حفر القبور من الغراب قبل أن يكون في العالم علم حفر القبور أو قبور

- ومتى كان حفر القبور وهو من أيسر المهن (نابعا) من الفكر والحيلة والتفكير ؟ !!

- وإذا كان هذا الفهم موجودا عند قابيل ، فمتى كان قد حمل هابيل على رأسه ؟ ! -
متسائلا : أي أخفى هذا القتل ؟ ! هذا الغريق في الدم والتراب
- فرأى غرابا قد وضع بين منقاره غرابا آخر ميتا تقدم نحوه سريعا .

1305 - وهبط من الهواء ، ثم صار بفن حفارا للقبور ، وذلك من أجل تعليمه .
- وأخذ يحفر الأرض بمخالبه ، ثم وضع الغراب الميت في قبر سريعا .
- ودفنه ، ثم غطاه بالتراب ، كان الغراب عالما من إلهام الحق .
- قال قابيل : (يا ويلتا) وأف لهذا العقل ، لقد كان الغراب أكثر منى علما - لقد قال
الله في شأن العقل الكلى « ما زاغ البصر » ، لكن العقل الجزئي ينظر في كل اتجاه .

1310 - إن العقل الذي نزلت فيه آية « ما زاغ » هو نور الخاصة ، أما عقل الزاغ
(الغراب) فهو أستاذ لقبور الموتى .
- والروح التي تطير خلف الغربان ، يحملها الغراب نحو القبور .
- فهيا ، لا تسرع خلف النفس كالغراب ، فهي تقود نحو القبور لا نحو البستان . .
- وإن كنت سالكا فسر في أثر عنقاء القلب ، نحو قاف ونحو مسجد القلب الأقصى .
- فإن هناك نباتا جديدا من هو سك كل لحظة ينبت في مسجداك الأقصى .

1315 - فقم كسليمان بأداء حقه ، وافهم عنه شيئاً ولا تضع قدم الاعتراض عليه
 - ذلك أن حال هذه الأرض التي لا ثبات لها ، تحدثك عنه أنواع النباتات .
 - وفي الأرض ، إذا كان النبات قصب سكر أو بوصا ، يكون نبت كل أرض ترجمانا لها .
 - ومن ثم فإن أرض القلب ونبتها الفكر ، فإن الأفكار هي التي تظهر أسرار القلوب .
 - ولو أنني أجد جاذبا للكلم في المجلس ، لأنبت مئات الآلاف من الورود كأني الرياض .

1320 - وإن وجدت قاتلا للكلم آنذاك كالديوث ، تهرب النكات من القلب كما يهرب اللص .
 - إن حركة كل امرئ نحو جاذب ، والجذب الصادق ليس كالجذب الكاذب .
 - انك تمضى حيناً إلى الضلال وحيناً إلى الرشد ، والخيط ليس ظاهراً وذلك الذي يجذبك
 - وأنت بغير أعمى مشدود الزمام ، فداوم النظر إلى الجذب ولا تنتظر إلى الزمام .
 - ولو صار الجذب محسوساً والزمام ، لما ظلت هذه الدنيا (توصف بأنها) دار الغرور .

1325 - ولرأى المجوسي أنه يسير في أثر كلب ، لكي يصبح مسخراً للشيطان الأكبر .
 - ومتى كان يمضى في أثره إذن كالمخنث ؟ ! بل لكان المجوسي ارتد عن متابعته سريعاً !
 - وإذا كانت البقرة تفهم ما يريده (منها) القصابون ، فمتى كانت تتبعهم حتى الحانوت ؟ !

- وتأكل النخالة من أيديهم ، أو تدر لهم اللبن (عندما يربتون ضرعها) ملقا .
- ومتى كانت تهضم علفها إن أكلت ، إذا فهمت ما هو المقصود من هذا العلف ؟ !
- 1330 -** ومن هنا فإن عماد هذه الدنيا هو الغفلة ، وما هي الدولة (المسماة بالفارسية دولت ؟) ، إنها من « دو » بمعنى السعي ثم « لت » بمعنى الضرب .
- فأولها عدو وسعى وفي النهاية ، تقول لك تعرض للضرب ، ولا يكون موت الحمار إلا في هذه الخرابة .
- والعمل الذي امسكته بكتنا يديك جادا ، لا يزال عيبه في هذه اللحظة مخفيا عليك .
- ومن هنا تستطيع أن تبذل جهدك في هذا العمل ، لأن الخالق قد أخفى عيبه عليك .
- 1335 -** وهكذا تكون أية فكرة ترى نفسك متحمسا لها ، يكون عيب هذه الفكرة مخفيا عليك .
- وإن ظهر لك هذا العيب فيه والشين ، لجعلت روحك بينها وبينه هربا بعد المشرقين .
- والأمر النئى تندم عليه في نهايته ، لو كان هذا حاله من البداية فمتى كنت تسرع في أثره ؟ !
- ومن ثم فقد أخفاه في البداية عن أرواحنا ، حتى نقوم بهذا الأمر كما قضى علينا (أن نقوم به) .
- وعندما نفذ حكم القضاء ، فتحت العين لكي يحدث الندم .

- وهذا الندم أيضا قضاء آخر فأتترك الندم إذن وكن عابدا للحق .

- 1340 -** وإن تتعود على الندم ، تصير من هذا الندم أكثر ندما .
- فيمضي نصف عمرك في التشتت والاضطراب ، ويمضي نصفه الآخر في الندم .
- فاترك (هذا النمط) من الفكر والندم ، وابحث عن حال أفضل ورفيق أفضل وعمل أفضل .
- وإن لم يكن في يدك عمل أفضل ، لفوت أي شيء إذن يكون ندمك ؟ !
- وإن عرفت طريقا طيبا (فاسلكه) واعبد الله ، وإن كنت لا تعرف فكيف تعرف أن هذا (الذي أنت فيه) سيء ؟ !!

- 1345 -** إنك لا تعرف الشر ما لم تعرف الخير ، إن الشيء يمكن رؤيته بضده أيها الفتى .
- وما دمت عاجزا عن التفكير في ترك هذا (الندم) ، فأنت آنذاك عاجز عن (ترك) ارتكاب المعصية .
- وإذا كنت عاجزا فمن يكون الندم ، وابحث ثانية جذب من كان ذلك العجز .
- ولم ير أحد في الدنيا عجزا بلا قدرة ، ولا يكون هذا ، وكن واثقا من قلبي .
- وهكذا فإن أية رغبة تشتهيها ، فأنت في حجاب من عيوبها .

- 1350 -** ولو أن عيب تلك الرغبة ظهر في البداية ، لجفلت روحك نفسها من السعي والبحث عنها .
- ولو أنه أبدى لك عيوب أمر ما ، فلن يستطيع أحد أن يجعلك تتجه نحوه ولو جارا »
إياك « .

- وذلك الأمر الآخر الذي تكون نافرًا منه ، وإنما يكون (نفورك منه) لأنه عيبه قد ظهر لك .

- فيا الهى يا عالما بالسر يا حلو الكلم ، لا تخف عنا عيوب الأمور السيئة .
- ولا تظهر لنا عيوب الأمور الطيبة ، حتى لا نفقد حماسنا للسير ونصبح هباء .

1355 - وحسب عادته فإن سليمان السنى ، دخل المسجد في ضوء النهار .
- كان الملك يبحث عما اعتاده كل يوم ، وهو أن يرى في المسجد نباتًا جديدًا
- إن القلب يرى السر بتلك العين الصافية ، فقد كان يرى تلك النباتات التي كانت خفية على العوام .

قصة الصوفي الذي جلس في الروضة ورأسه على ركبته في حال المراقبة
فقال له رفاقة : ارفع رأسك وشاهد الحديقة والرياح والطيور
وأثار رحمة الله تعالى

- وضع صوفي وجهه بين ركبتيه (انتظارا) للكشف والمشاهدة وكان في حقيقته .
- ثم غاب في نفسه بعمق ، فتضايق أحد الفضوليين من هيئة نومه .

1360 - وقال له : أي « موضع » لنومك هنا ، انظر آخرًا إلى الكروم وشاهد تلك الأشجار والآثار والخضر .
- واستمع إلى أمر الحق إذ قال : انظروا ، وانتبهوا إلى آثار رحمته .
- فأجابه : أثارها هي القلب أيها المتهوس ، ولكن تلك الموجودة خارج (القلب) هي آثار آثار فحسب .
- والبساتين والخضرة في ذات الروح ، وما هو خارج (الروح) صورتها كما تكون في الماء الجاري .

- إنه خيال البستان في الماء ، الذي يصيب بالاضطراب هكذا من لطف الماء

1365 - وهناك بساتين وثمار في القلب ، ولكن لطفها (منعكس) على هذا الماء والطين .

- ولو لم يكن هذا الانعكاس لأشجار سرو السرور ، لما سماها الله تعالى دار الغرور .
- وهذا الغرور يعنى أن هذا الخيال هو من انعكاس قلوب رجال (الله) وأرواحهم .
- لكن كل المغرورين اتجهوا إلى هذه الصورة ، ظنا منهم أنها دار الجنان .
- ويهربون (مبتعدين) عن أصول هذه البساتين ، ويوجهون كل هذا الهيام إلى خيال .

1370 - وعندما يرفعون رؤوسهم من نوم الغفلة ، يرون الحقيقة ويعلمون جدوى هذه الرؤية .

- ومن ثم ففي القبور ، يرتفع النواح والتحسر . . ويصيحون واحسرتاه حتى يوم القيامة .

- وما أسعد ذلك الذي مات قبل الموت ، أي أنه أدرك النذر اليسير « 1 » من أصل ذلك الكرم .

**قصة نمو الخروب في ركن من المسجد الأقصى وحزن سليمان عليه السلام
عندما تحدث معه وذكر اسمه وخاصيته**

« 2 »

- ثم إن سليمان عليه السلام رأى في ركن ما نباتا جديدا قد نما كأنه العنقود .

.....
(1) حر : شم رائحة .

(2) ج : 10 / 177 ثم إن سليمان عليه السلام . . دخل المسجد كعادته ذات يوم . . من القضاء .

- رأى نباتا نادر الوجود جدا . . أخضر نضرا ، يختطف اخضراره النور من البصر .

1375 - فسلم عليه ذلك النبات في الحال ، فرد عليه السلام وبش له من سعادته - وسأله : ما اسمك ؟ ! تحدث إلى بلا فم ، قال : (اسمي) هو الخروب يا ملك العالم . - فسأله : وما خاصيتك ؟ ! أجاب : أن انمو فيخرب المكان (الذي أنمو فيه) - أنا خروب وأعنى خراب المنزل ، وأنا هادم لأساس هذا البناء . - وسرعان ما أدرك سليمان عليه السلام في تلك اللحظة أن الأجل قد حان وأنه سوف يرحل .

1380 - وقال : ما دمت حيا ، فإن هذا المسجد سوف يسلم يقينا من آفات الأرض - وما دمت حيا ، وما دام وجودي مستمرا ، فمتى يمكن أن يصيب المسجد الأقصى الخلل ؟ - ومن هنا ، فإن تهدم مسجدنا . . لن يكون . . - بلا شك - إلا بعد موتنا . - إنه مسجد ، ذلك القلب الذي يكون جسده ساجدا ، والرفيق السيئ هو بمثابة الخروب حيثما يكون مسجد . - إنه رفيق السوء ، وعندما نما حبه في قلبك ، انتبه وأهرب منه وكفاك جدالا .

1385 - واقتلعة من جذوره فإنه عندما يطل برأسه ، فإنه يقوم بهدمك وهدم مسجدك . - أيها العاشق إن الالتواء بمثابة الخروب بالنسبة لك ، فكيف تزحف نحو الالتواء كالأطفال . - واعتبر نفسك مجرمة وادعها مجرمة ولا تخف أن يحرمك ذلك الأستاذ الدرس .

- وعندما تقول أنا جاهل فعلمني ، فإن مثل هذا الانصاف أفضل من الكبرياء .
- وتعلم من أبيك يا وضاء الجبين ، إذ قال قبل الان « ربنا ظلمنا أنفسنا »

- 1390 -** فلا هو تعلل ، ولا هو احتال ، كما أنه لم يرفع لواء المكر والحيلة .
- ثم أن إبليس هو الذي بدأ الجدل قائلاً : لقد كنت أحمر الوجه (عزة) وجعلتني أصفره (ذلاً) .
 - فاللون منك وأنت الذي قمت بصباغتي ، وأنت إذن أس جرمي وآفتى وجرحى .
 - فانتبه ، واقرأ « رب بما أغويتني » ، حتى لا تتحول إلى جبري ، وحتى تقلل من طوافك بالالتواء .
 - فحتام تقفز على شجرة الجبر ، وتلقى باختيارك جانباً ؟ !

- 1395 -** مثل إبليس وذرياته ، فهم مع الله - جل علا - في حرب وجدال .
- وكيف يكون هناك إكراه وجبر وأنت بسعادة بالغة لا زلت تشمر رداءك في العصيان .
 - فهل يمكن أن يمضى أحد سعيداً هكذا إلى ما هو مجبر عليه ؟ ! وهل يمكن أن ينغمس شخص راقصاً هكذا في الضلال ؟ !!
 - كنت تقاتل (بقوة) عشرين رجل في ذلك الأمر ، بينما كان الآخرون يقومون بنصحك !!
 - وكنت تجادل (قائلاً) : هذا هو الصواب ، وهذا هو الطريق (الحق) فحسب . .
 - فمن الذي يعيب على إلا ذلك الذي لا يساوى شيئاً .

- 1400 -** ومتى يقول الشخص الذي يكون مكرهاً مثل هذا ؟ !! وكيف يقاتل هكذا الذي لا يملك طريقة ؟ !

- إن لك الاختيار في كل ما طلبته نفسك ، وكل ما أراده عقلك فأنت مضطر فيه .
- ويعلم كل من هو مقبل مسموح له (بالسر) ، إن الدهاء من إبليس والعشق من آدم
- والدهاء أشبه بالسباحة في البحار ، قليلا ما ينجو (صاحبها) بل هو غريق في نهاية الأمر .
- فاترك السباحة ، ودعك من الكبرياء والحق ، فليس هذا هو نهر جيحون ، وليس جدولا ، إنه البحر (العباب) .

1405 - بل إنه بحر عميق لا ملجأ منه ، يبتلع بحارا سبعة كأنها القشة .
- والعشق بمثابة السفينة بالنسبة للخواص ، قليلا ما يحدث الهلاك بل النجاة في الأغلب .

- فبع الدهاء واشتر الحيرة ، الدهاء ظن والحيرة هي النظر .
- واجعل العقل فداء أمام المصطفى ، وقل حسبي الله فإن الله كفاني .
- ولا ترفض السفينة كما فعل كنعان ، فإن نفسه الداهية هي التي أوردته الغرور .

1410 - (وقال) : سأوى إلى جبل مشيد . فلماذا ينبغي أن أمتن لنوح ؟ ! - ولماذا تجفل من منته يا عديم الرشد ، إذ كان الله - جل وعلا شاكرا له ممتنا منه ؟ ! ! - وإن لم تكن منته موجودة على أرواحنا ، فكيف يتحدث الله شكرا له وامتنانا منه ؟ ! « 1 »
- وأي علم لك أيها الغرارة المليئة بالحسد أن الله سبحانه وتعالى شاكرا له .

(1) أي يضاعف له الله سبحانه وتعالى الإحسان شكرا وامتنانا .

- وليته لم يكن تعلم فن العوم ، لكان آنذاك قد طمع في نوح وسفينته .

1415 - ليته كان جاهلا في الاحتيال كالطفل ، لكان قد تشبث بالأطفال بطرف ثوب الأم .

- أو كان قليل التبهر في علوم النقل ، اذن لا ختطف على وحى القلب من أحد الأولياء
- ومع مثل هذا النور عندما تضع الكتاب أمامك ، فإن روحك المتصلة بالوحي تقوم بعتابك .

- وأعلم أنه كالتيمم في وجود الماء ، (اقصد) علم النقل مع وجود أنفاس قطب الزمان - فاجعل نفسك أبله ، وامض تابعا ، وفيما بعد ، سوف تجد الخلاص من هذا البله فحسب .

1420 - ومن أجل هذا قال سلطان البشر : إن أكثر أهل الجنة هم البله أيها الأب .
- وما دام التذاكى قد أثار فيك الكبرياء والعنجهية ، فصر إبله حتى يبقى القلب سليما .
- وليس الأبله هو الذي ينحنى (للناس) تهريجا (وكدية) ، بل إن الأبله هو الذي يكون حيرانا (فيه) ووالها (منه) .
- وأولئك النساء اللاتي قطعن أيديهن بلهاوات ، لقد كان البله في أكفهن ، ولكنهن خدرن (من تأثير) وجه يوسف .
- فاجعل العقل فداء في عشق الحبيب ، فكل العقول من تلك الناحية من الحي (من لدنه) .

1425 - لقد أرسلت عقول (الأذكياء) عقولها إلى تلك الناحية ، وبقي الأحمق في هذه الناحية حيث لا معشوق .

- فلو أن عقلك يمضى حيرة من هذا المكان ، تكون كل شعرة فيك رأسا وعقلا .
- وليس في تلك الناحية ألم الفكر على الرؤوس ، فالأودية والبساتين هناك تنبت عقولا وأذهانا .
- فعندما تتوجه إلى الوادي تستمع إلى النكات من الوادي ، وعندما تأتي إلى البساتين ينمو نخلك (ويزداد نضارة) .
- فاترك العنجهية والكبرياء في هذا الطريق ، ولا تتحرك ما لم يتحرك مرشدك .

- 1430 -** وكل من يتحرك بلا رأس يكون ذيلا ، وتكون حركته كحركة العقرب .
- فهو معوج السيرة أعمى البصر ، قبيح سام ، ويكون عمله لدغ الأجساد الطاهرة .
 - فاقمعه على رأسه ذلك الذي يكون هذا سيره ، ويكون هذا خلقه وطبعه على الدوام .
 - فصلاحه في هذا القمع حتى تنجو روحه الضعيفة من شؤم الجسد .
 - فخذ السلاح من يد المجنون ، حتى يرضى عنك العدل والصلاح .

- 1435 -** وعندما يكون في يده سلاح ولا عقل له ، فقيد يده وإلا ارتكب مئات الجرائم .بيان أن حصول سيئي الأصل علي العلم والمال والجاه فضيحة لهم وكالسيف الذي يقع في يد قاطع طريق .
- إن تعليم سيئ الأصل العلم ، بمثابة وضع سيف في يد قاطع طريق .
 - وتسليم زنجي ثمل السيف ، أفضل من سقوط العلم في يد من ليس أهلاله .

- فالعلم والمال والمنصب والجاه والإقبال فتنة في أكف سيئى الأصل .
- ومن هنا فرض الجهاد على المؤمنين ، حتى يؤخذ السنان من كف المجنون .

1440 - إن روحه مجنونة وجسده هو سيفه ، فاستعد السيف من هذا السئى الجبلية .
 - ومن ذلك الذي يصنعه المنصب بالجهلة من فضائح ، متى يقوم به مائة سبع
 (ضار) ؟ !

- إن عيبه مستور ، وعندما وجد الوسيلة ، انطلقت حيته من جحرها إلى الصحراء !!
- فتمتلئ الصحراء بالحيات والعقارب ، عندما يصبح الجاهل هو صاحب الأمر
 المستبد « 1 » .

« 2 »

- والمال والمنصب اللذان يحصل عليهما الخسيس ، صار بهما طالبا لافتضاح نفسه .

1445 - فهو إما أن يبخل ويبخس العطاء ، وإما أن يكون سخاؤه في غير موضعه .
 - إنه يضع الشاه في « خانة » « البيدق » ، وهكذا يكون العطاء الذي يعطيه الأحمق
 - وعندما يسقط الحكم في يد ضال ، فقد سقط في بئر بينما كان يظنه جاها .
 - إنه لا يعرف الطريق ، ويقوم بالإرشاد وروحة القبيحة تقوم بإحراق العالم .

-
- (1) حرفيا الأمر المر وهي في مصطلح مولانا يدل علي الحكم الجائر المستبد .
 - (2) ج : (ج - 10 / 198) : وعندما يسقط القلم في يد غادر فلا جرم أن يعلق
 المنصور علي المشنقة

- وعندما أخذ طفل الطريق الصوفي المشيخة ، فإن غول الإدبار قد التهم أتباعه .

1450 - إنه يقول (لتابعه) تعال لأبدى لك القمر ، ومعدوم الصفاء ذاك لم ير القمر قط . .

- وكيف تبديه (له) وأنت لم تره طوال العمر ، إنه صورة القمر في الماء أيها الساذج الغمر ؟ ! - لقد صار الحمقى رؤساء ومن الخوف ، أخفى العقلاء رؤوسهم تحت الكليم .

تفسير يا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ

- لقد دعاه المزمّل لهذا السبب قائلا له : أخرج من الخباء ، يا من هربت (من الناس) .

- لا تلف رأسك بالعباء ولا تخف وجهك ، فالعالم جسم ضال وأنت له الذهن والمخ واللباب .

1455 - هيا ولا تختف من ذلك العار (الذي يثيره) المدعى ، فإن لديك شمع الوحي ذا الأضواء الباهرة .

- هيا قم الليل فأنت شمع أيها الهمام ، والشمع في الليل يكون في قيام .
- وبدون ضيائك يكون النهار المضيئ أيضا ليلا ، وبدون حماك يكون الأسد أسيرا للأرنب .

- فكن الملاح في بحر الصفاء هذا ، فأنت نوح الثاني يا أيها المصطفى .
- إذ ينبغي عالم بالطريق ذو لباب ، لكل سالك ، خاصة في طريق البحر .

1460 - فانهض وانظر إلى قافلة قد عجزت في الطريق ، وفي كل صوب غول قد صار ملاحا .

- أنت خضر الوقت وأنت غوث لكل سفينة ، فلا تمض وحدك (مثلما كان يمضى) روح الله .
- وأبق أمام هذا الجمع كشمع السماء ، وابتعد عن الانقطاع والخلوة .
- إن هذا ليس وقت الخلوة فتعال إلى الجمع ، يا من يكون الهدى بمثابة جبل قاف ، وأنت بمثابة الطائر الملكي (البلح) .
- لقد صار البدر سيارا في صدر الفلك ، وهو لا يترك السير من نباح الكلاب .

- 1465 -** إن الذي يعيبون عليك كأنهم كلاب (تعوى) على بدرك ، إنهم يرفعون نباحهم على الصدر (الذي توجد فيه) .
- إن هذه الكلاب قد صمت عن أمر « انصتوا » ، إنها تنبح على بدرك من قبيل السفه .
 - فيا أيها الشفاء ، حذار ، لا تترك المريض ، لا تتخل عن (كونك) عصا للأعمى من أجل غضب الأصم .
 - ألسنت أنت القائل أن قائد الأعمى من الطريق ، يجد من الإله الثواب والأجر الجزيل .
 - وكل من يقود أعمى أربعين خطوة ، يصير مرحوما ويجد الرشد .

- 1470 -** اذن فقد في هذه الدنيا التي لا قرار فيها ، جماعة من العميان صفا بعد صف .
- هذا هو عمل الهادي وأنت الهادي ، وأنت الفرخ في مأتم آخر الزمان .
 - هيا وقد يا إمام المتقين ، هؤلاء المنكرين ، من الخيال إلى اليقين .
 - وكل من يجعل قلبه رهينا بالمكر والكيد لك ، أضرب أنا عنقه فامض سعيدا .

- بل وأضع أنواعا من العمى على عماه ، وأعطيه السم ويحسبه سكرًا .

1475 - لقد استضاءت العقول من نوري ، وكل أنواع المكر تعلمت من مكري .

- وماذا تكون خيمة ذلك التركماني (الواهية) ، أمام أقدام فيلة الدنيا الهائجة .

- وماذا يكون مصباحه ذاك أمام ريحي الصرصر يا رسولي العظيم . .

- قم ، وانفخ في الصور المهول ، حتى ينبعث الآن الموتى من القبور .

- وما دمت إسرائيل الوقت ، فانهض واقفا ، وأقم القيامة من قبل أن تقوم القيامة .

1480 - وكل من يقول أين القيامة أيها المحبوب ، أبد نفسك له قائلا : ها أنا القيامة .

- وأنظر أيها السائل الممتحن ، فقد زيدت (على الكون) مائة دنيا من هذه القيامة .

- وإذا لم يكن أهل هذا الذكر والقنوت . فجواب الأحقق أيها السلطان هو السكوت .

- فمن سماء الحق يكون السكوت هو الجواب ، عندما يكون الدعاء أيها الحبيب - غير

مستجاب .

- واسفاه لقد آن أوان الحصاد ، ولكن اليوم من إدبارنا أخذ في الزوال .

1485 - والوقت ضيق ، وسعة هذا الكلام ، يضيق بها العمر ذو الدوام .

- إن اللعب بالحراب في هذه الأزقة الضيقة ، يصيب بالضيق اللاعبين بالحراب .

- الوقت ضيق ، وخاطر العوام وأفهامهم أشد ضيقا من الوقت مائة مرة . . أيها

الغلام

- فما دام جواب الأحمق هو السكوت ، فلماذا تمط في الكلام وتطيل .
- ذلك أنه من كمال رحمته وأمواج كرمه ، يهب لكل أرض بور المطر والطل .

**في بيان أن ترك الجواب جواب تثبت هذا القول القائل
بأن جواب الأحمق السكوت ، وشرح هذين القولين
في هذه القصة التي سوف تحكي**

- 1490 -** كان هناك أحد الملوك وكان له عبد مبيت العقل حي الشهوة .
- كان يترك دقائق خدمته ، وكان يفكر في الشر ويظنه خيرا .
 - فقال الملك : قللوا كرايته، وإذا اعترض فقوموا بمحو اسمه من قائمة «الكرايات».
 - كان عقله ناقصا وكان حرصه زائدا ، فعندما رأى كرايته قد نقصت احتد وغضب .
 - فلو كان له عقل لفتش في أمور نفسه « 1 » ، ولرأى جرمه ، ولغفى عنه .

- 1495 -** وعندما يتمرد الحمار مقيد القدم من حماريته ، تقيد كلتا قدميه ويوصل القيد برأسه .
- فيقول الحمار : يكفيني قيد واحد ، فلا تعتبر (أيها السامع) كلامه ، فإنهما معا من فعل ذلك الخسيس « 2 » .

.....

(1) حر : لطاف حول نفسه .

(2) ج : (10 / 209) :

فلو كان ذلك الأعمى رأي سر القيد ، لما وضعوا قيда آخر علي قوائم - ولو كان عالما بالجرم الذي أدي إلي قيد القدم ، لنجا من قيد اليد والقدم - ولو استسلم للقيد ذلك الفضولي ، لما كان حمارا بل كان أسدا هصورا .

في تفسير هذا الحديث للمصطفى عليه السلام وهو :
 إن الله تعالى خلق الملائكة وركب فيهم العقل وخلق البهائم وركب فيها الشهوة
 وخلق بني آدم وركب فيهم العقل والشهوة فمن غلب عقله شهوته
 فهو أعلي من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو أدني من البهائم .

- جاء في الحديث أن الله المجيد ، خلق (خلق) العالم على ثلاثة أنواع .
- ففريق له كل العقل والعلم والجود ، وهم الملائكة ولا يعرفون غير السجود (للخالق) .
- وليس في عنصره الحرص والهوى ، فهو نور مطلق حي من عشق الله .

1500 - وهناك فريق آخر فارغ في المعرفة ، وهو الحيوان ، وهو في سمنه من العلف .

- وهو لا يرى سوى الإصطبل والعلف ، فهو غافل عن الشقاوة وغافل عن الشرف .
- والثالث هو الانسان أي البشر ، إن نصفه ملاك ونصفه حمار .
- إن النصف الحماري منه ميل إلى أسفل ، أما النصف الآخر فميل إلى العقل » 1 « .
- والصنفان الأوليان مستريحان من الحرب والصراع ، أما الانسان فعلى خلافهما . .
- في عذاب و (نصب) .

1505 - وهؤلاء البشر قسموا أيضا على سبيل الامتحان ، فهم على شكل واحد انساني ، لكنهم أمم ثلاثة .

.....
 (1) ج : (ج 10 / ص 214) :

إنه ينقلب إلي غراب عندما يسرع في أثر الغربان ، وتنقلب الروح جسدا عندما تكون بدونه .

- فأمه صارت مستغرقة في المطلق ، فألحقت كعيسى عليه السلام بالملائكة .
- إنه على صورة آدم لكنه في المعنى جبريل ، لقد خلص من الغضب والهوى والقال والقليل .
- لقد نجا بالرياضة والزهد والجهاد ، وكأنه هو نفسه لم يولد من آدمي .
- وأمة أخرى ألحقت بالحر ، لأنهم صاروا غضبا محضا وشهوة مطلقة .

1510 - لقد كانت فيهم صفات جبريل ومضت إلى حال سبيلها كانت الدار ضيقة وكانت تلك الصفات عظيمة .

- إنما يموت ذلك الشخص الذي بلا روح ، ويكون حمارا ذلك الذي تكون روحه خالية من تلك (الصفات) « 1 » .
- ذلك أن الروح التي لا تحتوى على تلك (الصفات) تكون دنية ، وهذا الكلام حق وقد قاله الصوفي .
- فهو يعاني من الشقاء أكثر مما يعانيه الحيوان ، ويقوم في هذه الدنيا بأمر دقيقة .
- وما يستطيع القيام به من حيلة ومكر ، لا يمكن أن تتأتى من حيوان آخر .

1515 - ودقائق علم الهندسة وعلم الفلك وعلم الطب والفلسفة .

- كنسج الثياب المذهبة ، واستخراج الدر من قاع البحر .
- كلها متصلة بنفس دنياه هذه ، وليس له طريق (بها) إلى السماوات السبع .
- وكل هذا العلم أساس للأصطبل ، فهو عماد لوجود الإبل والثيران .
- ومن أجل استبقاء الحيوان بضعة أيام ، سماها هؤلاء الحمقى بالرموز .

(1) ج : 10 / 214 : إنه ينقلب إلى غراب عندما يسرع في أثر الغرابان ، وتنقلب الروح جسدا عندما تكون بدونها .

1520 - أما علم الطريق الحق وعلم منزله ، يعلمها صاحب القلب بقلبه .
 - ومن ثم ففي هذا التركيب خلقا حيا لطيفا وجعله مؤتلفا مع المعرفة .
 - وأطلق على هؤلاء القوم لقب أنهم كالأنعام ، فأية صلة للنوم باليقظة ؟
 - فليس للروح الحيوانية إلا النوم ، وأحاسيس هذا الصنف من الناس أحاسيس معكوسة .
 - وعندما تأتى اليقظة لا يبقى النوم عند الحيواني ، وانما يقرأ من اللوح عكس ما كان يحس به .

1525 - مثل حس ذلك الذي اختطفه النوم ، ظهر على عكسه تماما عندما استيقظ .
 - فلا جرم أن يكون في أسفل سافلين ، اتركه اذن (فأنا) لا أحب الآفلين

في تفسير هذه الآية وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
وقوله تعالى يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا

- لقد كان لديه الاستعداد للتبديل والصراع ، (للتخلص) من الضعة ، لكنه فقد من ضعته .
 - ثم إن الحيوان عذره واضح في البهيمية ، لأنه لا استعداد لديه .
 - وعندما مضى الاستعداد عنه وهو المرشد (في هذه الأمور) فكل غذاء أكله كان يجلب الحمق والجنون « 1 » .

1530 - عندما يأخذ منها مقويا للذهن « 2 » يتقلب عنده إلى أفيون ، وتزيد عنده السكته والجنون .

.....

- (1) حر : فكأنه أكل مخ حمار .
 (2) حر : بلاذر وهو عقار يسمى القليبي يؤخذ للتنبه واليقظة .

- وبقي قسم ثالث (من البشر) في جهاد ، نصفه حيوان ونصفه حي ذو رشاد .
- انه ليل نهار في حرب وفي صراع ، وآخره مع أوله في نزاع .

**نزاع العقل مع النفس مثل نزاع المجنون مع الناقة فميل المجنون
إلى الحرة وميل الناقة وراءها إلى فصيلها كما قال المجنون :
هوي ناقتي خلفي وقدامي الهوي وإياها لمختلفان**

« 1 »

- أنهم (أي الفئة الثالثة من البشر) كالمجنون وناقته ، يقودها إلى الأمام فتتقهقر هي إلى الخلف بعناد .
- فميل المجنون متجه إلى الامام نحو ليلى ، وميل الناقة إلى الخلف مسرع نحو الفصيل .

1535 - ولو أن المجنون قد غفل عن نفسه لحظة واحدة ، لاستدارت الناقة وعادت القهقرى .

- ولما كان بدنه مليئاً بالعشق والهوى ، لم يكن يكن هناك بد من أن يفقد الوعي .
- كان الذي يراقب له (الوضع) هو العقل ، لكن عشق ليلى اختطف العقل .
- لكن الناقة كانت مراقبة ومتنبهة ، وعندما كانت ترى زمامها قد أرخى ،
- كانت تفهم أنه صار غافلاً عنها ذاهلاً ، فكانت تعود نحو فصيلها دون امهال .

.....

(1) ج / 10 - 213 : مثل المجنون في نزاعه مع ناقته ، حيناً تنتصر الناقة وحيناً ينتصر المجنون الحر .

1540 - وعندما كان (المجنون) يعود إلى وعيه ، كان يرى أنها تقهقرت عن المكان بمسافة بعيدة .

- وهكذا على هذا المنوال بقي المجنون في طريق يومين أو ثلاثة مترددا لسنوات .
- فقال : أيتها الناقة ، ما دام كلانا عاشقا ، فنحن ضدان ، ولا نصلح رفاق طريق .
- ليست محبتك وليس زمامك وفق هواي ، ومن ثم على أن أختار على صحبتك .
- وهذان الرفيقان كلاهما قاطع لطريق الآخر ، وضالة تلك الروح التي لا تنزل عن الجسد .

1545 - فالروح في فاقة لهجرها العرش ، والجسد من عشقه للشوك والحسك كالناقة .
والروح تفتح القوادم نحو أعالي الأعالي ، والجسد قد تشبث في الأرض بمخالبه .
- فما دمت أنت معي يا ميته (هياما) في وطنك ، فإن روحي سوف تبقى بعيدا عن ليلي .

- لقد مضت أيامي من هذا النسق من الأحوال ، مثل التيه وقوم موسى عددا من السنين
- كان هذا الطريق « عبارة » عن خطوتين حتى الوصال ، ومن فحك « 1 » دام ستين عاما

1550 - إن الطريق قريب لكني تأخرت كثيرا ، ولقد صرت ملولا من هذا الركوب بل شديد الملل .

.....
(1) حر : شكك .

- وألقى (المجنون) بنفسه منقلبا من فوق الناقة ، وصاح : صرت محترقا من الغم ، فحتام حتام .
- لقد ضاقت عليه الصحراء على اتساعها ، فألقى بنفسه في أحد المحاجر .
- وهكذا ألقى بنفسه بعنف ، بحيث صار جسم ذلك الشجاع محطما .
- وعندما ألقى بنفسه هكذا إلى أسفل ، شاء القضاء أن تكسر ساقه في تلك اللحظة .

- 1555 -** فربط ساقه . . وقال : لأتحول إلى كرة ، ولأمضى متدحرجا في ثنيات (شعرها) الذي يشبه الصولجان .
- ومن هنا فإن الحكيم حلو الكلام يلعن ذلك الفارس الذي لا ينزل من فوق الجسد .
 - ومتى يكون عشق المولى أقل من عشق ليلي ؟ ! إن التحول « إلى كرة » أولى من أجله هو .
 - فصر كرة ، وداوم طوافك على جانب الصدق ، (وظل) متدحرجا في ثنيات صولجان العشق .
 - بحيث يكون هذا السفر من الآن فصاعدا جذب من الله ، لكن ذلك السفر على الناقة سير لنا .

- 1560 -** وإن هذا السفر لخارج « عن كل جنس آخر » (من السفر) ، أنه زائد على اجتهاد الجن والانس .
- ومثل هذا الجذب ليس ككل جذب عام ، لقد وضعه فضل أحمد ، والسلام .

[كتابة ذلك الغلام رقعة شكوى إلى الملك]

كتابة ذلك الغلام رقعة شكوى من نقص أجره إلى الملك .

- أقصر هذه القصة من أجل ذلك الغلام ، الذي كتب رسالة إلى الملك .

- (كتب) رقعة مليئة بالاعتراض والكبرياء والحق ليرسلها إلى الملك رقيق الحاشية .
- إن الجسد كالكتاب فانظر إليه ، هل يليق بالمليك ؟ ثم احمله إليه .

1565 - وامنض إلى ركن وافتح الكتاب واقرأ ، وأنظر عمّا إذا كانت كلماته لائقة بالملوك .

- وإذا لم تكن لائقة بهم فمزقه ، واكتب كتاباً آخر ، وابحث عن وسيله (لإجادته) .
- لكن إياك أن تعتبر فتح كتاب الجسد أمراً سهلاً ، وإلا لرأى كل إنسان سر القلب عياناً .

- ويا لفتح الكتاب من أمر صعب وجل ، أنه عمل الرجال وليس من عمل الأطفال (الذين يلعبون) بعظام الكعب .

- لقد قنعنا جميعاً بالفهرست (من هذا الكتاب) ، ذلك لأننا جميعاً انغمسنا في الحرص والهوى .

- 1570 -** إن هذا الفهرس ما هو الا فخ للعوام ، إلى أن يعلموا متن الكتاب .
- فافتح على فاتحة الكتاب ولا تلو عنقك عن هذا الكلام ، والله أعلم بالصواب .
- وهذا العنوان هو بمثابة اقرار اللسان ، فامتحن صدرك إذن بمتن الكتاب .
- عما إذا كان يوافق اقرارك (أو لا يوافقه) ، وحتى لا يكون أمرك كالمنافق .
- وعندما تحمل جوالاً ثقيلاً جداً ، فهو لا يخف عنك حتى تنتظر فيه ،

1575 - ماذا لديك في هذا الجوال من حلو ومن مر ، فإذا كان يستحق الحمل فاحمله .

- وإلا فأفرغ جوالك من الحجر ، واشتر نفسك ثانية من هذه السخرة والعار .
- وضع في الجوال ما ينبغي حمله إلى السلاطين والملوك الرشداء العظام . « 1 »

**حكاية ذلك الفقيه ذي العمامة الضخمة مع ذلك الذي اختطف عمامته
فأخذ يصيح فيه : فكها وأنظر ما فيها ثم اسرقها**

- كان أحد الفقهاء قد جمع بعض الخرق ، ولف عليها عمامته ، - حتى تصير ضخمة ويبدو هو عظيما ، عندما يدخل إلى مجلس في « الحطيم » .

1580 - لقد أعد بعض خرق الملابس ، وهياً منها ما يبدو أنه عمامة في الظاهر .
- (فكان) ظاهر العمامة كحلة من حلل الجنان ، أما باطنها فكان كالمنافق مفتضحا قبيحا .

- وكانت جذازات من الخرق والقطن والجلد قد دفنت داخل تلك العمامة .
- واتجه إلى المدرسة في الصباح ، حتى يجد الفتوح بهذا المظهر (الخلاب) !!
- وفي طريق مظلم كان أحد لصوص الملابس قد كمن منتظرا ومترصدا لكي يزاول مهنته .

1585 - فاختطف العمامة من فوق رأسه ، ثم انطلق مسرعا ليقضى أموره !
- فصاح به الفقيه : يا بني ، فك العمامة ، ثم اسرقها .

.....
(1) ج / (10 / ص 235) :

أليس من القبيح أن تحمل هذا الجوال المليء بالوحد وتتركه عنك ميراثا ؟
وإذا كنت لا تستطيع أن تملأه بالياقوت ، فأولي به أن يكون فارغا هذا الجسد

- هذه التي تختطفها وتنطلق هكذا بأربعة أجنحة . . افتح أولاً تلك الهدية التي تحملها !!
- افتحها وتفحصها بيديك . . وخذها آنذاك ، فقد وهبتها لك حلالاً .
- وعندما حلها ذلك الذي يسرع (في الهرب) ، تساقطت مئات الآلاف من الخرق في يده .

1590 - ومن تلك العمامة الضخمة التي لم تكن لازمة له ، بقي ذراع من الخرق في يده .
 - فألقى بها على الأرض قائلاً : يا عديمة القيمة . . لقد قمت بتعطيلنا عن العمل بهذا الاحتيال !! « 1 »

نصيحة الدنيا لأهل الدنيا بلسان الحال وغدرها بمن يطمعون منها في الوفاء

- قال (الفقيه) : لقد أبديت المكر ، لكنني كررت لك النصيحة عن واقع الأمر .
- وهكذا الدنيا بالرغم من أنها شديدة الفتنة ، فقد صاحت هي الأخرى وتحدثت عن غدرها .
- وفي هذا الكون والفساد أيها الأستاذ ، فإن ذلك المكر هو الكون ، وذلك الفساد هو النصيحة .

1595 - يقول لك الكون : تعال فأنا مبارك الخطى ، ويقول لك الفساد : امض فأنا لا شئ .
 - فيا من تعض بالنواجذ على حسن الربيع ، انظر إلى برودة الخريف واصفراره .

.....
 (1) ج / (10 / 240) :

ما هذا المكر . . وما هذا التزوير والاحتيال الذي كان يلقي بي في هوي الصيد . . ألم تخجل من هذه الخرق . . لقد أوقعت بي باحتيالك يا كثير الاحتيال .

- لقد رأيت في الصباح طلعة الشمس الجميلة ، فنتذكر موتها عند الغروب .
- لقد رأيت القمر على هذا الفلك سعيدا ، فانظر إلى حسرته أيضا عندما يكون في المحاق .
- لقد صار أحد الأطفال من الحسن مولى للخلق ، أنه بعد غد يصير مخرفا مفتضحا بين الخلق .

- 1600 -** فإذا كان جسدُ فضي لواحدة من ذوات الأجساد الفضية قد صادك ، فانظر بعد الشيخوخة إلى جسد كأنه حقل القطن .
- ويا من رأيت دسم الطعام ، انهض وأنظر إلى فضلاته في المرحاض .
 - وقل لذلك الخبث أين حسنك ، وأين تلك اللذة والدسامة والرائحة التي كانت في الطبق .
 - فيقول : كان هذا حبًا وأنا شبكة ، وعندما سقطت أنت في الفخ أختفى الحب .
 - وما أكثر الأنامل التي كانت الأساتذة يحسدونها على صنعتها ، صارت في النهاية (ضعيفة) مرتعشة .

- 1605 -** والعين التي تشبه النرجس الوسنان كالروح ، أنظر إليها في النهاية وقد عشت وأخذت المياه تتساقط منها .
- والأسد الذي كان يشق صفوف الأسود ، يصير في النهاية مهزوماً من فأر .
 - والنشط المقتحم الخبير في حرفته ، أنظر إليه في النهاية (يكون) مخرفا كحمار عجوز .
 - والجديلة الجعداء الفواحة بالمسك سالبة العقل ، أنظر إليها في النهاية كذيل الحمار الأشهب القبيح .

- أنظر إلى كونها ذي الانبساط في البداية ، وأنظر في النهاية إلى افتضاحها وفسادها .

1610 - ذلك أنها نصبت الفخ ، واقتلعت أمامك شوراب الساذج الغفل .
- إذن فلا تقل إن الدنيا خدعتني بتزويرها (واحتيالها) ، وإلا لكان عقلي قد هرب من شبكتها .

- فهيا أنظر إلى الطوق الذهبي والحمائل ، لقد صارت غلاً وقيداً وسلسلة .
- وهكذا اعتبر - على الدوام - كل جزء من أجزاء العالم ، وأنظر إلى أوله وآخره .
- وكل من صار أكثر تبصراً بالعواقب صار أسعد ، وكل من هو أكثر نظراً إلى الإصطبل صار أكثر بعداً (عن الله) .

1615 - فانظر إلى وجه كل انسان صار متألّقا كالقمر ، وما دامت قد رزقت البداية فانظر إلى النهاية .

- حتى لا تكون أعور كإبليس ، ترى نصف الشئ ولا ترى نصفه الآخر ، ما دمت أبتّر (الرؤية) .

- لقد رأى طين آدم ولم ير دينه ، ورأى هذا العالم ولم تكن له رؤية إلى ذلك العالم .
- وفضل الرجال على النساء أيها الهمام ، ليس راجعا إلى قوتهم أو كسبهم أو ضياعهم .

- وإلا لكان للأسد وللفيل فضل على الإنسان لقوتهما ، أيها الأعمى .

1620 - وفضل الرجال على النساء يا عابداً للحظة ، مستنداً على أن الرجل أكثر تدبرا للعواقب .

- والرجل الذي يكون ساذجا في تدبر العواقب ، هو في رأى أهل العواقب ناقص كالمرأة .
- ومن الدنيا ينطلق صوتان متناقضان ، (فانظر) لأيهما تكون أنت (قابلا) مستعدا .
- أن أحدهما هو صوت نشور الأتقياء ، أما الآخر فهو صوت خداع الأشقياء « 1 » .
- (تقول) : أنا براعم شوك فواسنى أيها الطيب ، إن الورد يتساقط منى ، وأبقى (مجرد) غصن من الشوك .

- 1625 -** إن صوت براعمها ينادى : هاهنا بائع الورد لكن صوت شوكها ينادى : لا تسع نحوها .
- لقد قبلت ذلك الصوت . . وعجزت عن (سماع) هذا الصوت الآخر ، وذلك أن المحب أصم عن كل ما يضاد محبوبه .
 - فهذا الصوت صائح بك : ها أنا ذا ، هيت لك ، والصوت الآخر صائح بك : انظر إلى عاقبتى .
 - إن ما هو جاهز لدى هو المكر والكمين ، فانظر إلى صورة العاقبة في مرآة البداية .
 - وعندما تدخل في جوال من هذين الجوالين ، تصير مضادا للآخر وغير مناسب .
- 1630 -** وما أسعد من سمع من البداية ، ما سمعته عقول رجال (الله) وأسماعهم .
- وجد البيت خاليا وأتخذ مكانه فيه ، وكان غيره يبدو ملتويا وعجيبا .
-
- (1) ج / (10 / 242) فاستمع إلى صوت البراعم وإلى صوت الأشواك ، ومن بعدها صر رهنا لصوت أشواكها !!

- فالآنية الجديدة إن وضع فيها البول ، لا يستطيع الماء أن يطهر ما فيها من خبث .
- وفي العالم كل شئ يجذب شيئاً ، والكفر يجذب الكافر ، والرشد يجذب المهتدى .
- وهناك أيضا الكهرمان كما أن هناك حجر المغناطيس ، حتى تصاد إن كنت قشاً أو حديداً .

- 1635 -** فإذا كنت حديداً يجذبك المغناطيس ، وإذا كنت قشة تنجذب نحو الكهرمان .
- وما دام أحدهم ليس صديقاً للأخيار ، فلا جرم أنه صار جاراً للفجار .
 - وأن موسى لذميم جدا عند قوم فرعون ، كما أن هامان رجيماً جدا عند بني إسرائيل .
 - فصارت روح هامان جاذبة لروح قوم فرعون ، وصارت روح موسى طالبة لبني إسرائيل .
 - ومعدة الحمار تجذب القش عندما تقوم بال جذب ، أما معدة الإنسان فتجذب حساء القمح .

1640 - وإن لم تعرف أنت أحداً من (شدة) الظلام ، فانظر إلى الذي اتخذه إماماً

بيان أن للعارف غذاءً من نور الحق مصداقاً لـ «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»
وقوله عليه السلام «الجوع طعام الله يحيى به أبدان الصديقين»
أي أنه في الجوع يصل طعام الله

- وذلك لأن كل مهر يسير خلف أمه ، حتى تظهر بذلك مجانسته .
- واللبن يصل إلى الإنسان من الصدر ، لكن اللبن الذي يصل إلى الحمار يكون من أسفل (البدن) .

- والعدل قسام ، وجدير بالقسمة وقابل لها ، وهذا هو العجب فلا جبر ولا ظلم .
- فإن كان ثم جبر متى كنت نادما ، وإن كان ظلم متى كان حافظا .

1645 - لقد انتهى اليوم ، وغدا يكون الدرس ، ومتى يكون اليوم مستوعبا لأسرارنا .
« 1 »

- فيا من صرت مطمئنا وعلى ثقة (اعتمادا) على نفس فاسق وعلى نفاقه ، « 2 »
- لقد صنعت قبة من الحباب ، وفي النهاية إن تلك الخيمة واهية الحبال .
- إن الاحتيال والتلبيس كأنه البرق وعلى نوره لا يستطيع السالكون رؤية الطريق .
- وهذه الدنيا وأهلها بلا نتيجة ، وكلهم في الغدر على قلب رجل واحد .

1650 - وابن الدنيا عديم الوفاء كالدنيا ، فهو إن اتجه إليك بوجهه ، فوجهه هذا قفا .
- أما أهل ذلك العالم فهم سامون عالون مثل ذلك العالم ، وهم قائمون على العهد والميثاق إلى الأبد .

- فمتى تخاصم نبيان معا ، ومتى أخذ أي منهم معجزة آخر .
- ومتى تصير ذابلة ثمار ذلك العالم ، إن السرور العقلي لا ينقلب إلى هموم .
- والنفس بلا عهد ومن هنا فهي جديرة بالقتل ، إنها دنية وقبلتها دنية .

.....
(1) ج / (10 - 250) والخلاصة أن دقق النظر والذهاب والله أعلم بالصواب .
(2) عنوان جديد عند جعفري (ج - 10 ص 252) خطاب إلي المغرورين بالدنيا وضحايا النفس الأمارة .

- 1655 -** وهذا المحفل (الدنيوي) لائق بالنفوس ، كما يليق بالميت القبر والكفن .
 - والنفوس وإن كانت ذكية عالمة بدقائق (الأمور) فاعتبرها ميتة لأن قبلتها الدنيا .
 - ومتى وصل ماء الوحي إلى هذا الميت ، انبعث حيا من القبر .
 - وما لم يأت وحيك لا تغتر بحسن زائف ، يدعو لك بطول البقاء .
 - فابحث عن ذكر لا يخمل وشهرة (لا تنقضى) واطلب ضوء الشمس التي لا تأفل .

1660 - فإن تلك الفنون الدقيقة والمجادلات بمثابة قوم فرعون ، والأجل كأنه ماء النيل .

- فإن رونقهم وقعقتهم وسحرهم ، وبالرغم من أنها تجذب الخلق مسحوبين من رقابهم
 - اعلم أنها كلها من سحر السحرة ، واعلم أن الموت هو تلك العصا التي انقلبت إلى حية .
 - وابتلعت السحرة كلهم دفعة واحدة ، وكانت هناك دنيا اجتاحتها الليل فابتلعها (نور) الصباح .
 - وذلك النور لم يزد من التهامها ، بل ظل على النفس النسق الذي كان عليه .

1665 - لقد زاد في أثره ولم يزد في ذاته ، لأن الذات لا تعثرها الزيادة أو النقصان .

- كما أن الحق لم يزد من خلق الخلق ، ولم يصر إلى « حاله » لم يكن عليها منذ البداية .
 - لكن أثره ازداد من خلق الخلق ، وهناك فرق بين هاتين الزياتين .

- إن زيادة الأثر هي إبداعه . . حتى تظهر صفاته ، (ويتجلى) صنعه .
- أما زيادة الذات فإنما تكون دليلاً على أنها حادثة ونتيجة لعلّة . « 1 »

**تفسير فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ،
قُلْنَا : لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى**

- 1670 -** قال موسى عليه السلام - « إن السحر أيضا محير للخلق » ، وماذا أفعل وليس عند هؤلاء تمييز .
- قال الحق : إني أخلق (فيهم) التمييز ، وأجعل العقل الذي لا تمييز عنده مبصرا .
- « 2 »
- فبالرغم من أنهم في (هيبة) البحر (يرغون) ويزبدون ، فإنك أنت الأعلى يا موسى ولا تخف .
- لقد كان السحر فخرا في عصره ، وعندما صارت العصا حية صار عارا
- وكل إنسان يدعى الحسن والملاحه ، فإن حجر الموت بالنسبة له هو محك ملاحه .
- 1675 -** لقد مضى عهد السحر ، ومضت معجزة موسى ، وكلاهما (السحر والمعجزة) سقط طستهما من سقف الوجود . « 3 »
- وماذا بقي من صوت طست السحر إلا اللعنة ؟ ! وماذا تبقى في صوت طست الدين إلا الرفعة ؟ !
- وعندما اختفى المحك بين الرجال والنساء ، أدخل في الصف أيها الزيف ، وتنفج الآن بالادعاء .

- (1) ج / (10 / 253) :
- لقد تمت الفكرة هنا أيها الرفيق ، فانصت جيدا إلي المقالات الدقيقة .
- (2) ج / (10 / 158) :
- عندما أظهر معجزاتك ، وأجعل العقل قادرا علي رؤيتها وأهب العقل الذي لا تمييز عنده بصيرة وأجعل الجاهل (الحقيير أعمي) (عن رؤيتها) .
- (3) سقوط الطست من السقف كناية علي ظهور الشئ علي الملأ .

- وما دام المحك غائبا أثناء تنفجك وادعائك ، فإنهم يحملونك معززا يدا بيد . « 1 »
- ويقول الزيف بعنجهية : متى كنت أقل منك أيها الذهب في أية لحظة ؟ !

1680 - فيقول الذهب : بلى أيها الرفيق !! لكن استعد فالمحك قادم (في الطريق) !!

- إن موت الجسد هدية لأصحاب السر ، ومتى نقص الذهب الخالص من المقراض ؟ !
- ولو كان الزيف ناظرا في نفسه إلى آخره وعاقبته ، لا سود وجهه من البداية ، لا في النهاية .
- ولو رأى وجه اسود في البداية عند اللقاء ، لكان بعيدا عن النفاق وعن الشقاق .
- لكان طالبا لكيمياء الفضل ، ولتغلب عقله على جبلته .

- 1685 -** ولو أنه أصبح كسير القلب من (سوء) حاله ، لرأى جابر الكسيرين أمامه .
- لقد رأى عاقبته وصار كسيرا ، وفي الانكسار يكون (الجبر) في التو واللحظة .
 - لقد ساق الفضل (الإلهي) النحاس صوب الأكسير ، لكن ذلك (النحاس) المطلى بالذهب بقي محروما عن الكرم .
 - فيا مطلقا بالذهب إياك والادعاء ، فإن مشتريك لن يبقى أعمى هكذا .
 - إن نور المحشر يجعل عيون (المشتري) مبصرة ، ويفضح عمى عينيك .

.....
(1) ج / 10 - ص 258 فيزاداد عزك وتنعمك لحظة بعد أخرى ، وعندما جاء المحك لماذا اسود لونك ؟ !

- 1690 -** فانظر إلى أولئك الذين أبصروا العاقبة ، إنهم حسرة للأرواح وحسد للعيون .
 - وانظر إلى أولئك الذين نظروا إلى الحال (الحاضرة) . إنهم فاسدو الباطن ، قطعوا رؤوسهم عن الحقيقة .
 - وعند الناظر للحال الحاضرة الذين هو في جهل وشك ، فيكون الصبح الصادق والصبح الكاذب سيين .
 - والصبح الكاذب قد أذهب أدراج رياح الهلاك ، مئات الآلاف من القوافل أيها الفتى .
 « 1 »
 - ولا يوجد حال حاضر لا يكون ملقيا (بالمرء) في الخطأ ، وويل لتلك الروح التي لا يكون لها محك ومقراض . « 2 »

زجر المدعى عن الدعوى وأمره بالمتابعة

- 1695 -** لقد قال أبو مسيلمة (الكذاب) : إنني أنا أحمد ، ولقد قضيت على دين محمد بحولى وطولى .
 - فقل لأبى مسيلمة . . كفاك بطرا ، ولا تكن مغرورا بالبداية بل انظر إلى العاقبة .
 - ولا تقم بهذه الزعامة من أجل جمع (المال والجاه) ، بل كن تابعا ليكون شمع (الدين الحق) في مقدمة (الركب) .
 - فإن هذا الشمع يبدي المقصد وكأنه القمر ، (ويبين) أيوجد جب في هذه الناحية أم أنه الفخ نفسه .

-
 (1) ج / 10 - 259 فاطلب الصبح الصادق أيها العزيز ، حتى تصبح من صدقه صاحب تمييز .
 (2) هنا بيت زائد في نسخة جعفري (ج - 10 / 259) لكنه يبدو وخارج السياق :
 - وعد نحو الغلام وكتابه ، فإنه يكتب خطابا جيدا يرسله للملك .

- وسواء أردت أم لم ترد ، فعن طريق المصباح ، تظهر صورة البازي وصورة الغراب .

1700 - وإلا فإن هذه الغربان قد جلبت المكر ، وتعلمت أصوات البزاة البيض .
- فإن تعلم الفتى (تقليد) صوت الهدهد « 1 » ، فأين سر الهدهد وأين النبأ من سبأ ؟ ! - فاعلم الصوت الأصيل من الصوت المقلد ، واعلم تيجان الملوك من تيجان الهداهد .

- لقد وضع هؤلاء الذين لا حياء عندهم على ألسنتهم كلمات الدراويش وإشارات العارفين الدقيقة .

- وإنما هلك كل أمة من الأمم السابقة ، لأنها ظنت الصندل عودا .

1705 - لقد كانوا يملكون التمييز الذي يبين لهم ذلك ، لكن عمى الحرص والطمع يعميان ويصمان .

- وإن عمى العميان ليس بعيداً عن الرحمة ، لكن عمى الحرص أمر لا عذر فيه .
- إن الصلب (الذي يقوم به) الملك لا يستبعد العفو منه ، لكن الصلب (الذي يقوم به) الحسد لا عفو منه .

- ويا أيتها السمكة انظري إلى العاقبة ولا تنظري إلى الشص ، إن قبج الحلق أغمض عينيك التي ترى العاقبة .

- فانظر بعينيك إلى الأولى والآخرة ، وأحذر ولا تكن أعور كإبليس اللعين

1710 - إن الأعور هو الذي يرى الحال (الحاضر) فحسب ، إنه كالبهائم لا علم له بما هو قدامه أو وراءه .

(1) هكذا في نسخة نيكلسون ، أما في نسخة جعفري (10 / 262) :
- فإن تعلمت القطا صوت الهدهد . ويبدو أصح .

- وعندما تكون العينان عيني بقرة فهما في دية التلف مثل عين واحدة إذ لا شرف لهما .
- إن عينيها هاتين قيمتهما بنصف قيمة عين (الإنسان) ، لأنهما معا تستندان على (وجود) عينيك .
- ولو اقتلعت عينا واحدة من إنسان ، فإن ديته نصف دية (العينين) شرعاً .
- وذلك لأن عين الإنسان قائمة بذاتها ، وتقوم بالعمل دون عين رفيق (تقودها) .

1715 - ولما كانت عين الحمار ناظرة إلى الأولى دون الآخرة ، فهو في حكم الأعور وإن كان له عينا .

- إن هذا الكلام لا نهاية له ، وذلك (الغلام) الغبي يكتب رقعة طمعاً في الرغبة . »

« 1

بقية قصة كتابة ذلك الغلام الرقعة طلباً في الأجر

- لقد ذهب قبل أن يكتب الرسالة إلى الطباخ قائلاً له : أيها البخيل من مطبخ الملك السخى .
- إنه من المستبعد منه ومن همته . أن يضع في حسبانته هذا القدر من أجرى !!
- فأجاب : لقد أمر بهذا من أجل المصلحة ، (لم يأمر به) بخلاً أو من ضيق ذات اليد .

1720 - قال : والله إن كان هذا الكلام لتملص ، إن الذهب النضار عن الملك كأنه التراب (كثرة وقيمة) !!

- وبسط الطباخ عشرة براهين ، لكنه ردّها كلها من حرصه الشديد .

(1) هذا البيت موجود في نسخة جعفري (10 / 267) بعد العنوان .

- وعندما قلت كرايته عند الغذاء ، شنع كثيرا ، لكن هذا لم يجده نفعا .
- وقال : إنكم قاصدون متعمدون في كل هذه الأمور ، فأجابوا : لا بل نحن مأمورون .
- فلا تفترض أن هذا الأمر من الفرع بل افترضه من الأصل ، لا تهاجم القوس فالسهم من الساعد .

1725 - ان « ما رميت إذ رميت » هي من قبيل الابتلاء ، أي لا تعتبر النبي مسؤولا !! انه من الله .

- ان الماء من أساسه كدر يا ذاهل البصر ، فانظر إلى ما قبل . . وافتح العين مرة .
- فانصرف (الغلام) غضبا وحزنا . . وانتحي جانبا ، وكتب إلى الملك رقعة غاضبة .
- لقد أئننى في الرقعة على الملك ، وثقب جوهر جود الملك وسخائه .
- قائلا : يا من كفك أسخى من البحر والسحاب ، ولقضاء الحاجة ، أنت باحث عن (أصحاب) الحاجات .

1730 - إن السحاب عندما يعطى يعطى باكيا . . لكنك تمد الموائد اثر بعضها ضاحكا .

- وبالرغم من أن ظاهر الرقعة كان المديح ، فإن رائحة الغضب كانت تفوح بين المديح .
- ومن هنا فكل اعمالك قبيحة خالية من النور ، لأنك بعيد عن نور الطبع
- وإن رونق عمل الأخساء يكون كاسدا ، انه مثل الفاكهة التي زاد نضجها ، سرعان ما تفسد .
- كما أن رونق الدنيا سريعا ما يكسد ، لأنه من عالم الكون والفساد .

1735 - ان الصدور لا تسعد من المديح ، عندما يكون المداخ (مضمرا) للحقد .

- ويا أيها القلب . . تطهر من الحقد والكراهية ، ثم من بعد ذلك اقرأ « الحمد » سريعا .
- أما « الحمد » على اللسان بينما يكون في الباطن إكراه ، فإنه يكون من اللسان تلبيسا أو خداعا .
- ثم إن الله سبحانه وتعالى قال : انني لا أنظر إلى الظاهر ، بل أنظر إلى الباطن .

**حكاية ذلك المداح الذي أخذ يثنى على ممدوحه على سبيل الفخر ،
بينما كانت رائحة همه وحزنه الداخلي وخلافة ثوبه تبدى
هذا الشكر كذبا وبهتاناً**

- جاء أحدهم بدلقه (بثوبة الخلق) من العراق ، فأخذ رفاقه يسألونه عن أيام الفراق .

1740 - قال : نعم ، لقد عانيت الفراق ، إلا أن السفر كان مباركا جدا على . .
مليئا (بالمنافع) والبشارات .

- لقد وهبني الخليفة عشرة من الخلع . . لتكن مائة مدح وثناء قرينة له !!
- وأخذ يعدد الثناء والمدح والشكر ، بحيث جاوز الحد في شكره .
- فقالوا له : إن أحوالك (الظاهرة) القبيحة تشهد على كذبك .
- فجسدك عار ورأسك عارية لوحتها (الشمس) ، فهل سرقت هذا الشكر أو لقنته ؟ !

1745 - وأين أمانة شكر أميرك وحمده ؟ أهى على رأسك أو في قدمك التي لا نعمة
(تبدو) عليهما ؟ !

- فإذا كان لسانك ينسج الثناء على ذلك الملك ، فإن أعضائك السبعة تبث شكواها
(منه) .

- وفي سقاء ذلك المليك وسلطان الجود عليك . . ألم يكن هناك نعل أو سروال من أجلك ؟ !
- قال : لقد آثرت (على نفسي) بكل ما قدمه إلى . . والأمير لم يقصر ولم يغفل شيئاً .
- لكنني قد أخذت كل العطايا من الأمير ، ثم قمت بتوزيعها على الأيتام والفقراء .
- 1750 -** لقد وهبت المال واكتسبت العمر الطويل في مقابله . . ذلك أنني أجدت اللعب بطهر .
- فقالوا له : مبارك عليك ذهاب المال ، فأني دخان (منبعث) من نفط (مشتعل) هكذا في داخلك ؟ !
- وهناك مائة كراهة في باطنك كالشوك ، فمتى يكون الهم علامة الاستبشار ؟ !
- أين أمارة العشق والإيثار والرضا . . إذا كان صحيحاً ما أسلفته من قول !!
- ولنفرض أن المال قد ضاع فأين الميل (إلى الحق) ؟ ! وإذا كان السيل قد مر فأين موضع السيل ؟ !
- 1755 -** وإذا كانت عينك سوداء منعشة للروح . . فإن بقيت منعشة للروح . . فلماذا هي مظلمة كدرة ؟ !!
- وأين أمارة اجادتك اللعب بطهر أيها العبوس ، ان رائحة النفاج تتأتى منك ملتوية فاصمت !!
- وهناك مائة أمارة للإيثار في الباطن ، وهناك مائة علامة للمحسن !!
- فإذا كان يتلف ماله إيثاراً ، فإنه يخلف عليه بمائة (نوع) من الحياة في الباطن .

- أ تكون هناك زراعة في أرض الحق للبذور الطاهرة ثم لا (حصاد) ولا دخل ؟ !!
« 1 »

1760 - وإذا كانت الثمار لا تنمو في روضات « هو » ، فقل لي اذن . . ماذا تعنى ،
أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً* ؟ !

- وإذا كانت هذه الأرض الفانية (لا تبقى) بلا ريع ، فكيف تكون (هكذا) أَرْضُ اللَّهِ
*الواسعة ؟ !

- ان لها ريعا بلا حد ، فالحبة الواحدة مهما قلت بسبعمئة حبة .
- لقد تحدثت بالحمد فأين علامة الحامدين . . ولا أثر منها على ظاهرك أو في
باطنك .

- إن حمد العارف لله (حمدٌ) صادق ، بحيث تشهد القدم واليد على حمده .

1765 - لقد جذبه (الحمد) من بئر جسده المظلم ، وشراه من ضيق سجن دنياه .

- إن أطلس التقوى وقد اقترن بالنور ، وهو آية للحمد موضوع على كتفه .
- ولقد تخلص من الدنيا التي هي عارية (ترد) ، وأصبح ساكنا للرياض والعين
الجارية .

- وعلى سرير سر همته العالية ، يكون مجلسه وموضعه ويكون مقامه ورتبته .
- ومقعد الصدق الذي يكون فيه كل الصديقين طيبي العيش مسرورين متهللي الوجوه .

.....

(1) ج / 10 - 271 وإذا لم تتحول الحبة التي تغرسها الروح إلي مائة حبة ، فأني
معني لقوله «أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً*» ؟ ! وان أصل أرض الله هو قلب العارف ، انها في
اللامكان لا فوق فيها ولا تحت

1770 - إن حمدهم كحمد الرياض للربيع ، وله مائة أماره ، ومائة (ضجة وحضور) وشد وجذب .
- وعلى ربيعة تشهد العيون والنخيل والنبات ، وتلك الروضة وأحواض الورود .
- وآلاف من الحسان في كل حدب وصوب في شهادة كشهادة الجواهر على الصدف .
- لكن رائحة الثوم السيئة تفوح من فمك ، ويبدو حزنك أيها الثرثار المدعى من رأسك ووجهك .
- والعالمون بالروائح حاذقون في الحرب ، فقل أنت من اطلاق صيحات الوجد جزافا .

1775 - ولا تثرثر عن المسك فإن رائحة البصل ، تجعل السر مفتضحا من نفسك .
- انك لا تفتأ تقول : لقد أكلت الورد بالسكر ، ورائحتك تفوح بالثوم (قائلة لك) : لا تنفج .
- إن القلب بمثابة المنزل العظيم ، ولمنزل القلب جيران مستورون .
- وهم من فُرج الكوة والجدران ، يصبحون مطلعين على الأسرار .
- (انهم يفعلون ذلك) من شق لا يتوهمه صاحب (الدار) ، ولا يخاف من وجوده ابدا .

1780 - فاقراً من القرآن إن الشيطان وقبيله ، يعلمون أحوال الإنس خفية .
- ومن طريق لا يعلمه الإنس ، لأنه ليس من هذا المحسوس وليس من هذا القبيل .

- وبين الناقدين لا تقم بحيلك ، ولا تنتفج أيها الزيف الدنى مع المحك .
- وللمحك طريق إلى الصحيح والزائف ، قد جعله الله أميرا للجسم والقلب .
- ولما كان للشياطين مع غلظتهم وقوف على أسرارنا وأفكارنا ومذاهبنا ،

1785 - ولهم مسالك خفية إلى ما استتر منا ، ونكون من تسلطهم منقلبين (على أعقابنا)

- وهم لحظة بلحظة يصيبوننا بالتخبط والخسارة ، فهم من أصحاب النقب يشقون الفجوات !!

- إذن فلماذا لا تكون الأرواح المستتيرة في الدنيا عالمة بالأحوال الخفية ؟ !
- وكيف تكون في تسللها إلينا أقل من الشياطين ، تلك الأرواح التي نصبت خيامها على الفلك ؟ !!
- إن الشيطان ليتسلل خفية إلى الفلك ، فيطعن من شهاب محرق ثاقب !!

1790 - فيسقط من الفلك منقلبا مثلما يسقط الشقي في الحرب من طعن السنان !!

- إن هذا يكون غيرة على الأرواح المقبولة ، إنه يسقطها من افلاكه منقلبة !!
- وأنت حتى إذا كنت مشلولا وأعرج وأعمى وأصم ، فلا يساورنك هذا الظن بالأرواح العظيمة .
- فاخجل ، وكفاك ثرثرة ولا تصب روحك بالأذى فهناك جواسيس كثيرة في تلك الناحية من الجسد .

ادراك الأطباء لأمراض الدين والقلب في سيماء المرید والغریب
ولحن قوله ولون عینیه ، وبدون هذا كله عن طریق القلب مصداقا
لقول القائل : انهم جواسیس القلوب فجالسوهم بالصدق .

- إن أطباء البدن هؤلاء علماء ، أكثر علما منك بسقامك .

1795 - فما إن يبصروا حالك من القارورة ، وأنت لا تدري أن ثمة مرضا فيك من
هذه الناحية ،

- يدركون كل نوع من السقم فيك من النبض ومن اللون ومن النفس ،
- اذن كيف لا يعلم الأطباء الإلهيون كل شئ عنك دون قول منك ؟ !
- انهم يدركون من نبضك ومن عینیک ومن لونك مائة سقم منك على الفور . .
- بل إن الذي يحتاجون إلى هذه الأمور أطباء مبتدئون .

1800 - اما الكمل فيسمعون اسمك على البعد ، يشرعون في الغوص إلى أعماق
وجودك .

- بل إنهم قبل ميلادك لسنوات ، وربما يرونك بكل أحوالك . « 1 »

اعطاء أبی یزید البشارة عن مولد أبی الحسن الخرقانی
- قدس الله روحیهما

- قبل سنوات من حدوثه ، والحديث عن أمارات صورته وسيرته . . بتفاصيلها ،
- وكتابة المؤرخين لهذا الأمر ترصدا وانتظارا
- هل سمعت قصة أبی یزید ، ماذا كان قد رأى عن حال أبی الحسن (رؤية) مسبقة
! ؟

.....
(1) ج / 10 - 277 انهم يعلمون أحوالك بتفصيلاتها ، وذلك أنهم مترعون بالأسرار
الإلهية .

- كان سلطان التقوى ذاك يمر ذات يوم مع مريديه في ناحية من الخلاء والوادي .
- فنفذ إلى أنفه شذى طيب وهو في سواد الري ، (وكان آتيا) من صوب خرقان .

1805 - فأن في ذلك المكان أنه مشتاق ، واستنشق الشذى من النسيم .

- لقد أخذ يستنشق ذلك الشذى بعشق ، كانت روحه تتذوق الخمر من الرياح !!
- فالأنية التي تكون ملأنة بالماء والثلج ، يبدو أن على ظاهرها كالعرق .
- لقد صار هذا سيالا من برودة الهواء ، والطل لم يخرج من داخل الأنية - لقد تحولت الريح الآتية بالشذى له إلى ماء ، وتحول الماء إلى خمر صافية .

1810 - وعندما ظهرت عليه آثار السكر ، واقترب منه أحد المريدين ، - ثم سأله عن هذه الأحوال الطيبة الخارجة عن حجاب (الحواس) الخمسة (والجهات) الستة ؟ !

- قائلا : إن الألوان تتعاقب على وجهك فيصير أحمر ثم أصفر ثم أبيض فأية حالة هذه ؟ ! وماذا تبشر به ؟ !

- إنك تتنسم العبير ولا زهر هنا ، إنه بلا شك من الغيب من الروضة الكلية .
- فيا منى روح كل من ليس في هوى نفسه ، أتبلغك كل لحظة من غيبك رسالة وكتاب ؟ !

1815 - إنك كل لحظة مثل يعقوب يصل إلى مشامك من (قميص) يوسف شفاء .

- صب علينا قطرة من ذلك القدر ، وتحدث معنا بنبذة عن هذه الروضة . .
- فلسنا معتادين أيها الجمال الأعظم . . أن تشرب أنت وحدك بينما تظل شفاها جافة . .
- ويا طاوى الفلك خبيا . . إنهض سريعا . . وصب علينا جرعة مما شربت .
- فلا يوجد أمير مجلس في عصر آخر راع للمريدين سواك أيها الملك العظيم .

1820 - فكيف يمكن احتساء هذه الخمر في الخفاء ، واعلم أن الخمر فاضحة للمرء يقينا .

- ولنفرض أنه يكتم رائحتها ويكنها . . ماذا يفعل في عينه الناعسة المخمورة ؟ ! !
- وهي في حد ذاتها ليست تلك الرائحة التي تجعلها مئات الآلاف من الحجب مستورة في هذا العالم .
- لقد امتلأ من نفاذها الوادي والصحراء ، أي واد ؟ ! بل لقد تجاوزت الأفلاك التسعة ! !
- فلا تغلق فوهة هذا الدن بالطين والتبن ، فليست هذه العارية - مما يقبل الغطاء والكساء .

1825 - وتلطف يا ناطقا بالأسرار وعالما بالأسرار ، وتحدث إلينا عما صاده بازيك !

- فقال : لقد هبت على رائحة عجيبة ، مثل تلك التي نفذت إلى أنف النبي من (ناحية) اليمن .

- لقد قال محمد عليه السلام : على يد الصبا تأتيني من اليمن ريح الرحمن .
- إن عبير « رامين » تهب من روح « ويس » وريح الرحمن يهب أيضا من « أويس » .
- لقد هب من أويس ومن قرن أريج عجيب ، جعل النبي ثملا شديد الإنتشاء والطرب .

- 1830 -** وعندما كان أويس قد فنى عن نفسه ، فإن ذلك الأرضي قد صار سماويا
- وذلك النبات المسمى بالاهليلج الذي ربي في السكر ، لا يبقى بعد مذاقه المر .
 - لقد نجا ذلك النبات من الكبر والأنية ، وهو على صورة ذلك النبات لكن ليس له طعمه . « 1 »
 - إن هذا الكلام لا نهاية له فعد (لنر) ما قاله ذلك الأسد الهصور من وحى الغيب . « 2 »

**قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اني لأجد نفس
الرحمن من قبل اليمن .**

- قال (أبو اليزيد) من هذه الناحية يهب شذى حبيب يقول : ان سلطانا عظيما سوف يولد في تلك القرية .

1835 - وبعد عدد من السنين سوف يولد ملك عظيم ، يجعل مقره « 3 » في عنان السماء .

-
- (1) ج / 10 - 280 :
- وان ذلك الذي تجاوز نفسه تماما ، قد طوي كبره وأنيته .
- (2) البيت في نسخة جعفري (ج - 10 / ص 282) بعد العنوان .
- (3) حر : يضرب خيمته .

- يكون وجهه متوردا من روضة الحق ، كما أنه يكون أعلى منى مقاما .
- (قال) : ما اسمه ؟ ! أجاب : اسمه أبو الحسن ، كما قال أن حليته في الحاجب والذقن .
- ووصف قوامه ولونه وشكله مفصلا ، كما تحدث عن (صفة) ذوائبه ووجهه .
- كما أبدى أيضا حلى روحه . . من صفات وطريقه وموضع ومقام .

- 1840 -** إن حلية الجسد عارية كالجسد . . فلا تعلق قلبك بها كثيرا فهي ساعة .
- وحلية الروح الطبيعية أيضا إلى فناء ، فاطلب حلية تلك الروح التي تكون على السماء .
 - إن جسده كالمصباح فوق الأرض ، بينما يكون نوره أعلى من السماء السابعة .
 - إن شعاع الشمس هذا الموجود في الحجرة ، القرص الذي يبعثه موجود في السماء الرابعة .
 - وصورة الوردة تكون تحت الأنف من أجل السرور الصوري ، لكن رائحة الوردة تنفذ إلى سقف الأنف وإيوانه !

- 1845 -** والرجل النائم في عدن يعاني فرقا ، وينعكس هذا على جسده عرقا .
- والقميص في مصر رهن عند حريص ، لكن كنعان مليئة بعبير . . ذلك القميص .
 - فكتب (المريدون) التاريخ في تلك اللحظة ، وزينوا هذا السفود بالشواء
 - وعندما حل ذلك الوقت وحان حين ذلك التاريخ تماما ، ولد ذلك الملك ولعب نرد الملك . « 1 »

(1) ج / 10 - 283 و 288 : ورد بيتان بدلا البيت : - عندما حل الوقت وحان حين ذلك التاريخ تماما ، ظهر ذلك الملك من تلك الأرض ونهض ولد ذلك الملك ولعب نرد الملك ، وظهر من العدم وساق مركبه وبينهما عنوان مولد أبي الحسن الخرقاني .

- وبعد كل تلك اسنوات بعد وفاة أبي اليزيد ، ظهر أبو الحسن .

1850 - وكانت كل خصاله من إمساك (في محله) وجود ، كما كان ذلك الملك قد تحدث منها تماماً .

- إن اللوح المحفوظ دليل له ، ومن أي شئ هو محفوظ ؟ إنه محفوظ من الخطأ .
- أنه ليس تنجيماً ولا رملاً ولا رؤياً (نائم) انه وحى الحق والله أعلم بالصواب .
- ومن أجل التعمية على العوام عند البيان ، يسميه الصوفية وحى القلب .
- فاعتبره وحى القلب فهو موضع تجليه ، وكيف يكون خطأ ما دام القلب واعياً به ؟ !

1855 - أيها المؤمن ان كنت تنظر بنور الله ، فقد أمنت هنا من الخطأ والسهو .

« 1 »

نقص أجر روح الصوفي وقلبه في طعام الله

- عندما يكون الصوفي من الفقر في غم ، يكون فقره في حد ذاته حاضنة ومطعماً .
- ذلك أن الجنة حفت بالمكاره ، والرحمة من نصيب العاجز المنكسر .
- أما ذلك الذي يكسر الرؤوس علواً واستكباراً ، لا تنزل به رحمة من الحق أو من الخلق .
- ان هذا الكلام لا آخر له . . وذلك الشاب ضاق ذرعاً من إنقاص كرايته .

1860 - وسعيد ذلك الصوفي الذي يكون رزقه قليلاً ، يكون خزره درأً وهو اليم (الذي يحتويه) .

(1) العنوان عند جعفري بعد ثلاثة أبيات من هذا البيت .

- فكل من صار عالماً بذلك الرزق الخاص ، صار جديراً بالقرب وموضع الرزق .
- ذلك أن رزق الروح عندما ينقص تكون الروح مرتعدة من هذا النقصان
- فتدرك أن خطأ قد بدر منها ، بحيث تأذت مزرعة زهور فل الرضا « 1 »
- وكذلك فإن ذلك الشخص كتب رقعة إلى صاحب البيدر يشكو فيها من نقصان محصوله .

- 1865 -** فرقعوا رقعته إلى أمير العطايا « 2 » فقرأ تلك الرقعة ولم يجب .
- قال أنه لا اهتمام عنده إلا بالطعام الدسم ، والسكوت أولى جداً بالأحمق .
 - أنه لا يهتم أدنى اهتمام بالفراق أو الوصل ، أنه عبد للفرع ولا يبحث مطلقاً عن الأصل .
 - أنه أحمق مستغرق في الأنية ، ومن اهتمامه لا فراغ عنده للأصل .
 - فاعلم أن السماوات والأرض على مثل تفاحة ، نبتت من شجرة قدرة الحق .

- 1870 -** وأنت كدودة في قلب هذه التفاحة ، وغافل عن (وجود) الشجرة ووجود البستاني .
- وهناك حشرة أخرى موجودة أيضاً في التفاحة ، لكن روحها على علم بما يوجد خارجها .

-
- (1) عند جعفري (10 / 293) : بحيث لم تتفتح زهور فل الرضا وتبدو أصح .
وبعدها عنوان : عودة إلي حكاية الغلام الذي كتب رقعة الملك بسبب نقص راتبه وعدم اهتمام الملك .
- (2) ترجمها نيكلسون أمير العدل (376 / 4) وهكذا ترجمها يوسف بن أحمد (4 / 262) ولكنني آثرت ترجمتها هكذا فالكلمة تعني بالفارسية العدل والعطاء وعند جعفري (10 / 294) إلى الملك العظيم لأنها (راد) وتبدو أصح .

- فتشق حركتها التفاحة ، ولا تحتل التفاحة هذا الأذى .
- فتشق حركتها الحجب ، انها دودة في صورتها أفعى في حقيقتها .
- والنار التي تنبعث في البداية من الحديد ، إنما تنطلق في البداية بقدم واهية جدا .

1875 - ويكون بعض القطن حاضنة لها في البداية ، لكنها في النهاية توصل لهيبها إلى الأثير .

- والمرء من البداية رهن للنوم والطعام ، لكنه يصبح في آخر الأمر اسماً من الملائكة .

- وبمعونة من القطن والكبريت ، يصل لهيبه ونوره إلى نجم السماء .
- فيضئ العالم المظلم بنوره ، ويحطم بإبرة قطعة الحديد الضخمة .
- هذا بالرغم من أن النار نفسها جسمانية أيضاً ، فلا هي من الروح ولا هي روحانية .

1880 - فلا نصيب للجسد من هذا العز ، والجسد كأنه قطرة بالنسبة لبحر الروح .
- والجسم يتزايد يوماً بعد يوم من الروح ، وعندما تغادره الروح انظر إلى أي شيء يتحول .

- وحد الجسم ذراع أو ذراعان ليس أكثر ، لكن روحك جواله حتى عنان السماء .
- وحتى بغداد وسمرقند أيها الهمام ، هي نصف خطوة في تصور الروح .
- ووزن شحمة عينيك درهمان ، لكن نور روحها يصل إلى عنان السماء

1885 - ويُرَى النور في النوم دون هذه العين ، وماذا تكون العين دون هذا النور إلا خراباً .

- فالروح فارغة من كبرياء الجسد ، لكن الجسد يكون بلا روح ميتة وذليلاً .
 - وهذا هو مجال الروح الحيوانية ، فتقدم قليلاً وأنظر إلى الروح الإنسانية .
 - واعبر الانسان . . وأيضاً القال والقليل ، حتى شاطئ بحر روح جبرائيل
 - وبعد أن تقبلك روح أحمد المصطفى بشفتيها ، فإن جبرئيل يتقهقر خوفاً منك . « 1 »
- «

1890 - ويقول : إذا تقدمت مرمى قوس واحد لا حترقت أمامك في التو واللحظة .

ضيق ذلك الغلام من عدم وصول جواب الرقعة من الملك

- إن هذه الصحراء لا بداية لها ولا نهاية (لا رأس لها من قدم) ، لقد تعب ذلك الغلام من بقاء خطابه بلا جواب . « 2 »
- (وأخذ يتساءل) : عجباً : كيف لم يجب على الملك ؟ لعل حامل الرقعة قد خان من حسده لي ،
- فخبأ الرقعة ولم يظهرها للملك ، إذ كان منافقاً ، وماءً من تحت تبين .
- فلاكتب رقعة أخرى على سبيل التجربة ، ولأبحث عن رسول آخر (يوصلها للملك) يكون ماهراً .

1895 - لقد عاب ذلك الغافل من جهله على الأمير والطباخ والرسول .

-
- (1) عند جعفري (ج - 10 / 295) ، ويتقهقر جبرئيل عن منتصف طريقك .
 - إشارة إلى الحادثة المشهورة في المعراج .
 - (2) ج 10 / 302 :
 - عندما لم يأت جواب الخطاب تحير ، وتكرر من الفم ماؤة الصافي .
 - ولم يقر له قرار أو يواتيه النوم من جنونه ، كان منقلباً من التفكير ليل نهار .

- ولم يتفحص أمر نفسه على الإطلاق قائلا : لقد قمت بسير معوج كما يفعل في الدين عابد الوثن .

هبوب الريح باعوجاج (علي غير مهبها) علي سليمان عليه السلام بسبب زلته

- هبت ريح في غير مهبها على عرش سليمان ، فقال لها سليمان : أيتها الريح لا تهبي باعوجاج .
- فقالت الريح : لا تعوج أنت أيضا يا سليمان في سيرك ، وإذا كنت تمشي باعوجاج ، لا تغضب من اعوجاجي .
- لقد وضع الله هذا الميزان (بالقسط) ، حتى يجرى علينا الانصاف في سابق علمه .

1900 - (قائلا) : إن انقصت من الميزان انقص أنا أيضا منه ، وأنا واضح معك ما دمت واضحا معي .

- وهكذا فقد مال تاج سليمان (عن رأسه) ، وجعل نهاره المضى (أمامه) كأنه الليل .
- فقال له : أيها التاج لا تمل عن مفرقي ، ويا أيتها الشمس لا تغيبى عن مشرقى .
- كان يصلح من ذلك التاج بيديه ، فكان التاج يميل ثانية (عن رأسه) ، أيها الفتى .
- لقد أصلح من وضعه ثمانى مرات وهو يميل . . فقال له : أيها التاج ما خطبك؟! لا تمل .

1905 - فقال له : لو أصلحتنى مائة مرة لملت ، إذ أنك تميل (إلى الهوى) أيها المؤمن !!

- فصيح سليمان من باطنه ، وصرف نفسه عن تلك الشهوة التي كانت في داخله .
- ثم إن التاج صلح في نفس تلك اللحظة ، وصار ، ما كان يريده أن يكون .
- ثم أخذ (سليمان عليه السلام) يميله عامدا ، فكان التاج يعود من تلقاء نفسه باحثا عن المفرق .
- فأماله ثماني مرات ذلك العظيم ، فكان التاج يستقيم على مفرق رأسه .

- 1910 -** ثم نطق التاج قائلا : فلتهنأ أيها الملك ، وما دمت قد نفضت طين (الهوى) عن جناح (الروح) فطر .
- وليس هناك أمر بأن أتجاوز هذا (المقدار) ، وأمزق حجب الغيب عن هذا (السر) .
 - فضع يدك على فمي . . وسد هذا الفم عن قول ما ليس يقال .
 - ومن هنا فأن أي حزن يطرأ عليك من ألم ، لا تتهم أحدا به بل فتش عنه في نفسك .
 - ولا ينسحب ظنك على انسان اخر أيها الحبيب ، ولا تقم بما كان يقوم به الغلام من جدال .

- 1915 -** حينما يكون جداله مع الرسول وحينما مع الطباخ ، وحينما (يصب) غضبه على الملك السخى .
- مثل فرعون الذي كان قد ترك موسى ، وأخذ في قطع رؤوس أطفال الخلق .
 - كان العدو موجوداً في منزل ذلك الأعمى القلب ، بينما انهمك هو في قطع رؤوس الأطفال (الآخرين) .

- وأنت أيضا سئ مع الآخرين في ظاهرك ، وفي باطنك تصالحت مع النفس ثقيلة (الحمل) .
- انها عدوتك ومع ذلك تقدم لها السكر ، ثم تلقى التهمة على كل انسان (يحيط بك) خارجك .

1920 - انك كفرعون أعمى (البصر) وأعمى القلب ، طيب مع عدوك مذل الأبرياء .

- فحتام تقتل البرئ يا فرعون ، وتكرم الجسد الملى بالغُرم .
- لقد كان عقله زائدا على عقل الملوك ، لكن حكم الحق كان قد جعله أعمى بلا عقل .
- وان ختم الحق على عين العقل وأذنه ، يجعل المرء حيوانا وان كان أفلاطون .
- وحكم الحق يكون مكتوبا على اللوح (المحفوظ) ، مثل حكم الغيب الذي كان عند أبي يزيد .

**استماع الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه عن
إخبار أبي يزيد عن وجوده وأحواله .**

- 1925 -** وهكذا قد روى أن أبا الحسن ، سمع من الناس ما كان (أبو يزيد) قد قاله ،
- من أن أبا الحسن يكون مريدا لي ومن أمتي ، وهو أخذ كل يوم للدرس من تربتي .
- فقال : انا أيضا رأيت هذا في الحلم ، وسمعت نفس هذا الأمر من روح الشيخ .
- وكان يتجه كل صباح إلى القبر ، ويقف في حضور حتى الضحى .

- فإما ان مثال الشيخ كان يحضر أمامه ، واما أن مسأله كانت تحل دون كلام .

1930 - حتى أتى (اليه) ذات يوم مسعود ، وكان الثلج قد غطى القبور .
- رأى الثلوج المقدسة كأنها الأعلام ، قد تراكت كالقباب المتتالية ، وأحس بالحزن في روحه .

- فصاح به من حظيرته ذلك الشيخ الحي « ها أنا أدعوك كي تسعى إلى » « 1 »
- هيا تعال سريعا نحوى على هذا الصوت ، وإذا كان العالم كله قد صار ثلجا فلا تشح بوجهك عني .
- فتحسنت أحواله من ذلك اليوم ، ورأى (عيانا) تلك العجائب التي كان يسمع عنها من البداية .

كتابة ذلك الغلام رقعة أخرى إلى الملك عندما لم يتلق جوابا على الرقعة الأولى

1935 - فكتب رقعة أخرى ذلك السئ الظن ، مليئة بالتشنيع والغلظة والصراخ
- قائلا : لقد كتبت رقعة إلى الملك ، فوا عجباً هل وصلت إليهم واتخذت طريقها .
- لقد قرأ هذه الرسالة أيضا ذلك الوضاء الوجه ، ولم يجب عنها أيضا وصمت .
- كان الملك يضطره إلى الصمت ، لكنه كرر كتابة الرقعة خمس مرات :
- فقال الحاجب : إنه في النهاية من عبيدك ، ومن الجائز أن تكتب ردا عليه .

(1) ما بين القوسين بالعربية في المتن .

1940 - فما الذي ينقص من ملوكيتك ، إذا ألقيت نظره على غلمانك وعبيدك ؟ !

- قال : هذا سهل ، لكنه أحمق ، والأحمق قبيح ومردود من الحق .

- ولو انني سامحته وتجاوزت عن ذنبه وزلته ، لأصبت بالعدوى من علته

- ومن أجرب واحد يصاب مائة شخص بالجرب ، خاصة هذا الجرب الخبيث غير المقبول .

- فلا أصيب (حتى) المجوسي بجرب الحمق ، فان شؤمه ليصيبين بالجذب .

1945 - ولا يسقط المطر من شؤمه ، وتصير المدينة خرابا من طبعه الذي يشبه طبع اليوم .

- ومن جرب هؤلاء الحمقى ، خرب طوفان نوح عالماً ، وجعله مفتضحا « 1 »

- لقد قال الرسول عليه السلام : الأحمق أيا كان عدونا ، وهو غول قاطع للطريق .

- وكل من يكون عاقلا فهو حبيب لنا ، روحه وريحه ريحان لنا .

- إن العقل ليشتمنى وأنا راض (بشتمه) ، فان لديه فياضا من الذي يفيض على .

1950 - ولا يكون شتمه هذا بلا فائدة ، ولا يكون ضيفه (محروما) من المائدة .

- والأحمق ان وضع الحلوى بين شفتي ، أكون من حلواه هذه في حمى

- فاعلم يقينا ان كنت لطيفا مستتيرا ، أنه لا طعم لقبله من مؤخرة حمار .

(1) هنا عنوان في نسخة جعفري (ج - 10 / ص 312) مدح الرسول للعاقل وذمه للأحمق .

- انه يجعل شاربك نتن الرائحة بلا فائدة ، وقدره يسود ثيابك بلا مائدة - ومائدة العقل ليست في الخبز والشواء ، ان نور العقل يا بنى هو غذاء الأرواح .

1955 - وليس إلا النور طعاما للإنسان ، ومما عداه لا تجد الروح التربية .
- فانقطع عن هذه الأطعمة قليلا قليلا ، فهي غذاء للحمار لا للرجل الحر .
- حتى تكون قابلا للغذاء الأصلي ، وتكون آكلا للقيمات النور .
- فمن انعكاس ذلك النور صار الخبز خبزا ، ومن فيض تلك الروح صارت هذه الروح روحاً .
- وعندما تأكل مرة واحدة من طعام النور ، فإنك تحثو التراب على الخبز والتنور .

1960 - والعقل عقلان أو لهما عقل مكتسب ، نتعلمه كما (يتعلم) الصبى في المكتب .
- (وهذا العقل) من الكتاب والأستاذ والفكر والذكر ومن المعاني ومن العلوم الطبية البكر .
- (وبها) يزيد عقلك على عقول الآخرين ، لكنك تصير ثقيلًا من حفظها - وتكون لوحا حافظا في غدوك ورواحك ، أما الذي جاوز (هذه الدرجة) فقد صار لوحا محفوظا .
- أما العقل الآخر فهو هبة من الله تعالى ، وإنما يكون منبعه من قلب الروح .

1965 - وعندما يطف ماء المعرفة في الصدر ، فلا هو يتسنه ولا يأسن ولا يصفر .

- وإذا سُدَّ الطريق إلى منبعه فلا بأس ، ما دام يفور (من داخل) المنزل لحظة بلحظة .
- أما العقل المكتسب فهو على مثال الجداول ، انما تجرى في الدور من الأزقة .
- وإذا سُدَّ طريق الماء إليها حرمت (منه) ، فابحث عن نبع من داخل نفسك .

قصة ذلك الشخص الذي كان يستشير أحدهم فقال له : استشر آخر فأنا عدوك

- كان أحدهم يستشير آخر ، حتى ينجو من التردد ومن ورطة (سقط فيها) .
- 1970 -** فقال له يا حسن الاسم أطلب غيرى ، وأسر إليه بما يهكم وما تريد المشورة فيه .
- وأنا عدوك فلا تطف حولي ، فلا يوجد من رأى لعدو نصر أبدا .
- فاذهب وأطلب شخصا يكون لك صديقا ، والصديق - بلا شك - هو من يرجو لصديقه الخير .
- أما أنا فعدو لك ولا بد من أنيتى - أن أكون معوجًا معك وأن أبدى لك العداوة .
- وليس من المعقول طلب الحراسة من الذئب ، والبحث في غير موضعه عدم بحث .
- 1975 -** ولأننى بلا شك عدو لك ، متى أبدى لك الطريق وأنا قاطع طريقك .
- وكل من يكون جليسا للأصدقاء ، فهو في بستان ، وإن كان في مستوقد حمام .

- وكل من يجالس عدوا - ولو للحظة واحدة - ويكون في بستان ، فكأنه في مستوقد الحمام .
- فلا تؤذ الصديق من إبداء الكبرياء والأنية ، حتى لا ينقلب الصديق خصما وعدوا لك .
- وأفعل الخير مع الخلق من أجل إلهك ، أو من أجل راحة نفسك .

1980 - وما دمت تراهم أصدقاء أمام ناظريك ، فإنه لا تتمثل في قلبك صور سيئة من الحقد .

- وما دمت قد أقمت معي بناء العداة فاخش واتق ، وتشاور مع صديق محب .
- قال : إنني أعرفك ، يا أبا الحسن ، (أعرف) أنك عدو قديم لي .
- لكنك رجل عاقل (مهتم) بمعاني (الأمور) ، ولا يسمح عقلك لك أن تسير باعوجاج .
- إن الطبع يريد (منك) أن تنتقم من خصمك ، لكن العقل (يقف) أمام النفس (الأمانة) كسد حديدى .

1985 - إنه يمنعه ويحول بينه وبين (الشر) ، فالعقل بمثابة الشرطي بالنسبة له في الخير والشر .

- والعقل الإيماني كالشرطى العادل فهو حارس لمدينة القلب حاكم عليها
- يكون كالقط يقظ اللب ، يبقى اللص (قابعا) في جحره كالفأر .
- وحينما يبدي الفأر قوته ، لا قط هناك ، ولا صورة لقط .
- أي قط (أقول) ؟ أنه أسد مجندل للأسود ، ذلك العقل الإيماني الذي يكون في الجسد .

1990 - يكون زئيره حاكما على الوحوش ، صيحة واحدة منه تمنع الحيوانات التي ترعى .
- وإذا كانت المدينة مليئة باللصوص وسراق الملابس ، فسواءً وجود الشرطي وعدمه . « 1 »

تأمين الرسول عليه السلام لشاب هذيلي على سرية فيها شيوخ ومحنون في الحرب

- كان الرسول - عليه السلام - يرسل إحدى سرايا لقتال الكفار والقضاء على التمرد .
- فاختار شاباً من هذيل ، وجعله أمير للعسكر وقائدا للخيـل .
- ولا جدال أن أساس الجند قائدهم ، وقوم بلا قائد كجسد بلا رأس .
- 1995 -** وهكذا فأنت ميت ذابل ، لأنك تركت القائد .
- ومن الكسل والبخل والأنية ، تتمرد وتجعل من نفسك رئيساً لنفسك .
- كالدابة التي تفر من حملها ، وتتبع رأسها في الجبل .
- ويسرع صاحبها في أثرها صائحا ، يا دائرة الرأس ، في كل صوب ذئب يستهدف الحمـر !!
- وإنك إن غبت عنى لحظة واحدة ، يهجم عليك في كل ناحية ذئب قوى .
- 2000 -** ويمضغ عظامك كأنها السكر ، بحيث لا ترين الحياة مرة أخرى .

.....
(1) ج / 10 - 316 أن العقل في الجسد حاكم على الإيمان * فمن الخوف منه النفس في سجن وأنت عقل العقل وروح الروح أيها الحبيب * وأنت سلطان علي عقول الخلق وأرواحهم والعقل الكلي حائر دائر الرأس فيك * وكل الموجودات تحت سلطتك (القاهرة)

- وإلا فإنك في النهاية لن تصلى إلى العلف ، والنار إن لم تجد الحطب يأتينها التلف .
- فانتبهى ، ولا تهربى من تحت سيطرتى ، ومن ثقل حمل (الطريق) فأنا روحك .
- وأنت دابة ونفسك غالبية ، والحكم للغالب أيها المغرور .
- ولم يسمك حماراً بل سماك جواداً ذو الجلال ، والعرب ينادون الجواد بقولهم :
تعال .

2005 - لقد كان المصطفى أميراً لاصطبل الحق ، من أجل دواب النفس المليئة بالجفاء .

- لقد قال له « قل تعالوا » من أجل جذب الكرم ، حتى أروضكم فأنا الرائض (لكم) .

- وحتى روضت الأنفس (الحيوانية) ، تلقيت كثيراً من الرفسات من هذه الدواب .
- وحيثما يكون مغرم بترويض (الناس) ، فلا مناص له من تلقى الركلات .
- فلا جرم أن أغلب البلاء على الأنبياء ، فإن ترويض السذج من قبيل البلاء .

2010 - إنكم جياد متعثرة ، ومن نفسي تمشون هونا طيعين وتصبحون مطية للسلطان !! « 1 »

- لقد قال الله سبحانه وتعالى : قُلْ تَعَالَوْا . قُلْ تَعَالَوْا . أيتها الدواب الجافلة عن الأدب .

(1) ج / 10 - ص 318 لقد قال الحق : قُلْ تَعَالَوْا قُلْ تَعَالَوْا . أيتها الدواب الملولة من
الدرس .

لقد قال الحي : قُلْ تَعَالَوْا قُلْ تَعَالَوْا . أيتها الدواب ذات العروق والشرابين المتجمدة .

- وإن لم يأتوا فلا تحزن أيها النبي ولا يشتد غضبك من هاتين الفتنتين اللتين لا تمكين لديهما .
- فأن آذان بعضهم من تكرار تعالوا قد أصابها الوقر ، ولكل دابة الإصطبل الخاص بها .
- لقد فرّ بعضهم من هذا النداء فلكل جواد حظيرته . . وعلى حدة .

2015 - لقد انقبضت (قلوب) بعضهم من هذه القصص ، ذلك لأن كل طائر له قفص مختلف .

- حتى الملائكة لم يكونوا متساوين ، ولهذا السبب اصطفوا في صفوف مختلفة في السماء .
- والأطفال وإن يكونوا في مكتب واحد ، فهناك منهم من يكون أعلى من الآخر ويسبقه .
- وإن للمشرقي والمغربي حواساً (منفصله) ، وإن منصب الرؤية (منوط) بحس العين .
- ولو اصطفت مئات الآلاف من الآذان ، لكانت كلها محتاجة إلى عين مبصرة .

- 2020 -** ولصف الآذان بدوره وظيفة (أخرى) في سماع الروح وأحاديث النبي .
- وليس لمئات الآلاف من العيون هذا الطريق ، وليس لعين قط علم بالسماع .
 - وهكذا كل الحواس ، عدها حاسة حاسة ، كل منها معزولة عن عمل الأخرى .
 - وهناك خمسة حواس ظاهرة وخمسة باطنة . . هي عشرة صفوف في قيام . . .
- (هذه هي) « الصافون » !!

- وكل من يكون متمردا عن طريق الدين ، إنما يمضى في صف يكون متخلفا (وفي الأذلين) .

2025 - وإياك أن تنصرف أنت عن ندائهم ب - « تعالوا » ، فإن هذا النداء كيمياء (تبديل) عجيبة جدا !!

- حتى وإن نفر النحاس من قولك ، لا تمنع عنه كيمياء « التبديل » أبدا .
- فإن كانت نفسه الساحرة قد سدت عليه (الطريق) في هذه اللحظة .
- فإن كلامك سوف يجدى نفعا في النهاية .
- قل تعالوا ، قل تعالوا ، يا غلام ، وانتبه ، فالله يدعو للسلام .
- وعد أيها السيد عن الأنية وعن الرئاسة ، وابحث عن قائد وقل من طلب الرئاسة .

اعتراض معترض على الرسول عليه السلام في تأميره لذلك الهذلي

- 2030 -** عندما نصب الرسول قائداً من هذيل ، من أجل الجند منصور الخيل .
- لم يطق أحد الفضوليين من حسده ، ورفع راية الاعتراض قائلاً : لا نوافق !
 - فانظر إلى الخلق !! كيف أنهم فانون في المتاع الفاني لأنهم ظلمانيون !!
 - ومن كبريائهم (تراهم) جميعا في فرقة وتشتت ، لقد ماتوا فيما (يتصل) بالروح ، وعاشوا في السحر والخرافة !!
 - ومن عجب أن الروح في سجن ، بينما مفتاح سجنها (موجود) في اليد

2035 - إن هذا الشاب (المعترض) غارق في البعر من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، بينما يطف نهر جار حول أطراف ثوبه .

- إنه يتقلب من جنب إلى جنب لا قرار له (على حال) وهو إلى جوار منتجج للراحة وظهير !!
- والنور الخفي والسعي (في سبيله) والبحث عنه دليل على أن القلب لا يبحث عن ملجأ عبثاً .
- وإذا لم يكن هناك من سجن الدنيا مناص ، لما كانت الوحشة (منها) ولما بحث القلب عن الخلاص .
- فوحشتك كأنها موكل يجذبك قائلاً : ابحث أيها الضال عن منهاج الرشد .

- 2040 -** فهناك منهاج خفى في مكمنه ، والعثور عليه رهن ببحث (المرء) عنه كثيراً .
- « والتفرقة » لا تفتأ تطلب « الجمع » من مكمنه ، فانظر في هذا الطالب إلى وجه المطلوب .
 - إن (الزهور) التي كانت قد ماتت في البستان ، انبثقت من مكانها قائلة لك : إفهم ذلك المحيى !!
 - ومتى تكون عيون السجناء (مركزة) على الأبواب دائماً ، إن لم يكن هناك مبشر (بالحرية) ؟ !!
 - ومتى كان يوجد مئات الآلاف من الملوئين الباحثين عن الماء أن لم يكن (يوجد) جدول ماء ؟ !

- 2045 -** ولا قرار لجنبك ولا راحة على الأرض ، ما دمت عالماً أن في الدار لحافاً وفراشاً !!
- فلا يوجد قلق لا يحدث بعده استقرار ، ولا يوجد هذا الخمار دون مزيل للخمار !!

- لقد قال (المعترض) : لا . لا تفعل يا رسول الله ، ولا تؤمر على الجيش إلا شيخاً كبيراً !!
- والشاب وإن كان - يا رسول الله - أسدا هصوراً ، لا كان سوى رجل شيخ قائدا للجيش .
- كما أنك قلت وقولك حجة . . ينبغي أن يكون الشيخ ، ينبغي أن يكون الشيخ قائدا .

2050 - فانظر يا رسول الله في هذا الجيش ، هناك شيوخ كثيرون مقدمون على (هذا الشاب) .

- ولا تنظر من هذه الشجرة إلى أوراقها الصفراء ، بل اقطف منها تفاحها الناضج .
- ومتى تكون أوراقها الصفراء في حد ذاتها خالية (من المعنى) ؟ ! إنها دليل على النضج والكمال .
- إن هذه الأوراق هي لحية ذلك الشيخ ، وهي تبشر بوجود عقل راجح ناضج .
- والأوراق التي نمت حديثاً ولا تزال خضراء اللون دليل على أن ثمار (هذه الشجرة) فجة !

2055 - والقدرة على الاستغناء « 1 » هي علامة العارف ، وصفرة الذهب هي إحمرا وجه الصيرفي (بشرا) !

- فمن هو متورد الخد قد نبتت لحيته تواء ، إنما يخبر عند دخوله المكتب عن عدم إجادته الخط .
- تكون حروف خطه معوجة ملتوية ، فهو مقعد العقل ، وإن كان جسده جلدا منطلقا .

(1) القدرة علي الاستغناء عبارة يمكن أن يكون من معانيها حرفيا القدرة علي عدم وجود أوراق .

- هذا وإن عجزت قدم الشيخ عن الانطلاق سريعا ، فقد وجد من عقله جناحين طار بهما سريعا إلى الأوج .
- وإن كنت تريد مثالا فانظر إلى جعفر ، فقد وهبه الله بدلا من يديه وقدميه جناحين .
- 2060 -** هيا وانصرف عن الذهب ، فقد صار الكلام محتجبا (عنى) ، وصار قلبي هذا مضطربا كأنه الزئبق .
- وهناك مائة صامت حسن النفس في باطني ، تضع أيديها على فمي قائلة : اصمت !
- فالصمت كالبحر إذا كان الكلام كالجدول ، والبحر يبحث عنك فلا تبحث أنت عن الجدول .
- ولا تشح بالوجه عن إشارات البحر ، وأختم (هذا القول) والله أعلم بالصواب .
- هكذا أخذ يواصل ذلك المعلوم الأدب الكلام أمام الرسول من شفته الباردة .
- 2065 -** لقد كان الكلام يطاوعه وهو غافل أن الخبر يكون عبثا أمام (المعاينة) والنظر .
- وهذه الأخبار في حد ذاتها تنوب عن النظر ، إنها ليست من أجل الحاضر بل من أجل الغائب .
- وكل من صار متصلا بالنظر ، صارت هذه الأخبار في معزل عنه .
- وما دمت قد صرت جليسا للمعشوق ، قم بابعاد الرسل (بينكما) بعد ذلك .
- وكل من ترك الطفولة وصار رجلا ، فترت الرسالة وفترت الدلالة بالنسبة له .

2070 - إنما يقرأ الكتاب من أجل التعليم ، ويتحدث بالكلام من أجل التفهيم .
- وخطأ أن نتحدث بالأخبار أمام المبصرين (للعيان) ، ويكون هذا دليلاً على غفلتنا ونقصنا .

- والصمت أجدى لك أمام الناظرين للعيان ، ومن أجل هذا نزل خطاب « أنصتوا » !!

- وإذا قال « قولوا » فقل قولاً طيباً ، ولكن تحدث قليلاً ولا تطل في الحديث .
- وإن قال لك أطل في الحديث ، فتحدث بخجل ، لمجرد أن تطيع الأمر .

2075 - مثلي أنا في هذه المنظومة « 1 » الجميلة ، الآن مع ضياء الحق حسام الدين
- عندما أقصر أنا من الرشد ، يجذبني هو إلى الحديث بأية حيلة .
- ويا حسام الدين ضياء ذي الجلال ، ما دمت ترى (العيان) أي بحث لك عن الحال ؟ !

- وربما يكون هذا من حب المُشتهى ، اسقني خمراً وقل لي انها !!
- أن كأسه على فمك في هذه اللحظة ، والأذن تتساءل : أين نصيب الأذن ؟ !

2080 - (تقول لها) : أن نصيبك هو الحرارة فأنت الآن حارة ثملة . . تقول لك :
إن حرصي أكثر من هذا !!

جواب المصطفى عليه السلام علي المعترض

- عندما جاوز هذا الأعرابي حده من القيل والقال ، في حضور المصطفى ذي الطبع الحلو « 2 » .

(1) حر : الأسطورة الجميلة ويقصد بها المثنوي .

(2) حر : من هو في طبع السكر .

- فإن مليك « والنجم » سلطان « عبس » ، عض على شفتيه ، وقال لثقليل الظل
ذاك : كفاك .

- وأخذ يضرب بيده فمه لزرجه قائلاً له : حتام تتحدث أمام العالم بالسر ؟ ! - لقد
حملت البعر الجاف إلى المبصر قائلاً له : اشتر هذا بدلاً من نافجة المسك ! !

2085 - وأنتك لتضع البعر يا نتن اللب والذهن تحت أنفك قائلاً : بخ بخ .
- لقد رفعت صوتك بالاستحسان أيها الذاهل الحائر ، حتى تجد بضاعتك السيئة
الرواج .

- حتى تخدع تلك المشام الطاهرة ، تلك التي تنسمت الأريج « 1 » في رياض
الأفلاك .

- فإذا كان حلمه قد جعله يتظاهر بأنه خدع ، ينبغي أنت أن تعرف نفسك قليلاً .
- فإذا كانت القدر قد باتت ليلة بلا غطاء ، فعلى القط أن يكون خجلاً ! !

2090 - وإذا كان هذا الحسن المجد قد تناوم ، فهو يقظ جداً إياك أن تختطف عمامته .
- فحاتم تتلو أيها اللجوج الخالي من الصفاء تعويذة الشيطان أمام المصطفى ؟ ! !
- إن هذه الجماعة (أي الأنبياء) لها مئات من الأحلام ، كل حلم فيه كأنه مائة جبل .
- إن حلمهم يجعل اليقظان أبله ، ويجعل الماهر ذا المائة يمين ضالاً .

.....
(1) حر : رعت في رياض الأفلاك .

- إنهم جميعا كالشراب الطيب الزلال ، يتسلل رويداً رويداً نحو أعلى المخ !!

2095 - فأنظر إلى الثمل من هذا الشراب شديد العجب ، كأنه الجواد الثمل آخذ في السير باعوجاج .

- إن الشاب ليسير في الطريق كأنه الشيخ من هذا الشراب سريع التأثير .
- خاصة ذلك الشراب الذي هو من دن « بلى » . ليس ذلك الشراب الذي يستمر السكر منه ليلة واحدة .

- بل إنها الخمر التي فقد أصحاب الكهف من نُقْلِها ونُقْلِها عقولهم ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا .

- وهي تلك التي شرب منها نسوة مصر كأساً واحدة ، فقطعن أيديهن إرباً .

2100 - لقد أصاب سكر موسى السحرة ، فاعتبروا المشنقة حبيبة إلى قلوبهم .
- وكان جعفر الطيار ثملاً بهذه الخمر ، فضحى من تأثيرها دون أن يدري بيديه وقدميه .

قصة قول أبى يزيد قدس الله سره : سبحانى ما أعظم شأنى ،
واعترض المريدين عليه ، وجوابه عليهم ليس عن طريق القول ،
بل عن طريق العيان .

- لقد جاء ذلك الفقير العظيم أبو يزيد إلى مريديه قائلاً : انى أنا الله .
- لقد قالها بسكر جهارا صاحب الفضل ذاك ، قال : لا إله إلا أنا فاعبدون !!
- وعندما مر ذلك الحال قالوا له في الصباح : لقد قلت كذا وليس هذا من الصلاح !!

2105 - قال لهم : إن قمت مرة أخرى بأي شئ يشغل بالكم فاضربوني بالسكاكين في التو واللحظة .

- إن الحق منزله عن الجسد وأنا ذو جسد . . . وعندما أقول هذا فقد حل قتلى .
- وعندما قال هذا ذلك الرجل العظيم ، أعد كل مريد سكينه .
- وثمل مرة ثانية من تلك الكأس العظيمة ، وكان قد نسي ما كان قد أوصى به !!
- وحل النُّقل ، وصار العقل شريدا ، وطلع الصباح ، قاضى شمعه مسكينا

2110 - إن العقل كالشرطى ، وعندما يصل السلطان ، فإن الشرطي المسكين يقبع في ركن ما .

- والعقل هو ظل الحق والحق كالشمس ، فأى صبر للظل مع الشمس ؟ !
- إن الجنى عندما يغلب على إنسان ، يضيع من هذا الإنسان وصف البشرية .
- وكل ما يقوله قد قاله ذلك الجنى ، أنه صادر عن هذا الجانب ، ولكن الذي قاله ذلك الجانب .
- وما دام للجنى هذا النَّفس والتسلط ، فما بالك إذن بخالق ذلك الجنى ؟ !

2115 - لقد ذهبت أنيته وصار الجنى هو ذاته ، ومن ثم صار التركي بلا إلهام ناطقا بالعربية .

- وعندما يعود إلى نفسه لا يعرف كلمة واحدة مما قال ، فإن هذه الذات وهذه الصفة للجنى .
- ومن هنا متى يكون رب الإنس والجن أقل من جنى . « 1 »

(1) ج / 10 / 328 : قل ومتى يخاف صياد الأسد من الأسد ، وقل لي : من يسأل أعمي عن الطريق .

- وشارب الخمر إن شرب دم الأسد الهصور ، تقول : ما فعلها هو بل تلك فعلة الخمر .
- وإذا نمق الكلام كأنه النضار الدفين ، تقول أن الخمر هي التي قالت هذا الكلام .

2120 - أهذا التسلط والقوة والحضور يكون للخمر . . ولا يكون لنور الحق هذا التأثير والقوة ؟ !

- إنه يخليك من نفسك تماما ، وتكون حقيرا دنيا ويجعل كلامك غالبا .
- وبالرغم من أن القرآن صدر عن فم الرسول ، فكل من يقول : أن الحق لم يقله ، فقد كفر .
- وعندما طارت عنقاء الانسلاخ عن الذات ، بدا أبو اليزيد في ذلك الكلام - اختطف سيل الحيرة منه العقل ، فنطق بأفطع مما نطق به في البداية

2125 - : (قال) ما في الجبة غير الله ، فالإلام بحثك في الأرض والسماء ؟ !

- فجن أولئك المریدون جميعاً ، وأخذوا يطعنون جسده الطاهر بالمدى .
- كان كل واحد منهم كملحدى « كرده كوه » ، قد أخذ في طعن شيخه دون انقطاع .
- وكان كل من يطعن الشيخ بسلاحه ، يرتد إليه ويمزق جسده هو .
- ولم يكن هناك أثر واحد على جسد صاحب الفضائل ذاك ، وأولئك المریدون جرحى وغرقى في الدم .

2130 - فكل من وجه طعنته صوب حلقه ، مُزَّق حلقه هو ومات مستغيثا مسكينا .

- وكل من طعنه في صدره ، مزق صدره هو وأصبح ميتا إلى الأبد .
- وذلك الذي كان عارفاً بمقام ذلك السلطان ، لم يطاوعه قلبه على أن يطعنه طعنة ثقيلة .

- لقد قيدت نصف معرفة يده ، فكسب روحه ، إلا أنه جرح نفسه فحسب .
- وانتهى اليوم وقد ارتفع النواح من بيوت أولئك المريدين الناقصين .

2135 - وجاءه آلاف من الرجال والنساء صائحين : يا عالمين احتواهما قميص ،
 - لو كان جسدك هذا من أجساد البشر ، لمزقته الحناجر كما تمزق أجساد البشر .
 - لقد تقاتل من هو مع ذاته مع ذلك المنسلخ عن ذاته ، فألقى بنفسه بالشوك في عين نفسه .
 - ويا من قد ضربت المنسلخين عن الذات بالسيف ، إنك تضرب نفسك به فحذار .
 - ذلك أن المنسلخ عن الذات فان (في الله) وآمن ، وهو ساكن إلى الأبد في الأمن .

2140 - لقد صارت صورته فانية وصار هو مرآة ، ولا يبدو في المرآة إلا صورة وجه الغير .
 - فإن بصقت في المرآة فإنما تبصق على نفسك ، وإذا ضربت أمام المرآة فإنك تضرب نفسك .
 - وإذا رأيت وجهها قبيحا فهو وجهك ، وإن رأيت عيسى بن مريم فهو أنت أيضا .
 - وهي ليست هذا ولا ذاك ، إنها - ببساطة - أنك قد وضعت صورتك أمامك .
 - وحين وصل الكلام إلى هذا الحد انغلقت الشفاة ، وعندما وصل القلم إلى هذا المجال تحطم .

2145 - فاصمت ، حتى وإن عنت لك الفصاحة ، ولا تتحدث فالله أعلم بالرشاد

- إنك على طرف السطح يا ثملاً بالخمير ، فاجلس في تواضع واحذر أو انزل ، والسلام .
- وعندما تصير موفقاً ، فاعتبر هذا النفس الطيب مثل (وجودك) على طرف السطح
- وكن خائفاً على وقتك ، وأخفه كأنه الكنز ، ولا تقم بإفشاء (سره) !!
- حتى لا يغمر البلاء الولاء على حين غرة ، فهيا امض خائفاً إلى ذلك المكن .

2150 - والخوف على الروح من الزوال في وقت الفرح إنما (يكمن) في الارتحال
عن طرف سطح الغيب !!

- وإذا كنت لا ترى طرف سطح السر ، فإن الروح تراه عندما تحس بالاهتزاز .
- وكل نكال حلّ على حين غرة ، حل (والروح) على حافة شرفة السرور
- ولا يكون هناك سقوط إلا من حافة السطح ، فاعتبر (مما حدث) لقوم نوح وقوم لوط « 1 »

بيان سبب فصاحة ذلك الفضولي وثرثرته في محضر الرسول عليه السلام

- إن شعاع السكر الذي كان بلا حد عند النبي ، عندما سطع على ذلك الغبي ، ثمل به ، وحل به البسط !!

2155 - فلا جرم أنه صار ثرثاراً من شدة السرور ، فترك ذلك الثمل الأدب وسقط
في التخبط !!

- وليس الغياب عن الذات يحدث في كل موضع شراً ، إلا أن الخمر تجعل عديم الأدب أكثر انعداماً للأدب .

(1) ج / 10 - 350 : واعتبر من بواطن الأنبياء والأولياء حتى تجد الصفاء .

- فإن كان عاقلاً فإنه يصبح طيب التجلي ، وإذا كان سئ الطبع ، فإنما يشتد طبعه سوءاً .
- ولما كان أكثر الخلق معدومى الأدب غير مقبولين ، فقد حرمت الخمر عليهم جميعاً .

بيان الرسول عليه السلام سبب تفضيله لذلك الهذلي واختياره للإمامة والقيادة على الشيوخ والمجربين

- إن الحكم (في الشرع) من أجل الأكثرية ، ولما كانت الأكثرية من الأشرار ، فإن السيف يؤخذ من يد قاطع الطريق . « 1 »

2160 - قال الرسول عليه السلام : يا ناظراً إلى الظاهر ، لا تنظر إليه كشاب يخلو من الفضل .

- فرب أسود لحية يكون رجلاً شيخاً ، ورب أبيض لحية وقلبه كالقار .
- ولقد اختبرت عقله عدة مرات ، ولقد تصرف هذا الشاب في الأمور وكأنه شيخ .
- والشيخ هو شيخ العقل يا بني ، وليس من بياض الشعر في اللحية أو الرأس .
- ومن كان أكثر شيخوخة من إبليس ! لكنه لم يكن شيئاً عندما حرم من العقل .

2165 - فاعتبره طفلاً ، وعندما يكون ذا نفس كعيسى ، يكون طاهراً من الغرور وطاهراً من الهوس « 2 »

(1) هذا البيت قبل العنوان في نسخة جعفري (10 / 359)

(2) ج / 10 / 362 :

- فاعتبره طفلاً لكنه ما دام صاحب كمال - يكون شيخافي الفضل ذلك المحمود الحضال .

- فهو في طفولته هذه يكون مثل عيسى حي النفس ، يكون طاهراً من الغرور ومن الهوس .

- إن بياض الشعر دليل على النضج ، عند مغمض العينين ضيق الخطى .
- وذلك المقلد ما دام لا يعلم شيئاً إلا عن الدليل ، فإنه يبحث في الدلائل دائماً عن السبيل !!

- من أجل مثل هذا قلنا : إذا أردت التدبير فاختر الشيخ « 1 »
- وكل من نجا من حجاب التقليد ، يرى ما هو كائن بنور الحق .

2170 - إن نوره الظاهر لا يحتاج إلى دليل أو بيان ، إنه يشق الجلد ، وينفذ إلى اللب .

- وأمام الناظر إلى الظاهر سواء الزائف والصحيح ، فأى علم له بما يوجد داخل الجوال ؟ !

- وما أكثر الذهب الذي سود بالدخان ، من أجل أن ينجو من يد كل حسود .
- وما أكثر النحاس المطفى بالذهب ، حتى يباع إلى كل ضعيف عقل !!
- ونحن الناظرون إلى بواطن كل الممالك ، نرى القلب ولا ننظر إلى الظاهر .

2175 - وإن القضاة الذين يفتشون عن الظاهر ، إنما يصدر عن أحكامهم اعتماداً على الأمارات الظاهرة .

- وما دام (الكافر) قد نطق بالشهادة وأظهر الإيمان ، فإن هؤلاء القوم يؤمنون على حكمه سريعاً .

- وكثير من المنافقين لجأوا إلى هذا الظاهر ، حتى سفكت دماء كثير من المؤمنين .

.....
(1) ج / 10 - 362 :

لكن أقصد شيخ العقل لا الشيخ المسن - إنك لا تعلم الممتحن من الممتحن .

- فجاهد حتى تكون شيخا في العقل والدين ، حتى تصبح كالعقل الكلى ناظرا إلى الباطن .
- وعندما أسفر العقل الجميل عن وجهه من العدم ، فقد خلع عليه ، وسماه كثيرا من الأسماء !!
- 2180 -** وأقل أسماء ذلك الطيب النفس ، أنه لا يكون محتاجاً أبداً إلى شخص قط !!
- وإن تجلى العقل بوجهه وصوره ، يكون النهار مظلماً أمام نوره .
- ولو تبدى الحمق في صورة ما على سبيل المثال ، لكانت ظلمة الليل ضياء بالنسبة له .
- فهو أكثر ظلمة وكدرا من الليل ، لكن الخفاش الشقي إنما يشتري الظمة !!
- فتعود قليلا قليلا على ضياء النهار ، وإلا بقيت خفاشا محروما من الضياء .
- 2185 -** وإن العاشق لكل مكان تكون فيه عثرات وشبه ، يكون عدوا لكل مكان (يضاء) فيه مصباح السعد .
- إن قلبه يبحث عن ظلمة الشبه ، بحيث يبدو محصوله منها متزايدا !!
- وحتى يجعلك مشغولا بهذه ، وغافلا عن أصله القبيح .
- علامة العاقل تماماً وعلامة نصف العاقل والرجل الكامل**
ونصف الرجل وعلامة الشقي المغرور اللاشئ
- العاقل هو ذلك الذي يكون ذا شعلة (من النور) ، إنه دليل القافلة ومرشدها .
- وهذا القائد (للقافلة) تابع لنوره ، إنه تابع لنفسه ذلك الذي يسير (وقد تولى) عن نفسه .

2190 - إنه مؤمن بذاته فأمنوا (أنتم) أيضا بذلك النور الذي تفتتات روحه منه .
 - إما الثاني وهو نصف العاقل ، يعتبر العاقل (تماما) بصيرة له .
 - وقد تعلق به (كتعلق) الأعمى بالدليل ، حتى صار مبصرا به جليلا مسرعا .
 - وذلك الحمار الذي لم يكن عنده مثقال حبة شعير من عقل ، لم يكن له عقل ، وترك (اتباع) العاقل .
 - إنه لا يعرف الطريق ، كثيره أو قليله ، ويشعر بالعار أن يسير خلف دليل .

2195 - إنه يمضى في مهمه بلا حد ، يمضى كالأعرج حيناً من اليأس وحيناً ينطلق سريعا .
 - فلا شمعة هناك يجعل منها دليلا له ، ولا حتى نصف شمعة تلقى أمامه ضوءا خافتا .
 - فلا عقل له ، حتى يتنفس كما (يفعل) الحي ، ولا نصف عقل (يوحى له) بأن يتظاهر بالموت .
 - ثم يأتي كالميت أمام ذلك العاقل تماما ، حتى يسمو به في ضعته وانحطاطه .
 - فإن لم يكن لك عقل كامل ، فاجعل نفسك ميتا في كف عاقل حي الكلم .

2200 - لكن (ذاك) ليس بحي حتى يكون قرينا لعيسى ، وليس ميتاً حتى يكون موضعاً لنفس عيسى . « 1 »

.....
 (1) ج / 10 - 370 : إنه ليس بالحي ولا بالميت ، إنه لا شئ ، إنه حصرم ، لا هو بالعنب والا بالخمير والحصرم لا يتجاوز درجة الحصرمية ، إنه جاد وفح وهو حامض ومردود .

- إن روحه العمياء تمضى في كل سبيل ، ولا تنجو في النهاية ، بل تقفز هنا وهناك »
1 «

[حكاية ذلك الجدول والصيادين]

قصة ذلك الجدول والصيادين والسّمكات الثلاثة العاقلة ونصف العاقلة
والمغرورة البلهاء المغفلة اللاشئ وعاقبة كل واحدة من
(السّمكات) الثلاثة

- لعلك قرأت أيها العنود قصة ذلك النبع الذي كانت (تقيم) فيه سمكات ثلاثة كبيرة .
- (قرأتها) في كليلة ودمنة أيها العنود لكن (ما قرأته) هو قشر القصة ، وهاك لب
الروح منها .
- لقد عبر عدد من الصيادين بهذا الجدول ، ورأوا ما يكنه من (أسماك)

2205 - فانطلقوا مسرعين لكي يحضروا الشبكة ، وفهمت الأسماك ، وقلقت (على
مصيرها) .

- وتلك السمكة العاقلة عزمت على الرحيل ، لقد اختارت الطريق الصعب المكروه .
- وقالت لنفسها : علىّ ألا استشيرهما ، فإنهما - بالتأكيد سوف يقعداننى ويوهنان من
عزمي .

- إن حب الوطن متمكن من رويهما ، وسوف يلحقان بي الضرر بكسلهما وجهلها .
- إنما يجب للمشورة حي طيب حتى يقوم بإحيائك ، وأين أجد (ذلك) الحي ؟ !

2210 - فيا أيها المسافر استشر مسافرا ، ذلك أن مشورة المرأة تصيب قدمك
بالعرج .

- دعك من حكمة حب الوطن ولا تتوقف ، فإن الوطن في تلك الناحية أيها العزيز
وليس في هذه الناحية .

.....
(1) ج 10 - 370 : ولا يغنيها القفز ذلك الزمان ، ذلك أن البلاد قد نزل من
السماء .

- وإذا كنت تريد الوطن فأعبر إلى ذلك الشاطئ الآخر ، وكفاك خطأ في قراءة الحديث الصحيح .

سر تلاوة المتوضى لأوراد الوضوء

- في الوضوء لكل عضو ورد مختلف ، لقد ورد (هذا الورد) في الخبر لكي تدعو (به) .

- وعندما تقوم بالاستنشاق ، أطلب رائحة الجنة من الرب الغنى .

2215 - حتى تقودك تلك الرائحة صوب الجنان ، فإن شذى الورد يكون دليلاً على (وجود) روضة الورد .

- وعند الاستنجاء يكون الورد والدعاء : اللهم طهرني من هذا الخبث .

- لقد طالت يدي هذا الموضع وقامت بغسله ، لكن يدي قصيرة عن تطهير الروح .

- لقد صارت الأرواح من ليسوا بأهل شيئاً ، ويد فضله متوصلة إلى الأرواح .

- لقد كان هذا حدى وقمت به أنا اللئيم ، فنقتى من ذلك الخبث الذي في الطرف الآخر أيها الكريم .

2220 - لقد غسلت أنا الجلد من الحدث يا الله ، فأغسل أنت من الحوادث هذه الروح (يا الله) !

كان أحدهم يقول عند الاستنجاء : اللهم أرحنى رائحة الجنة بدلاً من :

اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وهو ورد الاستنجاء ،

وكان يقول ورد الاستنجاء عند الاستنشاق فسمع أحد الأعزاء ، ولم يطق ذلك .

- كان أحدهم يقول عند الاستنجاء : اللهم أرحنى رائحة الجنة .

- فقال لهم أحدهم : لقد قلت دعاءً طيباً ، لكنك ضللت فتحة الدعاء .
- فإن كان هذا الدعاء هو ورد الأنف ، فكيف نقلت ورد الأنف إلى المؤخرة ؟ !!
- إن الحر يستنشق رائحة الجنة من أنفه ، فمتى يمكن لرائحة الجنة أن تأتي إلى الدبر ؟ !

- 2225 -** ويا من قد تواضعت أمام البلهاء ، ويا من تكبرت أمام الملوك .
- إن هذا التكبر على الأخساء طيب ومقبول ، انتبه وإياك أن تسير به عكس ذلك ، فإن سيرك في الطريق المعاكس قيد لك .
 - إن منبت الورود من أجل فتحة الأنف ، (واستنشاق) الرائحة وظيفة الأنف أيها العتل .
 - وعبق الورود من أجل المشام أيها الشجاع ، وليست هذه الفتحة السفلى موضع هذه الرائحة .
 - وحتى تأتيك من هذا الموضع رائحة الخلد ، أطلب الرائحة من موضعها إن أردت ذلك !!

- 2230 -** وأيضاً فإن حديث حب الوطن حديث صحيح ، لكن أعلم ما هو الوطن أولاً أيها السيد !!
- لقد قالت تلك السمكة الماهرة . . فلأسلك الطريق ، ولأصرف القلب عن رأيهما ومشورتهما .
 - ليس هذا هو وقت الشورى ، فهيا امض في الطريق ، ومثل على رضي الله عنه بث همومك للبئر ، وأطلق آهاتك .
 - إن المأذون له بتلك الآهة نادر جداً ، فامض بليل ، وامش خفية كالعسس .
 - وتحرك نحو البحر من هذا الجدول ، وأطلب البحر واترك هذه الدوامة .

2235 - لقد جعلت من الصدر قدماً وتحركت تلك الحذرة ، (تحركت) من المقام
الخطر حتى البحر ذي النور .
- مثل غزال يطارده كلب (صيد) ، إنه يعدو ما دام في جسده عرق .
- إن نوم الأرنب والكلب في أثره خطأ ، وأين من عين الخائف النوم ؟ !!
- ذهبت تلك السمكة واتخذت طريقها إلى البحر ، لقد أخذت الطريق الطويل والساحة
الواسعة .
- لقد عانت كثيراً من المتاعب وفي النهاية ، مضت في آخر الأمر إلى الأمن
والعافية .

2240 - لقد أَلقت نفسها في البحر العميق الذي لا يدرك البصر حداً له .
- وعندما أحضر الصيادون الشبكة ، أحست السمكة نصف العاقلة بالمرارة .
- وتأوهت قائلة : لقد فوتت الفرصة ، عندما لم أصاحب ذلك الدليل ، - لقد مضت فجأة
، لكن كان ينبغي علىّ عندما ذهبت أن أمضى في أثرها بنشاط .
- إن الحسرة على ما مضى من قبيل الخطأ ، وإن ما مضى لا يرجع وذكره هباء
« 1 » .

**قصة ذلك الطائر الأسير الذي أوصى قائلاً : لا تأسف على ما مضى
وفكر في تدارك الوقت ، ولا تضيع أيامك في الندم**

2245 - لقد صاد أحدهم بمكره وفخه طائراً ، فقال له الطائر : أيها السيد الهمام !!

(1) ج / 10 - 379 :

هذا الزمان لا تجديني الحسرة . فماذا أفعل وقد فاتتني الفرصة ؟ !

- لقد التهمت كثيراً من البقر والشياة ، وذبحت كأضحية كثيراً من الجمال .
- لكنك لم تشبع منها في وقت ما ، ولن تصير شعباً من أعضائي (هذه) « 1 » .
- اطلقني حتى أقدم لك نصائح ثلاثة ، وحتى تعلم أذكى أنا أم أبله .
- سوف أقول لك أولى تلك النصائح وأنا على يدك ، والنصيحة الثانية أقولها وأنا فوق جدارك الطيني هذا .

- 2250 -** أما النصيحة الثالثة فأنا أقولها لك وأنا فوق الشجرة ، وسوف تكون سعيداً مقبلاً من هذه النصائح الثلاثة .
- وهاك (النصيحة) التي ينبغي أن أقولها وأنا في يدك : لا تصدق من أحد محالاً .
 - وعندما قال له هذه النصيحة العظيمة وهو على كفه ، أطلقه فانطلق إلى ذلك الجدار .
 - فقال له : النصيحة الثانية هي : لا تأسف على ما فات ، وما دام قد فات فلا تتحسر عليه !
 - ثم قال : إن هناك درة يتيمة وزنها عشرة دراهم مخفية في جسمي .

- 2255 -** لقد كانت هذه الجوهرة إقبالا لك وحظاً لأولادك ، بحق روحك .
- لقد أضعت تلك الدرة فلم تكن رزقا لك ، وليس هناك مثل تلك الدرة في الوجود .
 - فأخذ السيد ينوح وكأنه امرأة أتاها المخاض .
 - فقال الطائر : ألم أنصحك بالألا تأسف على ما فاتك بالأمس ؟ .

(1) ج / 10 - 386 :

اطلقني كرماء منك أيها الشهم الكريم المحترم .

- وما دام قد فات ومضى فكيف تحزن ؟ ! فإما أنك لم تفهم النصيحة وإما أنك أصم .

2260 - وألم أقل في النصيحة الأخرى : لا تصدق أبدا القول المحال .

- إن وزنى كله لا يصل إلى ثلاثة دراهم أيها الأسد ، فكيف يكون في جسدي (ما وزنه) عشرة دراهم ؟ .

- فانتبه السيد ثانية وقال : هيا ، قدم لي النصيحة الثالثة الطيبة .

- فقال : أجل . لقد عملت بالنصيحتين الأخريين ، حتى أقدم لك النصيحة الثالثة بالمجان .

- إن تقديم النصيحة للجهول النائم ، وهو بمثابة بذر البذور في الأرض البور .

2265 - إن فتق الحمق والجهل لا يقبل الرتق ، فقلل بذار الحكمة فيه أيها الواعظ .

احتيايل تلك السمكة نصف العاقلة وتظاهرها بالموت

- لقد قالت تلك السمكة الأخرى عند البلاء (أي) عندما انحسر عنها ظل السمكة العاقلة :

- ومضت نحو البحر وأعتقت ، وقالت من الحزن : لقد فارقتني تلك الرفيقة الطيبة .

- لكن على ألا أفكر في هذا وألا أضل ألوم نفسي بل على أن أتظاهر بالموت في التو واللحظة .

- ولأجعل بطني إذن أعلى وظهري إلى أسفل ، ولأطف على سطح الماء .

2270 - ولأمش على سطح الماء كما يفعل القذى ، لا أكون سابحة كما يفعل الحي . .

- لأتظاهر بالموت ولأسلم نفسي إلى الماء ، إن الموت قبل الموت أمن من العذاب .
- الموت قبل الموت أمن أيها الفتى وهكذا قال ، وهكذا أمرنا المصطفى .
- لقد قال عليه السلام : «موتوا كلكم من قبل أن يأتي الموت وتموتوا بالفتن» «1» .
- وهكذا تماوتت وجعلت بطنها بارزة إلى أعلى ، فأخذ الماء يرتفع بها حيناً وينخفض بها حيناً .

- 2275 -** وحزن كل واحد من هؤلاء المهاجمين وقال : وآسفاه لقد ماتت أفضل سمكة .
- وفرحت هي من تأسفهم وقالت في نفسها : لقد نجحت لعبتي هذه ونجوت من سيف (الهلاك) .
 - وأمسك بها صياد أريب وبصق عليها وألقى بها على التراب .
 - فانزلقت . . حتى اختفت في الماء ، وبقيت تلك السمكة (الثالثة) الحمقاء تتخبط .
 - لقد أخذت تلك الساذجة تقفز يمناً ويسرة ، حتى تنجو بمجهودها من جحيم (البدن) .

- 2280 -** فألقوا الشبكة وانطبقت عليها ، وألقى بها حمقها في تلك النار .
- وعلى ظهر مقلاة فوق النار ، صارت ضجيعة لحماقتها .
 - لقد كانت تغلى من حرارة السعير ، وكان العقل يقول لها : ألم يأتك نذير ؟ !
 - كانت تجيب في العذاب والبلاء مثلما كانت أرواح الكافرين تجيب قائلة : بلى !

(1) بالعربية من المتن .

- ثم أخذت تقول : إذا نجوت هذه المرة من هذه المحنة التي تحطم العنق

2285 - لا آلف إلا البحر موطننا ، ولا أجعل أبدا من الجدول سكنا .
- ابحث عن ماء لا حد له ولا شاطئ وأمضى إلى الأبد في أمن وسلامة « 1 » .

بيان أن عهد الأحمق عند الشدة وندمه لا وفاء لهما فيهما مصداقا
لقوله تعالى « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ »
وليس للصبح الكاذب وفاء .

- أخذ العقل يقول لها : إن الحمق معك (وكامن فيك) ، ومع الحمق يكون النكوص عن العهد .

- ومع العقل يكون الوفاء بالعهود ، ولا عقل عندك ، فامض يا من قيمتك كحمار .
- فإن العقل هو الذي يتذكر عهده وميثاقه وهو أيضا الذي يمزق حجب النسيان .

2290 - وما لم يكن لك عقل يكون النسيان أميرا عليك وهو عدوك ومبطل تدبيرك .
- والفراشة الضئيلة من قلة عقلها ، لا تذكر النار ولا الحرقه ولا الحسيس .
- إنها تتوب عندما يحترق جناحها ، ثم يدفعها حرصها ونسيانها إلى النار .

.....
(1) ج / 10 - 384 :

وهكذا أخذت تنذر النذور مع نفسها قائلة : إن نجوت من هذه الورطة . - لأتمسك بأهداب العقل ليل نهار ، حتى لا أقع في مثل هذا الألم والتعب .

- والضبط والإدراك والحفظ والتذكر ، كلها من العقل ، فالعقل هو الذي نشرها .
- وما لم يكن لك جوهره . . كيف يكون لك نوره ، وما لم يكن للمرء من مذكر . . كيف يتم إيابه ؟ !

2295 - إن هذا التمني (عند السمكة) هو أيضا من قلة عقلها فهي لا تبصر حمقها لأنه طبع فيها .

- وذلك الندم إنما ينبعث من (مجرد) الألم وليس منبعثا من العقل المستنير كالكنز .
- وعندما ينتهى الألم يكون الندم كالعدم ولا تساوى تلك التوبة ولا يساوى ذلك الألم مثقال ذرة من تراب .
- لقد حمل ذلك الندم أثقالا من ظلمة الحزن ومن ثم فكلام الليل يمحوه النهار .
- وعندما تنقش ظلمة الحزن ويصير سعيدا تذهب عن القلب أيضا نتيجتها وما تولد منها .

2300 - أنه لا يفتأ يتوب وشيخ العقل يصبح به : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » .

[حكاية مناقشات موسى مع فرعون]

في بيان أن الوهم زيف العقل وخصمه ، فهو يشبهه وليس هو ، وقصه مناقشات موسى عليه السلام وكان صاحب عقل مع فرعون الذي كان صاحب وهم .

- إن العقل عدو للشهوة أيها الهمام وما تدور الشهوة حوله لا تسمه عقلا .
- وما يكون متسولا للشهوة سمة وهما ، إن الوهم هو الزيف بالنسبة لذهب العقل النضار .
- ولا يتبين الوهم من العقل دون محك ، فاحمل كليهما سريعا إلي المحك

- هذا المحك هو القرآن الكريم وسير الأنبياء وأحوالهم ، إنها كالمحك تقول للزائف :
أعرض نفسك على .

2305 - لترى أنت نفسك من عركى (لأذنيك) إنك لست أهلا لمرتفعاتي
ومنحدراتي .

- ولو أن منشار اقسام العقل إلى نصفين لكان أيضا كالذهب مبتسما وسط لهيب النار »
1 « .

- إن ما كان لفرعون كان وهما محرقا للعالم ، أما العقل الذي يملأ الروح نورا فهو
لموسى .

- ولقد سار موسى على طريق الفناء ، فقال له فرعون : قل لي من تكون ؟
- قال : أنا العقل رسول ذي الجلال ، وأنا حجة الله وأمان من الضلال .

2310 - فقال له : اصمت ، ودعك من هذا الادعاء حدثني عن اسمك القديم ونسبك .
- قال : أما نسبي فاعلم أنه من التراب أما اسمي الأصلي فهو أقل عبيده .

- وأنا عبد وابن عبد لهذا الخالق ، جنئت من (أصلاب) عبيد وأرحام إماء .
- أما نسبي الأصلي فهو من التراب والماء والطين ، ولقد وهب الله التراب والطين قلبا
وروحاً .

- ويعود جسدي الترابي هذا إلى التراب ، ومرجعك أنت أيضا إلى التراب أيها
المتكبر .

2315 - إن أصلنا واصل كل العصاة يعود إلى التراب ، وعندي على ذلك الأمر

(1) في نسخة جعفري (ج - 10 / 392) : عنوان مناقشات موسى عليه السلام
الذي كان صاحب عقل مع فرعون الذي كان صاحب وهم .

- مائة دليل .
- وجسدك إنما يستمد وجوده من التراب ، وتلتف عنقك هذه وتغلظ في هذا التراب .
 - وعند تمضى (عنه) الروح يتحول ثانية إلى تراب . . . في ذلك القبر المريع المخيف . . .
 - وأنت أيضا ونحن وأشباهك كلنا نصير ترابا ولا جاه يبقى (ولا عظمة) !
 - قال : إن لك اسما غير هذا النسب . . وذلك الاسم (القديم) هو أولى لك .
- 2320 -** إن اسمك هو عبد فرعون وعبد عبيده ، وهو الذي ربي من البداية جسمك وروحك .
- إنك عبد أبى طاغ وظلوم ، وهربت من ديارك من فعلتك المشئومة .
 - إنك مجرم وغادر وجحود ، هيا وطابق هذه الصفات على نفسك
 - وها أنت ترى نفسك تعاني الغربة فقيرا مهلهل الثياب ، ذلك لأنك لم تؤد لنا فروض الشكر والاعتراف بالجميل .
 - قال (موسى) : حاشا لهذا المليك أن يكون له في ألوهيته شريك ،
- 2325 -** إنه واحد في ملكه ولا شريك له ولا مالك لعبيده سواه جل شأنه .
- وليس لخلقه من مالك سواه ولا يدعى مشاركته ملكه إلا هالك .
 - إنه هو الذي صور وهو مصورى ، ولو ادعى غيره أنه البارئ المصور فهو ظلوم جهول .
 - إنك لا تستطيع أن تخلق حاجبا واحدا في ، فكيف تستطيع معرفة رuchi ؟
 - بل الغادر الطاغية هو أنت ، إذ لا تفتأ تدعى مشاركة الحق (ملكه) .

2330 - وإذا كنت قد قتلت أحد الظلمة على سبيل السهو ، فلم أقتله غضبا لنفسي ولم أقتله لاهيا . .

- ولقد وكزته فسقط على حين غرة ، لم تكن له روح « ربانية » فأسلم روحه (الحيوانية) .

- لقد قتلت كلبا واحدا ، لكنك قتلت من أولاد المرسلين مئات الآلاف من الأطفال دون جرم جنوه ، أو ضرر صدر منهم .

- وسوف تظل دماؤهم في عنقك ، ولتر ماذا سيحيق بك من جزاء سفكك للدماء .

- لقد قمت بقتل ذرية يعقوب ، أملا في قتلى أنا فقد كنت المطلوب .

2335 - لكنه برغم أنفك اصطفاني سبحانه وتعالى وانقلب ما كان تدبره .

- قال فرعون : دعك من هذا (اللجاج والجدل) بلا أدنى شك أكون هذا حقي منك وجزاء الخبز والملح ؟ .

- أن تأتى وتحط من شأني أمام الخلق وتجعل النهار المضى مظلما على قلبي ؟ .

- قال موسى : بل إن ذل القيامة أشد وطأة عليك ، إن لم تحسب حسابي فيما (أفصله لك) من خير وشر .

- إنك لا تستطيع أن تتحمل هنا لدغة برغوث ، فكيف ستكون إن ذقت لدغ الحية ؟ !

2340 - إنني أهدم أوضاعك في ظاهر الأمر ، لكنني في الحقيقة أحول ما فيك من شوك إلى روضة (غناء) .

بيان أن العمارة في الخراب والجمع في التفرقة والصحة

في الانكسار والمراد في الخيبة والوجود في العدم

وعلى هذا بقية الأضداد والأزواج

- لقد جاء أحدهم وأخذ يحرث الأرض ، فصاح أحد البلهاء ولم يستطع صبرا ،
- (قائلا) : لماذا تقوم بتخريب هذه الأرض وكشفها وتحدث فيها كل هذا الاضطراب ؟ !
- فقال له : امض أيها الأبله ولا تحمل علي ، وميز (أولا) بين العمارة والخراب .
- فمتى ينبت منها حقل حنطة أو تنبتق منها روضة ما لم تصر قبيحة ومخربة هذه الأرض ؟ .

- 2345 -** ومتى يمكن أن تتحول إلى بستان وفروع وأوراق وثمار . . ما لم تقلب ظهرها البطن ويصير عاليها سافلها ؟ .
- وما لم تشق بالمبضع الجرح الذي التأم على تقيح ، فمتى يشفى ومتى يصير موضعه ناعما ؟ !
 - وما لم تغسل أخلاطك بالدواء ، متى يذهب التهيج ويأتي الشفاء ؟ !
 - إن الخياط يمزق الثوب إربا فهل يقوم أحد بضرب هذا الخياط الماهر ،
 - قائلا له : لماذا مزقت هذا الأطلس الفاخر ؟ ! وماذا أفعل أنا بهذه القطع الممزقه ؟ .

- 2350 -** وعندما يراد ببناء قديم أن يعمر ، ألا يقومون في البداية بهدم البناء القديم ؟ .
- وهكذا ألا يقوم النجار والحداد والقصاب بالهدم قبل البناء والتعمير ؟ !
 - وألا يكون من دق النباتات الطبية « 1 » وسحقها الدواء الذي جعلوا منه عمارة الجسد ؟ !

(1) حرفيا : الإهليلج والبليج وهما من النباتات الطبية .

- وما لم يطحن القمح ويدق في الطاحون متى يمكن لموائدنا أن تزددان به ؟ ! - إن حق الخبز والملح هو الذي دفعني إلي ذلك دفعني إلى محاولة تخليصك من الشص أيتها السمكة ؟ ! « 1 »

2355 - فإنك تنجو أن تقبلت نصيحة موسى ، تنجو من مثل هذا الشص القبيح الذي لا نهاية له .

- إنك من كثرة ما جعلت نفسك عبدا للهوى ، قد حولت دودة صغيرة إلى أفعى .
- ومن أجل هذه الأفعى جئت أنا أيضا بأفعى ، حتى أقوم بإصلاحها قليلا قليلا .
- وحتى تخف حدة أفعاك من أفعاي وحتى تجندل أفعاي أفعاك .
- فإن تقبلت فقد نجت روحك من كلتا الحيتين ، وإلا فإن الدمار لاحق بروحك لا محالة .

2360 - قال فرعون : إنك في الحقيقة ساحر شديد المكر ، ولقد بثت الفرقة بمكرك هذا .

- لقد فرقت بين الجماعة المتفقة وجعلتها جماعتين ، والسحر يؤثر في الصخر والجبل . « 2 »

- قال موسى إنني مستغرق في رسالة الله ، ومتى رأى أحد سحرا مع اسم الله ؟ !
- أن الغفلة والكفر هما أساس السحر ، أما الروح الموسوية فهي مشعلة للدين .

(1) في نسخة جعفري (ج - 10 / ص - 401) عنوان جواب موسى عليه السلام على فرعون .

(2) في نسخة جعفري (ج - 10 / ص - 401) عنوان في نفى موسى السحر عن نفسه .

- وأي شبه لي مع السحرة أيها المتوقح ، إن المسيح ليمتلئ حسدا من أنفاسي .

2365 - وأي شبه لي مع السحرة أيها النجس ، ومن روعي تستمد الكتب النور .

- وما دمت تطير بجناحي الهوى فلا جرم أن تظن بي هذا الظن .

- وكل من تكون لديه أفعال الوحوش والفخاخ ، فلا جرم أن يظن بالكرماء ظن
السوء .

- وما دمت جزءا من هذا العالم فكيفما تكون ، ترى جميع الناس على ما أنت عليه أيها
المفتون .

2370 - وإذا كنت في سفينة تمخر عباب اليم . . ترى ساحل اليم سائرا بدوره .

- وإذا أصابك ضيق الصدر في معمعة النزال ، فإنك ترى الدنيا بأجمعها قد ضاقت
بك .

- وإذا كنت سعيدا وفق ما يهوى أحباؤك فإن الدنيا تبدو لك روضة غناء .

- وما أكثر من ذهبوا إلى الشام والعراق ولم يبصروا فيها شيئا غير الكفر والنفاق .

- وما أكثر الذين ذهبوا حتى الهند وهرارة ، ولم يروا شيئا إلا البيع والشراء .

2375 - وما أكثر الذين ذهبوا حتى تركستان والصين ، ولم يبصروا شيئا إلا المكر
والخداع والكمين . « 1 »

- وإذا كان لا يملك من وسائل الإدراك إلا ما يدرك الألوان والروائح ، فقل له هيا
طف بكل البلاد .

- ولو أن بقرة أتت فجأة إلى بغداد وأخذت تمضي فيها في هذه الناحية إلى تلك
الناحية .

(1) ج / 10 - 402 :

وطالب أي شيء أيها الرفيق الرشيد لا يرى إلا نفس هذا الشيء الذي يطلبه .

- فإنها لن ترى من كل ألوان اللهو والسعادة والمتعة إلا قشر الدابوق .
- إن القش أو التبن الذي يكون ساقطا على الطريق يكون جديرا بطواف الأبقار
والحمير .

2380 - إنها متييسة على مسمار الطبيعة كأنها القديد ، إنها مرتبطة بما يقيم أودها
ويبقىها حية . . لا تزيد .
- أما الفضاء الذي هو خرق الأسباب والعلل ، فهو أرض الله أيها الصدر الأجل .
- إنها تتبدل في كل لحظة كأنها صورة الروح ، إنك ترى فيها عالما جديدا متبدلا كل
لحظة .
- وكل شيء تجمد علي حالة واحدة يكون قبيحا حتى لو كان فردوس الجنة التي تجرى
من تحتها الأنهار .

بيان أن لكل حس مدرك عند الإنسان مدركات على حدة
لا علم لها عن مدركات الحس الآخر .
هذا مثلما يجهل كل حرفي أستاذ عمل الحرفي الآخر ، وللحرفي الآخر عمل يعرفه
وليس معنى أنه لا يعرف العمل الآخر أنه ليس موجودا وليست المدركات الأخرى
غير موجودة بالرغم من أنه ينكرها بحكم الحال لكننا لا نزداد من إنكاره هذا الا
مزيذا من الاعتقاد بغفلته في هذا المقام .

- إن رؤيتك للدنيا هي في مجال إدراكك . . . وحسك غير الطاهر هو حجاب بينك
وبين الأطهار .

2385 - فاغسل حواسك فترة بماء العيان واعلم أن هذا هو المقصود بغسل الثياب عند
الصوفية « 1 » .

.....
(1) ج / 10 - 407 : ويا من من غفلتك جهلت معنى السبب ، فصرت عبدا
لأسباب حمارا فلا جرم أن صرت أعمى القلب حائرا ، صرت مضطرب الأحوال
مضطرا ، افتح عينيك وانظر إلى المسبب حتى تصبح فارغا من النظر إلى الأسباب .

- وعندما تصير طاهرا تمزق الحجب وتحف بك أرواح الأطهار .
- وإذا كان كل العالم قد انقلب إلى نور وصور تكون العين على علم بهذا الحسن .
- لكنك أغلقت عينيك وتقدم أذنيك ، حتى تبدى لك حسناؤها وجهها وجدائلها .
- فتقول الأذن أنني لا أميل إلى الصور ، لكن الصور إن تحدثت فأنا أسمعها .

2390 - إنني عالمة لكن في فني الخاص بي . . وفني ليس إلا الحرف والصوت ليس أكثر .

- هيا وتعال أيها الأنف وانظر إلي هذه الحسناء لكن هذا المطلوب ليس مناسبا للأنف .
- فإن كان ثمة مسك وماء ورد فأنا أقوم بشمه ، هذا هو فني وعلمي وخبرتي .
- فمتى أبصر أنا وجه هذا الفضى الساق ، هيا ولا تكلفنا بما لا يطاق .
- ثم إن الحس الملتوى لا يبصر إلا كل ملتو ، فسر أمامه (يا فرعون) معوجا أو سر صحيحا مستقيما .

2395 - واعلم أيها السيد السند أن عيني الأحول محرومة من رؤية الواحد . وهذا على سبيل اليقين .

- وهذا أنت يا فرعون وكلك مكر واحتيال ، لا ترى أن ثمة فرقا بيني وبينك .
- لا تنظر إلى من ذاتك يا لاعبا باحتيال مكر حتى لا ترى الواحد اثنين بما هو فيك .

- وانظر إلى منطلقا من ذاتي أنا لحظة واحدة ، حتى تبصر ساحة (موجودة) فيما وراء الكون .
- وحتى تنجو من الضيق ومن (تفكيرك) في الشرف العار وترى عشقا خالصا والسلام .

- 2400 -** ثم تعلم بعدها ما دمت قد نجوت من البدن ، وأنه من الممكن للأذن والأنف أن يصيرا عينا .
- وما أصدق ما قاله ذلك الملك عذب البيان : إن كل شعرة عند العارفين تصير عينا .
 - ففي البداية لم يكن للجسد عين ، عندما كان في الرحم جنينا من اللحم .
 - فلا تعتبر أن هذا القطعة من اللحم هي علة الرؤية وإلا لما رأى أحد الحلم في النوم يا بنى .
 - وذلك الجنى والشيطان كلاهما يرى من هو من جنسه وليس في عين كل منهما شحمة .

- 2405 -** وليس للنور في حد ذاته صلة بشحمة (العين) لقد وهبه الخلاق الودود الانتساب إليه .
- وأدم من تراب ، فمتى شابه التراب . والجنى من النار فما وجه الاشتراك بينها ؟ .
 - ولا يشبه الجنى النار على أي وجه إذا دقت النظر ، بالرغم في أن النار أصل له .
 - والطائر من الهواء فمتى يشبه الهواء والريح ، لكن الله جل وعلا جعل التناسب بين ما لا تشابه فيه .
 - ونسبة هذه الفروع إلى أصولها لا كيفية لها إنه هو الذي وصلها .

- 2410 -** وبالرغم من أن الإنسان وليد التراب الهباء ، فأى تناسب لهذا الابن مع هذا الأب ؟ !
- فإن كان ثمة تناسب فهو مخفى عن العقل ، هو بلا كيفية فكيف يفهمها العقل ؟ .
- والريح ولا عين لها إن كان جل وعلا لم يهبها البصيرة فكيف إذن تميزها في قوم عاد ؟ .
- وكيف كانت تميز المؤمن من العدو ؟ ! وكيف كانت تميز الخمر من القرع ؟ .
- وإن لم يكن هناك عين النار النمرود ؟ ! فكيف راعت أصول الحشمة مع الخليل ؟ !
- 2415 -** وإن لم يكن للنيل هذه الرؤية فمن أي شئ كان يميز بين قوم فرعون وقوم موسى ؟ !
- وإن لم يكن الجبل والحجر قد صارا من أصحاب الرؤية ، فكيف كانا يؤوبان مع داود ؟ !
- وإن لم يكن لهذه الأرض بصيرة في ذاتها فلأي أمر إذن ابتلعت قارون هكذا ؟ !
- وإن لم يكن للجذع الحنان عين قلب . . فكيف كان يرى هجر ذلك العظيم ؟ !
- وإذا لم يكن الحصى مبصرا فكيف كان يشهد في كف (أبى جهل) المضموم ؟ !
- 2420 -** فيا أيها العقل ، أضم الجناح والقوادم واقرأ سورة « الزلزلة » .
- فكيف تحدث أخبارها يوم القيامة على ما لم تره على الأرض من خير وشر ؟ .

- إنها إذاك تحدث أخبارها . . وتظهر الأرض لنا أسرارها « 1 »
- وإن إرسال (مثلي) إلى « مثلك » أيها الأمير لبرهان على أن المرسل (عليم) خبير .
- إن مثل هذا الدواء لمثل هذا الجرح الذي لا يشفى جدير به مناسب له لتيسير (علاجه) .
- 2425 -** ولقد رأيت واقعات قبل الآن (تنبؤك) بأن الله سوف يصطفيني (رسولا) .
- وإنني بعصاي والنور في يدي ، سوف أحطم قرن وقاحتك .
- ومن أجل هذا أبدى لك رب الدين ، واقعات مهيبة ومخيفة من كل نوع . .
- لكنها جديرة بما تنطوى عليه من طوية سيئة وطغيان ، ولكن تعلم أنه يعلم تماما ما يناسبك .
- وحتى تعلم أنه حكيم وخبير وإنه الشافي للأمراض التي لا تقبل الدواء .
- 2430 -** لكنك كنت تتردد عنها طبقا رتأويلات عميت عنها وصممت وقلت أنها من النوم الثقيل .
- وذلك الطبيب وذلك المنجم كانا يعرفان تأويلها في ضوء علميهما لكنهما أخفياها عنك طمعا .
- وقال : بعيدا عنك وعن ملوكيتك أن يصاب بلاطك وعلمك بأي أذي .
- إن الأطعمة المختلفة والأغذية غير المناسبة . . هي التي هيجت منك الطبع بحيث يرى هذه الأحلام .
- وذلك لأنه رأى أنك لست بالباحث عن النصيحة وأنتك مندفع سفاح وليس فيك طبع المساكين .

(1) بالعربية في النص .

2435 - إن الملوك يسفكون الدماء من المصلحة لكن رحمتهم تزيد عن غضبهم وتسبقها .

- وينبغي للمك أن يتخلق بأخلاق الله - وإن تسبق رحمته غضبه .
- فلا يكون الغضب غالبا عليه كالشيطان ويسفك الدماء بلا ضرورة من أجل المكر .
- ولا ينبغي أن يكون له حلم كحلم المخنث بحيث تفسد نساؤه وجواريه وينقلبن إلى بغايا .
- لقد جعلت الصدر منزلا للشيطان ، واصطنعت الحقد قبله لك .

2440 - وما أكثر الأكباد التي جرحها قرنك الحاد ، وها هي عصاي قد كسرت قرنك الوقح .

هجوم أهل هذه الدنيا على أهل الآخرة والهجوم حتى حدود الذر والنسل وهي على حدود الغيب وغفلتهم عن الكمين فإن الغازي إن لم يخرج للغزو هجم عليه الكافر .

- لقد هاجم جيش أهل الجسد قلاع أهل الروح وحصونهم .
- وذلك حتى يحاصروا بشدة قلعة الغيب ، حتى لا يخرج منها أحد طاهر الجيب .
- وعندما يقلل الغزاة من قيامهم بالغزو والجهاد فإن الكفار في المقابل (يتوقحون) ويقومون بالهجوم .
- وعندما لم يحمل عليك غزاة الغيب من حلمهم يا قبيح المذهب

2445 - قمت أنت بالهجوم على متحصني الغيب ، حتى لا يأتي رجل الغيب من تلك الناحية !

- وضربت بمخالبك في الأصلاب والأرحام ، حتى تقطع السبيل من السوء الذي فيك .

- فكيف إذن تسد الطريق الرئيسي الذي وهبه ذو الجلال من أجل التوالد والتناسل ؟ !
- وصرت سداً أمام الحدود والطرق إليها اللجوج المجادل . . وبرغم إنفك خرج قائد الهى وعبرها إليك .
- وها أنا القائد أحطم فوجك ، وباسمه جل وعلا أحطم (ما تفكر فيه) من شرف وعار .

- 2450 -** فهيا وسد كل الطرق والسبيل بما أوتيت من قوة ، واسخر من شاربك فترة من الزمن .
- فإن القضاء الإلهي يقلع شاربك شعرة شعرة . . حتى تعلم أنه عندما يأتي القدر يعمى الحذر .
 - فهل يا ترى أنت أكثر كبرياء أم قوم عاد ، التي كانت ترتعد من أنفاسهم البلاد ؟ !
 - وهل أنت أكثر عنادا أو قوم ثمود ، الذين لم يأت مثلهم في الوجود ؟ !
 - وإنك كرجل أصم إن ضربت لك مئات الأمثال لن ترعوى فأنت تسمع وتتجاهل ما سمعت .

- 2455 -** لقد تثبت عن الحديث (إليك) وبدون حديث مزجت لك الدواء (الجدير بك) .
- فلأضعه على جرحك الفج حتى يصير ناضجا ، ولا يقوم بإحراق لحيتك وشاربك إلى الأبد . .
 - حتى تعلم أنه خبير أيها العدو ، ويعطى لكل امرئ ما يناسبه (وما هو خليك بفعله) .
 - فمتى قمت بتصرف أعوج أو ارتكبت شرا ولم تر ما هو جدير به في أثره ؟ .

- ومتي توجهت إلى السماء بدعاء خير أو فعل خير . . ولم يأت مثله في أثره ؟ !

2460 - إنك إن كنت مراقبا ويقظا فإنك تشاهد في كل لحظة جواب فعلك .
- وعندما تكون مراقبا متمسكا بالحبل المتين ، فإنك لن تكون في حاجة إلى (انتظار) قيام الساعة . .
- وذلك الذي يعلم الرمز العلم الصحيح . . لا تكون بحاجة إلى القول الصريح .
- لقد حل بك هذا البلاء من غبائك ذلك لأنك لم تفهم النكات والرموز .
- وما دام القلب قد صار كدرا أسود من السوء فافهم ، فلا مجال للحيرة هنا .

2465 - والإصرار ذلك الكدر نفسه سهما . . ونفذ فيك جزاء حيرتك .
- وإن لم يأت السهم فهذا من عطاء الله ليس من أجل أن دنسك غير مرئى .
- فانتبه وكن مراقبا إن كنت تريد قلبا ، ففي أثر كل فعل يتولد فيك شئ ما .
- وإن كانت همتك ترقى بك إلي ما هو أكثر ، فإنك من المراقبة تمضى إلى ما هو أسمى .

بيان أن الجسد الترابى للإنسان مثل الحديد حسن الأصل قابل للتحول إلى مرآة ،
بحيث يعاين فيه وهو في الدنيا الجنة والنار والقيامة وغيرها ،
لا على سبيل الخيال .

- فإذا كنت كالحديد كدر الهيكل ، فقم بصقله ، قم بصقله قم بصقله .

2470 - حتى يصير قلبك مرآة مليئة بالصور ، وفي كل ناحية فيه مليحة مضيئة الصدر .

- وبالرغم من أن الحديد كدر لا نور فيه ، فإن الصقال محا ذلك الكدر عنه .
- لقد عانى الحديد الصقل ، وجلا (الصقال) وجهه ، بحيث أصبح من الممكن رؤية الصور فيه .
- وهكذا الجسد الترابي بالرغم من أنه غليظ كدر ، قم بصقله فهو أيضا قابل للصقل .
- حتى تنعكس فيه أشكال الغيب وتشاهد فيه صور الحور الملائكة .

2475 - لقد أعطاك الله صيقل العقل ، حتى تنجلي به صفحات القلب .
 - فقيدت هذا الصقال يا أيها الجنب ، لكنك أطلقت كلتي يدي الهوى والهوس .
 - ولو أنك قيدت الهوى ، لأصبح الصقال مطلق اليد .
 - ولكان الحديد مرآة للغيب ، ولانعكست فيه كل الصور .
 - لكنك جعلته كدرا وراوان عليه الصدا من الأساس ، وهذا هو معنى يسعون في الأرض الفساد .

2480 - وهكذا هو فعلك وديدتك فاقلع عن هذا الأمر الآن ، لقد عكرت الماء فلا تزد في تعكره .
 - لا تعكره ، حتى يظل هذا الماء صافيا ، حتى ترى القمر والكواكب سابحة فيه .
 - وذلك لأن الإنسان على مثال جدول الماء عندما يتكدر لا تبصر له قاعا .
 - وقاع هذا الجدول ملئ بالجواهر وملئ بالدر فانتبه ولا تكدره فإن له وجودا صافيا وحرًا .
 - وأرواح الناس على مثال الهواء لكنها عندما تمتزج بالتراب تصير حجابا على السماء .

2485 - ويصير مانعا لرؤية الشمس ، وعندما يمضي عنه الغبار يصير صافيا حرا .
- وبرغم الكدر المطبق فإن الحق سبحانه وتعالى بين لك من الوقائع ما يجعلك تمضي
في طريق النجاة « 1 » .

**ذكر موسى عليه السلام لأسرار فرعون وما وقع له بظهر الغيب
حتى يؤمن بأن الحق خبير أو يظن ذلك .**

- ومن الحديد الكدر أخذ بيدي بقدرته الوقائع التي كانت ستحدث فيما بعد .
- حتى يجعلك ذلك تكف عن الظلم والأذى ، لكنك كنت ترى كل ذلك فتزداد سوءا
واعتوا .
- لقد كان بيدي ذلك الصور المفزعة في نومك ، وكنت تفر منها وهي صورتك أنت .

2490 - مثل ذلك الزنجي الذي رأى وجهه قبيحا في المرأة فغطا عليها (قائلا) :
- يا لك من قبيحة إنك جديرة بهذا فحسب ، (وهي تقول) : إن قبحي هو فيك أيها
الأعمى الخسيس .
- إنك تغطوط على وجهك القبيح لا على ، فأنا مضيئة منيرة .
- أحيانا كنت ترى (في النوم) أن ملابسك تشتعل نارا وأحيانا كنت ترى أن عينيك
وفمك قد خيطا .
- وأحيانا ترى وحشاً يهم بسفك دمك ، أو ترى رأسك بين أنياب حيوان مفترس .

2495 - حيناً ترى نفسك متقلبا في مرحاض أو غريقا في سيل عرم من الدم « 2 »

(1) هذا البيت في نسخة جعفري (ج - 10 / 433) بعد العنوان وبدلاً منه يوجد
بيت (10 / 438) والنتيجة يا خاليا من السرور لا تقلل الصقل والجلاء والله أعلم
بالصدور .

(2) ج / 10 - 433 :
أحيانا ترى بنفسك ساقطا منقلبا حقيرا ، أحيانا ترى نفسك مقيد اليدين تحت التعذيب -
أحيانا ترى نفسك مغلولا في القيد ، وأحيانا يدق على جمجمتك كأنها الطبل !!

- وأحياناً يهتف بك هاتف من هذا الفلك النقى : إنك شقى شقى شقى .
- وأحياناً يهتف بك هاتف صراحة من الجبال قائلاً لك : إمض إنك من أصحاب الشمال .
- وحيناً يأتيتك النداء من كل جماد هاتفاً سقطت فرعون في الجحيم إلى أبد الآباد « 1 »
- « .
- وهناك ما أسوأ ولا أذكره لك حياء ، حتى لا يزداد طبعك المعكوس سوءاً .

- 2500 -** لقد ذكرت لك قليلاً يا من لست تقبل وتعلم من هذا القليل أنني على علم (بما خفى من أمرك) .
- ولقد جعلت من نفسك أعمى ومذهولاً حتى لا تفكر في الأحلام وهذه الوقائع !
 - وحتام تهرب ؟ ها هو قد حل إمامك برغم إداركك الذي يفكر في المكر .

بيان أن باب التوبة مفتوح

- هيا لا تقم على ما أنت فيه واحترز فمن العفو (الإلهي) باب التوبة مفتوح (دائماً)
- « 2 » .
- وهناك في الطرف الغربى باب للتوبة يكون مفتوحاً أمام الورى حتى القيامة .
- 2505 -** وإلى أن تطلع الشمس من المغرب يظل هذا الباب مفتوحاً فلا تحول الوجه عنه .
- ومن الرحمة (الإلهية) توجد للجنة ثمانية أبواب ، منها باب التوبة يا بنى .

.....
(1) ج / 10 - 433 .

- وأحياناً يأتيتك النداء من كل نبات لقد صار فرعون طريد الأبد مهزوماً .
- (2) هذا البيت في نسخة جعفري (ج - 10 - ص - 433) قبل العنوان والأصح أن يكون بعده .

- تكون كلها حيناً مفتوحة وحيناً مغلقة إلا باب التوبة فهو دائماً مفتوح .
- هيا واغتنم سريعاً ذلك الباب المفتوح ، وارحل إلى ذلك المكان بالرغم من حسادك وأعدائك « 1 » .

قول موسى عليه السلام لفرعون : إقبل منى نصيحة واحدة وخذ عوضاً عنها أربع فضائل

- هيا اقبل منى نصيحة واحدة ، واعمل بها ، وخذ في مقابلها أربع فضائل .

- 2510 -** قال له : يا موسى ما هذا الشئ الواحد حدثني مفسراً نبذة عنه .
- قال : هو أن تقول على الملائكة لا إله إلا الله .
 - خالق الأفلاك والأنجم في طباق السماوات (وخالق) البشر والشياطين والجن والطير .
 - خالق البحار والأودية والجبال والصحاري ، ملكه بلا حد ولا شبيهه « 2 » .
 - قال : يا موسى ما هذه الفضائل الأربعة التي سوف أنا لها في المقابل هيا قل وهاتها .

- 2515 -** فلعله من لطف هذا الوعد الحسن ، تهن أوتاد كفرى الأربعة .
- وربما من هذه الوعود الطيبة ، ينفتح قفل كفرى (الذي يزن) مائة من .

.....

(1) ج / 10 - 436 : وذلك قبل أن يغلق الباب من الغضب ولا يسمع أحد بعدها
ضراعتك واستغاثتك أقلع عن الكفر وأعثر على الباب ثانية : حتى لا تكون من شقائك
مطروداً من الباب .

(2) ج / 10 - 438 :

هو الحافظ لكل شيء وكل إنسان وكل مكان وهو رازق كل حي في الدنيا وهو الحافظ
للأرض والسماء وهو المبدع للورود من النبات - وهو المطلع على ضمير عبده وهو
الحاكم الجبار على المتكبر وهو الملك فوق كل ملك وحكمه أن « يفعل ما يشاء » .

- وربما من تأثير نهر العسل ، يتحول سم الحقد الموجود في جسدي إلى شهد .
- أو من صورة جدول ذلك اللبن الطاهر ، يجد العقل الأسير التربية لحظة واحدة .
- وربما من انعكاس أنهار الخمر تلك أثمل وأشم رائحة من لذة الأمر .

2520 - وربما من لطف أنهار الماء تلك ، يجد النضرة جسدي البور الخراب .
- وتنبت الخضرة من الأرض الخراب في ، وتتحول أجمة الشوك الموجودة في إلى
جنة المأوى .

- وربما من تجلى الجنة والأنهار الأربعة ، تصبح الروح بعون الحق طالبة للحق .
- فإنني قد انقلبت من انعكاس نار الجحيم علىّ إلى نار ، وصرت غريقاً في غضب
الله .

- أحيانا من انعكاس غاشية الجحيم علىّ صرت كالحية ، ممطراً للسم على أهل الجنة .

- 2525 -** وأحيانا من انعكاس غليان ماء الحميم ، جعل ماء ظلمي الخلق كالرميم .
- فأنا من انعكاس الزمهرير زمهرير ، أو من انعكاس ذلك السعير على سعير .
- فأنا جهنم على الدرويش والمظلوم الآن وويل لذلك الذي أجده ضعيفاً فجأة « 1 » .

.....
(1) ج / 10 - 239 :

يا موسى : ربما يفتح لي الباب وأصير على علم بالفضائل - وعلمي أجد الإيمان يا
موسى وانجو من كثرة الأنية والكبرياء - هيا قل لي ما هذه الأربعة التي ستهبها لي
عوضاً وعددها !!

تفسير موسى عليه السلام لهذه الفضائل الأربعة كثمن لإيمان فرعون

- قال موسى : أول تلك الأربعة أن يتمتع جسدك بصحة ثابتة (لا تزول) .
- وتبتعد عن جسدك كل تلك العلل التي تحدثوا عنها في كتب الطب أيها العظيم .

- 2530 - والثانية :** أن تعمر طويلاً فإن الأجل سوف يخشى المجئ إليك .
- ولن يحدث لك بعد أن تعيش عمراً عادياً ، أن تغادر هذه الدنيا محروماً .
 - بل تكون أنت نفسك طالباً للأجل كما يطلب الرضيع اللبن ، ليس لأنك أصبحت فريسة لمرض أو تعب .
 - إنك تكون باحثاً عن الموت ، لكن ليس (هرباً) من عجز المرض ، بل لأنك (بت) ترى في الخرابة كنزاً .
 - فتحمل البلطة بيديك أنت وتأخذ في هدم المنزل دون تردد أو تفكير .

- 2535 - ذلك ترى المنزل حجاباً (وعائقاً) أمام الكنز ، فتلقى بهذه الحبة في النار وتحترف حرف الرجال « 1 » .**
- فيا من قعدت عن الروضة من أجل ورقة واحدة وكأنك دودة أقعدتها ورقة واحدة عن (تلك) الكرم .
 - لكن الكرم (الإلهي عندما أيقظ هذه الدودة ، ابتلعت هذه الدودة أفاعي الجهل .
 - وصارت الدودة الحقيرة كرمة مليئة بالثمار والأشجار ، وهكذا يتبدل السعيد (بالإقبال الإلهي) .

(1) هنا بيت زائد في نسخة جعفوى ج / 10 - 441 :

فتهدم منزل الجسد بلا إمهال حتى يسطع قمر ك من خلف السحاب .

تفسير كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف

2540 - اهدم المنزل ، فمن عقيق هذا اليمين ، يمكن بناء مئات الآلاف من المنازل »
1 . «

- فالكنز تحت المنزل ولا محيص من هذا ، لا تتوقف ولا تظن أن (الأمر) خراب .
- فإنك إن حصلت على هذا الكنز ، تستطيع أن تبني آلاف المنازل بلا نصب أو تعب .
- ثم إن هذا المنزل سوف يتهدم في النهاية من تلقاء نفسه وعلى وجه اليقين سوف ينكشف الكنز من تحته .
- لكنه (آنذاك) لن يكون لك ، فإن الروح جعلت الهدم هو الثمن لهذا الفتوح .

2545 - وما لم يقوم أحد بهذا العمل فلا أجر له ، إذ « لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » .
- حينذاك سوف تعض بنان الندم قائلاً : وا أسفاه ، لقد كان مثل هذا القمر مخفيا خلف السحاب .

- إنني لم أفعل ما أخبروني به من خير فضاع المنزل وضاع الكنز وأصبحت خاوى اليه « 1 » .

- لقد اتخذت منزلاً بالأجر والكرء فهو ليس لك ببيع أو شراء .
- وهذا الكراء مدته حتى الأجل ، وحتى تقوم خلال هذه الفترة بالعمل فيه .

2550 - إنك تقوم بخصف النعال في دكان وتحت هذا الدكان منجمان .

(1) البيت في نسخة جعفري قبل العنوان (ج - 10 / 441) .

- وهذا الدكان بالكراء فأسرع وخذ بلطتك وداوم على حفر قاعه .
- حتى تدق البلطة فجأة على المنجم والكنز ، فتتخلص من (العكوف) على الدكان وعلى خصف النعال .
- فما هر خصف النعال وترقيعها ؟ ! أنه أكل الخبز وشرب الماء ، إنك تضع هذه الرقعة على خرقة مثقلة (بالرقع) .
- إن خرقة جسدك تتمزق في كل لحظة ، فتضع ، عليها رقعة من طعامك هذا .

2555 - ويا من أنت من نسل الملك الموفق ، عد إلى نفسك واشعر بالعار من وضع الرقع ! - واقتلع قطعة من قاع الدكان ، حتى يطل عليك المنجمان ! .
 - وذلك قبل أن تنتهي فترة الايجار ولا تكون قد نلت منه أي ثمرة .
 - ثم يخرجك صاحب الدكان منه ، ويهدم هذا الدكان من فوق المنجم .
 - وحينذاك تضرب من الحسرة رأسك بيدك . . وتأخذ حيناً في اقتلاع لحيتك الساذجة .

2560 - صائحا : وا أسفاه لقد كان هذا الدكان لي وكنت أعمى فلم أستفد من هذا المكان « 1 » .
 - وا أسفاه ، إن وجودنا قد ضاع أدراج الرياح . . وصار (وردنا) إلى الأبد يا حسرتا على العباد « 2 »

.....
 (1) ج / 10 - 433 :
 لقد كان هذا المنزل حائلا دون الكنز وحجابا عليه وكانت هذه الحبة مانعة لمائة بدر .
 (2) ج / 10 - 444 :
 وآسفاه لقد فرطت في الكنز ، وردمت ماء الحيوان بالتراب .

اغترار الإنسان بذكائه وما يصوره له طيعه وعدم طلبه لعلم الغيب وهو علم الأنبياء

- (وآسفاه) لقد رأيت في هذا المنزل صوراً ورسوماً ، وصرت من عشقى إياه (دنفا) لا يقر لي قرار . « 1 » - وكنت جاهلاً بأمر الكنز الخفي وإلا لما فرطت يدي في الطبر .
- آه لو كنت قد أعطيت للطبر حقه ، لبرئت هذه اللحطة من الأحزان (والندم) .

2565 - كنت ألقى بأنظارى على الصور والنقوش ، كنت أزاول معها ألوان العشق كالأطفال .

- وما أحسن ما قاله أذن ذلك الحكيم العظيم ، إنك طفل والمنزل ملئ بالصور والزخارف .
- لقد ساق كثيراً من النصائح في « الهى نامه » وقال : فلتضح (في هذه الدار) بنسلك وأهلك .
- كفاك يا موسى هيا وحدثني عن الوعد الثالث فقد ضاع منى القلب شعاعاً .
- قال موسى : الفضيلة الثالثة أن يكون لك ملك الدارين خالصاً (خالياً) من الخصوم والأعداء .

- 2570 -** إنه أكثر من الملك الذي أنت فيه ، فهذا حرب وخصومه أما ذلك فهو سلام وصفاء .
- وذلك الذي يهبك وأنت خصم له مثل هذا الملك (تصور) أية مائدة يمدّها إليك وأنت في صلح معه .

.....
(1) ج / 1 - 444 :
وا أسفاه وا أسفاه لقد اختبأ قمري تحت السحاب .

- وذلك الذي وهبك كل هذا الكرم وأنت في جفاء (معه) تصور إن وفيت معه أثمة شئ واحد ينقصك .
- قال : يا موسى . . ما هي الرابعة ؟ ! قلها سريعاً . . لقد نفذ صبري ، وزاد حرصي .
- قال : الرابعة إنك تظل دائم الشباب ، شعرك (في سواد) القار ووجهك (في حمرة) الأرجوان .

2575 - إن (سوق) الألوان والروائح شديد الكساد عندنا ، ولا قيمة لها . . لكنك دنى . . وجعلت الكلام دنياً .
 - إن الفخر بالألوان والروائح والمكانة هو سرور للأطفال وخداع لهم .

تفسير هذا الخبر القائل : كلموا الناس على قدر عقولهم لا على قدر عقولكم حتى لا يكذب الله ورسوله

- ما دمت أتعامل مع طفل ، فينبغي على أن أطلق لسان الأطفال (وأتحدث بلغتهم) .
- قائلاً : هيا ، اذهب إلى الكتاب واشترى لك طيراً وآتيك بالزبيب والجوز والفسدق .
- إنك لا تعرف إلا شباب الجسد فخذ . . خذ هذا الشباب كما يأخذ الحمار الشعير .

2580 - فلاغضون تقع على وجهك أبداً . . يبقي نضراً دائماً شبابك الغض .
 - فلا وهن من الشيخوخة يحيق بك ، ولا قامتك الممشوقة كالسرو تنحني .
 - ولا تضعف فيك حميا الشباب ، ولا يطرأ على أسنانك خلل أو ألم .
 - ولا في الشهوة والجماع والبعال ، يتأتى للنساء من ضعفك الضيق والملال .

- كذلك تتفتح لك نضرة الشباب ، كما فتحت تلك البشرى لعكاشة الباب .

قوله عليه السلام من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة

2585 - كان انتقال أحمد نبي آخر الزمان (إلى بارئه) (معلوماً لديه) أنه يحل في ربيع الأول بلا جدال .

- وعندما علم قلبه بخبر انتقاله ، صار عاشقاً لهذا الوقت بكل عقله . .
- وعندما حل صفر . . سُرَّ من صفر ، قائلاً : بعد هذا الشهر يكون السفر .
- وكل ليلة كان يظل حتى طلوع الصباح من شوقه إلى الهدى يصيح يا رفيق الطريق الأعلى (من الجنة) .
- قال : من بشرني بانقضاء شهر صفر وخروجه من هذه الدنيا

2590 - وأن صفر قد ولى وحل شهر ربيع أكون مبشره (بالجنة) وشفيعه (يوم القيامة) .

- فقال عكاشة : لقد مر صفر وولي ، فقال له - عليه السلام - : لك الجنة أيها الهزبر الورد .

- فجاء آخر : لقد مضى صفر وانقضى ، فقال له عليه السلام : سبقك بها عكاشة .
- إذن فالرجال يفرحون من الانتقال من هذا العالم ، ومن البقاء فيه يفرح أولئك الأطفال .

- وما دام ذلك الطائر الأعمى لم ير الماء العذب يبدو أمامه الماء المالح كالكوثر .

2595 - وهكذا أخذ موسى - عليه السلام - يعدد له الكرامات قائلاً له : إن صفو اقبالك لن يتحول إلى كدر « 1 » .
- قال فرعون : أحسنت وقلت خيراً . . لكن على (أولاً) أن استشير صديقاً طيباً .

مشورة فرعون مع آسية في الإيمان بموسى عليه السلام

- لقد قص على آسية ما حدث . . . فقال : جد بروحك من أجل هذا يا أسود القلب .
- إن هذا المقال يحتوى على كثير من ألوان العناية ، فأدركه سريعاً يا ملكاً طيب الخصال .
- لقد آن أوان الغراس فيا له من غراس كثير النفع ، قالت هذا وانخرطت في البكاء وحل بها الوجد .

2600 - ثم قفزت من مكانها وقالت : بخ لك ، لقد صارت شمس تاجا لك أيها الأقرع .
- وعيب الأقرع يخفيه التاج ، خاصة عندما يكون التاج هو الشمس والقمر .
- فكيف لم تجب بالإيجاب ولم تردد مائة مرحة في نفس المجلس الذي سمعت فيه هذا (الحديث) ؟ .
- فلو كان هذا الكلام قيل في إذن الشمس لهبطت منقلبة بتأثير شذاه .
- الست تدري أبدا أي وعد هذا وأي عطاء ؟ ! إنه أشبه بإحساس الحق بافتقاد إبليس .

(1) ج / 10 - 455 :

أن لن ينقلب صافي أقبالك كدر ولن يتحول أطلس حظك إلى بردة ، وكل ما تريده تجده من الإقبال الفتى تبقى مسروراً ولا تنقلب عاجزاً .

2605 - وما دام الكريم قد دعاك بهذا اللطف ، فوا عجباً أن قلبك « 1 » . ظل في موضعه ولم يتمزق .

- لم يتمزق قلبك . . حتى يكون لك من ذلك القلب نصيب في الدارين .
- والقلب الذي يتمزق من أجل الله ، يكون صاحبه كالشهداء ذا نصيب في الدارين .
- إن الغفلة أيضاً من الحكمة ، وهذا العمى يبقى لكن لماذا إلى هذا الحد ؟ !
- إن الغفلة حكمة ونعمة . . وذلك حتى لا يطير رأس المال سريعاً من البد . .

2610 - لكن ليس إلى ذلك الحد الذي تصبح فيه مرضاً مستعصياً ، وتصبح مرضاً للعقل وسماً للروح .

- ويا ترى . . من الذي يجد مثل هذا السوق الذي تُشتري به روضة بوردة واحدة ؟ !
- والذي تعرض فيه الحبة الواحدة بمئات من أجمات الأشجار ، ومتقال حبة من ذهب تجازى عليها بمائة منجم ؟ .
- إن هذه الحبة إن أعطيت (في سبيل الله) وكانت لله ، فإن حاصلها أن يكون الله للعاطى .

2615 - وهذه الهوية الفانية عندما أودعت نفسها إياه ، صارت باقية دائمة ولم تمت قط .

- مثل قطرة الماء الخائفة من الريح والتراب . . إذ إن هلاكها يكون منها .
- عندما أهرعت إلى أصلها أي البحر ، نجت من حرارة الشمس ومن الرياح والتراب .
- لقد تاه ظاهرها في البحر فحسب ، لكنها ذاتها (بقيت) معصومة طاهرة طيبة .

(1) حرفياً : مرارتك .

- هيا فلتسلمى نفسك أيتها القطرة بلا ندم ، وفي مقابل القطرة تحصلين على بحر عباب .

2620 - هيا أيتها القطرة وامنحى نفسك هذا الشرف ، وصيرى في كف البحر آمنة من التلف ! - ترى من حصل على مثل هذا الإقبال بحيث أنه في مقابل قطرة واحدة صار مطالباً ببحر .

- بالله عليك ، بالله عليك قم سريعاً بهذا البيع والشراء ، اعط قطرة واحدة وخذ بحراً مليئاً بالجواهر .

- بالله عليك بالله عليك لا تتمهل لحظة واحدة فان هذا الحديث جاءك من بحر اللطف »
1 « - ان اللطف (الأرضي) ليتوه في لطف هذا (الباري) ، (فمنه) يتسامى (المخلوق) إلى الفلك السابع .

2625 - هيا ، لقد وقع أمر عجيب ولا يجد طالب مثله ، فاطلبه أبدا « 2 »

(1) ج / 10 - 460 :

- بالله عليك عليك أسرع وابحث أن هذا هو بحر الرحمة وليس جدولاً .
- بالله عليك كن كرة بلا رأس ولا قدم وحتى يصبح صولجان موسى قدماً لك .
- بالله عليك لا تسئ الظن بهذا اللطف العام أيها الغافل .
- بالله عليك أدركه سريعاً يا فتى حتى لا تفنى في رؤيتك الخاطئة .
- بالله عليك فلتترك وجودك فمادام قد عاد فاذهب أيها المعتمد .
- بالله عليك أذهب متعجلاً مع هذه الإشارة دون أن تبتئس !!
- بالله عليك لقد تصرفت باعوجاج حتى الآن ورفعت عنقك في المعصية .
- بالله عليك لقد وصلت العناية نفسها وخالفها دون إمهال أيها الفتى .
- بالله عليك ما دام لم يرد ألوان عصيانك ويصك بها وجهك اشكره
- بالله عليك ما دام قد أعطاك طريق من الفضل ينبغي أن تضع رأسك على موطن قدمه .

(2) ج / 10 - 460 :

فلتقبل هذه الخلع الأربعة بأسرع ما تستطيع حتى ترى عوضاً عنها مائة عز ونفع .

- قال (فرعون) : بل على أن أخبر هامان أيتها السيدة ، فلا بد للملك من رأى الوزير .
- قالت : إياك أن تبوح بهذا السر لهامان، فأى علم للعجوز المهدمة (بتربية) البازي؟!!

قصة بازى الملك والعجوز

- إنك (بهذا) تسلم البازي الأبيض لامرأة عجوز ، فتقلم أظافره زاعمة أنها ترعاه .
- هذه المخالب التي هي أساس العمل والصيد ، تقلمها العجوز العمياء من عماها .
- 2630 -** تقول له : أين كانت أمك بحيث طالت مخالبك هكذا أيها العزيز .
- لقد قلمت أظافره وقطعت منقاره ، لقد فعلت هذا عن حب هذه العجوز الدنسة .
- وعندما تقدم له عصيدة الدقيق (وتراه) يأكل قليلا ، يشتعل غضبها ، وتصرف محبتها عنه .
- قائله له : لقد طبخت مثل هذه العصيدة من أجلك ، ثم تبدى التكبر والعتو ،
- إنك جدير بما كنت فيه من تعب وبلاء . . . فمتى كنت خليقاً بهذه النعمة وهذا الاقبال ،
- 2635 -** فتعطيه حساء العصيدة قائله له : إذن فخذ هذا إن كنت لا تريد العصيدة .
- وحساء العصيدة لا يوافق طبع البازي فتنفجر العجوز ويزداد غضبها .
- وتصب الحساء المغلى غضباً على رأسه فتصيب مفرق رأسه بالقراع . . .

- ومن الحرارة يسيل الدمع من عينيه وهو يتذكر لطف الملك الذي يضئ القلب .
- من هاتين العينين الجميلتين ذواتي الدلال والتي تجد من (النظر) إلى وجه الملك ألف كمال .

2640 - إن عينيه اللتين كان يصدق عليهما (مازاع البصر) صارتا من نقر الغربان كليتين ، وهكذا العين الجميلة تصيبها مئات الجراح من عين السوء .
- كان انبساط البحر من بسط تلك العينين ، وكان العالمان يبدوان أمامها كشعرة واحدة .

- تلك العين التي لو أن الأفلاك وقعت في مرمى نظرها ، لبدت كعين حقيرة في مقابل البحر العباب .
- وإنها عين تجاوزت هذه المحسوسات ، فكان أن وجدت القبل من بصيرة الغيب .
- وأنا لا أجد أذنا (جديرة مستحقة) حتى أبسط القول عن تلك العين الحسناء .

2645 - لقد كان ذلك الدمع المحمود الجليل سائلاً وكان جبريل يلتقط قطرات الدمع .
- وذلك لكي يضمخ به جناحه ومنقاره ، لو سمح له بذلك ذلك المحمود المذهب .
- ويقول البازي : إن غضب العجوز وإن اشتعل فإنه لم يحرق مجدي ونوري وصبري وعلمي .
- ومرة أخرى تنسج روعي مائة صورة إنها تصيب الناقة بالجراح ولا تصيب صالحا .

- وصالح بنفس واحد يطلقه بعظمه (يجعل) متن الجبل يلد مائة من أمثال تلك الناقة .

2650 - إن قلبي يقول لي اصمت وحذار ، وإلا مزقت منك الغيرة السدى واللحمة .

- إن لغيرته مائة حلم في الخفاء ، والا لأحرق نفس واحد منه مائة دنيا .

- لقد سدت نخوة الملك (من فرعون) موضع النصيحة ، حتى صرف قلبه عن قيد

النصح .

- قائلاً : على أن أطلب من هامان الرأي والمشورة ، ظهير الملك وقطب السلطة .

- لقد كان مستشار المصطفى هو صديق الرب ، لكن مستشار أبي جهل كان أبو لهب .

2655 - لقد اجتذبه عرق المجانسة ، بحيث أصبحت تلك النصائح بالنسبة إليه باردة

(بلا طعم) .

- إن كل طائر يطير بمائة جناح مع من هو من جنسه ، ويمزق القيود عندما يعن له

خياله .

قصة تلك المرأة التي زحف طفلها على رأس قناة وكان في خطر السقوط فيها وطلبها حلا من علي كرم الله وجهه

- جاءت امرأة إلى المرتضى وقالت له : إن طفلي صعد إلى حافة الميزاب .

- وإن دعوته لا يأتي وإن تركته أخشى عليه أن يسقط في الهاوية .

- وهو ليس بعاقل لكي يدرك مثلنا إن ناديته أن يأتي نحوى (هربا) من الخطر .

2660 - كما أنه لا يفهم الإشارة باليد ، وحتى إن كان يعرف فلن يستجيب . . .
والوضع سيء تماماً - وقد أبديت له ثديي ولبنى . . لكنه يحول وجهه وبصره عني .
- وأنتم أيها العظماء عطية الحق من أجل أن تكونوا عوناً لنا على الدنيا والآخرة .
- فعالج هذا الأمر سريعاً فإن قلبي يرتعد وأخشى ما أخشاه أن (تضيع مني) ثمرة القلب .
- قال (الإمام) : أحضري أحد الأطفال سريعاً إلى السطح حتى يرى ذلك الطفل من هو من جنسه .

2665 - فيأتي سريعاً نحو من هو من جنسه من ذلك الميزاب فان الجنس عاشق لجنسه على الدوام . .
- وهكذا فعلت المرأة ، وعندما رأى طفلها من هو في جنسه هش له وبش واتجه إليه .
- وجاء إلى السطح من فوق الميزاب ، فأعلم أن كل شيء يجذبه من هو من جنسه .
- لقد أتى ذلك الطفل زاحفاً نحو الطفل (الآخر) ونجا من السقوط في الهاوية .
- ومن هنا كان الأنبياء والرسول من جنس البشر ، حتى « يقوموا » بانقاذ جنسهم من حافة الميزاب .

2670 - ومن هنا قال (الرسول) : إنني بشر مثلكم حتى تنجذبوا إلى من هو من جنسكم وتكفوا عن الضلال .
- وذلك أن علاقة التجانس ذات جاذبية عجيبة ، وكل من هو طالب إنما يكون منجذباً نحو جنسه .

- لقد صعد عيسى وإدريس - عليهما السلام - إلى الفلك مع الملائكة لأنهما كانا من جنسهم .
 - ثم إن هاروت وماروت هبطا من الأعالي فقد كانا من جنس الجسد (فهبطا) إلى حضيض الأرض .
 - والكفار من جنس الشياطين وقد صارت أرواحهم تلاميذ للشياطين .

2675 - لقد تعلموا مئات الآلاف من الخصال السيئة وخاطوا بصائر العقل والقلب .
 - وأقل خصالهم قبحاً هو الحسد وذلك الحسد الذي دق عنق إبليس .
 - لقد تعلموا الحقد والحسد من أولئك الكلاب الذين لا يريدون للخلق ملك الأبد .
 - فكلما رأي (ذلك الشيطان) أحداً ذا كمال على يمينه أو يساره . تحرك ألم القولنج عنده من الحسد .
 - وذلك أن كل شقى محترق البيدر لا يريد لأحد أن يكون شمعه مشتعلا .

2680 - فاذهب واحصل على الكمال حتى لا تسقط في الغم من جراء كمال الآخرين .
 - واطلب من الله تعالى دائماً دفع هذا الحسد ، حتى يخلصك سبحانه من الحسد .
 - أو يهبك انشغالا بباطنك ، بحيث لا يشغلك هذا الظاهر .
 - إن الله سبحانه وتعالى يهب جرعة من الخمر يثمل بها المرء فيتخلص من العالمين .
 - ويضع في قطعة من الحشيش خاصية ، يخلص المرء بها في نفسه برهة من الزمن .

2685 - كما يجعل الله سبحانه وتعالى النوم على هذا النسق بحيث يجعل (المرء) ينصرف عن التفكير في الدارين .

- ولقد جعل المجنون من عشقه لجسد . . (ذاهلا) لا يعرف عدوه من حبيبه .
- كما أن لديه مئات الآلاف من أمثال هذه الخمر يسلطها جل شأنه على إدراكك .
- وهناك خمور هي شقاء للنفس بحيث تصيب بالهلاك تلك المشئومة .
- وهناك خمور هي سعادة للعقل ، بحيث يجد المرء المنزل (المقصود) دون انتقال .

2690 - بل إن خيمة الفلك ولها خمرها التي تسكرها وتقتلعها . . . ومن تلك الناحية تجعلها تتقدم في الطريق .

- فانتبه أيها القلب ولا تغتر بكل سكر ، فعيسى - عليه السلام - ثمل بالحق والحمار ثمل بالشعير .

- فابحث عن مثل هذه الخمر من هذه الدنان والتي لا يكون سكرها مؤقتاً مقطوع الذيل .

- وذلك أن كل معشوق كالذن الممتلئ لكن أحدها ملئ بالثقل وآخر ملئ بالدر .
- ويا عالماً بالخمر انتبه وتذوق بحذر ، حتى تجد خمرأ خالية من الشوائب « 1 » .

2695 - إن كلتيهما تصيبك بالسكر لكن هذه يجرك السكر بها منجذبا حتى رب الدين .

.....

(1) ج / 10 - 472 :

يا عالماً بالخمر هيا وتذوق أيها العبوس في تلك الخمر الصافية التي تصمت من جرائها !!

- وحتى تنجو من الفكر والوسواس والحيل وبدون احتياج إلى عقل العقل تنجيك في رقص الجمل « 1 » .
- ولما كان الأنبياء من جنس الروح (الأمين) والملائكة ، فإنهم قد جذبوا الملائكة من الفلك .

- والريح من جنس النار ورفيقة لها ومن ثم فإن اتجاه كليها إلى العلو .
- وأنت عندما تسد فوهة أنية خالية ، وتضعها في حوض ماء أو جدول .

2700 - فإنها حتى القيامة لا تغوص في القاع فإنها خالية القلب مملوءة بالريح .
- وميل الريح يجذبها إلى أعلى . . فيجذب الأنية بالتالي إلى أعلى .
- ومن ثم فتلك الأرواح التي من جنس الأنبياء منجذبة إليها كأنها الظلال .
- وذلك لأن العقل غالب عليها وبلا شك ، فإن العقل متجانس في خلقه مع الملك .
- وهوى النفس غالب على العدو ، فقد تجانس مع النفس وهوى بها إلى الحضيض .

2705 - كان آل فرعون من جنس فرعون الذميم وكان بنو إسرائيل من جنس موسى .
- وكان هامان أكثر تجانس مع فرعون فاختره فرعون وحمله إلى صدر القصر .
- فلا جرم أنه جره من القصر إلى الدرك الأسفل (من النار) ، وكلاهما من جنس الجحيم هذان الدنسان .

.....
(1) رقص الجمل كناية عن العمل غير المتوازن الذي لا يتناسب مع الوقار أو الفعل العجيب الغريب المستبعد (حواشي فروزانفر على معارف بها ولد 2 / 263 - 264)

- كلاهما محرق كالجحيم ، مضاد للنور ، كلاهما كالجحيم نفور من نور القلب « 1
« .

- وذلك أن الجحيم يقول : أيها المؤمن جز سريعا فإن نورك قد اطفأ النار .

2710 - هيا جز أيها المؤمن فإن نورك يقتل ناري عندما يبسط رداءه .

- وذلك النارى يفزع أيضا من النور ، ذلك أن له طبعا جهنميا أيها الطيب !

- والجحيم يهرب من المؤمن كما يهرب المؤمن من الجحيم بكل ما أوتى من قوة .

- وذلك أن نوره لا يكون من جنس النار . . . فهو مضاد للنار باحث عن النور في الحقيقة .

- وقد ورد في الحديث أن المؤمن عندما يدعو الله سبحانه وتعالى أن ينجيه من النار .

2715 - تدعوه النار أيضا بكل ما أوتيت من قوة قائلة : يا إلهي أبعدنى عن فلان .

- فانظر إلى جاذبية التجانس عندك الآن ، من جنس من تكون . . . من جنس الكفر أو من جنس الدين .

- فإذا كنت ميالا إلى هامان فأنت هامانى (الطبع) . . وإن كنت ميالا إلى موسى فأنت الهى .

- وإذا كنت تتطوى على ميل لكليهما معا فالنفس والعقل كلاهما ممتزج عندك .

- وهما معا في حرب . . . فهيا جاهد ، حتى تتغلب فيك المعاني على الصور والنقوش .

2720 - وفي عالم الحرب ، حسبك فرحا أن ترى الهزيمة في كل لحظة تحقيق

(1) هنا عنوان نسخة جعفري (ج - 10 - ص - 492) في بيان حديث « جزيا مؤمن فإن نورك اطفأ ناري » على لسان النار .

بالخصم « 1 » . . .

- وذلك الصفيق الوجه ، في شدته ، تحدث في النهاية مع هامان مستشيرا إياه .
- لقد تحدث إليه بوعود كليم الله وجعل من ذلك الضال نجيا وموضعا للسر .

مشورة فرعون مع وزيره هامان في الإيمان بموسى عليه السلام

- لقد تحدث إلى هامان عندما انفرد به ، فقفر هامان وشق جيبه .
- وأخذ يصرخ ويبكى ذلك اللعين والقى بالعمامة والتاج على الأرض .

2725 - قال : كيف قال مثل ذلك الوقح كلاما فارغا كهذا في حضور الملك ؟ !

- لقد أخضعت العالم بأجمعه ، وسويت الأمور بإقبالك الذهبي !
- ودون أي عناد يأتي إليك من الملوك من المشارق والمغارب يؤدون إليك الجزية (عن يد وهم صاغرون) .
- والملوك يمرغون شفاههم على عتبة بابك فرحين أيها الملك العظيم .
- وجواد كل متمرّد عندما يرى جيادنا يحول وجهه ويلوذ بالفرار دون عصا منا .

2730 - وكنت حتى الآن معبودا للدنيا وموضع سجودها فتحوّلت إلى أحقر العبيد .

- إن الدخول في لهيب ألف نار أفضل من أن يصير سيد مولى لعبد !
- لا أقتلني أولا يا (غالبا) ملك الصين حتى لا تبصر عيني هذا الأمر

(1) ج / 10 - 492 : فجاهد حتى يهزم خصمك بالرغم من أن فرعون لم يستمع إلى هذا ولقد طال الحديث أيها المضطر فتحدث ثانية عن ضلال فرعون ومستشاره كما أن البيتين التاليين بعد العنوان (ج - 10 / ص - 494) .

- (يجرى على) الملك .
 - واضرب عنقي أولا يا سيدي حتى لا تبصر عيناى هنا المذلة .
 - إن هذا الأمر لم يحدث من قبل ، ولا حدث ولا كان . . أن تنقلب الأرض سماء والسماء أرضا .

2735 - وأن يصير عبيدنا شركاء لنا وأن يصير الخائفون منا أذى على قلوبنا .
 - وأن تضئ عيون الأعداء فرحا بينما يعمى الأصدقاء ، إذن فقد صارت لنا بطن الأرض خيرا من ظهرها . « 1 »

زيف كلام هامان عليه اللعنة

- أنه لم يكن يعرف العدو من الصديق ، كان يلعب نرد (حياته) بعمى وبشكل معوج .
 - فلا يوجد سواك أنت عدو لك فلا تتهم الأبرياء بعدائك حقدا .
 - أن وضعك الشئ هو في رأيك الدولة (دولت) بينما أولها سعى وكدح (دو) وآخرها سقوط وانهييار (لت) « 2 »
- 2740 -** وأن لم تفر من هذه الدولة زاحفا ، فإن ربيعك هذا ينقلب عليك خريفا .
 - والمشرق والمغرب رأيا كثيرين من أمثالك ، وقد فصلت رؤوسهم عن أجسادهم .
 - والمشرق والمغرب كلاهما لا يقر له قرار ، فكيف يكون لأحد يعيش (فوقهما) قرار ؟ !
 - إنك تفخر بأنك بالتخويف والقيود ، جعلت الناس ينافقونك عدة أيام !
 - وكل من يسجد الناس له ، إنما يقومون بدس السم الزعاف لروحه .
- 2745 -** وعندما ينفض عنه ذلك الذي سجد له ، يعلم أنه كان سما قاضيا عليه .

- (1) حرفيا : فروضتنا هي قاع القبر .
 (2) يتلاعب بين اللفظين دو بمعنى سعى ولت بمعنى انهيار وسقوط .

- فما أسعد ذلك الذي ذلت نفسه ، وويل لذلك يبدو كالجبل من العصيان (والتكبر) .
- وأعلم أن هذا التكبر سم قاتل ، وأن هذا المذهول قد ثمل بكأس خمر ملئ بالسم .
- وعندما يشرب أحد الأشقياء خمرا مسمومة فإنه يحرك رأسه طربا لكن للحظة واحدة .
- وبعد هذه اللحظة يسرى السم في كيانه ويبدأ في السيطرة على (حياته) وروحه .

- 2750 -** وإن لم تؤمن بأن (الكبرياء) سم ، وبما يتأتى منه ، فانظر إلى قوم عاد .
- وعندما يجد أحد الملوك القدرة على ملك آخر يقتله ، أو يسجنه في (قاع) جب .
 - لكنه إن وجد متعبا عاجزا ، فإن الملك يقدم له الدواء ويبذل له العطاء .
 - فإن لم يكن الكبرياء سما فلماذا قتل الملك البرئ ومن لم يرتكب ذنبا .
 - وكيف أكرم ذلك الآخر دون سابق خدمة ؟ من هذين الطرفين يمكن أن تعرف سم (الكبرياء) .

- 2755 -** إن قاطع الطريق لم يضرب معدما قط ؟ وهل عض ذئب ذئبا ميتا قط ؟ !
- لقد خرق الخضر السفينة وذلك من أجل أن ينقذها من المغتصبين !
 - وما دام الكسير ينجو فكن كسييرا والأمان في الفقر فكن فقيرا .
 - وذلك الجبل الذي يحتوى على عدد من المناجم الحاضرة قد مزق إربا من ضربات المعاول .
 - والسيف (موجود) من أجل ذلك الذي له عنق ، والظل الملقى أرضا لا يلتقى الطعنات .

- 2760 -** والسيادة نطف ونار إيها الغوى . . فكيف تمشى على النار أيها الأخ .

- وكل شئ يكون مسوى بالأرض متى يكون هدفا للسهم ، ألا فلتنظر بامعان .
- لكن نفس ذلك الشئ بمجرد أن يرتفع عن سطح الأرض ، يكون كالأهداف تنهال عليه طعنات لا تقبل الشفاء .
- إن هذه الأنية بمثابة درجات السلم بالنسبة للخلق ، والنهائية (المؤكدة) هي السقوط من فوق هذه الدرجات .
- وكل من صعد إلى أعلى (أكثر) يكون أكثر بلها ، فان عظامه (عند السقوط) سوف تتحطم بدرجة أسوأ .

- 2765 -** هذه هي فروع (الكبرياء) أما أصوله فهي أنه إشراك بالله .
- وما دمت لم تمت ثم تتردد حيا منه هو ، تكون عاصيا طالبا للمشاركة في الملك .
 - وما دمت قد صرت حيا به . . . فأنت هو . . . في وحدة محضة فمتى تكون مشاركة ؟ !
 - فاطلب شرح هذا (المعنى) في مرآة الأعمال فإنك لن تستطيع أن تفهمه من مجرد المقال .
 - ولو بحث بكل ما هو موجود في باطني ، ما أكثر الأكباد التي كانت سوف تتحول في الحال إلى دم .

- 2770 -** فلا أقصر . . فإن هذا القدر يكفى ذوى الأبواب لقد صحت صيحة أو صيحتين إن كان ثم أحد في القرية .
- الخلاصة أن هأمان بذلك القول الشئ ، قد قطع مثل هذا الطريق على فرعون .

- لقد وصلت لقمة الحظ إلي الفم . . ثم قطعت عن (النزول) في حلقة فجأة .
- وذرى بيدر فرعون ادراج الرياح ، فلا ابتلى ملك أبدا بمثل هذا الوزير « 1 »

يأس موسى من إيمان فرعون لتأثير قول هامان في قلب فرعون

- قال موسى : لقد أبدينا اللطف والجود لكن السيادة (الحقيقية) لم تكن رزقا لك . .

2775 - وذلك السلطان الذي لا يكون حقيقيا ، أعلم أنه لا يد له ولا كم (خال من اليد)

- وذلك السلطان الذي يكون مسروقا هو بلا قلب ولا روح ولا بصر .
- وذلك السلطان الذي يمنحك إياه العوام ، يستردونه منك ثانية كأنه الدين .
- فرد السلطان المستعار إلى الحق ، حتى يهبك سلطانا متفقا عليه .

تنازع امراء العرب مع المصطفى عليه السلام قائلين :
قاسمنا الملك حتى لا يكون نزاع وجواب المصطفى إنني في
هذه الإمارة مأمور وقيام الجدل بين الطرفين

- لقد اجتمع امراء العرب وذهبوا إلى الرسول عليه السلام منازعين .

2780 - قالوا له : إنك أمير لكن لكل واحد منا بدوره أمير فقسم هذا الملك وخذ نصيبك منه .

.....
(1) ج / 10 - 497 :

فابتعد عن مثل قرين السوء هذا واحذر والله أعلم باليقين .

- وليكن كل منا عادلا منصفا في منطقته . فلا تتدخل أنت إذن في مناطقنا .
- قال (الرسول) : لقد أعطاني الحق الإمارة ، إنه هو الذي منحني الرئاسة والحكم المطلق .
- قال له القوم : نفس القضاء الإلهي الذي منحك الإمارة ، قد منحنا الحكم فنحن أيضا حكام

2785 - قال : لكن الله قد أعطاني ملك (الأبد) وهو لكم عارية من أجل الإرتزاق (والحياة الدنيا) ! « 1 »

- وأن أمارتى لباقية حتى يوم القيامة - لكن الأمانة العارية سرعان ما تتحطم !
- قال القوم : أيها الأمير لا تتعال علينا فما هي حجتك على تعاليك هذا ؟ !
- وفي التو واللحظة أزجى سحاب بالأمر الإلهي القاطع . . ونزل السيل فملاً تلك النواحي . .
- واتجه السيل المهول إلى المدينة فأصبح أهل المدينة في عويل ورعب !

2790 - فقال الرسول عليه السلام : لقد حل الآن أوان الامتحان وذلك حتى ينقلب الظن إلى عيان .

- وألقى كل أمير بحريته امتحانا لكي تصير سدا أمام هذا السيل .
- ثم ألقى المصطفى بقضيبه فيه ، وذلك القضيب المعجز نافذ الأمر .

.....

(1) الكلمة هنا زاد وهكذا ترجمها نيكلسون (VOL 4 . P . 426) وهكذا فسرهما جعفري (ج - 10 ص - 508) وأن كنت أميل إلى ترجمتها بالميلاد أي ملك بالإرث أنظر الشرح .

- لقد اختطف السيل الحراب كأنها الغثاء (إختطفها) ماء السيل ذاك المندفع الهادر العنود .

- وضاعت كل الحراب أما ذلك القضيبي ، وقف فوق الماء كأنه الرقيب .

2795 - ومن احترام السيل العرم لذلك القضيبي ، حول وجهته ، وانتهى . . .

- وعندما رأوا منه عليه السلام هذا الأمر العظيم أقر هؤلاء الأمراء واعترفوا من الخوف .

- إلا ثلاثة منهم كان الحقد قد سيطر عليهم ، جحدوا به وسموه ساحرا وكاهنا .

- وهكذا فالملك الذي يصطنعه الإنسان لنفسه يكون ضعيفا ، أما الملك الأصلي الحقيقي فهكذا يكون شريفا .

- فإن لم تكن قد رأيت الحراب مع القضيبي فانظر إلى اسمه وانظر إلى أسمائهم أيها النجيب .

2800 - لقد جرف سيل الموت الطامى أسماءهم لكن اسمه لم يمت لا (ولم تنقض) دولته المظفرة .

- انهم يدقون له (الطبول) خمس مرات في اليوم على الدوام وهكذا حتى تقوم الساعة . « 1 »

- فإن كان لك (أيها الفرعون) عقل فقد عرضت عليك أنواع اللطف وإن كنت حمارا فقد جئت للحمار بالعصا .

- وكذلك أخرجك بالعصا من حظيرتك هذه بحيث أدمى رأسك وأذنك .

- فإن الناس والدواب في هذه الحظيرة لا يجدون الأمن من غلظتك .

(1) في نسخة جعفري (10 / 509) يوجد عنوان بعد هذا البيت :

تكملة حديث موسى عليه السلام في توبيخ فرهون وتقريحه .

2805 - ها أنا قد أتيت بالعصا لتأديب كل حمار لا يكون مستجيبا متحليا بالصفات الحسنة .

- وهذه العصا من أجل أن تقوم بتأديبك تنقلب إلى أفعى ، ذلك أنك قد انقلبت إلى أفعى في فعلك وطبعك .

- إنك أفعى بالجملة لا ترحم . . لكن انظر اذن إلى أفاعي السماء .

- وهذه العصا جاءت إليك أخذت من الجحيم مذاقا . . فهيا واهرع منها إلى النور .

- وإلا صرت عاجزا بين أسناني ، ولا يكون لك أي خلاص من سبلى وطريقي « 1 »

2810 - لقد كانت عصا وهي الآن أفعى حتى لا تقول : اين جحيم الله ؟ ! « 2 »

في بيان أن من يعرف قدرة الحق لا يسأل : أين الحنة وأين النار

- حينما يريد الله يجعل عليك هذا المكان جحيما ، ويجعل الأوج فخا وشباكا على الطائر .

- فتحس بالألم في أسنانك ، حتى تجأ بالصياح : إن الألم كنار الله الموقدة أو كالأفعى .

- أو يجعل ريقك (في حلاوة) العسل حتى تقول إنها جنة (ذات) حلل .

- وينبت من جذور اسنانك السكر حتى تعلم قوة حكم القدر .

.....

(1) ج / 10 - 105 :

فعد من الكفر إلى دين الحق والا بقيت ممزقا في النار إلى الأبد - عد أيها الضال الشقي الدنى والانكست في الجحيم والبيت التالي في نسخة جعفري بعد العنوان

(2) ج / 10 - 511 : إن هذا الجحيم ظاهر لكنه مستور عن قلبك يقينا من تأثير جسدك .

2815 - إذن فلا تعض الضعفاء بأسنانك وفكر في ضربة (القدر) الذي لا يحترز .
 - إن الحق يجعل النيل دما على قوم فرعون ، ويجعل قوم موسى محصنين من البلاء !
 - وذلك لكي تعلم أن هناك عند الحق تمييزا بين اليقظ في الطريق والثلمل .
 - وإن النيل قد تعلم التمييز من الله فهو لهذا بسط ولذاك قبض شديد .
 - إن لطفه يجعل النيل ذا عقل ، لكن قهره يجعل من قابيل جاهلا أبله .

2820 - لقد خلق من كرمه في الجماد عقلا وبقهره طار العقل من (وجود) العاقل .
 - لقد ظهر العقل من اللطف في الجماد ، ومن النكال (والقهر) هرب العلم من العقلاء .
 - لقد انصب عقل كالمطر في هذا الموضع بالأمر الإلهي والعقل من الناحية الأخرى أبصر قهر الحق وهرب .
 - والسحاب والشمس والقمر والنجوم العالية ، كلها تأتي وتمضي بنظام وترتيب .
 - ولا يطلع أي منها إلا في وقته وأوانه ، ولا هي تتأخر لحظة أو تتقدم أخرى .

2825 - ولأنك لم تفهم هذا من الأنبياء وضع الله سبحانه وتعالى المعرفة والتمييز في الحجر والعصا « 1 »
 - وتبدو لك واضحة عيانا طاعة العصا والحجر وهي تخبر عن أحوال الجمادات الأخرى .

.....
 (1) ج / 10 / 511010 :

حتى تقيس الجمادات الأخرى بلا التباس على الحجر وعلى العصا .

- (فهي تقول لك) : إننا جميعا على علم من الله ووعى ولسنا هملا ضياعا وبالمصادفة .
- وها أنت تعلم أن ماء النيل عندما آن أوان غرق (فرعون) فرق وميز بين أمتين .
- 2830 -** أو كالأرض فهي عالمة في وقت الخسف الذي حاق بقارون فقهرته ونسفته .
- ومثل القمر الذي سمع الأمر وأسرع (في سيره) ثم إنشق على الفلك وصار قسمين
- « 1 »
- مثل الشجر والحصى وهي في كل مقام أبدت عيانا بياننا رسالة المصطفى . .
- والسلام

الجواب علي الدهري المنكر للألوهية والذي يقول إن العالم قديم

- كان أحدهم يقول بالأمس إن العالم حادث وأن هذا الفلك فان الحق وارثه .
- فقال له مشغل بالفلسفة أي علم لك بالحدوث ؟ ! وكيف تعلم الأمطار ان السحاب حادث ؟ !
- 2835 -** وأنت نفسك ذرة في (دوران الأفلاك) وانقلابها ، فأى علم لك بحدوث الشمس ؟ .
- وتلك الدودة الحقيرة التي تكون مدفونة في الغائط أي علم لها ببداية الأرض ونهايتها ؟ !
- لقد سمعت هذا تقليدا من أبيك ، ومن حماقتك تمسكت به .
-
- (1) ج / 10 - 512 :
- مثل الجذع الذي أن لفراق النبي وعلم بذلك العجوز والصبي .

- فأبي برهان لديك على حدوث هذا ؟ هيا قلبه والا فاصمت ولا تزدد في القول .
- قال : رأيت فريقين ذات يوم يتجادلان حول هذا البحر العميق .

- 2840 -** كانوا في تخاصم وجدل وتحد ، وقد تجمع حولهم جماعة من الناس .
 - وتقدمت أنا بدوري نحو هذا الجمع لكي أتعرف على أحوالهم .
 - كان أحدهم يقول : هذا العالم إلى فناء لكن لا بد لهذا البناء من بان !
 - فقال آخر : بل هو قديم وبلا زمان وليس له خالق ، بل الخالق هو ذاته .
 - قال (الأول) : لقد أصبحت منكرا للخلاق ، مبدع الليل والنهار الرزاق

- 2845 -** قال (الثاني) : لن أسمع منك بلا برهان إن ما تؤمن به عن جهل وتقليد .
 - فهيا قدم الحجة والبرهان فإني لا أسمع إلى هذا بلا برهان في التو واللحظة .
 - قال (الأول) : ان الحجة مرجودة داخل روعي . . لقد وضع لي البرهان داخل الروح .
 - انك لا ترى الهلال من ضعف بصرك . . لكني أراه فلا تغضب على .
 - لقد كثر الجدل والخلق حائرون . . حول مبدأ هذا الفلك المزدان ومنتهاه

- 2850 -** قال (الأول) أيها الرفيق إن في داخلي برهانا وهو حجة على حدوث السماء .
 - وأنا موقن بهذا الدليل يقينا شديدا والمتيقن هو الذي يمضى (بيقينه) إلى داخل النار .
 - أعلم أن هذه الحجة لا تتأتى على اللسان ، أن مثلها هو مثل حال سر العاشقين .

- فلا يبدو مفسر لقولي على العيان ، اللهم إلا في اصفرار وجهي ونحولي .
- فالدمع والدم الجاريان على الوجه يصبحان دليلا على حسنه وجماله .

2855 - قال (الثاني) : إنني لا أعتبر هذه الأمور من قبيل اليرهان ، هات برهاننا يكون مقبولا لدى الجميع .

- قال (الأول) : عندما يتحدث الزيف والصراح النضار ، ويقول كل منهما للآخر : إنك أنت الزائف . . . وأنا الصحيح السليم .
- تكون النار هي الامتحان الأخير فعلى كل منها أن يدخل النار .
- ويصبح العامي ومن هو من الخواص على علم بحالهما ويمضيان من الشك والريب إلى اليقين والتأكيد .
- إن الماء والنار هما أيها الحبيب ، الامتحان بين الصحيح والزائف اللذين يكونا خفيين

2860 - فلنمض أنا وأنت داخل النار ولتقدم الحجة لبقية الحائرين .

- وليسقط كلانا في اللهيب ليصبح كل منا آية لهؤلاء الخلق .
- وهكذا فعلا ومضيا إلى النار وكلاهما عرض نفسه للهيب النار « 1 »
- ان المدعى المتحدث بالله قد نجا ، اما ذلك المدعى فقد احترق في النار .
- واستمع إلى المؤذن إنه دائم الإعلان عن هذا الأمر برغم أنف تزيد نفس هذا الساذج الغمر .

2865 - إن هذا الاسم لم يحترق من الآجال والآماد فقد كان المسمى به صدرا أجلا « 2 »

(1) هنا بيت زائد عند يوسف بن أحمد (4 / 384) وعند جعفري (10 / 515) : فأحرق النار المتفلسف وجعلته رمادا لكنها ربت المتقى وجعله أكثر نضره .

(2) ج / 10 - 515 :

ومئات الآلاف من الأرواح وهبت حياتها له وفي سبيله سقطت في الطريق بأجمعها !!

- ومئات الآلاف من أمثال هذا البرهان قد كانت طوال القرون بتمزيق حجب المنكرين (وفضحتهم) !
- وعندما تراهنوا (مع العارفين بالله) غلب الصواب ، دعمته المعجزة وقام دليلا على صدقه دوامه .
- ومن هنا فهمت أن كل من آمن بحدوث العالم وتحدث عن سبق وجود الله قد انتصر وهو على حق .
- وحجة المنكر دائما ما هي باهتة وداحضة ، فأين علامة واحدة على صدق هذا الإنكار ؟ .

- 2870 -** واين توجد مؤذنة واحدة في هذا العالم تثنى على المنكرين حتى تكون دليلا .
- واين منبر واحد يعتليه مخبر ومذكر يقوم بذكر أيام الإلحاد والإنكار .
 - أن وجوه الدراهم والدنانير المزدانة بأسماء (المؤمنين) تعد حتى القيامة دليلا على صدقهم .
 - وان عمله الملوك تتغير وتتبدل وأنظر إلى سكة أحمد عليه السلام قائمة وثابتة في مكانها .
 - فأبد لي اسم منكر واحد سكت به عملة ذهبية أو عملة فضية واحدة .

- 2875 -** ودعك من هذه المعجزة الواضحة وضوح الشمس وانظر إلى الذي يتحدث معك بمائة لسان واسمه أم الكتاب !
- ولا أحد يجترىء إلى إسقاط حرف واحد منه أو إضافة حرف واحد على تلاوته .
 - فكن رفيقا للغالبين لكي تصير غالبا ولا تصاحب المغلوبين وانتبه أيها الغوى .

- وإن حجة المنكر لا تتعدى قوله . . انني لا أعترف إلا بهذا الظاهر لي فحسب .
- ولم يفكر قط أنه حينما يكون ظاهر فإنه يكون مخبرا عن حكم خفية .

2880 - وان فائدة كل ظاهر هو الباطن فحسب ، مثلها يكون النفع كامنا في الدواء «
« 1

تفسير الآية الكريمة :

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
أي لم نخلقها من أجل ما ترون بل لمعنى وحكمة باقية لا ترونها .

- لا يوجد رسام قط يرسم زينة الصور دون رجاء النفع . . ولمجرد الصورة في حد ذاتها .
- بل من أجل أن يتخلص الأحباب « 2 » والصغار من الهموم عند مشاهدتهم لها .
- بل على الأقل يهدف بها سعادة الأطفال وذكر الأصدقاء لاصدقائهم الماضيين عند رؤية الصورة .
- ولا يوجد فخارى قط يسرع في صنع أنية . . . من أجل الأنية في حد ذاتها وليس على رجاء الماء .

(1) ج / 10 - 514 :

- لقد وضع الله جل وعلا هذا الفرق (بين الظاهر والباطن) حتى يعرفه أهل العرفان في الدنيا !! - وإن النسر ليعمر ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة فأى علم للحمامة بذلك ؟ !
- ومن الحمام يموت مئات الآلاف ودون أن ترى موت نسر واحد !! - فهي تظن بأجمعها أن النسر باق لقد أخطأت وظنت ببقاء أحد .
- عندما صاروا ناظرين إلى الظاهر من جهلهم لا يرون من العمى ما قدامهم ووراءهم .

- فلا شعرة واحدة تبقى في هذا العالم « كل شئ هالك إلا وجهه » - أن كل ما هو ظاهر من أجل معنى (باطن) فانظر إلى باطنه ولا تقف عند الظاهر !!
- (2) حر : الضيوف .

- 2885 -** ولا يوجد صانع أطباق يتم صنع طبقة من أجل الطبق . . لا من أجل الطعام .
- ولا يوجد خطاط يكتب الخط بفن من أجل الخط في حد ذاته لا من أجل أن يقرأ (هذا الخط) .
- إن الصورة الظاهرة الحاضرة تكون من أجل صورة غائبة ، وهذه في حد ذاتها مرتبطة بغائب آخر .
- وهكذا حتى الغائب الثالث والرابع بل العاشر وهذه الفوائد تكون بقدر النظر .
- مثل ألعاب الشطرنج يا بنى ، أنظر إلى فائدة كل لعبة في اللعبة التي تليها .
- 2890 -** لقد وضعوا (هذه القطعة) من أجل تلك الخطة الخفية وتلك من أجل أخرى ، والأخرى من أجل الثالثة .
- وهكذا رأيت الأدوار تكون متداخله ومتصلة ببعضها حتى تصل إلى القضاء على الملك .
- وتكون الأولى من أجل الثانية كالصعود على درجات السلم .
- واعلم أن الثانية تكون بالطبع من أجل الثالثة لكي تصل درجة بدرجة إلى السطح .
- وشهوة الطعام والأكل من أجل (تكثير) المنى . . ذلك المنى الذي يكون من أجل الولد . . الذي هو ضياء (للعين) .
- 2895 -** وكليل الصبر لا يرى غير هذا (الذي هو حاضر) ، وعقله لا انطلاق له . . كأنه نبات الأرض .
- فالنبات ثابت القدم مغروس في الطين . . سواء دعوته إليك أم لم تدعه .

- ولو تحركت رأسه وفق حركة الريح . . لا تتخدع أنت لتحريكه لرأسه ! - فرأسه تقول : لقد سمعنا أيها الصبا . . لكن قدمه تقول : عصينا ، خلنا - وهو (أي كليل البصر) لا يعرف الانطلاق فهو يساق كالعامى ويخطو بقدمه على التوكل كالأعمى .

2900 - أنه على التوكل (منتظر) ما تسفر عنه المعركة ، إنه يكون مثل توكل لاعبي النرد .

- وتلك الأنظار التي لا تكون ذابلة جامدة ، ليست الانفاذة ممزقة للحجب .
- فيبدو لها ما سوف يحدث بعد عشرة سنوات ، وتراه العين في التو واللحظة .
- وكل انسان بقدر نظره ، يرى الغيب والمستقبل بخيره وشره .
- إذ لم يبق هناك سد من بين يديه أو من خلفه ، لقد صارت العين نفاذة وقرأت لوح الغيب .

2905 - وعندما عاد بنظره إلى بداية الوجود ، ظهرت الوقائع وأسفرت بداية الوجود عن وجهها .

- كمناقشة الملائكة الأرضيين الله سبحانه وتعالى حول تنصيب آدم أبينا خليفة (في الأرض) .

- وعندما القى نظره إلى الامام . . . رأى ما سوف يكون حتى الحشر عيانا
- عندما يعود إلى الوراء تدريجيا يرى أصل الأصل ، ويرى ما سوف يحدث حتى يوم الفصل .
- وكل امرئ بقدر نور قلبه ، يرى الغيب بقدر صفائه وجلاء قلبه .

- 2910 -** فكل من صقل قلبه أكثر يرى أكثر وتبدو له الصور (في هذا القلب) أشد وضوحا .
- فإذا قلت أن هذا الصفاء هو أيضا فضل في الله وأن التوفيق في صقل القلب من عطائه تعالى .
- (ينبغي أن أقول) : أن ذلك الجهد والدعاء يكون بقدر الهمة ، « وليس للانسان إلا ما سعى » .
- وإن كان واهب الهمة هو الله سبحانه وتعالى ، فإن كل خسيس لا تكون له همة الملوكية .
- وليس هناك تخصيص من الله للإنسان بعمل مانع للحرية والمراد والاختيار .
- 2915 -** لكنه عندما يبتلى سيئا بمحنة ما ، فإنه سرعان ما يهرع إلى الكفران .
- لكن السعيد عندما يبتليه الله ، يزداد تقربا منه سبحانه وتعالى .
- ولقد اختار الجبناء أسباب الهزيمة في القتال ، عندما خافوا على أرواحهم .
- بينما هاجم الشجعان الصفوف في الحرب لنفس السبب وهو الخوف على أرواحهم .
- ولأمثال رستم يكون الخوف والحزن (على الروح) دافعا إلى التقدم ، ومن الخوف أيضا مات ذلك الجبان في جلده .
- 2920 -** وهكذا فإن البلاء والخوف على الروح من قبيل المحك فمنه يظهر الشجاع من الجبان « 1 »
-
- (1) ج / 10 - 530 : والنتيجة أن كل من هرب نتيجة لوسوسة في كل صوب انما فر من القضاء إلى القضاء .

- وحى الحق لموسى عليه السلام : يا موسى أنا الخالق أحبك
- لقد قال الله تعالى لموسى بوحى القلب : أيها المختار المصطفى إنني أحبك .
- قال : اية خصلة في يا ذا الكرم سببت (هذا الحب) حتى أزيد فيها .
- قال الله سبحانه وتعالى : قال لأنك معي كالطفل مع والدته يتشبث بها حتى عند غضبها عليه .
- ولا يعلم لأحد وجودا سواها ، فهو ثمل بها . . . وهو في خمار منها .

- 2925 -** وإن قامت أمة بصفعه ، فهو يهرع إليها أيضا ويتمسك بها .
- ولا يطلب عوناً من أحد إلا منها ، فهي كل خيرها وكل شره .
 - وأنت أيضا متعلق خاطر بنا في الخير والشر ولا يلتفت هذا خاطر إلى أي موضع آخر .
 - وما سواي بالنسبة لك كالحجر والمدر . . سواء كان صبيا أو شابا أو شيخا .
 - ومن ثم فإنك عندما تقول « إياك نعبد » متضرعا فإنك تعنى اننا « لا نستعين » بغيرك في البلاء .

- 2930 -** وإياك نعبد هي لغة للحصر وهي من أجل نفى الرياء .
- وإياك نستعين هي أيضا للحصر ، فقد حصرت الاستعانة وقصرتها (على الله) .
 - وهي تعنى : أننا نعبدك أنت فحسب ومنتظر منك - لا سواك - العون .

غضب الملك علي النديم وشفاعة أحد الشفعاء له وقبول الملك شفاعته وتألم النديم من الشفيع قائلاً له : لماذا شفعت ؟

- لقد غضب أحد الملوك على أحد الندماء ، فهم بعقابة وإهلاكه .
- وسل الملك السيف من غمده ، حتى يضربه به جزاء لما بدر منه من خطأ .

2935 - ولم يكن أحد يجروء على الحديث ، وأن يقوم أحد الشفعاء بالشفاعة .
- اللهم إلا أحد الخواص وكان اسمه عماد الملك . . كان ذا مكانه خاصة في الشفاعة كالمصطفى .

- فنهض (من مجلسه) وأسرع بالسجود ، فوضع الملك سيف الغضب من يده في التو واللحظة .
- وقال : لقد عفونا عنه حتى وإن كان شيطانا وتجاوزت عن جرمه وإن كان في حجم جرم إبليس .
- وما دمت أنت قد تشفعت فاننى رضيت ، حتى وإن كان المجرم قد أحدث خسارة فادحة .

2940 - وأستطيع أن أكظم مئات الآلاف (من أنواع) الغضب فان لك عندي هذا القدر وهذا الفضل .

- ولا أستطيع أبدا أن أرد لك ضراعة ، فإن ضراعتك هي ضراعتى على وجه اليقين .
- هذا بالرغم من أنه لو كانت السماء والأرض قد انقلبت رأسا على عقب لما انصرفت عن الانتقام من هذا الرجل .
- ولو كل ذرة منه قد صارت متضرعة لي ، لما نجا برأسه من حد هذا السيف .

- ونحن لا نمن عليك بهذا أيها الكريم ، لكن هذا إعلان لعزتك عندنا أيها النديم .

2945 - فأنت لم تقم بهذه الشفاعة بل قمت بها أنا يقينا ، يا من صفاتك قد فنبت في صفاتي

- انك مستعمل في هذا ولست عاملا ، إنك محمول على وجودي ولست حاملا لوجودك .

- لقد صرت مصداقا ل - « ما رميت إذ رميت » وتركت نفسك فوق الأمواج كأنك الزبد .

- لقد صرت فناء ، فاتخذ لك مكانا إلى جوار الوجود . . فواعجباه إنك أمير (بي) أسير (بنفسك) في نفس الوقت .

- إن ما أعطيته أنت لم تعطه بل أعطاه الملك ، وهو كاف والله أعلم بالرشاد .

2950 - لكن ذلك النديم الذي نجا من الضرب بالسيف والبلاء ، تضايق من ذلك الشفيع وارتد عن ولاءه له .

- وقطع صداقته عن ذلك المخلص تماما ووجه وجهه إلى الحائط كي لا يقرؤه السلام .

- صار كالغريب تماما عن شفيعه هذا ، وتحير الخلق من هذا الأمر وازدادت دهشتهم .

- وصار يتساءلون : إنه ليس مجنونا . . فكيف قطع وده عن ذلك الإنسان الذي اشترى روحه .

- لقد شراه تلك اللحظة من ضرب العنق ، وكان ينبغي في مقابل هذا أن يكون ترابا لحذائه .

2955 - لكنه تصرف عكس ما كان ينبغي وغضب عليه وزادت حفيظته على مثل هذا المواسى العطوف .

- لقد لامه أحد الساعين بالصلح في هذا الأمر قائلاً له : كيف تقابل ناصحاً لك مشفقاً عليك بهذا الجفاء .

- إن ذلك العطوف المقرب (من الملك) قد اشترى روحك ، ونجاك في تلك اللحظة من ضرب العنق .

- فإن كان قد أساء لا يجب أن تقاطعة ، فما بالك وقد أحسن إليك هذا الصديق الحميد .

- فأجاب : إن الروح مبدولة من أجل الملك ، فلماذا يقوم هو بالشفاعة .

2960 - في نفس تلك اللحظة ، كان « لي مع الله وقت » لا يسعني فيه نبي مجتبي .

- فانا لا أريد رحمة إلا أن يطعنني الملك (بالسيف) وليس لي سوى هذا الملك ملاذا .

- ومن أجل هذا نفيت كل ما سوى الملك . . . ذلك أن ولأى كله للملك فحسب .

- فلو قام بقطع رأسي غضبا منه على ، لوهبني بدلا من روحي ستين روحا .

- ولا عمل لي إلا التضحية والانسلاخ عن الذات ، وعمل مليكى ليس إلا منحى الروح .

2965 - والفخر لتلك الرؤوس التي قطعها كف مليكى والعار لتلك الرأس التي تحيا بالغير .

- والليل الذي سوده المليك بالقار غضبا منه عليه يزرى بآلاف أصباح الأعياد .

- وطواف ذلك الذي يكون ناظرا للمليك ، يكون فوق القهر واللفظ والكفر والدين .
- ولا توجد عبارة في الدنيا قد عبرت عن هذا الطواف العلوي ، ذلك لأنه شديد الخفاء .
- وذلك لأن هذه الأسماء والألفاظ الحميدة إنما ظهرت مناسبة لجسد آدم

2970 - لقد كانت « علم الأسماء » إماما ودليلا لآدم ، لكن هذا التعليم لم يكن في لباس الحروف .

- لقد وضع آدم من الماء والطين تاجا على رأسه ، وكانت تلك الأسماء روحية طاهرة - فضاقت ذرعا .
- فاتخذت هي الأخرى من الحروف والنطق نقابا ، حتى تصير المعاني واضحة للماء والطين « 1 »
- وإذا كان المنطق كاشفا من وجه واحد لكنه حجاب ساتر من عشرة وجوه .

قول الخليل لجبريل : أما إليك فلا عندما سألته عن حاجته

- إنني خليل الوقت وهذا (الشفيق بمثابة) جبريل ، وأنا لا أريده دليلا لي (للخروج) من البلاء « 2 »

2975 - إنه لم يتعلم الأدب من جبرئيل العظيم لقد سأل الخليل في البداية عن مراده .

.....
(1) ج / 10 - 547 :

وإذا كان قد خلصني من غضب الملك ، فإن الملك نفسه هو موئلي وملاذي . وواضح أنه في غير موضعه .

(2) هذا البيت قبل العنوان عند جعفري : (10 / 547) .

- قائلا : ماذا تريد حتى أمد إليك يد العون ، وإلا مضيت إلى حال سبيلي ولم أثقل عليك .
- قال إبراهيم : لا . . . إمض إلى حال سبيلك ، فالواسطة تكون تكلفا بعد العيان .
- والرسول هو الواسطة في هذه الدنيا بالنسبة للمؤمنين فهو الرابطة (بينهم وبين الله) .
- ولو كان كل قلب سامعا للوحي الخفي . . . فمتى كان الصوت والكلام يخلقان في الدنيا ؟ !

2980 - وبالرغم من أنه (أي عماد الملك) محو من الحق فاقد لرأسه ، فان امرى أنا أدق من هذا !

- أن فعله هو فعل المليك لكن الذي أبداه ، بدا شرا أمام ضعفي وتسليمي
- وما يكون اللطف بعينه على العوام ، يصبح قهرا بالنسبة للمدللين الكرام .
- ومن ثم ينبغي على العوام أن يتعجلوا العناء والبلاء حتى يمكن لهم رؤية الفرق (بين اللطف والقهر) .
- فإن هذه الكلمات التي تعد واسطة أيها الصديق الحميم ، هي بالنسبة للواصل تكون بالتأكيد شوكا (في الطريق) .

2985 - ومن ثم وجب البلاء والعناء والتحير ، حتى تتخلص هذه الروح الصافية من (واسطة) الكلمات .

- ذلك أن بعضهم قد صاروا أكثر إعوجاجا من هذه الكلمات ، وبعضهم أيضا صار أكثر صفاء وسموا .
- أن هذا البلاء مثل ماء النيل ، هو ماء للسعداء ودم للأشقياء .

- وكل من هو أكثر رؤية للعواقب أكثر سعادة ، وذلك الذي حصل على ثمر أكثر يزرع بجد أكثر .
- وذلك لأنه يعلم أن هذه الدنيا مزرعة ، (نعم مزرعة) بخيرها وشرها .

- 2990 -** ولا يكتب عقد قط من أجل ذاته ، بل يكتب في موضع الريح والنفع .
- وإذا نظرت لن تجد منكرا قط يكون إنكاره من أجل الإنكار في حد ذاته
 - بل من أجل الانتصار على خصم يحمل له حسدا ، أو من أجل طلب الزيادة وإظهار النفس .
 - وطلب الزيادة بدوره من أجل الطمع في شئ آخر . . ولا طعم للصور إن لم يكن ثم معنى .
 - ومن هنا تسأل لماذا (رسمت) هذه الصورة ؟ ! فالصورة كالزيت بالنسبة للمصباح والمعنى هو النور .

- 2995 -** وإلا فلماذا التساؤل عن السبب . . . إن كانت الصورة من أجل الصورة في حد ذاتها ؟ .
- فالتساؤل ب - « لماذا » هو من أجل البحث عن الفائدة ، وفي غير هذه المواضع يكون استخدامها سيئا .
 - فمن أجل أي شئ تبحث عن الفائدة أيها الأمين ، أن كانت فائدة الشئ هي الشئ في حد ذاته ؟ .
 - وليس من الحكمة إذن صور السماء وأهل الأرض ، إن كانت قد خلفت من أجل ذاتها - فإن لم يكن سبحانه وتعالى حكيما فما هذا النظام ؟ . وإذا كان حكيما فكيف يكون فعله عبثا .

3000 - وهل ثم أحد يزين حمامه ويتخضب إلا من أجل هدف سواء كان هذا الهدف صوابا أو غير صواب . « 1 »

سؤال موسى عليه السلام الخالق سبحانه وتعالى :
خلقت خلقا وأهلكتهم وتلقيه الجواب

- قال موسى : يا إله (يوم) الحساب . . لقد صورت فلم هدمت ما قد صورته ثانية ؟!
- لقد صورت الذكر والأنثى في صورة تشرح الصدور ولم تلبث أن أهلكتهم فلماذا ؟!
- قال الحق : انني أعلم أن هذا السؤال منك ، ليس دافعة الإنكار والغفلة والهوى . .
- وإلا لقت بتأديبك وعقابك . . ولقت بإيذائك من جراء هذا السؤال .

3005 - لكنك تريد أن تبحث عن الحكمة في أفعالنا ، وتريد أن تصل إلى سر البقاء .
- وذلك حتى تنقل معرفتك بها إلى كل عامي ، وحتى تحول السذج من الناس إلى محنكين ناضجين .

- أيها الطالب ، أنك تسأل من أجل أن يكشف الأمر للعوام بالرغم من أنك واقف (على كل الأسرار) .
- وذلك لأن السؤال هو نصف العلم ، وليس لكل ناظر إلى ظواهر الأمور مجال (مثل هذا السؤال) .
- وكلاهما ينبعان من العلم ، أي السؤال والجواب ، كما ينبت الشوك والورد كلاهما من الماء والتراب .

(1) ج / 10 - 553 :

وكل ما تراه في الدنيا من آيات هي من أجل معنى ومن أجل حكمة !!

3010 - وكلاهما : أي الضلال والهدى ينبعان من العلم ، كما يظهر الحلو والمر من تأثير الندى .
 - ومن التعارف (بين الناس) ينبع البغض وينبع الولاء . مثلما تتأتى الصحة ويتأتى السقم من الغذاء الجيد .
 - لقد تظاهر الكليم بطلب الفائدة وتظاهر بالجهل وذلك حتى يجعل الجهلاء علماء بهذا السر .
 - ولنجعل أنفسنا بدورنا جهالا أمامه لنضع الجواب الذي جاءه أمامنا وكأننا على غير علم به .
 - لقد تظاهر باعة الحمير بالخصومة بينهم وبين أنفسهم وذلك حتى تتم الصفقة التي هم بسبيلها .

3015 - ثم قال الله تعالى يا ذا اللباب ما دمت قد سألت ، فتعال واسمع الجواب .
 - وازرع يا موسى بذرة في باطن الأرض حتى تصل بنفسك إلى الجواب في هذا الأمر .
 - وعندما رزع موسى . . وتمت زراعته . . استوت سنابلها طيبة منتظمة .
 - فتناول المنجل وطفق يحصدها ، فبلغ مسمعه نداء من الغيب .
 - قائلا : لماذا تقوم بالغراس وترعى زرعك . . قم تقوم بقطعه وحصاده عندما يكتمل ؟!

3020 - قال : يا إلهي . . إنني أقطع وأحصد وأدرس . . ذلك لأن الحصاد يحتوى على الحبوب والتبن .
 - والحبوب لا تليق بمخزن التبن . . كما أن وجود التبن في مخزن القمح من قبيل الفساد .
 - ولا يكون من الحكمة أن يوضعا معا بل ينبغي أن يفصل كل منها عن الآخر عند التذرية والغربلة .

- فقال الله تعالى : من أين وجدت هذه المعرفة حتى أملت عليك حكمتك أن تقيم بيدرا .
- قال لقد وهبته التمييز يا الله فأجابه : فكيف لا يكون لدى أنا تمييز ؟ !

3025 - إن هناك من بين الخلائق أرواحا طاهرة ، كما أن من بينها أرواحا كدرة علاها الطين .

- وهذه الأصناف ليست كلها في مرتبة واحدة ، فبعضها يحتوى الدر وبعضها الآخر ليس فيه إلا « سبه » « 1 » .

- ومن الواجب أن تفصل بين هذا الصالح والطالح ، مثلها تقوم أنت بفصل القمح عن التبن .

- لقد خلق هذا العالم من أجل إظهار (هذه الحكمة) وذلك حتى لا تبقى كنوزها مدفونة مخفية .

- فاستمع إلى كنت كنزا مخفيا . . ولا تفقد جوهرك وقم بإظهاره .

بيان أن الروح الحيوانية والعقل الجزئي والوهم والخيال مثل المخيض والروح الباقية مخفية كما يختفي الزيت في هذا المخيض

3030 - لقد اختفى جوهر الصدق منك في باطلك ، كما يختفى طعم الزيت في طعم المخيض .

- وباطلك هو جسدك الفاني ، أما صدقك فهو تلك الروح الربانية .
- ولسنوات طويلة ومخيض الجسد هذا ظاهر ومعلن ، لكن زيت الروح مخفى فيها ومتلاش .

(1) في النص الفارسي « شبه وهو نوع من الحجر أسود اللون عديم القيمة .

- حتى يرسل الله سبحانه وتعالى عبدا رسولا ، يكون محركا للمخيض في قربته .
- وحتى يحرك بنسق ونظام وفن ، حتى أعلم « أنا » أن هناك « أنا » أخرى محفية داخلي .

3035 - أو (يرسل) كلاما من عبد يكون بضعه منه ، فيتسلل إلى أذن ذلك الذي يكون باحثا عن الوحي .
- وان أذن المؤمن تكون واعية لوحينا . . . ومثل هذه الأذن تكون مقترنة مع الداعي !
- كأذن الطفل بالنسبة لكلام أمة ، تمتلئ به ، فلا يلبث أن ينطق هو بالكلام .
- وان لم يكن لدى الطفل أذن راشدة ، فإنه لا يستمع إلى كلام أمة ويتحول إلى أخرس .
- وكل أصم بالميلاد يصبح أخرس والناطق هو ذلك الذي ولد سميعا .

3040 - فاعلم أن الأصم والأخرس كليهما عنده آفة ، فلا يكون قابلا لأنفاس الشيخ وتعليمه « 1 » .
- والذي يكون ناطقا بلا تعليم هو الله سبحانه وتعالى ، ذلك ان صفاته غير مرتبطة بأسباب أو علل .
- أو يكون كآدم لقنه الله سبحانه وتعالى ، دون وجود واسطة الأم والحاضنة وما إلى ذلك .

(1) في نسخة جعفري : (10 / 563) بيتان يحتويان على معنى هذا البيت :
ومن تكون إذنه صماء ويكون أخرس من آفة ، كأن تكون أذناه أصيبتا بعله ما يكن غير قابل للتعليم وأنفاس (الشيخ) فلا جرم ألا يسلم له بالنطق .

- أو يكون كالمسيح الذي من تعليم الودود ، كان ناطقا منذ أن جئ به إلى الوجود .
- وذلك من أجل أن يدفع التهمة عن والدته ، ومن أجل أن يبين أنه لم يولد من زنا أو فساد .

3045 - ومن ثم تنبغى حركة ويلزم جهد ، حتى يرد المخيض ذلك الزيت من داخله .
- فالزيت موجود في المخيض لكنه كالعدم ، ذلك أن المخيض هو الظاهر المعلن في الوجود .

- فما يبديه وجودك اذن هو القشر ، لكن ما يبدو فانيا هو اللب والأصل .
- وهذا المخيض الذي لم يفصل زيتته عنه وصار قديما ، لا تستخدم دون أن تنقى الزيت منه .

- فهيا أدره يدا بيد بمعرفة وفن ، حتى لا يبقى داخله ما قد أخفاه عنك :

3050 - ذلك أن الفاني يكون دليلا على الباقي ، وصياح السكارى دليل على وجود الساقى « 1 » .

مثال آخر أيضا في هذا المعنى

- إن الألعاب التي يقوم بها ذلك الأسد المرسوم على العلم ، تخبر عن وجود رياح خفية
- وإن لم توجد ثم حركة من الرياح ، متى كان الأسد الميت يتحرك في الهواء ؟ !
- ومن ذلك تعلم أن تلك الرياح سواء كانت صبا أو دبورا ، هي التي تفسر هذا الامر الخفي .

(1) ج / 10 - 564 : والزيت مختفى في المخيض ، يكون لك ما تصنعه منه ! !

- أن هذا البدن يشبه أسد العلم ، يحركه الفكر لحظة بعد لحظة .

3055 - والفكر الذي يتأتى من المشرق هو الصبا ، لكن الفكر الذي يأتي من المغرب هو الدبور والوباء .

- إن مشرق ريح الفكر هو مشرق آخر ، ومغربها إنما يكون من الناحية الأخرى .

- إن القمر جماد ويكون مشرقه جمادا ومشرق روح الروح هو الفؤاد .

- ومشرق تلك الشمس التي صارت مضيئة للباطن ، إنعكاسه القشري الظاهر هو شمس النهار هذه .

- ذلك أن الجسد عندما يكون ميتا لالهـب (للحياة) فيه ، لا يبدو أمامه ليل أو نهار .

3060 - وإن لم يوجد هذا الشعاع فما دامت شمس الروح موجودة ، فإنها تنتظم دون ليل أو نهار .

- مثلما تبصر العين في النوم الشمس والقمر ، دون أن يكون هناك شمس أو قمر .

- فإذا كان نومنا قد صار أخ الموت يا فلان ، فاعلم ذلك الأخ من هذا الأخ .

- وإذا قيل لك أن ذلك النوم هو فرع لهذا النوم ، فلا تستمع إلى هذا أيها المقلد الذي لا يقين لديه . . .

- إن روحك ترى في النوم وصف حال لا تراه في اليقظة خلال عشرين عاما .

3065 - وفي أثر تعبير هذا الحلم تسعى لأعمار متسائلا من سلاطين الدهاء .

- قائلا : بينوا لي تفسير هذا الحلم ، ومن الكلبية اذن أن يسمى مثل هذا السر فرعا .

- إنه حلم العوام (الذي يمكن اعتباره فرعا) لكن أحلام الخواص تكون في حد ذاتها إجتباء واختصاصا .

- فينبغي أن يكون هناك فيل حتى يرى في الحلم عندما يغفو واقفا أرض الهند .

- فالحمار لا يرى الهند في نومه على الإطلاق ، فإن الحمار لم يغترب عن الهند .

3070 - فينبغي أن تكون الروح شديدة العظمة كأنها الفيل ، حتى تستطيع أن تسرع إلى الهند أثناء النوم .

- إن الفيل يذكر الهند أطراف النهار وذكره هذا يتخلق في الرؤى أثناء الليل .

- إن الفيل يذكر الله سبحانه وتعالى ليس عمل كل حثالة دعى ، أما خطاب (ارجعي) فليس موجهها إلى قدم كل محتال قدم .

- لكن مع هذا لا تقنط من رحمة الله وكن فيلا ، وان لم تكن فيلا فاسع في أثر التبديل .

- وانظر إلى صناع كيمياء (تبديل) الفلك ، واستمع من صناع الميناء كل كل لحظة إلى طنين (العمل) .

3075 - وهناك مصورون في جو الفلك ، يهيئون الأمور من أجلى ومن أجلك .

- وإذا لم تكن ترى الخلق ذوى الجيوب المسكية ، فانظر أيها الأعشى هذا المرض .

- وهناك أذى في كل لحظة على إدراكك وانظر إلى النبات ينمو من ترابك أولا بأول .

- ومن هذا القبيل رأى إبراهيم بن آدم أثناء النوم ، ابنساط هند القلب بلا حجاب .

- فلا جرم أنه حطم القيوم ، وهجر المملكة واختفى .

3080 - إن أمانة مشاهدة الهند في النوم ، أن يفرع المرء من النوم ، ويصير مجنوناً .

- ويذرو التدابير بالتراب ، ويمزق حلقات القيود .

- كما قال رسول الله عن النور ، أن أمارته تكون موجودة في الصدور .

- بحيث يتجافى المرء عن دار الغرور ، وينيب إلى دار السرور .

- ومن أجل تفسير حديث المصطفى هذا ، استمع إلى حكاية يا رفيق الصفاء .

حكاية ذلك الأمير الذي اتجه إليه الملك الحقيقي ، فصارت الآية الكريمة « يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ » نقد وقته ،

فهذا التل من التراب ملوكية عند من هم في طبع الأطفال وما يسمونه الاستيلاء على
القلاع ، فذلك الطفل الذي يتغلب (في اللعب) يصعد علي تل من تراب . .

ويصبح : هذه القلعة لي . . ويحسده الأطفال الآخرون مصداقاً لـ

« التراب ربيع الصبيان » وعندما تخلص ذلك الأمير من قيد الألوان قال :

إنني إري هذا التراب الملون هو نفس هذا التراب الوضيع ولا أعتبره حريراً

واطلس وطيلسان ، لقد نجوي من هذا الطلب ومضيت إلي الناحية ذات الطرف

الواحد « وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » فلا حاجة لارشاد الحق بمرور السنين وفي قدرة « كُنْ
فَيَكُونُ * » لا يتحدث أحد عن القابلية .

3085 - كان لأحد الملوك ابن صبي ، مزدان بالفضل ظاهراً وباطناً .

- فرأى فيما يرى النائم أن هذا الابن قد مات فجأة ، فتكدر صفو العالم على ذلك
الملك .

- لقد تيبست قربته من حرارة النار ، بحيث لم يبق لديه دمع من حرارة نار (الحزن)

- وامتلاً الملك بالدخان والألم ، بحيث لم تكن الآهة تجد طريقاً من داخله .
- وأوشك على الهلاك . . وهد جسده ، لكن العمر كانت فيه بقية فعوفي من مرضه .

3090 - وأحس بفرحة عند يقظته . . . لم يكن قد أحسن بمثلها طوال عمره .
 - بحيث كان سيهلك من الفرح ، إن هذه الروح وهذا الجسد محاصران بهما دائماً .
 - إن هذا المصباح يموت بنفخة حزن ، ويموت أيضاً بنفخة فرح ، وما أعجبه من أمر .

- وهو حي بين هذين الموتين ، فيأله من حصار هذا مضحك مثير للسخرية .
- فحدث الملك نفسه قائلاً : لا بد أن لهذا السرور سبباً ، لقد كان سببه ذلك الحزن الذي ابتلانى به الله .

3095 - فواعجبه من شئ يكون أحد وجهيه موتاً ، لكن وجهه الآخر يكون إحياء وزاداً .

- وهذه الحال تكون هلاكاً بالنسبة لأحدهم ، ثم تكون في وجهه أخرى حياة .
- إن السرور بالنسبة للحياة الدنيا كمال ، ولكنه في الآخرة نقص وزوال - فاقراً عن تعبير الضحك في النوم ، إنه البكاء بأسف وأحزان .
- وتعبير البكاء في النوم هو السرور والفرح ، هكذا في (كتب) التفسير يا صاحب المرح .

3100 - لقد فكر الملك : لقد مضى هذا الحزن بدوره ، لكن الروح صارت سيئة الظن من حال كهذا الحال .

- فإن أصابت القدم شوكة كهذى ، وتمضى عن زهرتى . . فينبغي لي ذكرى منها .
- ولما كان للفناء أسباب لا نهاية لها ، فأى طريق من طرقه نسد يا ترى ؟ ! - وهناك
- مائة كوة وباب تفضى إلى لدغة الموت ، تصر صريرا أثناء فتحها .
- وأذن الحريص من حرصها على الزاد ، لا تسمع الصرير المر لأبواب الموت .

3105 - فالآلام الجسد هي صرير الأبواب ، والعداوة من ناحية الخصوم هي صرير الأبواب .

- فاذهب أيها الأخ الحبيب واقرأ فهرست كتب الطب لحظة ، وانظر إلى نيران العلل الملتهبة .

- ذلك أن لكل هذه الأمراض طريقا إلى هذه الدار ، وكل خطوة في هذا الطريق أو خطوتين مليئة بالعقارب النشطة .

- إن الإعصار شديد ومصباحى ضعيف خافت فلأسرع ولأضئ منه مصباحا آخر .

- ربما يفى أحد المصباحين ، لو أن الريح اقتلعت ذلك المصباح الآخر .

3110 - مثل العارف الذي أضاء من مصباح الجسد الناقص شمع القلب ، من أجل فراغ فؤاده .

- بحيث إن مات مصباح الجسد ذات يوم فجأة ، يضع أمام عينه شمس الروح .

- لكن (الملك) لم يفهم هذا من غروره ، فاستبدل شمع فانية بشمعه أخرى فانية « 1 »

«

(1) ج / 10 - 578 :

لقد فكر في حيلة ولا حيلة فقال : إن الخروج (من هذا الورطة) لا يتأتى في المراد .

تزويج الملك ابنه خوف انقطاع نسله

- إذن ينبغي البحث عن عروس له ، حتى يكون له نسل من هذا الزواج .
- فإذا مضى هذا البازي ثانية نحو الفناء ، يصبح فرخه من بعده بازيا مرة ثانية .

- 3115 -** وإن مضت صورة هذا البازي من هذا المكان ، فإن معناه يبقى في ولده .
- ومن هنا قال ذلك الملك النبيه أي المصطفى : إن الولد سر أبيه .
 - ومن أجل هذا المعنى أيضا فإن كل الخلق يشغفون بتعليم أولادهم حرفهم .
 - حتى تبقى معانيهم في الدنيا ، عندما تغيب أجسادهم وتختفى (تحت التراب) .
 - ولقد ألبس الله تعالى بحكمته حرصهم هذا لباس الجد ، وذلك من أجل رشد كل صغير مستعد .

- 3120 -** وأنا أيضا من أجل دوام نسلي ، أريد لا بنى زوجة حسنة الدين .
- إنني أريدها فتاه من نسل أحد الصالحين لا من نسل أحد الطالحين حتى وإن كان ملكا .
 - وإن السلطان على وجه الحقيقة هو ذلك الصالح الحر وليس ذلك الأسير (لشهوة) الفرج والحلق .
 - لقد لقبوا أسرى (الدنيا) بالملوك ، ومن قبيل تسمية الضد مثلما كان اسم ذلك الأسود كافور .
 - وصارت المفازة اسما على البادية المهلكة وسمى العوام ذلك الأبرص بمسعود الخط .

- 3125 -** ومن أجل أسير الشهوة والغضب والأمل وضعوا ألقابا وكتبوها : الأمير أو الصدر الأجل .

- لقد سمى العامي أسرى الأمل أولئك بالأمراء الأجلاء في البلاد .
- وينادون بالصدر من هو في صف النعال وروحه دنية على أساس من الجاه والمال .
- وعندما اختار الملك أحد الزاهدين ، بلغ هذا النبأ مسامع الحريم « 1 » .

اختيار الملك ابنة درويش زاهد لابنه واعترض الحريم وشعورهن بالعار من مصاهرة درويش

- لقد قالت أم الأمير من نقص عقلها إن شرط الكفاءة موجود في العقل والنقل !
- 3130 -** وإنك من البخل والشح والدهاء ، تريد أن تربط ولدنا بأحد الشحاذين .
- قال (الملك) : إن تسمية الصالح بالشحاذ خطأ ، فهو غنى القلب بعباء الله .
- أنه يلجأ إلى القناعة من تقواه ، لا من اللؤم والكسل كما يفعل الشحاذون .
- وإن القلة التي تكون من القناعة والتقوى ، تكون مختلفة عن القلة عند الأدياء وفقرهم .
- فإن « الدنى » إن وجد حبة واحدة (من الذهب) يطأطىء رأسه لكنه « القانع التقى » يفر بهمته من كنز الذهب .

- 3135 -** وإن الملك الذي يرتكب من الحرص كل حرام لا بد وأن يسميه كل ذي همة شحاذاً .
- قالت : أين المدن والقلاع التي تكون ضمن جهازها وأين الجواهر التي سوف تنثرها واين (بدرة) الدنانير ؟

(1) هذا البيت بعد العنوان عند جعفري (10 / 585) .

- قال : اذهبي ، فكل من اختار هم الدين ، فقد كفاه الله بقية هموم (الدنيا) .
- لقد تغلب (رأى) الملك وزوجه فتاة من نسل أحد الصالحين حسنى الأصل .
- ولم يكن لها نظير في جمالها ، لقد كان وجهها أكثر تألقا من شمس الضحى .

- 3140 -** هذا عن حسن الفتاة أما خصالها ففيها من الحسن ما لا يستوعبه بيان .
- فصد ذات الدين حتى يصل إليك تبعا له : الحسن والمال والجاه والحظ والسعيد .
 - وأعلم أن اختيار الآخرة مثله كأنك تختار قافلة من الإبل ، تكون الدنيا لها تبعا ، كما يتبع امتلاك القافلة امتلاك الشعر والصوف والبعر .
 - لقد اخترت الصوف ولا إبل لك ، فإن وجدت الإبل ما قيمة الشعر ؟ !
 - وعندما أتم الملك عقد ذلك النكاح . . مع نسل الصالحين الذين لا شك (في صلاحهم) .

- 3145 -** شاء القضاء أن تكون هناك ساحرة عجوز ، كانت عاشقة للأمير صاحب الحسن والجود .
- لقد سحرته تلك العجوز الكابلية ، فهي بسحرها تبز ذلك السحر البابلي .
 - فعشق الأمير العجوز القبيحة ، فانصرف عن العروس وعن ذلك العرس .
 - لقد قطع شيطان أسود وعجوز كابلية الطريق على الأمير على حين غرة .

- وتلك العجوز ذات التسعين خريفا ننتة الفرج ، لم تترك لذلك الأمير عقلا أو تدبيراً .

3150 - وظل الأمير أسيراً لها طيلة عام ، وكان موضع قبله نعل حذاء تلك العجوز الننتة .

- كانت معاشرة العجوز تحصده حصدا ، حتى صار من النحول ذا نصف روح .
- لقد كان الآخرون من نحوله من قلق بالغ ، بينما هو في غفلة عن نفسه من سكر السحر .

- وصارت هذه الدنيا على الملك كأنها السجن ، وذلك الابن ضاحك (سخرية) من بكائهم .

- لقد صار الملك بلا حيلة في هذا النزال ، فأخذ يقدم ليل نهار الأضاحي والزكاة .

3155 - ذلك أن كل حيلة كان يقوم بها ذلك الأب ، كان تجعل عشق العجوز يزداد (عند الأمير) .

- فتيقن أن في هذا الأمر سرا مطلقا ولا حيلة له بعد هذا الضراعة والدعاء .
- فكان يسجد متضرعا قائلاً : أمرك نافذ . فلمن الأمر لغير الحق على ملكه الحق .
- لكن هذا المسكين يحترق كالعود ، فخذ بيده أيها الرحيم وأيها الودود .
- ومن دعاء الملك ومن صراخة (على باب الله) وصل ساحر أستاذ من الطريق «1» .

(1) هذا البيت بعد العنوان في نسخة جعفري (10 / 589) .

استجابة دعاء الملك في خلاص ابنه من الساحرة الكابلية

3160 - كان الساحر قد سمع منى على البعد خبرا بأن الأمير صار أسيرا لعجوز .
- وأن تلك العجوز كانت في السحر بلا نظير ، وأمنة في هذا المجال من الند والشريك .

- وهناك يد فوق يد أيها الفتى في الفن وفي القوة حتى ذات الله .
- ويد الله هي منتهى كل هذه الأيدي ، والبحر بلا شك هو منتهى السيول .
- فمنه تستمد السحب ما تجود به ، وإليه تكون نهاية السيل .

3165 - قال له الملك : لقد ضاع ولدى . . فقال له : ها أنا قد جئت إليك علاجا شافيا ناجعا .

- فليس هناك ند لهذا العجوز في السحر ، سواي أنا الداهية القادم من تلك الناحية .
- وبأمر الخالق الفرد فإنني مثل كف موسى . . أدمر الآن سحرها تدميرا تاما وأبطله .
- فإن لي علما قادمًا من ذلك الطرف ، لا من التلذذ على سحر يستخف (بعقول الناس) .
- لقد جئت حتى أبطل سحرها وحتى لا يبقى الأمير (عليلا) أصفر الوجه .

3170 - فاذهب إلى الجبانة وقت السحور وهناك إلى جوار السور قبر أبيض .
- واحفر ذلك القبر ثانية ناحية القبلة ، حتى ترى قدرة الله وصنعه .

- إن هذه الحكاية طويلة جدا وأنت أيها السامع ملول فلأقصن عليك زبدتها وأترك الفضول « 1 » .

- وأخذ يفك هذه العقد الثقيلة وأعطى للأمير طريقا (للخروج) من هذه المحنة .
- فعاد الابن إلى وعيه . . وانطلق سريعا إلى عرش الملك ، وهو شديد الاضطراب .

3175 - وسجد ، وأخذ يحك ذقنه بالأرض ، وكان يحمل تحت إبطه السيف والكفن .
- فأقام الملك الزينات هو وأهل المدينة فرحين ، وتلك العروس القانطة التي خاب مسعاها .

- وصار عالم بأجمعه حيا من جديد مليئا بالضياء ، فوا عجا لذلك اليوم إنه يوم واليوم أيضا يوم (وشتان بينهما)
- وأقام له الملك عرسا . . بحيث وضع ماء الورد والسكر أمام الكلاب .
- وماتت العجوز الساحرة حزنا وأسلمت وجهها القبيح وخصالها القبيحة إلى مالك (خازن النار) .

3180 - وبقي الأمير مندهشا متسائلا : كيف اختطففت منى العقل والنظر .
- ورأى عروسا شابة كأنها القمر حسنا ، بحيث كانت تقطع الطريق من حسننها على الحسان .
- فقد رشده وسقط على وجهه ، ولأيام ثلاثة سلب الفؤاد من جسده .

.....
(1) ج / 10 - 589 :

لقد ذهب الملك سريعا نحو الجبانة ، * وفتح الملك القبر في تلك اللحظة فرأى سحرا مدفونها فيها ، * مائة عقدة معقودة علي شعرة واحدة

- وفقد وعيه ثلاثة أيام بلياليها . حتى ضج الخلق (حزنا) من فقدانه الوعي .
- ومن ماء الورد والأدوية عاد إلى وعيه ، ورويدا وريدا عاد إليه حس التمييز بين الخير والشر .

3185 - وبعد عام قال الملك (مازحا) أثناء السمر ، تذكر يا بنى ذلك الرفيق القديم .
- واذكر ذلك الضجيع وذلك الفراش ، ولا تكن إلى هذا الحد جاحدا عديم الوفاء .
- قال : دعك من هذا ، لقد وجدت دار السرور ، ونجوت من بئر دار الغرور .
- وهكذا يكون المؤمن عندما يجد الطريق إلى نور الحق ، إنه يشيح بالوجه عن الظلمة .

في بيان أن أمير هو ابن آدم خليفة الله : أما أبوه فهو آدم الصفي خليفة الله الذي سجدت له الملائكة وتلك العجوز الكابلية هي الدنيا التي قطعت ابن آدم عن أبيه بسحرها والأنبياء والأولياء هم أولئك الطبيب الذي تدارك الأمر .

- أيها الأخ أعلم أنك أنت أمير قد ولدت في هذا العالم القديم من جديد « 1 »

3190 - أما العجوز الكابلية الساحرة فهي الدنيا ، وهي التي جعلت الرجال أسرى للألوان والروائح .

.....
(1) الشطرة الثانية في نسخة جعفري (ج - 10 / ص - 593) وأنت مهياً من أجل الطريق المستقيم .

- وما دامت قد أَلقت بك في هذا النهر الأسود ، فداوم على قراءة (قل أعوذ » لحظة بلحظة وتنفس بها .

- ربما تنجو من هذا السحر وهذا الاضطراب ، فاطلب الاستعاذة من رب الفلق .
- ذلك أن النبي سمى دنياك بالسحارة ، تلقى بسحرها البشر في بئر (الغرور) .
- وهذا فإن عندها تعويذة قوية تلك العجوز النتننة ونفسها الحار جعل الملوك أسرى .

3195 - ونفثاتها موجودة داخل الصدور ، تقوم بإثبات عقد السحر من أجلها .
 - وإن الدنيا الساحرة امرأة عالمة قوية ، وليس إبطل سحرها في قدرة العوام .
 - ولو كانت العقول قد حلت عقدها ، فمتى كان الله سبحانه وتعالى يرسل الأنبياء ؟ !
 - هيا واطلب ذا نفس حلو مبارك حلال للعقد ، عالم بسر « يفعل الله ما يشاء » .
 - لقد بقي الأمير معلقا كسمكة في شص لسنة واحدة وأنت بقيت على هذا الحال ستين سنة .

3200 - ستون سنة وأنت في محنة من شصها لا أنت بالطيب ولا أنت على طريق السنة .

- فأنت فاسق سيء الحظ لا الدنيا حسنة معك ولا أنت بناج من الوبال والذنوب .
- لقد جعلت نفثاتها تلك العقد أكثر إحكاما ، فاطلب إذن نفثة الخلاق الفرد .

- حتى تكون تلك النفخة (التي وردت في) نفخت فيه من روعي هي التي تخلصك من هذا المصير وتقول لك : ارتفع .
- وليس الإبنفخة الحق تحترق نفخة السحر ، فهذا هي نفخة القهر وهذه نفخة الحب واللفظ .

3205 - إن رحمته قد سبقت غضبه ، فإذا كنت تريد الرحمة اذهب وابحث عنها .
- حتى تصل إلى مصداق « نفوس زوجت » ، ويا أيها الملك المسحور هذا مخرجك .
- ومع وجود العجوز لا يمكن أن تتخلص من الشبكة وتصل إلى أحضان تلك الزائدة في الدلال .
- ألم يقل لك مصباح الأمة المنير إن الدنيا والآخرة ضرطان !
- ومن ثم فواصل هذه يكون فراقا لتلك ، وصحة هذا الجسد تكون سقاما على الروح .

3120 - وإذا كان فراق هذا الممر يبدو لك صعبا ، فاعلم أن فراق هذا المقر يكون أصعب .

- وإذا كان فراق الصورة يشق عليك ، فما بالك بمشقة الفراق عن المصور
- ويا من لا صبر لك عن الدنيا الدنية . كيف يكون صبرك عن الله أيها الصديق كيف .

- وإن لم يكن لك صبر عن هذا الماء الأسود ، فكيف تصبر عن نبع الإله ؟ !
- وما دمت بدون هذا الشرب قليلا ما تركز إلى السكون فكيف وأنت منفصل عن الأبرار وعن ما يشربون ؟ .

3215 - وإنك إن أبصرت لحظة واحدة حسن الودود ، لألقيت في النار بالروح والوجود .

- وسوف ترى هذا الشرب جيفة فيما بعد ، عندما ترى عظمة القرب ومجده .
- تصل مثل الأمير إلى محبوبك الأصلي ، وتخرج من بعد ذلك الأشواك من قدمك .
- فجاهد حتى تحصل على ذاتك عن طريق التخلي عن ذاتك ، وذلك على وجه السرعة والله أعلم بالصواب .
- وانتبه كل لحظة ولا تكن قرين نفسك ولا تسقط كالحمار كل لحظة في الطين والماء .

3220 - فإن هذا العثار يكون من قصور العين ، فهي لا ترى المرتفعات والمنخفضات وكأنها عمياء .

- واجعل رائحة قميص يوسف سندا لك ، فإن رائحته تضيئ العين .
- إن الصورة الخفية وذلك النور في الجبين ، جعلت عيون الأنبياء حادة النظر .
- ونور تلك الوجنة ينجي من النار ، فانتبه ولا تصر قانعا بنور مستعار .
- وهذا النور (المستعار) يجعل العين ناظرة (فحسب) إلى الحال ، ويجعل الجسد والعقل والروح مصابة بالجرب .

3225 - إن صورته نور لكنه في الحقيقة نار ، فإذا كنت تريد الضياء فارفع كلتا يديك عنه .

- والبصيرة والروح اللتان تكونان ناظرتين فحسب إلى الحال يكب (صاحبها) على وجهه كل لحظة حينما يذهب .

- أما حاد البصر الذي لا فضل لديه فيرى البعيد ، لكن رؤيته هذه تشبه رؤية البعيد في النوم .
- إنك تكون نائماً إلى جوار نهر لكنك متيبس الشفة (من الظمأ) وتجد مسرعا في طلب سراب .
- إنك ترى السراب من على البعد وتسرع (في أثره) وتنقلب عاشقا إلى رؤيتك هذه .
- 3230 -** ولا تفتأ في نومك في نفاج مع أصحابك ، قائلاً : إنني مبصر القلب مكشوف الحجب .
- إنني أرى الآن ماء في تلك الناحية فاسرعوا ، حتى نمضي إليه ويكون (ما تراه) سرايا .
- ومهما تهرول تكون أكثر بعدا عن ذلك الماء ، تكون مسرعا نحو السراب بغرور .
- لقد صار عزمك وشوقك في حد ذاته حجابا لك ، فهو معك دائما ومقبل إليك .
- وما أكثر الذين يمضون إلى مكان ما من مقام يكون الغرض (المطلوب) فيه .
- 3235 -** إن رؤية النائم ونفاجه لا يجديان نفعا ، فهي ليست إلا خيال ، أقلع عنه .
- وأن كان النوم قد غلب فتم في طريقه ، فبالله عليك ، بالله عليك نم في طريق الله .
- ربما يمر بك أحد السالكين ، فيخلصك من الخيالات التي جلبها النعاس إليك .
- والنائم وإن كان دقيق الفكر عميقه فإنه لا يستطيع بهذه الدقة أن يجد الطريق إلى الحي .

- وفكر النائم وإن ضوعف مرتين أو ثلاثة فهو خطأ في خطأ في خطأ .

3240 - إن الأمواج تضربه بلا خشية أو احتراز ، بينما يكون النائم ساعيا في صحراء قاحلة شاسعة .

- وبينما يكون ذلك النائم يعاني من العطش الشديد ، يكون الماء أقرب إليه من حبل الوريد .

حكاية ذلك الزاهد الذي كان في سنة قحط سعيد وضاحكا برغم إفلاسه وكثرة عياله وكان الخلق يموتون جوعا . وقيل له : أهذا أوان السرور ؟ !
إنه أوان مائة حداد ، فقال : ليس بالنسبة لي

- مثل ذلك الزاهد في سنة قحط ، كان ضاحكا بينما كان كل الناس باكين .
 - فقالوا له : أي موضع للضحك هذا ، ولقد قطع القحط حلق المؤمنين ؟ !
 - لقد صرفت رحمة الله عيناها عن النظر إلينا ، واحتترقت الصحراء في الشمس الحارقة .

3245 - واحتترقت المزارع والبساتين والكروم ولا قطرة طل على الأرض لا أعلاها ولا أسفلها .

- والخلق يموتون من هذا القحط والعذاب ، (يموتون) بالعشرات والمئات كالأسماك حين تبتعد عن المياه .

- إنك لا تشعر بالرحمة تجاه المسلمين ، في حين أن المؤمنين إخوة ، وجسد واحد بشحمه ولحمه .

- وإذا تألم عضو واحد من هذا الجسد تألمت بقية الأعضاء ، سواء كان ذلك في وقت السلام أو عند احتدام القتال .

- قال : إنه يبدو لكم قحطا ، لكن هذه الأرض تبدو أمام عيني كالجنة .

3250 - وفي كل واد وفي كل مكان أرى السنابل المتكاثفة وقد وصلت حتى أواسط أجسادنا .

- وأرى تلك السنابل متموجة من رياح الصبا والصحراء ملأى وأكثر خضرة من نبات الكراث .

- وأنا ألمسها بيدي مجربا وأراها بعيني ، فكيف إذن أقتلع عيني ويدي ؟ ! - إنكم أعوان فرعون الجسد أيها القوم الأدنياء ، ومن هنا يبدو لكم النيل دما .
- فتحولوا إي أعوان موسى العقل على وجه السرعة ، حتى لا يبقى ما في النهر دما وترون ماءه .

3255 - إنك تحس ببعض الجفاء تجاه أبيك ، فيبدو لك ذلك الأب كلبا .
- وذلك الأب ليس كلبا بل هو تأثير الجفاء ، بحيث يبدو عطفه للنظر من (صفات) الكلاب .

- لقد كان إخوة يوسف يرونة ذئبا أمام أعينهم ، مادموا كانوا ينظرون إليه بعيون الحسد والكراهية .
- إنك عندما تصالحت مع أبيك وذهب الغضب ، مضى عنك ذلك الكلب وصار أبا شديد العطف والمحبة .

بيان أن مجموع العالم هو صورة العقل الكلى وعندما تسير معوجا مع العقل الكلى
وتجفو ، تزيد صورة العالم في حزنك أغلب الأحوال ،
مثلما يحدث إذا جفا القلب مع الأب تزيدك صورة الأب حزنا ولا تستطيع النظر إلى
وجهه بالرغم من أنه كان قبل ذلك نور العين وراحة الروح

- إن كل العالم هو صورة من العقل الكلى ، فهو والد لكل من هو ناطق .

3260 - وعندما يزيد أحد كفرانه بالعقل الكلى ، تبدو الصورة الكلية أمامه وكأنها كلب .

- فتصالح مع هذا الأب واترك العقوق حتى يبدو الماء والطين بالنسبة لك بساطا من ذهب .

- ثم يحدث لك ما لا يحدث لك إلا في القيامة وتتبدل الأرض والسموات أمامك .
- وأنا (الدرويش) لأننى في سلام دائم مع هذا الأب ، تبدو هذه الدنيا مثل الجنة في ناظرى .

- وفي كل لحظة صورة جديدة وجمال جديد ، وذلك حتى يموت داخلي الملل من رؤية الجديد .

3265 - إننى أرى الدنيا ملأى بالنعيم ، والمياه تفور من العيون دائما .

- إن خرير مائها يصل إلى أسماعى ، فيسكر بها وعيى ووجداني .
- (إننى أرى) الأغصان راقصة كأنها من التائبين والأوراق مصفقة كالمطربين .
- والبرق مرآة لامعة تحت نقاب « الغمام » ، فما بالك إن تجلت من وراء الغمام ؟ !
- إننى أقص جزءا واحدا من آلاف الأجزاء التي أراها ، ذلك أن كل أذن ممثلة شكا .

3270 - إن هذا القول يبدو أمام الوهم من قبيل البشارة لكن العقل يقول : إنها حال حاضرة .

قصة أبناء عزيز عليه السلام الذين كانوا يسألون عن أحوال أبيهم ،
وكان هو يقول لهم : نعم رأيته وهو آت فعرفه بعضهم ففقدوا وغيبهم
ولو يعرفه بعضهم فأخذوا يقولون : لقد بشرنا . .
فما سبب هذا الإغماء ؟ !

- إن هذا يشبه ما حدث لأولاد عزيز عندما كانوا يسировون في الطريق يسألون عن أحوال أبيهم .
- لقد صاروا شيوخا بينما كان أبوهم لا يزال شابا ، فتقدم أبوهم منهم فجأة .
- فسألوه قائلين : يا عابر السبيل هل لديك خبر عن أبينا عزيز ؟ ! - لقد قال لنا أحدهم أن ذلك السيد السند سوف يصل اليوم من غيبته بعد يأس .

- 3275 - قال : نعم ، سوف يأتي بعدى ، فسر أحدهم عندما سمع هذه البشرى .
- فأخذ يصيح : أسعدك الله أيها المبشر بينما عرفه آخر فسقط مغشيا عليه .
- أية بشارة هذه يا دائر الرأس ، لقد وقعنا على منجم ذهب .
- إنها بشرى بالنسبة للوهم لكنها بالنسبة للعقل حال حاضرة ، ذلك أن عين الوهم محجوبة بالفقد .
- إنها ألم للكفار وبشرى للمؤمنين ، لكنها حال حاضرة لعين البصير .

- 3280 - ذلك أن العاشق حاضر لحظة بلحظة وثل فلا جرم أنه أسمى (مرتبة) من الكفر والإيمان .
- إن الكفر والإيمان دائما واقفان على بابه ، إنه لب والكفر والدين قشران بالنسبة له .
- فالكفر قشر جاف في سبيله إلى الزوال ، والإيمان قشر أيضا لكن به شيئا من حلاوة اللب .

- إن النار هي موضع القشور الجافة لكن القشور المتصلة بلب الروح حلوة .
- أما اللب نفسه فقد جاوز مرحلة الحلاوة إنه أعلى منها لأنه باسط للذة .

3285 - وهذا الكلام لا نهاية له فعد ، حتى يثير موسى (بياني) الغبار من قلب البحر .

- لقد قيل هذا الكلام مناسبا لعقول العوام ، لكن باقيه خبيء وصار مضمونا به .
- فإن ذهب عقلك مجرد برادة أيها المتهم ، وكيف أضع على البرادة ختم السكة ؟ !
- قد وزع عقلك على مئات المشاغل وآلاف الرغبات والمهام والوساوس .
- وينبغي جمع كل هذه الأجزاء بالعشق ، حتى تصير حلوا كسمرقند ودمشق .

3290 - إنك كحبات الشعير المبعثرة وعندما تتجمع من هذا الشتات ، يمكن أن تضرب عليك سكة المليك .

- وإن أخذت أيها الساذج تجمع مثقالا فوق مثقال ، لصنع منك المليك كأسا ذهبيا .
- وتصبح (على هذا الكأس) أسماء الملك وألقابه بل وصورته يا طالبا للوصل .
- فحتام يكون معشوقك هو الخبز وهو الماء وهو المصباح والحسناء والنقل والشراب ؟
- اجمع (شتات) نفسك فالجماعة رحمة ، حتى أستطيع أن أنقل إليك كل ما لدى .

3295 - ذلك أن القول يكون من أجل التصديق ، وروح الشرك بريئة من تصديق الحق .

- والروح التي قسمت على ظواهر الفلك ، تكون موزعة على ستين شهوة .
- ثم إن الصمت (أمامها) يهبها بعض الثبات ، ومن ثم كان جواب الأحق السكوت .
- وهذا أمر أعرفه ، لكن سكر الجسد ، يفتح فمي بالرغم منى .
- مثلما يفتح فمك بالرغم منك عندما يعتريك تتأوب أو عطس .

تفسير هذا الحديث أني لأستغفر ربي في كل يوم سبعين مرة

3300 - إنني أتوب مثل الرسول عليه السلام في اليوم سبعين مرة عن القول وعن نثار (الدر) .

- لكن ذلك السكر يحطم التوبة ، إن سكر الجسد هذا منسى ممزق للثباب .
- إن حكمة إظهار الأسرار ظلت لفترة طويلة من الزمن ، تصيب بالسكر ذلك العالم بالأسرار .
- أياكون السر مخفيا مع مثل هذه الطبول والأعلام ؟ ! إنها جياشه كالمياه منذ « جف القلم » .
- إن رحمة (الله) التي لا حد لها جارية في كل آن وأنتم نائمون عن إدراكها إليها الناس .

3305 - وإن لباس النائم يشرب من نهر الماء ، والنائم مستغرق في النوم باحث عن السراب .

- إنه يسرع قائلا : هناك بعض الماء ومن هذا التفكير سد الطريق على نفسه .

- ولأنه قال « هناك » ابتعد عن « هنا » وأصبح مهجوراً عن الحق من أجل خيال !
- انهم يتميزون بحدة البصر لكنهم نيام الأرواح تماماً ، فارحموهم قليلاً أيها السالكون في هذا الطريق !
- انني لم أر ظمأ يأتي بالنوم ، بل أن ظمأ من لا عقل له هو الذي يأتيه بالنوم .

3310 - إن العقل الحقيقي هو الذي أطعمه الحق وليس ذلك العقل الذي يستند على عطار د « 1 »

بيان أن العقل الجزئي لا يري أكثر مما حتى القبر وهو فيما تبقي مقلد للأولياء والأنبياء

- إن نبوءة هذا العقل تكون حتى القبر ، لكن عقل صاحب القلب (يتنبأ) حتى نفخ الصور .
- وهذا العقل لا يتجاوز القبر والتراب ، وهذه القدم لا تطأ ساحة العجائب
- فامض عن هذا العقل وعن هذا القدم وضق بهما ، وابحث عن عين الغيب وكن ذا نصيب منها .
- فمتى يجد مثل موسى النور من الجيب ، ذلك المسخر للأستاذ وتلميذ الكتاب ؟ .
- 3315 -** فمن هذا النظر ومن هذا العقل لا يتأتى سوى الدوار ، دعك من النظر ، وتخير الأنظار .
- ولا تطلب الرفعة عن طريق الكلام ، فالاستماع للمنتظر أفضل من الكلام .

(1) هذا البيت في نسخة جعفري (10 / 624) بعد العنوان التالي .

- ومنصب التعليم نوع من الشهوة وكل خيال من الشهوة صنم في الطريق .
- وإذا كان كل فضولي قد أدرك فضله تعالى ، فمتى كان الله قد أرسل عددا من الأنبياء ؟ !
- إن العقل الجزئي مثل البرق ولمعانه ، وكيف يمكن الذهاب على ضوء البرق إلى « وخش » « 1 » .

- 3320 -** وليس نور البرق من أجل أن يطوى الطريق ، بل هو أمر للسحب بمداومة البكاء .
- وهكذا برق عقولنا من أجل البكاء . . وذلك من أجل أن يبكي العدم شوقا إلى الوجود .
 - وان عقل الطفل ليأمره بمداومة الذهاب إلى « الكتاب » لكنه لا يستطيع أن يعلمه بنفسه .
 - وعقل المريض يأتي به إلى الطبيب ، ولكنه لا يستطيع أن يصيب في وصف الدواء .
 - ألم يكن الشياطين يصعدون إلى أجواز الفلك ، وكانوا يسترقون السمع على الأسرار العالية .

- 3325 -** وكانوا يختطفون قليلا من تلك الأسرار حتى تطردها الشهب سريعا من السماء .
- قائلة لها : امضوا من هنا . . فقد جاء رسول ، وكل ما تريدونه تحصلون منه عليه .
 - وإذا كنتم تبحثون عن الدر الذي لا يقدر بثمن ، « أدخلوا الأبواب من أبوابها » « 2 »

-
- (1) اسم بلدة بالقرب من بدخشان في ما وراء النهر .
- (2) بالعربية في المتن .

- وداوموا على قرع حلقة الباب وقفوا على الباب ، فليس لكم طريق إلى الفلك من ناحية السطح .
- ولا حاجة لكم إلى هذا الطريق الطويل ، لقد وهبنا المخلوق من تراب الأسرار .
- 3330 -** فهلموا إليه إن لم تكونوا خونة (بطبعكم) ، فمне تصيرون قصب سكر وان كنتم بوصا .
- فإن ذلك الدليل ينبت الخضرة من ترابك ، فإنه ليس أقل (شأنا) من سنبك جواد جبرائيل .
- إنك تصير نضرا أخضر ذا جدة وطراوة إذا صرت ترابا لجواد جبريل .
- خضرة واهبة للروح والحياة جعلها السامري في العجل حتى صار جوهر (ذا حياة) .
- فنفتت فيه الروح وصار له خوار من تلك الخضرة وصار خواره فتنة للعدو .
- 3335 -** فإن تقدمتم بأمانة نحو أهل السر ، فاخلعوا الغمامة من فوق رؤوسهم كالبازي .
- فإن هذه الغمامة حجاب على العين والأذن لقد ضاق البازي منها ذرعا وانعدمت حيلته .
- فهذه الغمامة سد أمام أعين البزاة لأن كل ميلهم يكون نحو جنسهم .
- لكن البازي عندما انقطع عن جنسه صار رفيقا للملك ، ففتح مدرب البازي عينه .
- لقد طرد الله الشياطين من مكن أسرارهم ، مثلما يطرد العقل الجزئي من استبداده .

3340 - قائلا له : كفاك رئاسة ، فلست حاكما مطلق العنان ، لكنك مجرد تلميذ للقلب
ذا استعداد .

- فامض نحو القلب امض نحوه فأنت جزء منه وانتبه فأنت عبد لمليك عادل .
- والعبودية لهذا الملك أفضل من السلطنة ، فإن قول « أنا خير منه » من النفس
الشيطاني .

- فانظر إلى الفرق ، واختر أيها الحبيس ، بين عبودية ادم وكبر إبليس .
- ولقد قال ذلك الذي هو شمس الطريق : « طوبى لمن ذلت نفسه »

3345 - فانظر إلى ظل طوبى ونم هنيئا ، ضع رأسك في ظل لا ينحسر ونم .
- إن ظل « ذلت نفسه » مضجع حسن ، إنه مهجع للمستعد لذلك الصفاء .
- وإنك إن توليت عن هذا الظل نحو « الأنية » والكبر فأنت تتقلب سريعا إلى طاغية
وتضل الطريق .

تفسير : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ »
ما دمت لست بالنبي فلتكن من الأمة . . وما لم تكن سلطانا فلتكن في الرعية

- إذن فامض وكن صامتا منقادا تحت ظل أمر الشيخ أو (المرشد) الأستاذ « 1 » .
- وإلا انقلبت إلى مسخ مهما كنت مستعدا وقابلا وذلك من كثرة تنفجك بالكمال .

3350 - بل إنك تفقد الاستعداد نفسه إذا تمردت على الأستاذ الخبير بالأسرار .

(1) ج / 10 - 632 : ولا تجعل من وجودك الوضيع واليا وكن تابعا صامتا .

- فاصبر في حياكة النعال فلا يزال (متسع) وإلا انقلبت لانعدام صبرك إلى مجرد إسكاف .
- فإن كان عند من يرتقون القديم صبر وحلم ، لصاروا جميعا من الذين يقومون بحياكة الجديد . . . من علمهم
- انك تجاهد كثيرا وفي النهاية تقول أنت نفسك نتيجة للكلال : إن العقل عقال .
- مثل ذلك الرجل المتفلسف يوم موته ، كان يرى العقل عاجزا بلا مئونة إلى ذلك الحد .

3355 - فأخذ يعترف في تلك اللحظة بلا غرض ، قائلا إننا سقنا الجواد جزافا من ذكائنا .

- ومن الغرور حولنا رؤوسنا عن الرجال وزاولنا السباحة في بحور الخيال .
- ولا قيمة لهذه السباحة في بحر الروح ، ولا وسيلة هنا إلا سفينة نوح .
- وهكذا قال سيد الأنبياء والمرسلين إنني أنا السفينة في هذا البحر الكلى .
- أو ذلك الذي يكون على بصيرة منى ويكون خليفة الصدق في موضعي .

3360 - إنني أنا سفينة نوح في البحر أيها الفتى حتى لا تحولن وجهك عن السفينة .
- ولا تمض صوب كل جبل مثل كنعان ، واستمع من القرآن « لا عاصم اليوم من أمر الله »

- ومن القيد (الذي على قلبك) تبدو لك هذه السفينة وضيفة حقيرة ، ويبدو لك جبل فكرك سامق العلو .

- فلا تنتظرن باحتقار إلى هذه (السفينة) الضئيلة ، انظر إلى فضل الحق المتصل بها
(على الدوام) !
- وقلل النظر إلى علو جبل الفكر فإن موجة واحدة تجعل عالية سافله !

3365 - ولن تصدقني إن كنت (مثل) كنعان ، حتى ولو ضاعفت لك نصائحي مائتي مرة .

- ومتى تقبل إذن كنعان هذا الكلام فإن الله سبحانه وتعالى قد ختم عليا غشاوة .
- ومتى تؤثر الموعظة على ختم الحق ، ومتى يحول الحدث ما سبق من حكم .
- لكني أحدثك يا مبارك الخطي ، آملا ألا تكون مثل كنعان .
- وإنك في النهاية سوف تعترف (بانحرافك) فانتبه ، وانظر من البداية إلى عاقبة أمرك .

3370 - انك تستطيع أن تكون مقدراً للعواقب ، فلا تجعل عينيك التي ترى العاقبة عمياء مهترئة .

- إن كل من يرى العاقبة يكون كالسعيد ، لا يتعثر كل لحظة عند سيره .
- وإن لم ترد هذا العثار في كل لحظة ، فقل بصرك بتراب قدم أحد الأولياء .
- واجعل من تراب قدمه كحلا للبصر ، حتى تستطيع أنذاك أن تطيح برؤوس الأوباش .
- فإنك من هذه التلمذة ومن هذا الافتقار ، حتى ولو كنت إبرة لا قيمة لها تتحول إلى سيف كذي الفقار .

3375 - فاجعل تراب قدم كل مختار (من الله) كحلا لك ، تحترق العين وتجلى في نفس الوقت « 1 » .

قصة شكوي البغل للجمل وفحواها : إنني أسقط كثيرا في الطريق عند السير وأنت قليلا ما تكب على وجهك فما السبب ؟ وجواب الجمل عليه

- رأى بغل جملا ذات يوم عندما اجتمعا معا ذات يوم في اصطبل .
- فقال له : إنني كثيرا ما أتعثر في الأرض الوعرة وفي الطريق وفي السوق وفي الحي !
- وخاصة عندما أكون هابطا من قمة الجبل إلى سفحه ، أسقط كل لحظة على رأسي من شدة الخوف .

3380 - وأنت قليلا ما تتكب على وجهك فما السبب ؟ . أأروحك الطاهرة في حد ذاتها حظ وإقبال ؟ .
- إنني أسقط على رأسي كل لحظة وعلى ركبتي ، وفي ذلك العار أدمى وجهي وركبتي .
- ويميل السرج والحمل من فوق ظهري وأتعرض للضرب من المكارى في كل لحظة .
- وهذا مثل أبله يعود عن توبته كل لحظة وينغمس في الذنب من عقله الفاسد .
- ويصير أضحوكة لإبليس في زمنه ، ذلك المحطم لتوبته من ضعف رأيه

3385 - إنه ينكب على وجهه في كل لحظة كالجواد الأعرج الذي يكون حمله ثقيلًا وطريقه صخريا .

.....
(1) ج / 10 - 6330 : اضيء عينيك من تراب الأولياء في حتى تري كل شيء من المبدأ إلي المنتهي .

- وهو يتلقى من الغيب الضربات فوق رأسه من جراء عودته عن التوبة ، ذلك المعتاد على الإدبار .

- فيتوب مرة ثانية بعزم واهن ، ويبصق عليه الشيطان ، وتتحطم توبته - إنه ضعف مركب ، لكن كبره . يدفعه إلى النظر إلى الواصلين باحتقار - أيها الجمل ، إنك تشبه المؤمن ، قلما تسقط في الطريق وتنكب على أنفك .

3390 - فماذا لديك يمنع عنك الآفات إلى هذا الحد ؟ وينجيك من العثار فقلما تسقط على وجهك ؟ !

- قال (الجمل) بالرغم من أن كل سعادة من الله تعالى ، فإن هناك فروقا كثيرة بيني وبينك .

- إنني مرفوع الرأس وعيناوي مرفوعتان والرؤية التي تشرف من عل أمان من الضرر .

- وإنني لأرى سفح الجهل وأنا في قمته وأرى كل أرض مستوية وكل حفرة ، مرحلة بعد مرحلة .

- مثلما رأى ذلك الصدر الأجل ، أمره مسبقا حتى يوم (يحين) الأجل .

3395 - ويعرف في الحال ما سوف يحدث بعد عشرين سنة ، ذلك الطيب الخصال !

- إنه لا يرى حاله وحده فحسب ذلك المتقى ، بل (ويرى أيضا) أحوال كل أهل المشرق والمغرب .

- إن النور مستقر في عينه وقلبه . . ومن أي شيء يستقر بينهما ؟ ! من أجل « حب الوطن » .

- مثل يوسف عليه السلام . . الذي رأى من البداية في المنام أن الشمس والقمر قد سجدا له .

- ومن بعد عشرة سنوات أو ما يزيد ، تحقق ما كان يوسف عليه السلام قد رآه في النوم .

3400 - وليست « ينظر بنور الله » من قبيل جزاف العقول ، بل يكون النور الرباني نافذا في أجواز الفلك .

- ولا يوجد هذا النور في عينيك فامض ، ذلك أنك رهين للحس الحيواني .
- إنك من ضعف عينيك ترى (فحسب) ما تحت قدميك ، إنك ضعيف عاجز ودليلك أيضا ضعيف وعاجز .
- إن العين هي الدليل والقائد لليد والقدم والتي ترى الموضع الطيب والموضع السيء .

3405 - ذلك لأنى من أولاد الحلال ، ولست من أبناء الخنا وأهل الضلال .
- وأنت من أولاد الزنا لا شك في ذلك ، فالسهم ينطلق معوجا عندما يكون القوس معيوباً « 1 » .

**موافقة البغل على أجوبة الجمل ، وإقراره بأفضليته عليه ، وطلبه العون فيه ،
واللجوء إليه بصدق وإكرام الجمل له ، وبيان الطريق له ،
وماونته إياه بأبوة عظيمة**

- قال البغل : صدقت أيها الجمل ، قالها وامتألت عيناه بالدموع .
- وبكى ساعة وسقط على قدميه ، قائلاً له : يا من اختارك رب العباد .
- أي ضرر لو أنك في السعادة والاقبال قبلتني عبداً لك ؟ !

(1) ج / 10 - 638 :

إن السيء لا يتأتى منه إلا السيء بأجمعه في الوجود ، مثلما تأتي من فرعون العنود وإبليس وإن قام بمائة طاعة ، فإنها لا تجديه نفعا فهو من الأصل فاقد الرجولة .

- 3410 -** قال له : ما دمت قد أقررت بهذا أمامي فامض ، لقد نجوت من آفات الزمن .
 - لقد أنصفت ونجوت من البلاء ، وكنت خصما فصرت من أهل الولاء .
 - إن الخصال السيئة لم تكن أصلا في ذاتك ، فمن السوء الأصل لا يتأتى سوى الجحود .
 - وهذا السوء العارض والطاريء (العارضة) . هو الذي لا يلبث أن يجعل صاحب الذنب يقر بالذنب ويبحث عن التوبة .
 - مثل آدم الذي كانت زلته عارضة ، فلا جرم أنه تاب في التو واللحظة .
- 3415 -** لكن جرم إبليس لما كان أصليا وفي ذاته ، لم يكن له طريق إلى التوبة النفيسة الغالية .
 - فامض ، لقد نجوت من ذلك ومن الخصال السيئة ، ومن السنة النيران ومن أنياب الوحوش .
 - امض فقد تعلقت الآن بالحظ والاقبال ، وألقيت بنفسك في الاقبال السرمدى :
 - لقد وجدت مصداق « أدخلني عبادي » وأدركت مصداق « ادخلي جنّتي » .
 - لقد اتخذت بنفسك طريقا بين عباده ، وذهبت إلى الخلد من طريق خفى .
- 3420 -** وقلت « اهدنا إلى الصراط المستقيم » ، فأخذ بيدك وحملك إلى النعيم .
 - كنت نارا فصرت نورا أيها العزيز ، كنت حصرما (فجا) فصرت عنبا وزبيبا (ناضجا) .
 - وكنت نجمة فصرت شمسا ، فلتسعد ولتهنأ والله أعلم بالصواب .
 - ويا ضياء الحق يا حسام الدين ، تعال وخذ العسل الصافي وألق به في حوض اللبن .

- حتى يتخلص ذلك اللبن من تغيير الطعم ، ويجد من بحر اللذة طعاما فائق اللذة .

3425 - ويصير متصلا ببحر « ألتست » ، وما دام قد اتصل بهذا البحر ، فقد نجا من كل تغيير .

- ويجد منفذا في بحر الشهد ذاك ، ولا يكون لأي آفة أدنى تأثير فيه .
- وازار كالأسد يا أسد الحق ، حتى يصل ذلك الزئير إلى السماء السابعة .
- لكن أي علم لروح لملول الضائق ، وأي علم للفأر بزئير الأسد ؟ !
- فاكتب أحوالك بماء الذهب ، من أجل كل من قلبه (في سعة) البحر . . .
- حسن الأصل .

3430 - إن هذا الحديث كماء النيل منعش للأرواح ، فاجعله يا رب دما أمام أنظار قوم فرعون .

[حكاية تضرع أحد آل فرعون لواحد من بني إسرائيل]

تضرع أحد آل فرعون لواحد من بني إسرائيل قائلا املاً من ماء النيل قدرا على نيتك ، وضعه على شفتي حتى أشرب ، بحق الصداقة والأخوة ، فإن القدر الذي تملأونه يا بني إسرائيل من أجل أنفسكم ماء صاف والقدر الذي نملؤه نحن آل فرعون من نفس النيل دم خالص .

- سمعت أن واحدا من قوم فرعون ، قد دفعه العطش إلى منزل واحد من بني إسرائيل .

- وقال له : إنني صديقك الحميم المقرب ، وصرت اليوم في حاجة إليك .
- لقد قام موسى بسحره ، وتلا تعاويذه ، حتى صار ماء النيل علينا دما
- وأتباع موسى يشربون منه نفسه الماء الصافي ، لكنه ينقلب إلى دم بالنسبة لقوم فرعون . . . من جراء السحر .

- 3435 -** إن قوم فرعون يموتون الآن من الظمأ ، ربما من إدبارهم أو من سوء جبلتهم .
- فاملاً لنفسك وعاء من الماء ، لكي يشرب صاحبك القديم من مائك .
- إنك عندما تملأ هذا الوعاء من أجل نفسك ، لا يكون دما بل يكون ماء صافيا طاهرا .
- إنني متطفل عليك : فلاشرب الماء « تطفلا » ، فإن المتطفل يتخلص بالتبعية من همومه .
- قال : يا روعي ودنياي السمع والطاعة ، فلاقم برعايتك يا عيني المضيئتين .
- 3440 -** ولأقم بما يمليه مرادك وأنا في غاية السعادة ، وأعتبر عبوديتي لك حرية لي .
- ثم ملأ وعاء من ماء النيل ، ورفع إلى فمه وشرب نصفه .
- ثم أدار الوعاء إلى طالب الماء ، قائلاً له : اشرب أنت أيضا ، فصار دما أسود .
- ثم حوله ناحيته ، فصار الدم ماء ، فانفجر الفرعوني غيظا وكدرا وغضباً .
- وظل برهة من الزمن حتى سكن غضبه ، ثم قال أيها البطل العظيم :
- 3445 -** أي حل لهذه العقدة أيها الأخ العزيز ، فقال : إنما يشرب هذا الماء من كان تقيا .
- والتقى هو الذي صار ضائقا من طريق فرعون وصار مثل موسى .
- فصر أولا من قوم موسى ثم أشرب هذا الماء ، وتصلح في البداية مع القمر ، ثم انظر إلى ضوء القمر .

- وهناك من غضبك مئات الآلاف من (الحجب) المظلمة تقف بينك وبين النظر إلى عباد الله .
- فسكن غضبك وافتح عينيك وكن بشوشا ، وخذ العبرة من رفاقك وكن أستاذا .

3450 - فكيف تكون شريكا لي في اغتراف (الماء) ولديك من الكفر ما في (ضخامة) جبل قاف .

- ومتى يلج الجمل في سم الخياط ؟ ! ، اللهم إلا صار ذلك (الجبل) (في نحول) الخيط المفرد .

- فاجعل جمل كفرك بالاستغفار في نحول « القشة » . ، وخذ كأس المغفورين لهم واشرب منها سعيدا .

- وكيف تستطيع أن تشرب منه بهذا الاحتيال والمكر ، إذا كان الحق قد حرمه على الكافرين .

- ومتى يخیل مكرک هذا على خالق المکر ، (خیر الماکرین) ؟ ! ، أيها المفترى عليه .

3455 - فكن من قوم موسى إذ لا نفع في المكر ، وليس مكرک هذا إلا من قبیل كيل الريح ، لا طائل من ورائه ! !

- فهل يجرؤ الماء على عصيان أمر الفرد الصمد ، وتكون له خواص الماء مع الكافرين ؟ !

- أو هل تظن أن ما تأكله هذا خبز ؟ ! إنك تأكل السم الزعاف الذي ينقص العمر (ولا يزيده) .

- وكيف للخبز أن يصلح تلك الروح التي تصرف القلب عن أمر الأحبة ؟ .
- أو هل تظن أنت (الآخر) أنك عندما تقرأ ألفاظ المثنوى أنك تدرك معانيها بالمجان ؟ .

3460 - أو أن فيض الحكمة والأسرار الخفية . . يدخل الآذان رغبة وبأدنى قيمة (وتتداوله) الأفواه ؟ !

- إنه (حقيقة) ينفذ إليها لكن كالأساطير ، إنه يبدي قشره ليس لبابه القيم .
- إن ذلك الحبيب وضع حجاباً على وجهه ورأسه ، وأخفى نفسه عن عينيك .
- وهكذا فمن عتوك فإن كتاباً كالشاهنامة أو كليلة ودمنة ، يبدوان أمامك كأنهما القرآن .

- وتتميز الحقيقة عن المجاز ، عندما يفتح كحل العناية عينيك (عن آخرهما) !

3465 - وإلا فإن البعر والمسك أمام الأخشم سيان ، ما لم يكن هناك (حس) شم .
- وإنما يكون هدفه من كلام ذي الجلال (المجيد) هو أن يدفع عن نفسه الملل فحسب .

- إنه يطفئ بذلك الكلام نار الوسوس والأحزان ، ويجعل منه (مجرد) دواء .
- ومن أجل إطفاء مثل هذه النار (الواهية) ، يمكن بقدر من الحيلة أن يكون الماء الطاهر والبول سيين .
- إن نار الوسواس يمكن أن تطفأ بالماء والبول ، تماماً كما (يقضى) قليل من النوم (على الأحزان) .

3470 - لكنك إن أدركت هذا الماء الطاهر ، وهو كلام الله المنعش للأرواح ! - فإن الوسوسة تنعدم تماماً من الروح ، ويجد القلب طريقه إلى رياض (الجنة) .

- إنه يخلق عاليا في رياض تجرى من تحتها الأنهار ، ذلك الذي يدرك قبسا من سر الصحف .
- أو أنك تظن أن وجوه أولياء الله ، هي على نفس ذلك النسق الذي نراها عليه .
- إن الرسول عليه السلام ما فتىء يتعجب من هذا الأمر متسائلا : كيف لا يبصر المؤمنون وجهي ؟ .

3475 - كيف لا يبصر الخلق وجهي ؟ ذلك الوجه الذي فاق شمس المشرق (نورا وبهاء) ؟ .

- وإذا كانوا يبصرونه فلماذا هذه الحيرة (والتردد) ومن ثم نزل الوحي قائلا : إن هذا الوجه مخفى عنهم .
- إنه بالنسبة لك قمر وبالنسبة للناس سحاب ، حتى لا يرى من لا يؤمن بك وجهك بالمجان .
- إنه بالنسبة لك حب لكنه بالنسبة للآخرين فخ ، حتى لا يشرب العوام من هذا الشراب الخاص .
- قال الله تعالى : « تراهم ينظرون إليك » ، لكنهم نقوش على حمام ، وهم « لا يبصرون » .

3480 - وهكذا تبدو لك الصورة يا عابد الصورة ، وكأن هاتين العينين الميتين فيها تنظران .

- وأنت أمام عين الصورة هذه تراعى الأدب ، وتتساءل : كيف لا تهتم بي ويا للعجب .
- لماذا هي صامته تماما هذه الصورة الطيبة بحيث لا ترد السلام على ؟ !
- لماذا لا تحرك رأسها وشاربها جودا ، شكرا على ما قدمته لها من سجود (كثير) .

- وإن الحق وإن لم يبد جوابا لعبادته في الظاهر « 1 » ، فإنه يعطى في مقابلها لذة في الباطن .

3485 - فإن تحريك العقل والروح رأسيهما (جوابا على العبارة) ، تساوى الاستجابة التي تريدها مائتي مرة .

- وأنت إن قمت بخدمة العقل باجتهاد ، فإن جواب العقل هو أن تزدد رشاداً .
- إن الحق لا يحرك رأسه استجابة في الظاهر ، لكنه يجعلك رئيساً على كل الرؤساء .
- ويهبك الله سبحانه وتعالى عطية في الخفاء ، بحيث يسجد لك الناس أجمعون .
- مثلما جاد على حجر بالعقل ، بحيث صار جوهرًا ، وأقصد به الذهب .

3490 - وإن قطرة من الماء لتجد لطف الحق ، فتصير درة تفوق الذهب قيمة .
 - والجسم بضعة من تراب وعندما نفخ الله فيه من نوره ، صار في الاستيلاء على الدنيا أستاذًا كالقمر .
 - وانتبه فإن (هذه الدنيا) طلسم وصورة ميتة ، أضلت عينها الحمقى عن الطريق .
 - إنها تبدو كما لو كانت تغمر بعينيها ، فيجعلها الحمقى والبلهاء سنداً لهم .

طلب الفرعونى دعاء الخير والهداية من الموسوي ودعاء الموسوي له بالخير واستجابة الدعاء فى الكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

- قال الفرعونى . أدع لي ، فلست أملك فما (للدعاء) من السواد الذي ران على قلبي .

(1) حرفيا : تحريك الرأس : إن لم يحرك رأسه استجابة .

- 3495 -** ربما يفتح قفل هذا القلب ، ويصبح للقبیح موضع في محفل الحسان .
 - إن المسخ ينقلب منك إلى صاحب جمال ، ويصبح إبليس مرة ثانية في الملائكة المقربين .
 - وببركة يد مريم - عليها السلام - يجد الغصن الجاف رائحة المسك والنضرة والإثمار .
 - فسجد الموسوي في تلك اللحظة . . . وتضرع قائلا : يا إلهي يا عالما بالعلن وبالسر .
 - وأمام من يرفع العبد يده بالدعاء إلا أمامك . . الدعاء ، منك والاستجابة منك يا الله .
- 3500 -** إنك في البداية تهب « العبد » الميل إلى الدعاء ، وأنت في النهاية تجازي أيضا على الدعاء .
 - إنك الأول والآخر . . ونحن بينهما هباء . . هباء . لا يتأتى في حديث أو بيان .
 - وأخذ يردد هذا الدعاء حتى خارت قواه « 1 » . . . وفقد وعيه .
 - ثم عاد إلى وعيه وانطلق في الدعاء فليس للإنسان إلا ما سعى .
 - وبينما هو في دعائه ، إذ انطلق من قلب الفرعوني صياح وصراخ وضجة عظيمة .
- 3505 -** قائلا : هيا . . أسرع . . وأعرض على الإيمان ، حتى أمزق سريعا الزنار القديم .
 - لقد ألقوا النار على (أعماق) روعي ، فلعلهم يكرمون إبليسا (مثلي) هذا الكرم العظيم .

(1) حرفيا : سقط طسته من فوق السطح .

- إنها صداقتك . . . وهي لا تستبعد منك . . . هي التي بحمد الله أخذت بيدي في النهاية .

- لقد كانت أحاديثك كيمياء (تبديل) . . فلا انقطع « خطو » قدميك عن منزل القلب .

- لقد كنت غصنا من نخيل الخلد ، وعندما أمسكت به حملني إلى الخلد .

3510 - وكان سيلا ذلك الذي إختطف جسدي ، ووحملني هذا السيل إلى بحر الجود .

- وأنا طلبا للماء مضيت نحو السيل ، فأدركت البحر ، ونلت الدر كيلا بكيل .

- فأتى له بالوعاء قائلا : خذ الماء إذن ، فقال له : إمض في سبيلك فالمياه الآن أمامي لا قيمة لها .

- لقد شربت شربة في ماء «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى» ولا يصيبني من بعدها ظمأ حتى الحشر .

- وإن ذلك الذي أجرى المياه في الأنهار والينابيع ، فتح عين ماء في داخلي

3515 - وتلك الكبد التي كانت حرى طالبة الماء ، صار الماء ذليلا أمام همتها !

- إنه كان « الكافي » من أجل العباد ، هو صدق لوعده في « كهيعص » .

- أي : إنني أنا الكافي أعطيك الخير كله بلا سبب أو واسطة من عون الغير .

- إنني أنا الكافي أشبعك بلا خبز ، وأهبك الإمارة دون جيش أو عسكر .

- أهبك النرجس والنسرين بلا ربيع ، أي أعلمك بلا كتاب أو أستاذ .

3520 - إنني أنا الكافي أعالجك بلا دواء ، وأجعل عليك القبر والبئر (في سعة) الميدان .

- إنني أبت في موسى الشجاعة بعصا واحدة بحيث يضرب بسيوفه عالما بأكمله .
- وأعطى يد موسى نورا وشعاعا بحيث تترى بنور الشمس « 1 » .
- وأجعل العصا حية ذات سبعة رؤوس ، لم تلدها من قبل حية من ثعبان ! - التي لا أمزج ماء النيل بالدم ، بل أحول الماء نفسه إلى دم بحولى وطولى « 2 » .

3525 - وأجعل سرورك حزنا مثل ماء النيل ، بحيث لا تجد سبيلا إلى السرور .
- ثم إنك عندما تجدد إيمانك مرة ثانية ، وتبدى نفورك من فرعون .
- ترى موسى الرحمة وقد أقبل إليك ، وترى نيل الدم قد فاض منه الماء .
- وعندما تحتفظ بعرورة الإيمان « 3 » في داخلك ، لا ينقلب نيل ذوقك إلى دم أبدا !
- لقد ظننت (أيها الموسوي) بأنني أو من . . حتى أشرب من طوفان الدم هذا ماء !

3530 - فأني علم لي أنه يقوم بالتبديل ، ويجري نيلا من داخلي .
- وهناك أمام عيني نيل جار بالماء ، بينما أنا أمام الآخرين على طبيعتي ودينى .

(1) حرفيا : تصفع الشمس .

(2) حرفيا : بفني .

(3) حرفيا : بطرف الخيط .

- مثل هذه الدنيا . . . غارقة في التسبيح أمام النبي ، لكنها أمامنا لا تفقه حديثا .
- إنها أمام عينيه عليه السلام فياضة بالعشق ، والعطاء لكنها أمام عيون الآخرين ميتة وجماد .
- إن المرتفعات والمنخفضات أمام عينيه جادة السير ، وهو مستمع لطرائف الحكمة من حجرها ومدرها .

- 3535 -** لكنها أمام العوام كلها جامدة ميتة وأنا لم أر حجابا أعجب من هذا الحجاب .
- والمقابر تبدو متساوية أمامنا ، لكنها أمام عيون الأولياء إما روضة (من رياض الجنة) أو حفرة (من حفر النار) .
 - كان العوام يقولون . لماذا صار النبي عبوسا ولماذا صار قاضيا على السرور ؟ !
 - وكان الخواص يقولون : إنه يبدو عبوسا فحسب أمام عيونكم أيها الأميين !
 - فانظروا لحظة واحدة بعيوننا . . حتى ترون الضحكات مصداقال - «هَلْ أَتَى» .

- 3540 -** إنها تبدو لك هكذا من فوق شجرة الكمثرى ، إن الصورة منعكسة فانزل أيها الشاب .
- إن شجرة الكمثرى هذه هي شجرة الوجود ، إنك ما دمت فوقها تبدى لك الجديد قديما .
 - ما دمت فوقها ترى أجمة شوك ملأى بعقارب الغضب وحيات (الحرص) .

- وعندما تهبط من فوقها ترى بالمجان عالما مليئا بالحسان وبالحواضن
(الحنونات) .

حكاية تلك المرأة الدنسة التي قالت لزوجها : إن تلك التصورات تبدو من قمة شجرة
الكمثرى لأنها هكذا تبدو للمرء في قمة شجرة الكمثرى فاهبط من قمة شجرة
الكمثرى . .

حتى تذهب عنك التصورات وإن قال أحد : إن ما كان يراه ذلك الشخص لم يكن من
قبيل التصورات والوهم ، فالجواب إن هذا مثل وليس مثل وفي المثال يكفي ، ذلك
أنك إن لم تتسلق قمة شجرة الكمثرى لما رأيته قط سواء كانت حقيقة أو خيالا .

- كانت إحدى النساء تريد أن تتضاجع مع عشيقها أمام زوجها المخدوع .

3545 - فقالت المرأة لزوجها : يا سعيد الحظ ، سوف أصعد على الشجرة لقطف
الثمار .

- وعندما صعدت تلك المرأة على الشجرة شرعت في البكاء عندما نظرت من علٍ
صوب زوجها .

- وقالت لزوجها : أيها المأبون المنبوذ . . من ذلك اللوطي الذي يواقعك ؟ !

- وقد رقدت أنت تحته كالمرأة . . أكنت في الأصل مخنثا إذن يا فلان ؟ .

- فقال الزوج : (لا شيء من هذا) لعل رأسك أصابها الدوار وإلا فليس هنا غيري
أحد في الخلاء .

3550 - فكررت المرأة القول من صاحب القلتسوة الحمراء إذن الذي ينام فوق ظهره
؟ .

- فقال : أيتها المرأة . هيا أهبطي من فوق الشجرة ، فلقد دار رأسك . .

فخرفت تخريفا شديدا .

- وعندما هبطت صعد زوجها . . فأخذت المرأة ، ذلك العشيق في أحضانها .

- فنادها الزوج : أيتها البغى . . من هذا الذي اعتلاك وكأنه القرد ؟ .
- فقالت المرأة : لا ليس هنا غيرى ، انتبه فقد دارت رأسك ولا تخرف .

- 3555 -** فكرر ذلك الكلام على المرأة . . قالت إن هذا من أو هام شجرة الكمثرى .
- وأنا من فوق شجرة الكمثرى . . كنت أراك منحرفا أيضا أيها الديوث .
 - هيا إهبط حتى ترى إنه لا شيء يحدث ، وأن كل هذه الخيالات من شجرة الكمثرى .
 - إن الهزل تعليم فاستمع إليه بجد ، حتى لا تصبح عاكفا على ظاهر هزله .
 - وإن كل جد هزل عند الهازلين ، لكن كل هزل جد عند العاقلين .

- 3560 -** إن الكسالى يبحثون (في هذه القصة) عن شجرة الكمثرى ، لكن هناك طريقا طويلا حتى شجرة الكمثرى ، (تلك) .
- فانتقل من شجرة الكمثرى فأنت الآن فوقها ، صرت أعشى العين حائر الوجه .
 - إنها أنيتك ووجودك الأول . . اللذان يجعلانك أحول معوج البصر .
 - وعندما تهبط من فوق شجرة الكمثرى هذه ، لا يبقى هناك إعوجاج في فكرك وبصرك ومنطقتك .
 - وتراها وقد تحولت إلى شجرة إقبال ، تمتد أغصانها إلى السماء السابعة .

- 3565 -** وعندما تهبط من فوقها . . . وتبتعد عنها . . . يبد لها الله سبحانه وتعالى برحمته .
- ولأنك هبطت من فوقها تواضعا فإن الله يهب عينيك الرؤية الصحيحة .
 - وإذا كانت الرؤية الصحيحة بالشيء السهل أو اليسير ، فمتى كان المصطفى يطلبها من الله ؟ .

- قائلا : إبدلى الأشياء مرتفعها ومنخفضها . . كما تبدو أمامك أنت يا الله .
- وبعدها إصعد على شجرة الكمثرى تلك ، التي بدلت وصارت خضراء من أمر « كن » .

3570 - وصارت هذه الشجرة كالشجرة الموسوية ، ما دمت قد اتجهت بحاجياتك صوب موسى .

- إنه يجعل نارها خضراء سعيدة هائلة ، تصيح أغصانها : إني أنا الله .
- وفي ظلها تكون كل حاجاتك مقضية . . وهكذا تكون الكيمياء الإلهية !
- وتصير أنيتك ووجودك حلالاتك ، إذ ترى فيهما صفات ذي الجلال .
- فقد صارت الشجرة المعوجة مستقيمة مظهرة للحق « أصلها ثابت وفرعها في السماء » .

3575 - إذ نوديت من الوحي العظيم ، أن أتركى الإعوجاج واستقيمي الآن . « 1 »

بقية قصة موسى عليه السلام

- إن شجرة الجسد هذه هي عصا موسى ، لقد وصله الأمر أن ألقها من يدك .
- حتى ترى خيرها وترى شرها ، ثم إحملها بعد ذلك بالأمر الإلهي .
- إنها لم تكن سوى عصا قبل أن يلقيها ، وعندما أمسكها بأمره تعالى صارت طيبة .
- كانت في البداية تنثر الأوراق للحملان ، فصارت معجزة لهذه الجماعة المتكبرة المغرورة .

3580 - صارت حاكمة مسيطرة على رؤوس قوم فرعون ، جعلت ماءهم دما وأكفهم ضاربة لرؤوسهم .

(1) البيت في الأصل تحت العنوان الذي يليه . لكنه ضمن الأبيات التي تسبقه .

- وأنتجت مزارعهم القحط والموت ، من جحافل الجراد التي كانت تأكل أوراقهم وزادهم .
- حتى دعا موسى عليه السلام دعوة بغير وعى . . عندما ألقى بنظرة على العاقبة .
- فما جدوى هذه المعجزات والسعي والجهد ، ما دامت هذه الجماعة لن تستقيم ؟
- لقد نزل الأمر : أن اتبع أسلوب نوح : ودعك من تفصيلات العاقبة وما سوف يتأتى فيها .

3585 - ودعك من هذا فأنت داعى طريق ، هناك الأمر - « بلغ » ولا يكون عبثا .

- فإن أقل حكمة من الحاحك هذا وإصرارك (على الدعوة) هي أن يتجلى ذلك العناد وذلك العتو ويبدوان للعيان .
 - وحتى تشيع هداية الحق وإضلاله وتظهران على الملاء بالنسبة لكل الفرق .
 - وإذا كان المقصود من الوجود والخلق هو إظهار (صنعه تعالى) ، فينبغي اختباره بالإنتصاح والغواية .
 - فالشيطان لا يفتأ يلح في وسوسة الغواية ، بينما يلح الشيخ في النصح والهداية . « 1
- «

3590 - وعندما توالى هذه الأمور وأصبحت ذات شجون ، وأخذ النيل يجرى بأجمعه دما .

- جاء إليه فرعون بنفسه ، متوسلا إليه وقد انحنى ظهره .

(1) ج / 11 - 48 : عد وتحدث عن قصة الفرعوني ، وامح غبار الكفر عن باطنك ثم يليه عنوان هو : صعوبة الأمر علي آل فرعون وتشفع فرعون .

- قائلا : لا تفعل أنت ما فعلناه أيها السلطان ، وليس لنا وجه لكي نتحدث معك .
- إن كل ذرة في ممتلئة لأمرك ، ولا تذلى (أكثر من هذا) وأنا معتاد على العزة .
- هيا أيها الأمين وأدع لنا بالرحمة ، حتى تسد هذه الفوهة النارية .

- 3595 - قال (موسى) : يا إلهي إنه يخدعني ، وإن كان يخدع فإنه يخدعك أنت .**
- فهل أستجيب له أم أخدعه أنا بدوري ، حتى يعرف الأصل ذلك المتشبه بالفرع ؟ !
 - حتى يعلم أن أصل كل مكر وكل حيلة عندنا نحن ، وكل ما هو على التراب أصله في السماء .
 - قال الحق : إن ذلك الكلب لا يستحق حتى ذلك . بل إلق إليه بعظمة من على البعد .
 - هيا حرك تلك العصا حتى يرد التراب كل ما كان الجراد قد أتى عليه .

- 3600 - بل ويتحول الجراد نفسه إلى لون التراب ، حتى يرى الخلق تبديل الإله .**
- وأنه لا حاجة لي إلى الأسباب ، فإن تلك الأسباب مجرد حجاب وغطاء (على الفعل الإلهي) ،
 - وهي من أجل أن يعرض المؤمن بالطبيعة نفسه على الدواء . ومن أجل أن يتجه المنجم إلى العلم عن طريق النجوم .
 - وحتى يبكر المنافق في الحضور إلى السوق من خوفه على كساد (تجارته) .
 - وحتى يكدح من أجل اللقمة أولئك الذين لم يحققوا العبودية ولم يغسلوا وجوههم ، وهم أنفسهم طعام الجحيم .

3605 - إن روح العامي آكلة ومأكولة ، مثله كمثل ذلك الحمل الذي يرعى في القمامة .

- إنه لا يفتأ يرعى ذلك الحمل ، والقصاب سعيد قائلاً : إنما يرعى ذلك الحمل الأوراق والأعشاب من أجلنا .

- وها أنت تقوم بعمل الجحيم في كل ما تراه صالحاً للأكل ، ومن أجل الجحيم تقوم بتسمين نفسك .

- فاعمل من أجل نفسك واحزم أمرك وتناول رزق الحكمة ، حتى يصبح قلبك ممتلئاً سميناً بعظمة الحكمة وأبهتها .

- وإن إطعام الجسد مانع لهذا الطعام ، فالروح مثلها مثل التاجر ، والجسد مثله كمثل قاطع الطريق .

3610 - ويكون شمع التاجر مشتعلًا ذا ضياء ورواء طالما كان قاطع الطريق محترقاً كالحطب .

- وإنك بأجمعك عقل ووعى وما بقي فيك كله غطاء لهذا العقل والوعى ، فلا تفقد (معرفتك بكنهه) نفسك ، ولا تهزل .

- وإعلم أن كل شهوة هي كالخمر وكالمخدر ، فهي حجاب على الوعي والعقل منها في ذهول .

- وليست الخمر وحدها هي سبب سكر العقل ، إن كل ما هو يتعلق بالشهوة ، يغلق العين ، ويذهب اللب .

- لقد كان إبليس ذاك متجنباً للخمر ، لكنه كان ثملاً من التكبر والجحود .

3615 - إن الثمل هو الذي يرى ما ليس موجوداً ويبدو له ذهباً الذي هو نحاس وحديد .

- ويا موسى « 1 » هذا الكلام ليس له نهاية ، فهيا وحرك شفتيك (بالدعاء) حتى ينبثق النبات من الأرض .
 - وهكذا فعل ، وفي نفس اللحظة ، إخضرت الأرض من السنابل ذات الغلال الثمينة الغالية .
 - فتقاطرت تلك الجماعة على (الطعام) أولئك الذين أصابهم نفس موسى من البشر والدواب .

3620 - وعندما امتلأت البطون وتساقطوا على النعم ، وذهبت تلك المخصصة ، لجوا ثانية في طغيانهم .
 - إن النفس فرعونية فانتبه ولا تشبعها ، حتى لا تذكر كفرها السابق .
 - ولا تطيب هذه النفس إلا بحرارة النار ، وما لم يصهر الحديد كقبس من نار انتبه ولا تدق عليه .
 - ولا يصير الجسد متحركا دون أن يصيبه الجوع ، وإلا فاعلم أنك تدق على الحديد البارد .
 - وهي وإن بكت وضجت بالنواح ، لن تصبح مسلمة ، فانتبه إلى هذا جيدا .

3625 - إنها مثل فرعون ، وفي القحط ، تكون كما كان فرعون مع موسى ، شاكية باكية متضرعة .
 - وعندما تستغنى تطغى ، والحمار عندما يسقط الحمل عن نفسه يبرطع .
 - إنها تنسى أناتها وضراعاتها السابقة ، عندما يستجاب لدعائها وتقضى حاجتها .

(1) هنا عنوان في نسخة جعفري (ج - 11 / ص - 55) : دعاء موسى وإخضرار المزارع .

- إن المرء ليقضى سنوات من (عمره) في إحدى المدن ، وفي لحظة واحدة عندما يروح في النوم ،
- يرى مدينة أخرى بخيرها وشرها ، ولا يتذكر شيئاً عن مدينته التي هو فيها بالفعل .
- 3630 -** ولا يقول لنفسه : لقد كنت فيها وهذه مدينة جديدة ليست مدينتي وليس لي فيها مقام .
- بل كذلك يعتبر أنه كان دائماً في هذه المدينة الجديدة المبتدعة وإن ألفته إليها .
- فأى عجب ألا تذكر الروح شيئاً عن مواطنها القديمة التي كان فيها مولدها ومسكنها ، - ولا تعتبر أن هذه الدنيا كالحلم تغطي ذلك الموطن القديم كما يغطي السحاب النجوم .
- خاصة وقد طرقت مدناً جديدة ، ولم ينفذ الغبار عن إدراكها .
- 3635 -** ولم تجتهد اجتهداً خاصاً من أجل أن يصبح القلب صافياً يرى ما حدث .
- فيرفع قلبها رأسه من موطن السر ، ويبصر البداية والنهاية بعين مفتوحة . « 1 »

أطوار خلق الإنسان ومنازلة من البداية

- لقد جاء في البداية إلى إقليم الجمار ، ومن الجمادية انتقل إلى (المرحلة) النباتية .
- وعمر في المرحلة النباتية بضع سنوات ، وهو لا يذكر في بحبوحة النباتية شيئاً عن الجمادية .

(1) البيت في نسخة جعفري تحت العنوان الذي يتلوه (ج - 11 / ص 55)

- وعندما انتقل من المرحلة النباتية إلى المرحلة الحيوانية ، لم يذكر شيئاً قط من أحوال المرحلة النباتية .

3640 - اللهم إلا هذا الميل الموجود لديه إلى النبات ، خاصة في وقت الربيع ، وأوان الرياحين .

- تماماً كميل الأطفال إلى أمهاتهم ، دون أن يعلموا أن سر هذا الميل هو الرضاع .
- وكذلك الميل المفرط من كل مريد جديد في الطريق ، إلى شيخه فتى الاقبال .
- فهو بمثابة العقل الجزئي والشيخ بمثابة الكلى ، وحركته منه كحركة الظل من غصن الورد .
- وفي النهاية يفنى ظله فيه ، فيعلم - من ثم - سر ميله إليه وطلبه إياه .

3645 - ويا أيها المقبل ، متى يتحرك هذا الغصن مرة ثانية إن لم تتحرك الشجرة من أساسها ؟ .

- ثم يجذبه ذلك الخالق الذي تعلمه مرة ثانية من المرحلة الحيوانية إلى المرحلة الإنسانية .
- وهكذا ، فقد انتقل من إقليم إلى إقليم ، حتى صار الآن عاقلاً عالماً عظيماً .
- ولا يتذكر شيئاً عن عقوله الأولى وأنه قابل أيضاً للتحول عن هذا العقل الذي هو فيه .
- وإنه عندما يتخلص من هذا العقل الملى بالحرص والطلب ، يرى مئات الآلاف من العقول العجيبة .

- 3650 -** وإذا كان قد صار نائما وناسيا ما فات ، فمتى يترك نسيانه ذاك .
 - إنه يجذب من نومه هذا إلى اليقظة ، بحيث يسخر من أحواله (السالفة) .
 - متسائلا : أي حزن ذاك الذي أحسه في النوم وكيف نسيت أحوال الصواب ؟ ! -
 وكيف لم أعلم أن ذلك الحزن والاعتلال هو من فعل النوم . ومجرد خداع وخيال ؟ .
 - وكذلك الدنيا ، فهي مجرد حلم نائم ، والنائم يظن أن نومه دائم .

3655 - حتى ينبثق على حين غرة صباح الأجل ، فينجو من ظلمة الظن والوهم والخداع .

- فيضحك ساخرا من أحزانه تلك ، عندما يرى نفسه مستقرا في مكانه .
 - وكل ما تراه في النوم من خير وشر ، يبدو لك يوم الحشر ظاهرا عملا .
 - وكل ما فعلته في نوم الدنيا هذه ، يصبح لك عند اليقظة واضحا عيانا بيانا .
 - حتى لا تظن أن فعل الشر هذا هو مجرد رؤيا نائم ، ولا تفسير لها من أجلك .

- 3660 -** بل إن ذلك الضحك يكون بكاء وعويلا في يوم التعبير يا ظالما للأسير .
 - وأعلم أن بكاءك وألمك وحزنك وعويلك ، يصير فرحا وسرورا عند يقظتك .
 - وأنت يا من مزقت جلود أمثال يوسف تنهض من نومك هذا ذئبا .

- وصارت كل خصلة من خصالك ذنباً لا يفتأ ينهش أعضائك غضباً .
- والدم لا ينام بعد موتك من القصاص ، فلا تقل : لقد مت إذن ووجدت الخلاص .

3665 - وإن هذا القصاص (في الدنيا) هو جزاء احتيالك ومكرك ، وهو بالنسبة لذلك القصاص (في الآخرة) مجرد ألوبة .
 - ومن هنا فقد سمي هذه الدنيا لهوا ولعباً ، ذلك أن هذا الجزاء مجرد لهو ولعب أمام ذلك الجزاء .
 - إن هذا الجزاء مجرد تسكين للخصومة والفتنة ، إنه كالختان ، وذاك الجزاء في الآخرة مثل الخصي .

بيان أن أهل جهنم جوعى ومتضرعون إلى الحق قائلين : أكثر أرزاقنا ، وعجل لنا في إرسال الزاد ، فلم يبق لدينا صبر .

- يا موسى . . هذا الكلام لا نهاية له ، هيا . . ودع هذه الحمر في رعيها !
- حتى تسمن كلها من هذا الرعى الجيد ، هيا ، فإن عندنا ذئاباً غاضبة في إنتظارها .

3670 - ونحن نعلم أن ذئابنا آخذة في العواء ، ولنجعل هذه الحمر إذن طعاماً لها .
 - وإن تلك الكيمياء طيبة النفس المنبعثة من شفتيك أرادت أن تحول هذه الحمر إلى بشر .
 - ولقد دعوت كثيراً باللطف والجواد ، ولم يكن لتلك الحمر طالع ورزق .
 - فابسط عليهم إذن لحاف النعم مغطياً إياهم به ، وذلك حتى يخطفهم نوم الغفلة سريعاً .

- وعندما تفرغ هذه الجماعة من نوم (ثقيل) كهذا يكون الشمع قد انطفأ والساقى قد مضى .

3675 - لقد حيرك طغيانهم ، فدعهم يشعرون بالحسرة عندما يقرأون (جزاهم) .
 - فما أن يخرج عدلنا بقدمه إلى الوجود ، حتى يعطى لكل عاص الجزاء الجدير به .
 - (ويعلمون) أن ذلك المليك الذي لم يكونوا يرونه عيانا ، كان موجودا معهم في عالم المعاش مخفيا عن عيونهم .
 - وما دام العقل موجودا معك مشرفا على جسدك ، لكن رؤيتك كانت قاصرة عن وجوده .
 - وبسبب رؤيتك القاصرة يا هذا ، إنه دائما يمتحن حركاتك وسكناتك .

3680 - فأني عجب أن يكون خالق ذلك العقل موجودا معك أيضا وكيف لا تجيز هذا الأمر ؟ !

- ألا يكون المرء غافلا عن عقله ويحوم حول الشر ، ثم يلومه عقله فيما بعد ؟ !
 - لقد صرت غافلا عن عقلك ، لكن عقلك لم يغفل عنك ، فمن حضوره تكون الملامة .
 - وإذا لم يكن حاضرا وكان غافلا (مثلك) ، فمتى كان يقوم بصفحك عند اللوم ؟ !
 - وإذا لم تكن نفسك غافلة ، فمتى كانت تقوم بكل هذا الجنون والفساد ؟ .

3685 - إذن فعقلك بالنسبة لك (أيها الإنسان) كالإصطرلاب ، فمنه تعرف قرب (سطوع) شمس الوجود .

- وعقلك قريب منك قربا بلا كيفية ، ليس عن يمينك ولا عن يسارك ولا قدامك أو ورائك .
- فكيف لا يكون للمليك قرب بلا كيفية ، لا يستطيع العقل أن يحدد الطريق إليه أو ماهيته ؟ .
- وليست هذه الحركة في أصبعك أمام هذا الأصبع أو خلفه أو عن يساره أو عن يمينه .
- إنها تمضى عنه عند النوم والموت ، وتكون معه عند اليقظة (والحياة) .

- 3690 -** فمن أي طريق تأتى هذه (الحركة) إلى إصبعك ، وبدونها لا فائدة من إصبعك - ونور العين وإنسان العين عندك من أي طريق أتى . . . غير الجهات الستة ؟ .
- إن عالم الخلق ذو اتجاهات وجهات ، لكن فأعلم أن عالم الأمر هو والصفات فوق الجهات .
 - وأعلم أن عالم الأمر هو بلا جهات أيها المحبوب ولا جرم أن تكون الجهات أكثر انتقاء عن الأمر .
 - وبلا جهة كان العقل ، وعلام البيان أكثر عقلا من العقل وأكثر روحا من الروح .
- 3695 -** ولا يوجد مخلوق قط بلا تعلق أو اتصال به ، لكن ذلك الاتصال بلا كيفية أيها العم .
- ذلك أن الروح لا فصل فيها ولا وصل ، لكن الظن لا يفكر إلا في الفصل والوصل .

- فافهم من الدليل ما هو غير الوصل وغير الفصل ، لكن هذا الفهم لا يشفى الغليل .
- واسع دائما إن كنت بعيدا عن الأصل ، حتى يأتي بك عرق الرجولية إلى الوصل .
- وكيف نفهم العقل هذه الصلة وهذا العقل مرتبط بالفصل والوصل ؟ !

3700 - ومن هنا فإن المصطفى عليه السلام قد نهانا عن البحث في ذات الله .
 - ذلك أن ما هو قابل للتفكير في ذاته ، هو في الحقيقة (في ذات المفكر) ليس في ذاته هو (جل وعلا) .
 - إنه ظنه هو ، ذلك أنه في الطريق . . . هناك مئات الآلاف من الحجب . . .
 حتى الإله .

- وكل إمريء في حجاب ذي صلة بطبيعته وجبلته ، لكن وهمه (يملأ عليه) أن هذا الحجاب هو ذات (الله) .
- ومن ثم فإن الرسول قد دفع هذا الوهم عنه ، حتى لا يتمادى في تربية الوهم على سبيل الخطأ .

3705 - وذلك الذي يكون في توهمه ترك للأدب ، فإن الله سبحانه وتعالى قد نكس من لا أدب عنده .
 - وهذا النكس يكون فحواه أنه يمضى إلى الحضيض بينما يظن أنه منتصر وغالب وسام .
 - ذلك أن حد الثمل هو ألا يستطيع التمييز بين السماء والأرض .
 - ففكروا إذن فى آلائه وعجائبه ، وتوهوا (عن ذواتكم) من العظمة والمهابة .
 - وعندما يفقد المرء من (مشاهدة) صنعه كبريائه وإدعائه « 1 » يعرف حده . . .
 ويقر بالصانع .

(1) حرفيا : لحيته وشاربه .

3710 - ولا يهتف من أعماق روحه إلا بلا أحصي (ثناء عليك) ، فإن بيان (تلك العظمة) خارج عن الحد والحصر .

ذهب ذي القرنين إلى جبل قاف وسأله إن يحدثه عن عظمة صفات الحق ،
وجواب جبل قاف عليه بأن الحديث عن عظمة الحق وصفات عظمة
لا تتأتى في بيان فأمامها تفنى الأفهام وتضرع ذي القرنين إليه قائلاً :
حدثني عما تذكر من صنائعه وما ترى قوله سهلاً عليك .

- ذهب ذو القرنين إلى جبل قاف ، فرأى إنه من الزمرد الصافي .
- قد أحاط بالعالم إحاطة السوار بالمعصم « 1 » ، فتحير في ذلك الخلق اليسير (علي الله تعالى) .
- فقال : إذا كنت جبلاً فماذا تكون تلك الجبال الأخرى ، إنها بالقياس إلي عظمتك مجرد دمي .
- قال : إن هذه الجبال هي عروقي ، ولا تكون مثلي في الحسن والبهاء .

3715 - إن لي عرقاً خفياً في كل مدينة ، وأطراف الدنيا مجموعة بهذه العروق .
- وعندما يريد الحق أن يبثلى إحدى المدن بزلزال ، يأمرني بأن أحرك العرق (الخاص بها) .
- فأحرك طبقاً للقهري (الإلهي) ذلك العرق الذي تكون تلك المدينة متصلة به .
- وعندما يقول : كفي تسكن عروقي ، لكن هذا السكون سكون بالعقل وأكون أنا في حركة .
- كالمرهم يكون ساكناً لكنه شديد الفعالية ، كالعقل يكون ساكناً والكلام في حركة منه .

(1) حرفياً : كالحلقة .

3720 - وفي رأى ذلك الذي لا يستطيع عقله أن يدرك هذا الأمر ، أن الزلازل تحدث من أبخرة الأرض ! « 1 »

كانت نملة تسير على « ورقة » فرأت كتابة القلم ، فأخذت في مدح القلم ،
فقال نملة أحد بصرا : إمداحى الأصابع فإني أرى أن هذا فصلها ،
فقال نملة أخرى أحد بصرا منها وأنا أمدح الساعد فالأصابع
فرع من الساعد . . . إلى آخره

- رأت نملة صغيرة قلما (خط) على ورقة ، فباحث بهذا السر لنملة أخرى .
- قائلة : لقد قام هذا القلم بعجائب الصور والنقوش ، لقد نقش الريحان ومزرعة
السوسن . . والورود .
- فقالت تلك النملة : إن الإصبع هي التي قامت بكل هذا الصنع ، والقلم في فعله مجرد
فرع وأثر .
- فقالت النملة الثالثة : إن هذا (من فعل) الساعد ، فإن الإصبع النحيلة قامت
بالتصوير بقوته .

3725 - وهكذا أخذت (كل نملة) تمضي إلى (علة) أعلى . . حتى رئيسة النمل
التي كانت أكثر فطنة بقليل .
- قالت : لا تنظروا إلى هذا الفن من مجرد الصورة فإن هذه الصورة تفقد حسها بالنوم
والموت !
- فالصورة كأنها اللباس وكأنها العصا ، وليس إلا بالعقل والروح تتحرك الصور .

(1) . (2) ج / 11 - 76 : ليس من أبخرة الأرض ، إنه من أمر الحق ومن هذا
الجبيل المرسل !!

- لقد كانت (تلك النملة الذكية) غافلة أيضا عن أن ذلك العقل والفؤاد هما أيضا دون تقليب الله مجرد جماد .

- وأنه إن صرف عنايته عنه لحظة واحدة ، فإن عقل الذكي يقوم بكثير من البلاهات .
3730 - « 1 » وعندما وجد ذو القرنين (الجبل) ناطقا ، قال عندما ثقب جبل قاف در النطق .

- أيها المتحدث الخبير العالم بالسير ، حدثني ببيان (فصيح) عن صفات الحق .
 - قال : إمض ، فإن هذا الوصف أعظم من أن يستطيع بيان أن يتحدث عنه ،
 - أو تكون للقلم جراه أن يكتب بسنه علي الصحف خبرا (عن) هذه الصفات .
 - قال : حدثني عن نبذة من عجائب الحق أيها الحبر الطيب .

3735 - قال : هذه صحراء تقطع في ثلاثمائة سنة ، ولقد ملأها المليك بجبال من الثلج .

- جبال من الثلج متراكمة فوق بعضها لا يحدها عد أو حصر ، يصل إليها في كل لحظة مدد من الثلج ،
 - يحف جبل من الثلج بجبل آخر من الثلج ، ويوصل الثلج البرودة حتى الثري .
 - ولحظة بلحظة يطأ من جبل من الثلج جبلا آخر من الثلج ، لحظة بعد أخرى في المخزن العجيب الذي لا حد له .
 - ولو لم يكن مثل هذا الوادي موجودا أيها العظيم ، لكانت حرارة الجحيم قد قامت بمحوى والقضاء على .

(1) هنا عنوان في نسخة جعفري (ج - 11 / 80) التماس ذي القرنين لجبل قاف ليين له صنعا من صنائع الله .

3740 - فأعلم أن الغافلين هم بمثابة جبال الثلج ، ذلك لكي لا تحترق حجب العاقلين .
 - ولو لم تكن صورة الجهل الناسجة للثلوج ، لاحترق جبل قاف هذا من نار الشوق .
 - إن النار في حد ذاتها ذرة من غضب الله وقهره ، وهي بمثابة الدرة من أجل ردع اللؤماء .
 - ومع مثل هذا القهر الذي هو مهول ويفوق الحد ، أنظر إلي برد لطفه الذي سبقه .
 - إنه سبق معنوي لا مثال له ، ولقد رأيت السابق والمسبوق دون أن تكون هناك إثنية .

3745 - وإن لم تر هذا فالسبب هو الفهم الدني ، فإن عقول الخلق بالنسبة لهذا المنجم كحبة شعير .
 - فاعتبر أن العيب من نفسك لا من آيات الدين ، فمتي يحلق في أفلاك الدين طائر الطين ؟ !
 - إن هذه الطيور لا تحلق في مكان أعلي من هذا الفضاء ، ذلك لأن نشأتها ونموها من الشهوة ومن الهوي . . .
 - فكن حائرا إذن دون إنكار أو إقرار ، ربما يتقدمك عون من الرحمة ومحمل .
 - فما دمت غيبا و (دون) فهم هذه العجائب ، تكون قد تكلفت . . إذا أقررت أو أنكرت .

3750 - وإن قلت لا ، فإن لا هذه تضرب عنقك ، ويسد القهر ب - « لا » هذه كوة (الرحمة) أمامك .
 - إذن فكن حائرا ووالها فحسب ، حتى يأتيتك نصر الحق من قدام ومن وراء .

- وما دمت قد أصبحت حائرا مندهشا فانيا فقد قلت بلسان الحال :
إهدنا .

- إنها (حقيقة) شديدة العظمة وعندما ترتعد أمامها ، تصير تلك العظمة رقيقة
مستوية .
- ذلك أن السحنة العظيمة المهابة تكون من أجل المنكر ، لكنك إن أبديت العجز تكون
لك لطفا وبراً .

إظهار جبريل عليه السلام للمصطفى صلى الله عليه وسلم لصورته ،
وعندما ظهر جناح واحد من أجنحته السبعمئة سد الأفق
وحجب الشمس بكل أشعتها

3755 - أخذ المصطفى يقول لجبريل ، أظهر لي صورتك كما هي أيها الخليل .
- بحيث تكون محسوسة وظاهرة ، حتى أراك رأي العين .
- قال : إنك لن تتحمل ، فلا طاقة لك بهذا ، فالحس ضعيف ودقيق ، ويشق الأمر
عليك .
- قال (المصطفى) : فلتبد لي حتى يري هذا الجسد إلي أي مدي هو رقيق ضعيف
وبلا مدد .
- فإن حس الجسد في الإنسان سقيم ضعيف ، لكنه ببساطة خلق عظيم

3760 - إن هذا الجسد علي مثال الحجر والحديد ، لكن فيه صفة الزند (يولد النار) .
- والحديد والنار هما منشأ إيجاد النار ، ومولد النار القاهرة من هذين الوالدين .
- ثم إن النار مسطرة علي صفة البدن ، فهي القاهرة له مضرمة لهبها فيه !

- ثم إن في بدن الإنسان شعلة كإبراهيم الخليل ، بصير برج النار مقهورا منها « 1 » .

- فلا جرم أن قال ذلك الرسول صاحب الفضائل رمز « نحن الآخرون السابقون » .

3765 - إن ظاهر هذين أي الجسد والحديد أن كليهما ضعيف أمام السندان ، لكنهما في الصفة يزيدان (في القوة) عن مناجم حديد .

- فالإنسان في صورته فرع من فروع هذا الكون ، لكن أعلم أنه بصفته أصل هذه الدنيا .

- إن ظاهرة تؤدي بعوضته إلي الدوار حول نفسه ، لكن باطنه محيط بالأفلاك السبعة .

- وعندما ألح عليه (المصطفى) أبدي (جبريل) قليلا (من كثير) وكان لهذا القليل هيبة يندك منها الجبل .

- لقد أبدي جناحا واحدا احتوي الشرق والغرب ومن الهيبة أغمي علي المصطفى .

3770 - وعندما رآه فاقد الوعي من الخوف والرعب ، جاء جبريل وأخذه بين أحصانه .

- قائلا له : إن هذه المهابة هي نصيب الغرباء ، لكن اللطف عندنا مبذول للأحبة دون ثمن .

- إن الملوك عندما يركبون (في مواكبهم) تتم لهم الهيبة من القواد والسيوف (مشرعة) في أيديهم .

- وصيحات الإبعاد والحراب والسيوف ، بحيث يرتعد الأبطال الشجعان مهابة وخوفا .

(1) هنا زائد في نسخة جعفري (11 / 85) هو :

إنك أن أخرجت من داخلك نار (الشهوة) ، فإن نارك تصير ملكا منقادة إليك .

- وأصوات الحراس وتلك الصولجانات ، التي تهلع الأرواح رعبا منها .

3775 - إن هذا كله من أجل المارين من الخواص والعوام ، بحيث تجعلهم يعرفون أن الملك (سوف يمر) .

- تكون هذه المهابة من أجل العوام ، حتى لا ترتدي هذه الجماعة قلنسوة الكبرياء !
- حتى تنكسر نفوسهم وتنسحق ذواتهم ، وتكف نفوسهم المغرورة عن الفتنة والشر .
- ومن هذا تأمن المدينة ، ذلك أن الملك عنده في غضبه الضرب والأخذ والاعتقال .
- فتموت تلك الشهوات في النفوس ، وتمنع هيبة الملك من وقوع هذه (الفتن) المنحوسة .

3780 - لكنه عندما يأتي نحو مجلسه الخاص ، متي تكون هناك مهابة أو قصاص ؟ .
- إنه حلم مجسد ورحمة جياشة فوارة ، ولا تسمع صوتا إلا أنغام الصنج والناي .
- إن الطبل والكوس تكون رعبا في أوان الحرب ، لكن عند الله و مع الخواص هناك أنغام الصنج .

- إن ديوان المحاسبات يكون من أجل العوام ، لكن حور الوجوه يكن قريعات الكئوس .

- وذلك الدرع وتلك الخوذة تكونان من أجل الحرب والقتال ، وتلك الأوتار « 1 »
وذلك الرود « 2 » من أجل الخميطة .

(1) في النص حرير والمقصود به الأوتار .

(2) اسم آلة موسيقية شبيهة بالعود .

3785 - إن هذا الكلام لا نهاية له أيها الجواد ، فاختمه والله أعلم بالرشاد .
 - إن ذلك الحس الذي هو غارب عند أحمد ، قد نام الآن تحت تراب يثرب .
 - لكن عظيم الخلق ، ذلك البطل الذي شق الصفوف ، في مقعد صدق لم يطراً عليه
 تغير .
 - إن أوصاف الجسد هي موضع التغيير ، لكن الروح الباقية شمس ساطعة .
 - فلا يطراً عليها تغيير إذ أنها « لا شرقية » ، ولا يعتريها تبديل إذ أنها « لا غربية » .
 « .

3790 - ومتي تصاب شمس بالدهشة أمام ذره ؟ ! ومتي يصير الشمع فاقد الوعي من
 الفراشة ؟ !
 - لقد كان للجسد صلة بهذا الأمر ، فأعلم أن هذا التغيير مرتبط بهذا الجسد فحسب .
 - كما يطراً عليه المرض والنوم والألم ، لكن الروح تكون منفصلة عن هذه الصفات
 بريئة منها .
 - أنني لا أستطيع الحديث عن وصف الروح ولو تحدثت عنها ، لزلزل هذا الكون
 والمكان زلزاله !
 - فلو كان جسده عليه السلام وهو علي مثال الثعلب قد اضطرب للحظة ، أكان أسد
 الروح قد نام هو الآخر في تلك اللحظة ؟ !

3795 - أ يكون ذلك الأسد البريء من النوم والغفلة قد نام ؟ ! هاك إذن أسد مخيف
 رقيق . !
 - إن الأسد ليتظاهر بالنوم بحيث تظن هذه الكلاب أنه قد مات تماماً .
 - وإلا فمن كان يجرؤ في هذه الدنيا علي اختطاف شيء مهما كان حقيراً « 1 » من
 أحد الضعفاء ؟ !

(1) حرفياً : تربده وهي نبات مسهل .

- لقد خدش جسد أحمد من تلك النظرة (إلي جبريل) ، لكن بحره (روحه) من حب الزبد صار شديد الجيشان .
- والقمر في حد ذاته ليس إلا كفا واهبة للنور ، وإن لم يكن للقمر هذا الكف . . فقل له لا كنت .

- 3800 -** ولو كان أحمد قد نشر هذا الجناح الجليل ، لا ندهش جبريل إلي الأبد .
- وعندما عبر أحمد السدرة ومرصدها ، وجاوز مقام جبريل وحده ،
 - قال له : هيا ، طرفي أثري ، قال له : هيا إمض : إنني لست ندا لك .
 - ثم قال له : تعال يا محرق الحجب ، إنني لم أمض إلي أوجي بعد ،
 - قال : بعد هذا الحد - يا عظيم المجد - لو خفقت بجناحي لاحترق هذا الجناح .

- 3805 -** إن هذه القصص حيرة في حيرة ، كحيرة الخواص تكون فيما هو أخص .
- وكل أنواع الحيرة هنا عبارة عن الأعيب . . فكم روحا لديك ، إن هنا مقام التضحية بالروح .
 - فيا جبرائيل مهما كنت شريفا وعزيزا ، فلست بفراشة . . ولست أيضا بشمعة ؟ !
 - والشمع عندما يدعو وهو في ألق ضوئه ، فإن روح الفراشة لا تتوفي الاحتراق .
 - فلتدفن هذا الحديث المقلوب في تراب (النسيان) واجعل الأسد علي العكس صيدا لحم الوحش .

- 3810 -** واربط قرية كلامك الذي يتناثر كالبول ، ولا تفتح فوهة هميان عبثك وتخريفك .

- إن ذلك الذي لم تبارح أعضاؤه هذه الأرض ، يكون هذا الكلام أمامه معكوسا ويكون هذرا .

- « لا تخالفهم حبيبي ، دارهم ، يا غريبا نازلا في دارهم .
- أعط ما شاءوا وراموا أرضهم ، يا ظعينا ساكنا في أرضهم » « 1 » .
- وفي الوصول إلي الملك وإلي عزة تواءم أيها الضد مع ضدك « 2 » .

3815 - ويا موسي . . ينبغي لك أمام فرعون العصر . . أن تتحدث هونا وأن تقول قولاً لينا .

- فإنك إن وضعت الماء في الزيت المغلي ، فإنك تحطم الأثافي وتحطم القدر .
- تحدث هونا ، لكن لا تقل غير الصواب ولا تتبع الوسوسة في لين الخطاب .
- لقد حان وقت العصر فاقصر الكلام ، يا من بيانك منبه ومخير لأهل العصر .
- وقل لأكل الطين أن السكر أفضل ، ولا تلتن له في الفساد ولا تعطه الطين .

3820 - إنك « يا حسام الدين » روضة الروح لنطق الروح ، هذا إن استغنيت عن الحرف والصوت .

- إنه (أي الحرف والصوت والحكايات) أشبه برأس حمار في مزرعة قصب ، وما أكثر الناس الذين كانت لهم شوكة « في الطريق » .
- إنه يظن من بعيد أن الأمر هكذا فحسب ، فأخذ يتقهقر كأنه كبش مغلوب .

.....

- (1) بالعربية في المتن .
- (2) حرفيا : تواءم أيها الرازي مع المروزي .

- فأعلم أن صورة الكلام هي رأس الحمار يقينا ، في كرم المعني والفردوس الأعلى .
- فياضياء الحق يا حسام الدين نصب رأس حمار في مزرعة الشهد هذه .

3825 - فما دامت رأس الحمار هذه قد مانت وسلخت عن جسدها فإن هذا الوضع يهبها حياة أخرى .

- هيا فمنا الصورة ومناك الروح . . لا أن هذا خطأ ، فكلاهما منك .
- إنك محمود علي الفلك . . أيتها الشمس المنتشرة ، فلتكن محمودا إلي الأبد فوق الأرض .

- حتى يصير الأرضي شريكا مع السماء العالية في القلب والقبلة والطبع .
- فتنتهي التفرقة والشرك والاثنيانية ، ذلك أن الوحدة في الوجود المعنوي .

3830 - فما دامت روعي تعرف روحك ، فإنهما يعرفان معا ذلك الاتحاد الذي حدث .

- وموسي وهارون يصيران ممتزجين معا في الأرض كما يمتزج اللبن والعسل .
- وعندما تفهم روعي قليلا من الأمر وتنكر ذلك ، يصير الإنكار حجابا ساترا علي الحقيقة .

- ورب عارف قد حول وجهه (عن الحقيقة) ، وأغضب من حجوده ذلك القمر .
- ومن ثم فإن الروح الشريرة جهلت روح النبي ونبذتها وراء ظهرها .

3835 - لقد قرأت كل هذا فأقرأ أيضا « لم يكن » حتى تعلم عناد ذلك المجوسي القديم العنيد .

- وقبل أن تظهر صورة أحمد بمجدها ، كان ذكره تعويذة عند كل كافر .
- وكانت قلوبهم تخفق من مجرد تصور ظهور مثل هذا الشخص ووجوده ومن تخيل وجهه .
- كانوا يسجدون قائلين : يا رب البشر ، إيت به عيانا بأسرع ما يمكن .
- وعندما كانوا يستفتحون باسم أحمد ، كان طغاتهم ينقلبون .

- 3840 -** وكلما حدثت حرب ضروس ، كان ذكر أحمد عونا لهم عليها .
- وحيثما كان هناك مرض مزمن ، كان ذكرهم له هو الدواء الشافي .
 - كانت صورته تطوف في طرقهم وفي قلوبهم وفي آذانهم وفي أفواههم .
 - ومتي يدرك كل من هو (في طبع) ابن آوي صورته ، بل فرعا من صورته أي خيالها .
 - وإن صورته لو وقعت علي جدار لتساقط من قلب الجدار دم القلب .

- 3845 -** ولصارت صورته مباركة بالنسبة للجدار ، ولتخلص من حالة كونه ذي وجهين .
- واتصافه بأنه ذو وجهين عيب عند إخوان الصفاء والذين يتميزون بأنهم ذوو وجه واحد .
 - وكل هذا التعظيم والتفخيم والوداد ، ذهب كله إدراج الرياح عندما رأوه بصورته .
 - لقد تعرض الزيف للنار فاسود لوقته ، ومتي كان للزيف طريق إلي القلب ؟ !
 - وإن الزيف لينفج بشوقة إلي المحك ، حتى يلقي بالمرتدين في (هاوية) الشك .
- 3850 -** ويسقط الخسيس في شباك مكره ، وهكذا يصدر هذا الظن عن كل خسيس ،

- (إذ يظن) قائلاً : إن لم يكن هذا ذهباً خالصاً متي كان ليرغب في حجر المحك .
- إنه يريد المحك ، لكن بحيث لا يبدو زيفة للعيان من هذا المحك .
- وذلك المحك الذي يخفي الصفات لا هو بالمحك ولا هو بنور المعرفة .
- والمرأة التي تخفي عيوب الوجه رعاية لخاطر كل ديوث .

3855 - لا تكون مرآة . . بل موجود منافق ، فلا تبحث عن مثل هذه المرأة ما استطعت . « 1 »

.....
(1) ج / 11 - 89 :

- أبحث عن مرآة صادقة القول لانفاق عندها واختتم والله أعلم بالوفاق .
- حتى يصنع الله تعالى مرآتك نفسها بحيث تبدي العرش وكأنه السها .
- أي عرش . . وأي ملك يا ذا اللباب ، إفهم والله أعلم بالصواب .

شروح و هوامش

.

[شرح] مقدمة الكتاب الرابع

يقول يوسف بن أحمد : أتممت الجزء الأول : المتكفل ببيان مرتبة الشريعة والثاني : المتكفل ببيان الطريقة ، والثالث المتكفل ببيان الحقيقة ، والآن ألهمت أن أكتب على المجلد الرابع المتكفل بإظهار نكات أسرار التوحيد (منهج 4 / 2) فهل هذه حقيقة ؟ ! .

الواقع أن كل متصوفى أهل السنة كانوا يدورون في الأطر الثلاثة ، لكن لم يتحدث أحدهم عن كل موضوع على حدة حتى سنائي الغزنوي الذي سمى منظومته حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة ، وإن جاهد الشراح على بيان الأطر الثلاثة في شروحهم .الظعن الرابع :

الظعن هو السير ، فكان المثنوى رحلة يعتبر كل كتاب منها مرحلة من هذه الرحلة ، والمقصود بأحسن المراتب في رأى يوسف بن أحمد هو عالم الخلق من حيث ظهور الحق فيه لأن السفر الأول من النفس إلى الحق والسفر الثاني من الحق إلى الحق والثالث من الحق إلى الخلق والرابع وهو هذا السفر من الخلق إلى الخلق (مولوى 4 / 3) .

مجدد عهد الألفة : هو الميثاق وهو عهد ألت الذي كان بينهم قبل ذلك في عالم الأزل وهو القيام على العبودية التي أقروا بها في الأزل فلما توالى المشهد الإنسانى استولت عليهم الطبيعة ونسوا الله فأنساهم أنفسهم فأرسل إليهم رسله وأوليائه فذكروهم (مولوى 4 / 4) .

أصحاب الكلفة : هم عامة المؤمنين الذين يصعب عليهم إدراك الحقائق ويتكلفون في فهمها أتعب الطرائق (مولوى 4 / 4) للمزيد :لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ .
أصل الأبيات :

- ومما شجاني أنني كنت نائما ، أعلل من برد بطيب التنسم .

يقال أنه من شعر ابن زكريا التبريزي أو برهان الدين النحوي وقيل يزيد بن مالك (مولوى 4 / 6) وقال جعفري (9 / 271) بل يزيد بن معاوية وذكر الجاحظ البيهقي الأخيرين منسوبين لنصيب (الحيوان / ج - 3 / ص 473 بتحقيق فوزي عطوى طبعة لبنان وسوريا 1968) كما ورد البيهقي الأخيران دون إسناد إلى القائل في مقالات شمس ص 309 ، وفي شرح عبد الباقي جلبنارلى [Abdul Baki Golpinarli . Mesnevi ve Serhi Cilt [4 / S . 5 - Ankara , Kultir Bakanligi Yayinlare (1989) نقل أن الأبيات من تأليف أحمد بن عبد المؤمن القيسي وذلك نقلا عن أنباء الرواة ، وعن نفس المصدر نقلا عن شارح مقامات الحريري أنها لعدى بن الرقاع العاملي الذي عاش في القرن الرابع للهجرة والقصيدة موجودة بالكامل في المجلد الثامن من الأغاني وفي كامل المبرد .

[شرح الأبيات]

1 - 10 : الخطاب لحسن حسام الدين (انظر مقدمة الكتاب الأول) يشير مولانا إلى حديث « إن لله عبادا قلوبهم أنور من الشمس » وقد وصف حسن حسام الدين في مقدمة الكتاب الأول بقوله « ألفت الشمس عليه رداءها وأرخت النجوم لديه أضواءها » وقال أبو الحسن الشاذلي « لو كشف من نور المؤمن الناقص لطبق ما بين السماوات والأرض فما ظنك بنور المؤمن الكامل ولقد سمعت شيخنا أبا العباس قال : لو كشف من نور الولي لعبد لهلك لأن أوصافه من أوصاف الله ولقوته من لقوته » (انقروى 4 / 11) والمقصود بالبيت رقم 6 أن إرادة العبد المؤمن إن صحت نيته وقوى عزمه تكون من إرادة الله سبحانه وتعالى فالإرادة الإلهية يلزمها عمل من العبد ، ويفسرها بالبيت التالي مصداقا لحديث نبوي شريف « من كان لله كان الله له » (مولوى 4 / 9 والأنقروى 4 / 13) وفي قول لشوبنهور أن الإرادة هي أساس الوجود الإنساني فهي التي تغير الإنسان ، وتغير الوجود وأحيانا يعرفها بالهمة (همم الرجال تزيل الجبال) وانظر الأبيات

2074 - 2077 من هذا الكتاب . ومن ثم فالمثنوى نفسه شاكر لحسن حسام الدين ، وما الغرابة في أن يشكر المثنوى ويهلل والجمادات كلها مسبحة بحمد الله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده (سورة الإسراء - آية 44) وقد مر الحديث عن تسبيح الجماد في الكتاب الثالث (حكاية صياد الحيات) وفي الكتاب الأول (حكاية قبول الخليفة لهدية الإعرابي) (انظر الكتاب الأول أول شرح الأبيات 2235 وما بعده) كما ورد عند محي الدين بن عربي في الفتوحات المكية أن بعض الحروف في مرتبة النبوة وبعضها الآخر في مرتبة الرسالة (انقروى 4 / 13) .

(10 - 15) الشكر يستوجب الزيادة ، قال الله تعالى «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (سورة إبراهيم آية 7) فسجود الشكر هو القرب و « أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد » «كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» وانظر إلى هذه الصورة الكرم والشمس ، الكرم يجذب الشمس فتسطع الشمس تسطح عليه يجذبه إياها ، والكرم هو المثنوى والشمس هو حسن حسام الدين ، ظل يجذبه ، ويظل المثنوى متدفقا ما دام حسن حسام الدين يجذبه ، كما يجذب أمير الحج القافلة نحو بيت الله ، المراد بالحج في الشطرة الأولى من البيت 15 حج البيت ، أما المراد في الشطرة الثانية حج رب البيت وبينهما مراتب « انظر في أقوال الصوفية : حجبت مرة فلم أر رب البيت . . إلى آخره باب الحج في شرح التعرف » .

أي إحرام نقوم به يا حافظ ما دامت تلك القبلة ليست هنا وأي جهد لنا في السعي ما دام الصفاء قد ذهب عن الكعبة ديوان حافظ ص 96

(16 - 20) : الضياء للشمس والنور للقمر ومنزل الشمس أعلى من منزل القمر ، ومن ثم سميتك يا حسام الدين ضياء ولم أسمك نورا ، والحسام هو السيف وسيف الشمس من الضياء ، واقرأ هذا من القرآن الكريم «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ» (سورة يونس آية 5) . وفي تفسير نجم الدين كبرى « جعل شمس الروح ضياء ليستنير به عمى القلب » (مولوى 4 / 10) ، وربما يفسر هذا البيت التالي فلا طريق في ضوء القمر ، بل لا بد من الشمس والدليل على أن مولانا جلال الدين يقصد بالشمس المرشد الكامل هو هذا البيت ، وكثيرا ما دق مولانا جلال الدين على هذا المعنى عن حديثه عن مرشده شمس الدين التبريزي ، والشمس هي التي تظهر حقيقة الأشياء ، أصالتها وزيفها كما يبدو من الأبيات التي تلت ذلك والتي يقدم فيها مولانا جلال الدين صورا من الواقع المعاش .

(25 - 29) : مما يدل على أن مولانا جلال الدين كان يتحدث عن شمس غير الشمس ، وقمر غير القمر ، وأن المقصود هو شمس الطريقة أو الدرويش الكامل ما جمعه في البيت رقم 25 ، فالصوفي الذي يروج الزيف إنما هو عدو لروحه ، والزيف هنا هو زيف المادة وزيف الفكرة فإنما أول ما يضل إنما يضل نفسه ، وفي الشطرة الثانية يدخل عالمه الصوفي ، فمن يكون عدوا للدرويش الجوال إلا الكلاب التي تنبحه حيثما حل ، والكلاب هنا هي كلاب الصورة وكلاب السيرة ، ويشير الأنقروى أن المعنى مأخوذ من حكاية وردت عن أبي يزيد البسطامي عندما نبحه كلب فخلص نفسه منه بمشقة وعندما سأله أحدهم عن سر ذلك أجابه بقوله « يا أخي نحن مرآة مجلوة قد يرى كل أحد فينا صورته »

(القروي 4 / 17) (وعن فكرة المرأة انظر الكتاب الأول / البيت 2365 وما بعده) وهكذا أيضا الأنبياء فبينما يتحرش بهم كلاب الدنيا وطلاب جيفتها لأنهم المرايا التي ينظر فيها كل إنسان إلى صورته ، فبينما يدعو الملائكة بأن يحفظ الله هذا المصباح المضئ من الرياح العاتية : ويا رب سلم هو دعاء المؤمنين على الصراط (استعلامي 4 / 192 - تهران 1369 هـ - ش) فإنما يخشى النور من كان لصا محتالا ، وإنما يعادى الأنبياء من لا يسير على منهاجهم . . وماذا نقول ؟ ! إنما يعادى الشريعة من يرى أن أول ما يطيح سيفها البتار إنما يطيح برأسه الفاجرة ؟ ! حقائق لا يمكن أن يخفيها الجدل فهي من المسلمات التي يحدثنا بها مولانا جلال الدين في كل زمان ومكان .

(30 - 39) : يخاطب حسن حسام الدين في عملية جذب مستمرة وهو من قبيل تواضع المرشد أمام المريد المستحق ، يطلب منه أن يصب النور على المثنوى أي أن يبدأ في الكتابة ، فكأن النور هنا من المريد وهو أصلا من الشيخ ، وكما أن الشمس تسطع من الفلك الرابع ، وها هو المجلد الرابع من المثنوى يسطع بنوره على البلاد والعباد ، فهو هدى لمن اهتدى ، أما الذين لم يعترفوا به فهو عليهم عمي (انظر 3 شروح 1150 وما بعدها) وهو مجرد حكايات لمن يقرأه كحكايات لكنه رجولة لمن يراه نقدا له وعطية إلهية ، تماما كما كان نيل مصر شرابا للصابرين وحسرة على آل فرعون الكافرين ، كما ذكر في مقدمة هذا الجزء (وانظر أيضا الأبيات 3431 وما بعدها من هذا الكتاب) ويسوق الأنقروى والمولوي حكاية على تفسير البيت التالي (34) إذ روى أن حسام الدين قال : إني رأيت في هذا الوقت عند قراءة الأحباب المثنوى استغرق الناس بنوره ورأيت جماعات الغيب بيدهم سيوف يضربون بها كل من لم

يستمتع وينصت إليه فيعلقون عضد إيمانه واعتقاده ويرمون به منكوسا في سقر (مولوى 4 / 13 وانقروى 4 / 19) . كما وردت الرواية في مناقب العارفين للأفلاكي (2 / 745) ، وهكذا يرى مولانا أن حسام الدين قد رأى أحوال متلقى المثنوى تماما ، فإنما يكون جزاؤه من جنس عمله ، ومصيره من جنس تلقيه ، وبصيرتك يا حسام الدين الناضرة إلى عالم الغيب أستاذة في هذه الأمور ، وهنا إشارة للأفلاكي (نقلها من جامى في نفحات الأنس) أن المريدين عندما كانوا يقرأون المثنوى كان الملائكة يراقبونهم وإن لم يسمعوا جيدا كان إيمانهم يسلب . وبصيرة غيب حسام الدين هي على علم بهذا المصير (استعلامى 4 / 193) ، فلا أنقص الله هذه البصيرة ولا غيبها عن الدنيا ، وهيا دعك يا حسام الدين من أولئك الذين ليسوا بأهل لهذا الكلام ، وليكن همك وهمتك حكرا على من هم أهل له وعد بنا إلى تلك الحكاية التي تركناها دون إنهاؤها في الكتاب الثالث .

(40 - 51) : يبدأ مولانا في إكمال الحكاية التي وردت في نهاية الكتاب الثالث بداية من البيت 4807 ، لكنه كعادته ودأبه في القص ، يقدم من خلال الحكايات أفكارا عديدة ، وها هو يحدثنا عن حال عاشقه الذي وقع على معشوقته فجأة ، كان المعشوق بالنسبة له كالعنقاء ، لم يكن يسمع عنه إلا الاسم ، لم يكن قد شاهدها إلا مرة واحدة ثم نفذ سهم القضاء ، وهكذا كل شئ فيما يرى مولانا . . . يكفى أن يومض كالبرق في حياة الإنسان المظلمة شهاب من معشوق حي أو معشوق ميت ، ليس هذا فحسب بل إن حادثة ما قد تغير الإنسان تغيرا تاما ، وهذا واضح في سير الصوفية جميعا كما تقص . . حادثة فجائية تغير فهم الإنسان من النقيض إلى النقيض ، ليس هذا في الطريق الصوفي فحسب بل وفي كل أمور الدنيا ، ويظل الإنسان في أثر هذا الشهاب الذي ذاق حلاوته مرة

واحدة ، وينتقل مولانا من المطلق إلى المحدود ، ويقدم صوراً محسوسة إن عاشق كل حرفة وكل شئ إنما يعشقها لأن الله تعالى قد أذاقه حلاوته منذ البداية (انظر للذوق 1 / 255 - 277) وهكذا فعشق عمل ما إنما يمثل أساس هذا العمل ، ثم توضع العراقيل لأن كل لذة تنافس لذة القرب باطلة ، وكل شئ ما خلا الله باطل ، وإنما يضع الله سبحانه وتعالى العراقيل لكل يدفع الطالب مهر مطلوبه ، ويؤمله ويؤيسه في كل لحظة حتى لا يكف عن الطلب ، فالطلب في حد ذاته نوع من العشق هو عبادة قد يبطلها الوصول ، ولكل إنسان مطلوب يقف على بابه ، فانظر ما يكون مطلوبك ، فهو بقدر همتك ، والباب يفتح فيكون رجاء ثم يغلق فيكون يأس واضطراب وفي هذه البوتقة يصهر الإنسان .

(52 - 64) : يعود مولانا جلال الدين إلى الحكاية ، فها هو العاشق الذي وجد محبوبه بينما كانت الشرطة تطارده يطلق لسانه يطلب الرحمة للشرطة لكن مولانا لا ينسى أن يحلل طبيعة الشرطة التي تكون أكثر فتكا من السلطة التي تقصد حمايتها ، فمن الواضح أن العاشق لم يكن قد ارتكب ذنبا ما ، لكن الشرطة كانت تطارده فحسب لكي تأخذ منه بعض الدراهم (!!) وها هو يدعو الله أن يعوضهم عما كانوا سيأخذون منه بأضعاف أضعافه (!!) وليس هذا فحسب بل يدعو أن يخلصه الله من طبيعة الشرطي فيه ، وما هي طبيعة الشرطي ؟ إنه لا يريد الخير للبشر ، إنه يفرح إذا قسا الملك على الرعية ، ويحزن إذا رحمها ، إنه يعتبر هذا العمل ابتلاء من الله سبحانه وتعالى ، بل إنه ليضلل الحاكم لكي تطلق يده في الرعية .

(63 - 77) : لأن هذا الشرطي الذي لا يتأتى منه الخير ، قد يأتي منه الخير للعاشق ، وإن لم يكن هذا بإرادته ، يخلص مولانا إلى أنه لا يوجد شر مطلق

في هذا العالم . فما يكون شرا بالنسبة لأحد ، يكون خيرا بالنسبة لآخر (انظر 1 / 2005 - 2008) وهذا نفى لكل مدارس الفلسفة التي تحدد المشكلة (جعفري 9 / 295 وما بعدها) والفكرة واردة عن سنائي في الحديقة « وفي ذلك الزمان الذي خلق الله فيه الآفاق لم يخلق شرا على الإطلاق » (انظر الترجمة العربية للحديقة البيت 459) كما وردت في معارف بهاء لد (1 / 389) ،

وهكذا فقد كان مولانا جلال الدين شأنه في هذا شأن الصوفية يؤمن بأن الخير هو الأصل في العالم ، ويرى ملا هادي سبزواري أن الحكماء الإلهيين كانوا يرون الخير بالنسبة للوجود بديهيًا لأن هذا الأمر متعلق بأصل الأصول أي التوحيد (سبزواري 4 / 262) ،

ويروى الأنقروى حكاية عن محي الدين بن عربي في هذا المجال إذا كان جالسا ذات يوم في جماعة من المريدين فمر أحدهم ذو رائحة كريهة ، فسأل مريديه عن سر هذه الرائحة الكريهة فقال بعضهم : للتواضع ، والمسكنة ، وقال بعضهم هضما لنفسه ، وقال بعضهم : سترنا عن الناس لأسرار باطنه ، وقال الشيخ : لا بل الوجود خير محض وهو نظر إلى هذه الحبة فاحتملها لأجل الخيرية (الأنقروى 4 / 24) أو كما قال ابن الفارض : فلا عبث والخلق لم يخلقوا سدى * وإن لم تكن أفعالهم بالسديدة وإلى مثل هذا المعنى ذهب حافظ الشيرازي بقوله :

قال شيخنا إن قلم الصنع لم يجر بخطأ قط ويستمر مولانا على هذا النسق في تفصيل هذه الفكرة ، فالسم قد يكون لهذا غذاء لكنه لذاك موت ، تماما كما ذكر سنائي في الحديقة إشارة إلى شرب

خالد بن الوليد السم الذي وجد في غنائم المدائن لم يصبه بأذى (حديقة البيت 460 وشروحه) وهكذا أمور الدنيا بأجمعها إلى ما لا نهاية . . ولماذا نبتعد ؟ انظر إلى شخص واحد ولنفرض أنه زيد مثلاً . . فزيد هذا تتعدد الآراء فيه بتعدد الناس لكنه ذات واحدة في ظاهر الأمر ، فإذا كنت تريد أن يبدو لك طيباً فانظر إليه بعين عشاقه ، انظر إلى المطلوب بعيون طالبيه واستعر عيوننا من طالبيه إذا لا يحمل عطاياه إلا مطاياه ، انظر إلى المجنون بعيون ليلي .

(78 - 80) : وإذا كان الأمر هكذا بالنسبة لزيد فما بالك بمعدن الجمال وسره والحقيقة الخالدة ، فإذا كنت تريد أن تأمن الكسل والملال ، فاقرأ (من كان لله كان الله له) ، واقرأ أيضاً : « ما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها » والنتيجة أن أي مكروه في سبيل الحبيب يكون محبوباً .

(80 - 97) : لم ترد الحكاية التي تبدأ بهذه الأبيات في « مأخذ » فروزانفر ، وهي على كل حال قد تكون من مبتكرات مولانا جلال الدين نفسه ، وتدور في نفس السياق السابق ، فهذا الواعظ كان يرى في الشر نفسه خيراً ، وفي الأشرار فائدة للأطهار ، فكان دعاؤه كله وهو على المنبر للأشرار وقطاع الطريق والمشركين والمستهزئين بأهل الخير والدين ، وقد سئل كيف يدعو لأهل الضلالة ؟ فقال : لأدلهم على . . والحكاية في لبها أشبه بحكاية لقمان الذي سئل : ممن تعلمت الحكمة ؟ فقال : من الحمقى كلما فعلوا شيئاً تركته ، كما أشار عبد الباقي (25 / 4) إلى قول للإمام على قريب من هذا المعنى « كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك » فحتى شر الأشرار قد يكون خيراً على

غيرهم ، فإنما يعلمون أن الشر المجسد يرغب أهل الخير في الخير ، وكلما اتجه إليهم من طبع على الخير ولقى من شرهم العنت والأذى ابتعد عنهم إلى جنب الله ، كما تعود الشاة الخائفة إلى القطيع ، وهكذا فالأشرار هم الذين يهيئون عن غير قصد وعمد للأخيار طريقهم ، فكم من عالم فذ حاربه أهل السوء وعصبة الضلال من المحيطين به عن كيد وحسد فكانت خلوته إلى كتبه وعلمه وأبحاثه سببا في خيره ، ويقص الأنقروى عن نفسه حكاية من هذا القبيل فليطلبها في موضعها (4 / 29 - 30) من يريد لها بتفصيلاتها ، وهذا هو اللطف المخفى في ثياب القهر والذي يلجؤك إلى الله سبحانه وتعالى ، أليس أعداؤك في النهاية هم الذين يلجئونك إلى حلقة الذكر والفكر ؟ ! وكم يكون هناك من قهر مخفى في ثياب اللطف : أليس من أولاد المرء وأزواجه من يكون عدوا له . . ترى ماذا تكون هذه العداوة إلا الصرف عن الذكر ؟ (عبد الباقي 25 / 4) ، أليس أصدقاؤك ومحبوك هم الذين يأخذونك من حلقة الذكر والفكر ؟ ! إن نفس المؤمن إنما تطيب بالبلاء ، ومن هنا كان « أشد الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل . » .

(98 - 109) : يواصل مولانا الحديث عن البلاء وكيف يصقل الإنسان وينضجه ، فالإنسان دون تجربة وبلاء كالجلد غير المدبوغ لا قيمة له ، فالبلاء للإنسان كالملاح والدباغة بالنسبة للجلد ، والطائفي منسوب إلى الطائف وهو جلد شهير بجودته ، وحتى إن لم تستطيع أن تأخذ أجر الصابر ، فخذ أجر الراضي ، فأنت مأجور في كلتا الحالتين ، « فإن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإن رضى اصطفاه » والصفاء بعد البلاء ، وعلمه فوق تدبيرك ، وكل ما قدر يكون ، ولا حيلة لك إلا التسليم والرضا ، حينئذ يكون البلاء حلوا ، وإن الله يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار (استعلامي 4 / 196) ، هكذا رأى الحسين بن منصور الحلاج نفسه حيا بالموت فصاح

اقتلوني اقتلوني يا ثقات * إن في قتلى حياة في حياة(انظر أول 3949 - 3950) .

(110 - 119) - يعود مولانا فيعلق على نفسية الشرطي ، إنه مردود عن باب الله وإن كان يعتبر نفعا لغيره ، إنه لا يسعى لنفسه بالأعمال الصالحات وفي حديث قدسي قال الله تعالى لموسى أتخاف غيري ؟ ! قال : بل أخاف من لا يخافك قال الله تعالى : حق لك أن تخاف من لا يخافني ، وهكذا فإن الشفقة التي هي من الإيمان مقطوعة عن الشرطي ، ولا تنزع الرحمة إلا من شقى « بل هي القسوة والغضب المسيطران على الشرطي ويسوق مولانا مثلان هذا المجال ، وهو مستند على حديث نبوي ، أن رجلا سأل عيسى عليه السلام فقال : يا عيسى ما أشد الأشياء : قال غضب الرب فقال : وبم النجاة منه قال : إذا غضبت أن تترك غضبك ، كما قال الله تعالى في حديثه القدسي : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ، (انقروى 4 / 34) ورد فروزانفر أصل الحكاية إلى حديث نبوي سئل النبي ما يبعد عن غضب الله عقابي ؟ قال أن لا تغضب وروى عن سيدنا على رضي الله عنه : يباعذك من غضب الله أن لا تغضب ، كما نقل عن الإمام موسى الكاظم : من كف غضبه عن الناس كف الله عنه غضب يوم القيامة (مأخذ 129) .

ويخلص مولانا من جواب سيدنا عيسى إلى أن الشرطي هو مصدر الغضب وقد جاوز الوحوش في الغضبية ولا أمل له في رحمة الله ، وإنما يسوقه في غيه وضلاله أن النظام في العالم لا غنى له عنه ، هذا هو ما يديره ، إذ لا علاقة هناك بين من يقيم النظام وهو مقيم على سجيته وعلى غضبه ، ويسوق مولانا تشبيهها

في هذا المجال على ما ورد في النص هذا بالرغم من أن الروايات كانت تروى عن احترام السلطة لجلال الدين - الخوف هنا عن الحساسية من السلطة المطلقة التي لا يرد عنها رادع .

(120 - 154) : عودة إلى حكاية العاشق الذي وجد محبوبته في البستان وها هو يراودها عن نفسها ، فلا شاهد عليهما إلا النسيم ، وترد عليه زاجرة إياه : وأين محرك النسيم ؟ ! وينطلق مولانا جلال الدين في هذه الفكرة : إن هذه الرياح الجزئية التي هي طوع أمرنا لا تتحرك إلا إذا حركناها نحن بالمروحة وهذا النفس إنما هو متحرك بحركة الله سبحانه وتعالى « ولا متحرك إلا بمحرك » (سبزوارى 4 / 274) بل الكلام الذي تجعله حيناً مدحاً وحيناً ذماً لا بد له من محرك وهكذا دواليك حتى الرياح الكلية ، تستطيع أن تتعرف على طبائعها قياساً على هذه الرياح الجزئية التي تلمسها وتحس بها ، أحياناً تكون على الدنيا ربيعاً وأحياناً تكون ريحاً صرصراً كما كانت على قوم عاد ، وهناك ريح السموم وريح الصبا وفي الحديث النبوي « نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور » . وهكذا الكلام حيناً لطف وحيناً قهر ، وهو نفس رحماني في كلتا الحالين على فحوى « لا تسبوا الريح فإنه من الرحمن » (مولوى 4 / 35) وإذا كانت المروحة حيناً تكون للترويح ولكنها هلاك للبعوض ، فكيف تنكر هذا على الرياح الكلية أي الأبراج السماوية الهوائية الجوزاء والميزان والدلو (سبزوارى 4 / 264) .

وكما يقدم مولانا فكرته على مستويات : ألا يطلب الفلاح الرياح لكي يذرى محصوله ؟ ! أليس طلق الولادة من قبل الرياح ؟ ! أليس ألم الأسنان نوعاً من الرياح ؟ ! وهل تراك ترى كل هذا ؟ ! ألسنت تعرفها بآثارها ؟ ! .

(156 - 160) : يقول العاشق أنه إذا كان قد جاوز حد الأدب فإنه يغفر له عند محبوبته سعيه وطلبه ، وكأنما كان يقول بلغة معاصرة : أن يسعى إلى غاية قبيحة بوسائل شريفة (!!) وترد المحبوبة ساخرة أن ما رآته فيه من حسن الأدب حقاً ، وهذا هو ما يظهره فما بالك بما يبطنه فلا هو مستهلك في المعشوق ظاهراً أو باطناً ، وإنما تريد القول أن ظاهره يدل على باطنه فإن كل إناء ينضح بما فيه (بيت أورده الأنقروى 4 / 41 والمولوي 4 / 28 ولم يرد في طبعة نيكلسون) ، وتضرب مثلاً بحكاية الصوفي الذي ضبط زوجته متلبسة بجرم الزنا مع اسكاف فألبسته ملابس النساء وادعت أنها زوجة أحد الأعيان جاءتها طلباً لابنتها ، والحكاية من الحكايات الكثيرة التي تجاهلها فروزانفر في مصادر حكايات المثنوى ولعله لم يجد لها أصلاً ، وقال استعلامي إنها من المأثور الشعبي المشهور 4 / 198 .

(161 - 171) : يسوق مولانا داخل الحكاية بعض الأفكار تعليقاً على زوجة الصوفي إلى عودة زوجها في ذلك الوقت من النهار لكن الأمان من مكر الله لا يستقيم على طول الخط ، « والقياس » المذكور في 164 تأكيد من مولانا جلال الدين على عدم الاعتماد على القياس (انظر أيضاً الأبيات 82 من الكتاب الثاني و 3994 من الكتاب الثالث) فإنه مهما كان ستّاراً إلا أنه يجازى ويعاقب ، والإثم أشبه بالبذرة ، ولا بد للبذرة من أن تنبت نباتاً يظهر فوق الأرض وينبئ عنها ، ثم يضرب مثلاً بحكاية أخرى (تجاهلها أيضاً فروزانفر) وفحواها حكاية ذلك اللص الذي ضبط في عهد عمر بن الخطاب فسلمه إلى الجلال ، وأخذ اللص يصيح بأنها أول مرة يفعلها ، فأجاب سيدنا عمر - رضي الله عنه - بأنه : حاشا لله أن يفضح مذنباً عند أول فعله للمذنب ، إنه يستر مرات من فضله لكنه يفضح من أجل العدل ، وذلك حتى تتجلى صفاته : اللطف والقهر .

(172 - 185) - لقد فعلت زوجة الصوفي هذا الفعل مرات ومرات ولكن ليس في مرة تسلم الجرة ، وهكذا يصاب المنافق بموت الفجاءة كي تفوته فرصة التوبة ، وها هو الصوفي يخاطب الزوجة الفاجرة ، أن الله يعلم لكن غضبه يفعل فعله بالتدريج كمرض السل ، يظن المريض أنه صحيح بينما يقضى عليه المرض لحظة بلحظة ، وهكذا فقد وجدت المرأة نفسها كأنها في العرصات يوم الحشر ، حيث لا ترى عوجا ولا أمتا يستطيع المجرم أن يختبئ خلفه (انظر طه / 102 ، 107) .

(186 - 209) : أخفت المرأة خدنها في ملابس النساء ، إن الرجل مفتضح داخل ملابس النساء كأنه جمل على رأس سلم ، لكن المرأة تواصل حديثها ، ولكي تتم السخرية لا تجد موضوعا تتحدث فيه إلا الشرف ، فإنه هذه المرأة من نسوة الأعيان جاءت خاطبة ابنتها ، كيف ؟ ! وأول شروط الزواج الكفاءة ، لا يهم هي لا تريد لابنها سوى الشرف والأصل والمنبت الطيب . .

كم من الغارقين في الإثم لا يتحدثون إلا عن الشرف ؟ ! وهل صادفت في أي زمان ومكان متشدقا بالشرف والعفة إلا وهو غريق في الإثم حتى أدنيه ؟ ! إنه نوع من الازدواجية حيث يبدو في الظاهر ما يتوق الباطن إليه . . جزئية من جزئيات الحياة اليومية التقت إليها مولانا بعينه الناقدة الفاحصة . . أشبه بنظريات الإسقاط في علم النفس الحديث ، فقد كانت المرأة تستطيع أن تدخل أي موضوع إلا موضوعات الستر والعفة والأصل والمنبت الطيب .

(210 - 224) : هذا هو المستفاد من الحكاية : تواصل المعشوقة حديثها إلى عاشقها : لقد رويت لك هذه الحكاية حتى تكف عن التشديق بالكلام من افتضاح أمرك . . إنك أشبه بزوجة الصوفي غريق في الخيانة والإثم ومتشديق بكلام لا

جدوى منه ، إنك تخجل منى ، لكنك لا تخجل من الله سبحانه وتعالى ويواصل مولانا جلال الدين (المعشوقة في الظاهر) حديث عن صفات الله وهي أولى المشكلات الكلامية التي يخوض فيها في هذا الكتاب الرابع لقد سمى الله سبحانه وتعالى نفسه سميعا لكي تكف عن قول الهزل ، وسمى نفسه عليما حتى لا تفكر في الفساد خوفا منه ، وليست هذه كلها أسماء أعلام بالنسبة لله تعالى ، فمن الممكن أن تسمى الأشياء بأضدادها ، والاسم جامد ومشتق لكن أسماء الله قديمة ، ويرى ملا هادي سبزواري

(4 / 266) أن مولانا جلال الدين يرد بهذا على مذهبين : المذهب الأول هو مذهب المعتزلة الذين قالوا بنفي الصفات عن الله تعالى بالنيابة بمعنى أن الآثار المترتبة على الصفات تترتب عنده سبحانه وتعالى على الذات ، وقالوا ليس له صفة قائمة به بل صفته هي وصف له (انقروى 4 / 53)

وهذا مثل أحكام الفعل وإتقانه وهو من آثار العلم ، أؤخذ الغايات ودع المبادئ وهذا خطأ محض لأن الأثر غير ابتداء الأثر ، وهو في حد ذاته مبدأ الكمال ، ومستجمع للكمال كله بالوجوب ، كما نفى أيضا مذهب الأشاعرة الذين قالوا بزيادة الصفات على الذات ،

وهذا يعنى أن الصفة قائمة بغيرها بحيث يعنى هذا أنها لا محالة زائدة على الذات وهذا باطل ، فالصفات عين الذات ، وكما قال أمير المؤمنين ، رضي الله عنه : كمال الإخلاص نفى الصفات عند الشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصفه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ، وفي رأى العارفين المتألهين أنهم يقولون بالحقيقة النورية للوجود الصرف كوجوب محض دون تعيينات الذات وكل حقيقة مأخوذة بتعين كمال يسمونها الصفة ويطلقون على مجموع الذات والصفة « اسما » (سبزواري 4 / 266 - 267 وانظر مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ص 545 وما بعدها) . ولعل مولانا يقدم هنا رأيا جديدا ، وهو أن

الأسماء مشتقة من أوصاف قديمة ، والاشتقاق على نوعين اشتقاق انتزاعي بمعنى أن كون الله سميعا وبصيرا صفات منتزعة من صفاته القديمة بلا تأخر أو تقدم ، والمعنى الثاني الاشتقاق الفعلي أي أنها قديمة اشتقت منها الصفات له سبحانه وعالي من العالم المحدث ، كما يرد في البيت نفسه (219) أنه ليس سميعا على مثال العلة الأولى فقد سماه بعض الفلاسفة بالعلة الأولى أو علة العلل (جعفري 9 / 363 - 365) .

ويواصل مولانا جلال الدين مناقشة القضية على طريقته ، فإنك إن فصلت الصفة عن الذات فكأنك تسمى الأصم سامعا والضرير ضياء أو تسمى الحيى وقحا ، والقبيح صبيحا والوليد حاجا ومن لم يغز غازيا فإذا كانت هذه الصفات موجودة في المسمى فهي مدح وإلا كانت من قبيل السخرية أو الجنون ، وتعالى الله سبحانه وتعالى عما يقوله الظالمون علوا كبيرا .

(225 - 237) : وتعود المحبوبة لمخاطبة عاشقها أو مولانا لمريديه لا حاجة إلى لجأك وعنادك ونقاشك ، لقد كنت أعرف قبل اللقاء أنك مجادل راسخ في الشقاء ، وليس مهما أن أراك ، فإن المرء يحسن بمرض عينيه مع أنه لا يراها وها هو الدليل من أول لقاء عندما رأيتني دون حارس ، ظننت أنه لا حارس لي ، بينما يبكى العاشقون حقيقة إذا نظروا حيث لا ينبغي النظر ، وهناك كثير من الروايات حول عاقبة النظر إلى ما لا يحل (أنظر كشف المحجوب ص 396 - ص 398 ، وانظر حديقة الحقيقة الترجمة العربية ص 186) ،

إنما يصلهم العقاب الفورى من الحارس الذي لا ينام وحارسي هو الذي لا يغفل ولا ينام ، وهو الذي يعلم كنه الريح التي تهب على ، وهو ليس بغائب ، ترى كيف عرفتكم من بعيد ؟ !

يكفى أن أعلم نفسك الشهوانية وهي تدل بعدها على كل شئ يتعلق بك ، وهي أي النفس الشهوانية عمياء عن الحق لا تراه ولا تسمعه ، أسألك عن أي شئ يخصك . . وكيف أسأل من هو في مستوقد الحمام بين القمامة وأسباب الإحراق هل هو في نعمة أو في شقاء . . يكفى أن أنظر لحاله ؟

(238 - 251) يقدم مولانا جلال الدين صورة للدنيا على أساس أنها كمستوقد الحمام ، إنه شديد القذارة ، لكن الحمام لا يقوم إلا به ، ولا يتم الطهر إلا إذا أوقد هذا الحمام واستقرت فيه النيران ، لكن بينما يكون للمتطهر المتقى الصفاء منه ، يكون أولئك الذين ينغمسون في هذا المستوقد في قذارة وشقاء ، فكأن الدنيا لا غنى لها عن هذا التكاليف والتكاثر لكي يستقيم أمرها ، والأغنياء أو المهتمون بالمال عموماً أشبه بمن ينقلون أنواع القمامات إلى مستوقد الحمام لكي يحتفظوا به مشتعل ، إن حرصهم هو الذي يجعل هذا الحمام مشتعلاً . . .

والحاصل أن عليك أن لا تكون من أهل المستوقد بل أن تكون من أهل الحمام ، إن مجرد ترك المستوقد يعنى أنك قد انتقلت إلى الحمام . أي أن مجرد الزهد في الدنيا يعنى أولى خطواتك نحو التطهر . ، وكل شخص من الفريقين ظاهر السمات والمتطهر يبدو ذلك من وجهه وهيئته ، كما أن المنغمس في ذلك الذي يبدو به كذلك . وأنت إن لم تر وجه ذلك المتطهر فتتسم رائحته ، فالرائحة تعنى العصا لكل ضرير ، وإذا لم تكن تشم فاجعله يتحدث وفي حديثه إنباء به ، نعم سوف نجد أولئك الذين يحملون القمامة إلى المستوقد يتفاخرون بعدد ما ينقلون إلى الحمام من سلال القمامة وكأنهم يتحدثون عن الذهب ، وهؤلاء لا أمل منهم فلا حياة لهم إلا في الدنس فيه حياتهم وفيه غاية همهم وفيه شقاؤهم أيضاً .

(257 - 275) : القصة التي تبدأ بهذا البيت يردها فروزانفر (مأخذ / 129) إلى ما ورد في كيميائى سعادت لأبى حامد الغزالي « ومثله (أي من لا يأنس إلى الحق) مثل ذلك الكناس الذي ذهب إلى سوق العطارين فسقط مغشياً عليه من الروائح الطيبة وأخذ الناس يتقاطرون عليه يرشون عليه ماء الورد ويضمخونه

بالمسك بينما حاله يزداد سوءا ، حتى وصل أحد الكناسين إلى ذلك المكان وفهم حاله ، فأتى بقطعة من برارز وجعلها لينة وحكها بأنفه فعاد إليه وعيه وقال يا لها من رائحة جميلة ، كما نظهما العطار في أسرار نامه (ص ص 61 - 62 من تحقيق سيد صادق كوهرين)

وتشير الحكاية أن الذي يحيا في الدنس ويعتاد عليه ويكون قائما بالفساد لا حياة له إلا به ، تكون حياته في هذا الفساد إن ابتعد عنه مات ، ويكون الجو النظيف وبالا عليه ، وتصدق هذه الظاهرة على النظم أيضا فالنظام الذي يكون قائما على الفساد والنهب يظل بقاءه ما دام الفساد والنهب قائما ، ومهما تشدق بالإصلاح فإنه أبعد ما يكون عن الإصلاح لأن في الإصلاح موته ونهايته ، فيتردى من فساد إلى فساد حتى يقتله نفس هذا الفساد .

(276 - 288) : التعليق بالطبع من إفاضات مولانا جلال الدين ، فها هو يسوق على لسان أخ ذلك الدباغ الذي أغمي عليه في السوق أن هكذا أوصى جالينوس : « أعط المريض ما اعتاد عليه » لكن هذا القول ليس من أقوال جالينوس ، وهو منسوب إلى أبو قراط ونقله عنه ابن أبي أصيبعة « يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تفزع إلى العادة » (استعلامى 4 / 302) .

أو « داوها بالتى كانت هي الداء » ، فإن علاجه بخلاف عادته يزيد من مرضه ، وإن لم تكن تصدق هذا فاقراً من القرآن الكريم « الخبيثات للخبيثين » واعلم ظهره وبطنه ، أي أعلم أنه وإن كان قد نزل في حالة خاصة هي حالة براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من حديث الإفك ، فإنما يقصد أن كل خبيث لخبيث وكل طيب لطيب ، وذلك مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

وكما قال في حديث قدسي : « خلقت الجنة وخلقت لها أهلا وخلقت النار وخلقت لها أهلا (مولوى 4 / 43) » ولا يتواءم الخبيثون مع الطيبات ، أليسوا هم الذين لم يصل عطر الوحي إلى مشامهم ، فقالوا للأنبياء :

« إنا تطيرنا بكم » (انظر الكتاب الثالث الأبيات : 2602 - 3094 وشروحها وانظر الكتاب الثاني حكاية ذي النون) ، وكأنهم كانوا يقولون : لقد نشأنا على اللهو واللعب وسمنا به وتعودنا عليه ، إن قوتنا في هذا الهذر وفي هذا الفساد واللهو واللعب ولا حياة لنا إلا به ، إنكم تشبهون من يعالج العقل بالأفيون ، كأن مولانا كان تنبأ بمن سوف يقول « إن الدين أفيون الشعوب » (جعفري ، 9 / 381) .

(289 - 295) : يواصل مولانا حكايته : ها هو الدباغ يصرف الخلق المتزاحمين حول أخيه المغمى عليه ليعالجه خفية بعلاجه الذي لا يزيد عن فضلات الكلاب ، ويفيق ، وها هم الخلق يظهرون عجبهم : يا لها من رقية عجيبة تلك التي تلاها في أذن المغمى عليه فأفاق للحظته ، غير واعين إلى أنه عالج فسادا بفساد ، وهكذا كل من الأدواء الفاسدة في كل العصور التي لا يزيد عن فضلات الكلاب يطرحها أولئك المحتالون على العقول الفاسدة ، فتدهش منها وتعجب ، كم من الأفكار المسمومة والفنون الهابطة تجد لها جماهير من المغيبين عقليا ، ويكون انتشارها دليلا على سحرها دون أن يكلف إنسان خاطره بأن يسأل عن كنهها ، وهكذا تكون حركة أهل الفساد ، حيث يكون الزنا والتلاعب بالحواسب ، وكلها مغيبات للوعي إلا أن أهل الفساد يرون فيها وعيمهم وصحتهم ، وكل من لم يعتمد على الطهر تكون حياته بالفساد ، وكل من لم تشغله الكبائر شغلته الصغائر .

(296 - 300) : ومن هنا قال الله تعالى : «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا» (التوبة : 28) وذلك لنجس باطنهم (انظر نجس الباطن الكتاب الثالث) والدود الذي تربى في البعر ، لا يتغير طبعه من

العنبر ، وأولئك الذين لم يصيبهم رش النور الذي ورد في الحديث النبوي الشريف »
 إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور فقد
 اهتدى ومن أخطأ فقد ضل » (مولوى 4 / 45) أما من أصابه رش النور فإن بيضته
 تلد طائرا كما يحدث في مصر عندما توضع البيض في الزبل فتخرج منه فراريج ، إن
 رش النور الإلهي إذن يوجد اعتدالا طبيعيا ، يجعل الحياة تخرج من المزابل ، لا . .
 ليس المقصود هو ذلك الدجاج الهزيل بل دجاج العلم والمعرفة ، أولئك الدراويش
 المطعمين بالنور الإلهي الذين يعيشون في الخرابات ثم تفيض ألسنتهم بالحكمة
 الإلهية .

(301 - 319) : عودة إلى حكاية المحبوبة وحبيبها في البستان إنك تبدو كمن حرم
 رش هذا النور ، فها أنت بعد ثماني سنوات من الفراق لم تتضجك التجربة (يبدو أنها
 حكاية عاشق مدع في مقابل حكاية العاشق الناضج الواردة في حكاية وكيل صدر
 جهان في آخر الكتاب الثالث)
 وها هو فراق ثماني سنوات لم يغير من عدم نضجك ومن تفاهتك ، وإن ثمان سنوات
 من الفراق تجعل من الحصوم زبديا لكنك لا زلت حصر ما متحجرا . .
 ويرد العاشق ، والعاشق في الحقيقة لا يرد بل يتقبل كل ما يقوله المعشوق ، لكننا أمام
 عاشق مجادل يوقعه الجدل في الخطأ تلو الخطأ ويرده عن باب المعشوق ، ويزيده
 هجرا وفراقا ، وصرما لحبال الود ، وماذا كان رده ؟ !
 إني أمتحنك لأرى إن كنت عفيفة أو غير عفيفة ، لكن متى يكون الخبر كالعيان ؟ !
 إنك كالكنز في هذه الخرابة (الدنيا) والناس إنما يبحثون عن الكنوز إنما قمت بكل
 هذا حتى أتحدث مع أعدائك عن عفتك وصلاحك (عن شرح الأنقروى (4 / 69) :
 الشيخ الذي هو إمام مرشد إذا امتحنه مريد فهو حمار)

وانظر إلى هذه الأجوبة الغثة مقارنة إياها مع هذا البحر الخضم في العشق في حكاية وكيل صدر بخارى في الكتاب الثالث إن العاشق يطمع أول ما يطمع في المشاهدة ولا يؤمن إلا بما يرى . . وإن كان قد تجاوز الحد فها هو يقدم روحه فداء على أن تسلب بيد المحبوبة ولا تحكم عليه بالفراق . . ، وهكذا عندما يصل الحديث إلى الفراق يفضل مولانا ألا يتحدث (انظر هذا المعنى في الكتاب الثالث مقدمة حكاية وكيل صدر جهان) .

(320 - 338) : ترد المعشوقة كل ما تراه دفينا مستورا إنما هو نهار مضى واضحا أمامنا وضوح النهار وما فيك مستور ليل مظلم . . فإن كنت عاشقا صادقاً كيف تأتي بهذه الحيل والألاعيب ؟ !
وإن صمتنا من رحمتنا بالعباد ، فلماذا تتجاوز الحد ؟ !
تعلم من أبيك الأول واستغفر لذنبك ولا تلج ، ولا تجادل ، فإنه لم ينتقل من غصن إلى غصن ، أي لم ينتقل من حديث إلى آخر لقد اكتفى بقوله : «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الأعراف : 22) انظر التفسير في الكتاب الأول) .
ليس عليك إلا أن تكون نملة أمام سليمان وإلا مزقتك تلك الهراوات في أيدي الزبانية ، وليس لك إلا مقام الصدق ، لست محروماً من البصر لكن القدر قد ضرب على بصرك وإذا جاء القدر عمى البصر ، (انظر مقدمة هذا الكتاب وانظر الكتاب الثالث وانظر الكتاب الأول أبيات (1241 - 1244) .

إذا جاءت التقادير سلبت التدابير وخاصة عن القلب الذي هو سبعون طية (سبزوارى 4 / 269) والأعمى يقع على الدوام في النجاسة لكن من النادر أن يقع فيها المبصر ، ومن هنا فالعين البصيرة بنور الله سبحانه وتعالى أفضل من مائة أم وأب ، والعين هي عين القلب وهي سبعون ضعفاً من عين الجسدية (انظر الكتاب الثالث) وفي هذا تكون العين الجسد من طفيلي مائدتها (انظر الكتاب الثالث) .

(339 - 351) : هناك كلام كثير ينبغي أن يقال عن الفرق بين عين النظر وعين القلب ، لكنها لحظة توقف من الحظات جلال الدين ، إنه يخشى أولئك الذين يقفون عند ظواهر الأمور ، يخشى العذل والملام ويخشى أكثر ألا يفهم كما ينبغي ، وألا تكون هناك الأفهام القادرة على تلقي هذه الأفكار والفكر المستتيرة التي تخيلها (انظر الكتاب الثالث) كما يخشى أهم من ذلك كله الغيرة الإلهية على تلك الأسرار عن أن تفسى لغير أهلها ، وعلى هذا فإن تلك الكلمات والإفاضات والمواجيد تلقى على عواهنها من غير ترتيب فإنما هي كالدرر التي يطحنها طاحون الغيرة الإلهية وحتى وهي مطحونة هكذا فإن من الدرر المطحون يكون علاج العين الرمضاء ، فيتم الكمال للدر والشفاء للعين فكمال الشئ باستخدامه حتى ولو حطم ، فانظر إلى القمح أيتم كماله إلا إذا صار طحيناً ؟ ! وهكذا أنت أيها العاشق ، إن كمالك في أن تصير بددا ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتسليم ، لا تكن كإبليس جدلاً ، ولا كأبى جهل الذي طلب معجزة من الرسول ، كن كآدم وكالصديق . . فمتى تصل أيها العاشق إلى مرتبة امتحان المعشوق .

(325 - 365) : الحكاية الواردة هنا ردها فروزانفر إلى حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهاني « لقي عيسى بن مريم إبليس فقال : أمام علمت أنه لا يصيبك إلا ما قدر لك قال : نعم ، قال إبليس : فارق إلى ذروة هذا الجبل فترد منه فانظر أتعيش أم لا ؟ قال عيسى : أما علمت أمر الله تعالى قال : لا يختبرنى عبدي فإني أفعل ما شئت (حلية الأولياء 4 / 12) كما وردت في تلبيس إبليس لابن الجوزي ص 281 (عن مأخذ ص 130)

وردت أيضا في إنجيل متى الإصحاح الرابع (عبد الباقي - (4 / 63) ويبدو أن الحكاية رويت عن أكثر من راو وبأكثر من صيغة) والمراد بالحكاية كما هو واضح أن العبد لا يمتحن ربه (العاشق لا يمتحن محبوبه ولا المريد يمتحن شيخه) .

(365 - 388) : الكلام على لسان المحبوبة (وعلى لسان جلال الدين أيضا) إن عذرك أقبح من ذنبك يا من تدعى العشق ، ثم يبين لنا مولانا جلال الدين : أنى لك امتحان ذلك الذي رفع السماء بغير عمد ، أولى بك أن تمتحن نفسك ، فأنت لا تعرف الخير من الشر ، وإذا شغلت بامتحانك لنفسك وشغلتك عيوبك فإنك لن تشغل بعدها بعيوب الآخرين .

إنك إن امتحنت نفسك باجتئاب المعاصي وزينت نفسك تعلم فطرتك التي فطرت عليها هي مظهر للطف والعناية الإلهية ، وتعلم بلا امتحان أن الإله لم يرسل إليك لطفه في غير محله ، بل لأنك جدير بهذا اللطف ، وإلا فهل يرمى عاقل الدر الثمين في مجارى الفضلات ؟ !

وأي مريد هذا الذي يريد أن يمتحن شيخه ؟ ! إنه بهذا يدل على حماريته ، إنك إن فعلت هذا فسوف تقع أنت نفسك في الامتحان والبلاء ، وهكذا تدل سير المشايخ وحكايتهم عن مريدين عرضوا أنفسهم لهذا الامتحان ، فيتعري جهلهم ، فكيف يمكن قياس الشيخ بميزان المريد ؟

إن الامتحان أشبه بمن يريد أن يتدخل في ملكه ، إنه أشبه بتمرد الصورة على المصور ، وأي قدر لصورتك هذه أمام المصور التي خلقها ، إن مجرد التفكير في هذا الامتحان هو وسوسة من الشيطان حلت بك ، وإن حلت بك هذه الوسوسة فعلاجها السجود والدمع حتى يخلصك الله من هذه الوسوس التي هي بمثابة إرهاب بخراب دينك كما كان ظهور نبات الخروب في المسجد الأقصى إيذانا بخراب المسجد .

(389 - 405) : الرواية الموجودة هنا بشأن المسجد الأقصى موجودة في العهد

القديم ، كما وردت في حلية الأولياء ج - 5

وأیضا رواية فصوص الحكم وفي تفسير أبى الفتوح الرازي ج - 4 ،

أما رواية الحلية وهي أقرب الروايات إلى مولانا « عن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « قال الله تعالى لداود : « ابن لي بيتا في الأرض فبنى داود عليه السلام

بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمر به فقال الله تبارك وتعالى : يا داود بنيت بيتك قبل بيتي قال : أي رب هكذا قلت فيما قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء المسجد فما تم السور سقط ثلثاه فشكى ذلك إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه إنه لا يصلح أن تبنى لي بيتا قال : أي رب ولم ؟ قال : لما جرت عليك من الدماء ، قال : أي رب أوليس ذلك في هواك ومحبتك ، قال : بلى ولكنهم عبادي ، وأنا أرحمهم قال : فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه أن لا تحزن فإني سأقضى ببنائه على يدي ابنك سليمان . فلما مات داود عليه السلام أخذ سليمان عليه السلام في بنيانه (مأخذ 130 / 131 حلية الأولياء ج - 5 ص 246 - 247) ،

تجرى الحكاية التي وردت في الرواية السالفة إلا فيما يتعلق بالحوار الذي جرى بين داود عليه السلام والله تعالى ، وتفسير أن الدماء التي سفكت على يد داود عليه السلام إنما كانت دماء أولئك الذين أسلموا الروح بتأثير جمال صوته عند المواعظ واعتذار داود عليه السلام بأنه كان مغلوبا والمغلوب كالمعدوم ويرد على الله سبحانه وتعالى : بأن المغلوب ليس معدوما ، فمتى يكون الفاني في الله معدوما والفناء هو عين البقاء (انظر مقدمة الكتاب الثالث) ومثل هذا المعدوم التي غلبت عليه المحبة هو أعظم من كل الموجودات ، إنه ليس مضطرا ولكنه مختار إنه مختار من الولاء ، ومن ثم فكل الموجودات تحت سيطرته ، وكل الأرواح والأجساد في مرمى سهمه ، إن منتهى الاختيار أن يكون اختيار المرء تحت سيطرة اختياره هو سبحانه وتعالى والاختيار نفسه لا معنى له إلا إذا محيت منه الأنية محوا تاما ، تسليم المرء وجهه ووجهته وضميره وسره لله سبحانه وتعالى ،

وحين تنقطع اللذات الطبيعية أي حين يترك المرء لذائذ الدنيا تسفر له اللذة الباقية عن وجهها ، لذة تهون إلى جوارها كل اللذات ، أو كما يرى السبزواري : « منتهى الاختيار أن يذوب اختيار المحدود في اختيار المطلق الموجود (سبزواري 4 / 270) (انظر مقدمة الكتاب الخامس) .

(406 - 441) : أن يتم المسجد على يد سليمان دون داود ليس في هذا انقاص من قدر داود عليه السلام ، فالمؤمنون جميعاً نفس واحدة (انظر الكتاب الثالث المقدمة الشعرية) فالمؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن وحده جماعة سبزوارى (270 / 4) وما الذي يجمعهم ؟ !

إنه الإيمان ، فالرسالة واحدة والنبوة واحدة فكما أن الروح مشتركة بين الحيوان والإنسان إلا أن هناك فرقا بين روح الإنسان وروح الحيوان ، وهناك فرق أيضا في العقل والفهم ، وهذا التفاوت حاصل أيضا بين أرواح العوام وأرواح الأولياء ، والأرواح الحيوانية لا اتحاد بينها ، بل هناك تنافر وتصارع وتكاثر وتحاسد ، ويفسر السبزوارى الروح الهواء بأنها الروح المحيطة بالبدن ، والبدن بمثابة الغلاف لها ،

وهي على ثلاثة أقسام :

الروح الدماغية بها الدماغ ومجراها الأعصاب والروح القلبية ومنبعها القلب ومجراها الشرايين والروح الكبدية ومجراها الأوردة (271 / 4)
إنها لا تستحق الجمع إلا لفظا وإلا فهي أرواح شتى وإن تشابهت في البنية إلا أن أرواح أسد الله واحدة وإن تحدثنا عنها بأسلوب الجمع وهو ما يعبر عنه في كتب زيارة الأئمة بالعبارة « أنتم نور واحد » (سبزوارى 271 / 4)
يصور مولانا هذه الوحدة بأنها كنور الشمس واحدة لكنه متعدد في الأفنية وإن رفعت الجدران « الأجساد » عاد نورا واحدا ، وإلى مثل هذا ذهب ابن الفارض :
نسب أقرب في شرع الهوى ، بيننا من نسب أبوتى .

وقال في التائية :

وجل فنون الاتحاد ولا فخد إلى فئة في غيره العمر أفنت فكم واحد جمع غفير ومن عداه شردمة حجبت بأبلغ حجة

(أنقروى 4 / 86) إذا انتفت القواعد إذن (أي الأبدان) عاد النور متحدا ، وقد يورد هذا التشبيه إشكالات لأن هناك فرقا بين الإنسان والأسد لكن المثل يتضح عند التضحية بالروح ، لا تشبيهات إذن إلا عند القيام بالعمل ولا صورة متحدة في هذه الدار : بل تفرق بينها الأشكال والأجساد وإن اتحدت الصفات وإلا ضربت لك مثالا ، فكل جماعة مظهر من مظاهر الصفات فالملوك هم مظهر لملوكية الله ، والعارفون هم مظهر نعيم الله (سبزوارى 4 / 272) .

ويقرب مولانا جلال الدين - كما قال - الصورة التي يراها محيرة ، فلا شئ في الدنيا يشبه ما يريد أن يعبر عنه ، إن الأجساد في الدنيا أشبه بالمصابيح التي توضع ليلا في البيوت ، تحتاج إلى فتيل وإلى زيت من هذا وذاك ، وفتيلها هو تلك الحواس الخمسة ، فهو لا يحيا بلا نوم أو طعام ولا بقاء له دون زيت أو فتيل ، وهي أيضا لا وفاء لها بالزيت والفتيل ، إن طلوع النهار إيذان بموتها ، وهكذا جملة أحاسيس البشر فانية يوم الحشر ، وهذه الأحاسيس وإن تكن معدومة ، لكن الأرواح تظل موجودة ، وحقائقنا وماهياتنا وأعياننا الثابتة ليست قابلة للعدم لكنها مثل النجوم ومثل ضوء القمر تكون ممحوة في نور الشمس ، وهكذا مثلما ينمحي أثر لدغ البرغوت أن سعت الحية إليك ، ومثلما يهرب عريان في الماء حتى ينجو من لدغ الزنابير تطوف فوق رأسه فرحة تنتظره أن يرفع رأسه من الماء لتلدغه . فما هو الماء ؟ !

إنه ذكر الحق ، وما هي الزنابير في هذا الزمان ؟ !
إنها ذكر هذا وذاك ، فظل في الماء وأصبر حتى تنجو من الوسوس القديمة ، وسوف تأخذ بعدها طبع الماء الصافي بحيث تهرب منك وسوس الدنيا إلى الماء بدلا من أن تهرب أنت منها ، وبعدها ابتعد عن الماء إن استطعت فقد وصلت إلى سر التوحيد ، وصار قرينا لك ، مصاحبا إياك ، ويشير الأنقروى إلى معنى مشابه في شعر محيي الدين ابن عربي :

لقد كنت دهرا قبل أن يكشف الغطا * إخالك أنى ذاكر لك شاكر
 فلما أضاء الليل أصبحت شاهدا * بأنك مذكور وذكرك ذاكر (أنقروى 4 / 91)
 (442 - 466) : يواصل مولانا جلال الدين إفاضاته في هذا المجال إذن فالذين
 ذهبوا عن هذه الدنيا ليسوا بفانين أو معدومين وإنما هم في صفات الحق مغمورون ،
 وكل صفاتهم أمام صفات الحق فانية مختفية كأنها أنوار الكواكب أمام نور الشمس ،
 وإن جادلت في هذا فاستمع من القرآن الكريم «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ»
 (يس : 22)

قال نجم الدين في تفسيره « ما هي إلا جذبة واحدة بالخروج من لدنهم والغيب عنهم
 فاليوم لا تظلم نفس من استحقاقاتها وما هي مستعدة لقوله ولا تجزون إلا ما كنتم
 تعملون ، فمن عمل للدنيا يجز من الدنيا ، ومن عمل للآخرة يجز منها ، ومن عمل لله
 يجز من عواطف إحسانه (مولوى 4 / 64)

والمحضرون لا يكونون معدومين وحسبك هذا دليلا على بقاء الأرواح . . . وثمة
 عذاب آخر للأرواح مختلف عن عذاب الأجساد :

وهو أن تحجب الروح عن بقاء الحق وهذا هو عذابها ، أما أرواح الأنبياء والأولياء
 فتكون منتفية عن الحجاب ببقاء الله ،

وها أنا قد حذرتك وقلت لك : ألا تحجب من اتحاد من هذا المصباح الحسى الحيواني ،
 وصل روحك بأرواح السالكين القدسية ، فإن كان لك فإنه مصباح من قبيل مصابيح
 الحس فهي ليست متحدة ،

ومن هنا فالحرب قائمة والخصومة مستمرة ، والجدل محتدم بين أصحاب المصابيح
 الحسية والأرواح الحيوانية ولم يسمع أحد أن حربا قد قامت بين الأنبياء فأرواحهم
 شمس ، وأنوارنا الحسية مصابيح وشموع ودخان يموت أحدها فيشتعل آخر حتى
 الصباح (القيامة) ،

لكن مصباح النبي إن مات أو طوى

فمتى يظلم بيت الجار من موته ، إن نوره باق ، لأنه مستمد من نور الله ، ونو الله لا ينطفي ، والأرواح الحيوانية موتها مؤقت بطلوع شمس الحقيقة ، والمصابيح المتفرقة بين الدور ، يقوم على كل منها نور كل بيت فحسب ، يظلم البيت بظلام مصباحه ، هذه هي الأرواح الحيوانية ، وهي مختلفة عن الروح الربانية التي هي أشبه بالقمر يسطع على كل البيوت فيأخذ كل بيت بقدر كوته ، وكلها نور واحد وهو بدوره باق ما بقي القمر ،

فإن سطعت الشمس فلا قمر ، وإن غابت الشمس فكل البيوت في ظلام . ويعود مولانا جلال الدين فيذكرنا بأنها كلها أمثلة لمعان أكبر وأعظم لا تتأتى في بيان ، ومن هنا فإن المثل قد يهدى وقد يضل بقدر القابليات ، وويل لمن لا يفرق بين المثل والمثل وليس فيهما من المناسبة إلا شئ واحد وهو أن المحسوسات تتكشف بنور الشمس كما تتكشف المعقولات بالعقل ، وقد ضرب الله عز وجل بالمثل لنوره بقوله «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ . . إلى آخر الآية »

وأي مماثلة بين نوره ونور الزجاجاة والمشكاة والشجر والزيت وكذلك ضرب الله المثل للحياة الدنيا بالماء النازل من السماء وضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل للإسلام بالقبة وضرب المثل للعلم باللبن والقرآن بالحبل ، فأى مناسبة بين هذه الأمور وبين الأشياء المضروبة لها الأمثال ؟ ! ولكن لما كان الحبل يمسك به للنجاة والقرآن مثلاً يمسك به للنجاة مع التمثيل وقس على هذا (مولوى 4 / 67)

نقلا عن عبد الوهاب الشعراني من الموازين) وذلك السىء الطوية هو مثل العنكبوت ينسج حول نفسه شباكاً من لعبه النتن ، وهو أوهن البيوت إنه ينسج حول نفسه ما يحجب النور عنه ، وكذا كل من في الحياة الدنيا ،

إنما يقيم حول نفسه من نفسه ما يحجب عنه الحقائق ويمنع عنه النور قانع به مقيم عليه ، يظن أنه قد وصل من حيث إنه قد فصل ،

وقد اهتدى من حيث إنه قد ضل ، وذلك أنه يمسك بقدم نفسه الحيوانية من حيث يظن إنه قد أمسك بعنقها وسيطر عليها ، في حين إنه بإمساكه بقدمها إنما يدفعها إلى العثار والرفس ، دون لجام أو زمام من العقل ، ودون دليل من العقل أو الدين ، وإياك أن تظن أن هنا الطريق هين سهل سلس فهو في حاجة إلى صبر ، وإلى شق أنفس ، وإلى مثل هذا ارشاد مولانا نجم الدين إلى « أن الصفات الحيوانية إنما خلقت فيكم لتحمل أثقال أرواحكم إلى عالم الجبروت الذي لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس لحمل أعباء الأمانة التي أثبت السماوات والأرض والجبال حملها وأشفقن منها وشق الأنفس نقصها بافنائها في عالم الجبروت » (عن مولوى 4 / 68) .

(467 - 483) : يقص مولانا جلال الدين كيفية بناء المسجد الأقصى الذي كان طاهرا كالكعبة وذا إقبال مكين . . إن الأبنية التي تبنى لله سبحانه وتعالى لا تشبه بقية الأبنية ، بل تتميز بالطهر والشموخ ، فليس كل ماء وطنين يتميز بالكدر وليس كل فجر بالذي لا تضج فيه الحياة ، إن الأبنية الدينية تتمز بأن الله ييسر في بنائها بحيث تبعث الحياة في الحجارة فيختار الحجر المناسب نفسه ويطلب من البنائين أن يحملوه إلى مكانه ، وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا ينبعث النور من قالب آدم مع أنه من ماء وطنين ؟ !

بالطبع من النفخة الإلهية ، فإذا كانت المساجد هي بيوت الله على الأرض . . فلماذا لا ينبعث منها النور الإلهي ؟ !

وهكذا فإن كل ما اتصل به النفس الإلهي إنما ينبعث فيه الحياة ، وهكذا تكون ثمار الجنة وأشجارها وأنهارها . .

تكون كلها في حديث وفي حوار ، وكل ما في الجنة عامر بالحياة . . إنما خلق الله من الطاعات ، فهذه الطاعات في الدنيا تترجم إلى ماديات من ماديات الجنة (انظر الكتاب الثالث الأبيات 3459 - 3484 وشروحا)

وعن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

« المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى شئ منه وجد ألم ذلك في سائر جسده وأرواحها روح واحد فإن روح المؤمن أشد اتصالاً بروح الله من اتصال الشمس بها (جعفري 9 / 459) . ومن شروط هذا كله أن يطهر القلب بالتوبة » سبزواري 273 - 274 « » وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون « فالنشأة الآخرة أساسها على الحضور والجمع بعكس النشأة الأولى وأساسها على الغيب والفرق ، وما الدنيا وما فيها إلا كحلم النائم ، ويرى بعض علماء الكلام أن الجنة والنار قد خلقتا بالفعل ، ويرى بعضهم أنهما لم تخلقا بعد ، وإنما تخلقان فيما بعد من الأعمال والملكات والنوايا ، وتجسم الأعمال الذي يترجم إلى صور عينية في الجنة والنار ورد مرارا في الحديث الشريف في مثل قوله صلى الله عليه وسلم « في الجنة قيعان غراسها سبحان الله » وقد مر الحديث عن هذه الفكرة بالتفصيل في الكتاب الثالث ويرى مولانا جلال الدين أنه لن يستطيع أن يصل في هذا المضمار إلى نتيجة على أساس أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فيعود إلى قصة سليمان والمسجد الأقصى .

(483 - 486) : ينبه مولانا إلى أن سليمان عليه السلام كان يعظ بالقول والفعل ، ويدق على هذه النقطة القائلة أنه لا يغنى قول عن فعل ، وقد دق الصوفية كثيرا على هذه النقطة ، وفي هذا المجال قال سنائي في الحديقة :
 « لا تقل إني سوف أفعل ، بل قل دائما لقد فعلت » (بيت رقم 3972) ،
 ولا جدال أن القدوة تتحقق بالفعل لا بالقول وفي قول لأبي عبد الله رضي الله عنه « كونوا دعاة للناس بأعمالكم ولا تكونوا دعاة بالسننكم » (جعفري 9 / 465)
 ونستطيع أن ندرك أهمية هذا الأمر في الإسلام إذا نظرنا إلى كثير من

القوالين دون أفعال في زمننا الحالي وفي كل عصر وزمان أولئك الذين يؤيسون الخلق ويصيبونهم بالقنوط دائما ، فبين أقوالهم وأفعالهم بعد المشرقين .

(487 - 496) : يضرب مولانا المثل بقصة شاعت في مصادر متأخرة عن عثمان رضي الله عنه - حينما صعد المنبر وقال كلمته التي اشتهرت في هذا المجال « حاكم فعال خير من حاكم قوال » ولما ولى عثمان صدور المنبر فقال :
 رحمهما الله - يقصد أبا بكر وعمر - لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس ، فجلس على ذروة المنبر فرماه الناس بأبصارهم ، فقال : إنّ أول مركب صعب وإن مع اليوم أياما وما كنا خطباء وإن نعش لكم تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى . (عيون الأخبار للدينوري ج 2 / ص 235 ، ماخذ 131) وقد فسر سنائي صمت سيدنا عثمان رضي الله عنه من الخطبة تفسيرا آخر إذ قال : إن الحياء قد عقد لسانه عن الخطبة (حديقة البيت 214 وهكذا فسره الأنقروى 4 / 101)
 وهنا مغزى سياسي إسلامي شديد الأهمية والوضوح ، في تفسير مولانا على لسان عثمان رضي الله عنه لسبب تنسمه لذروة المنبر ،
 وهو أن أخذ السياسة والحكم عن الرسول مباشرة ، وما يعنيه هنا هو أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أتم الرسالة دنيا ودينا ، وإنما تختلف صورة التطبيق في بعض الأحيان لاختلاف بعض الأمزجة بين الشدة ولين الجانب ، وبين الأخذ بالعزائم والأخذ بالرخص . . إلى آخره
 مما لم ينبه إليه المفسرون القدماء للمثنوى من ناحية ، وما لم ينبه إليه أيضا الباحثون في السياسة الإسلامية من المعاصرين .

(497 - 511) : ينتقل مولانا جلال الدين إلى حديث عن الحقيقة فعندما تسطع شمس الحقيقة التي لا كسوف لها ولا غياب لأنها تشرق في القلب يرى

كل إنسان المسموع من الحقائق عيانا ، وهذا النور لا يحتاج إلى حديث ، لقد غمر المسجد النور دون أن يتفوه عثمان رضي الله عنه بكلمة واحدة ، بل إن الأعمى نفسه يدرك قبسا من هذه الشمس ، أليس الأعمى في النهاية يحس بسطوع الشمس على وجهه من حرارتها ، ومن تلك الضجة والحالة العامة التي تصاحب سطوعها ؟ إنك من مشاهدة قليلة يا فلان تصاب بالسكر . .

فلا تظن أنك بطاعة قليلة قد وصلت إلى شمس الحقيقة ، إنها مجرد شعاع ، وإذا كان هذا هو نصيب الأعمى (أي المحجوب) من الشمس فتخيل أنت ما يمكن أن يصل إليه البصير ؟ !!

إن من يكون مستنيرا بنور هذه الشمس لا يمكن أن يصل إلى كنهه عقل حي ولو كان من أقوى العقول كعقل أبي علي بن سينا ولو جرد العقل وهتك أسرار المشاهدة وفضحها ومد يده ، في حرمها ، لقطع السيف الإلهي هذه اليد أي يد ؟ !! بل لقطع رأسه نفسها وما نبأ الحسين بن منصور الحلاج منك ببعيد .

(512 - 520) : إن ما بين القيل والقال والادعاء والتفيهق وتحريك اللسان وبين العين البريئة من الشك بعد المشرقين ، لو قلت لك مئات الآلاف من السنين فهو قليل ، لكن إياك واليأس من وصول نور السماء إليك ، فعندما يشاء الله يصل هذا النور في لحظة من الزمان وإلا فإنه يوصل إلى المعادن من الكواكب رحمته وقدرته في كل لحظة فيتحول الحجر إلى معدن ثمين ،

وكواكب الرحمة غير تلك الكواكب التي في الفلك ، إن تلك الكواكب التي في الفلك يقضى عليها الظلام لكن كواكب الحق راسخة في صفاتها لا تجرى عليها ولا تخفيها شمس ، إن قدرته سبحانه وتعالى سيارة حتى زحل وبيننا وبينه مسيرة مئات آلاف

السنين وهذه القدرة مستمرة لحظة بلحظة ، وفي لحظة واحدة يقربها الله بيد القدرة الإلهية ، إنها كلها في يد القدرة الإلهية كالظل أمام الشمس (لب لباب فلسفة جلال الدين . . . الأكوان كلها أمام الله سبحانه وتعالى كالظل أمام الشمس) ، وهكذا فإن شمس الحقيقة تطوى آثار كل الكواكب كما يطوى الظل أمام الشمس ، إن النور الحقيقي لا يصل من النجوم والكواكب إلينا ، بل يصل النور من النفوس النورانية للأنبياء والأولياء (التي قبلت أكبر قدر ممكن من نور الله) إلى الكواكب نفسها ومع أن الذي يبدو في الظاهر أن هذه الكواكب هي القوامه علينا . . . والتي تدبر أمورنا على أساسها . . . لكن الإنسان ليس الإنسان المطلق بل الإنسان بباطنه هو القوام على الكون وهذا يشبه ما قاله ابن الفارض :
ولا فلك إلا ومن نور باطني . . . به ملك يهدي الهدى بمشيئتي .

(521 - 530) : الإنسان هو العالم الأصغر والكون أو العالم هو الإنسان الأكبر . . . هكذا تعارف الحكماء على أساس أن الإنسان بخلقه هو مثال لهذا العالم والكون بكل كواكبه وأفلاكه ومظاهر الطبيعة فيه (انظر جامع الحكمتين لناصر خسرو ، الترجمة العربية للمترجم 377 - 382)

وينسبون إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه تعبيره عن هذه الفكرة شعرا : دواؤك منك وما تشعر * ودواؤك فيك وما تبصر
وأنت الكتاب المبين الذي * بأحرفه يظهر المضمرة
وتزعم أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر

وينسب إليه أيضا رضي الله عنه :

والصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجموع صور العالمين وهو المحضرة من اللوح المحفوظ وهي الشاهدة على كل غائب ، وهي الحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم إلى كل خير وهي الجسر الممدود إلى الجنة والنار (سبزواری 4 / 274)

لكن الفكرة عند مولانا جلال الدين شأنه في هذا شأن الصوفية من قبله ومن بعده تتخذ أبعادا أخرى فإذا كان جسد الإنسان هو العالم الأصغر ، فإن روحه أو باطنه أو قلبه الملىء بالنور هو العالم الأكبر ، وكل ما في الكون إلى جواره صغير ، بل هو المقصود من الخلق والخليقة كما تكون الثمرة هي المقصودة من الشجرة وهي أصل الشجرة هي الآخرة السابقة (لنظر تفسير نحن الآخرون السابقون في شروح الكتاب الثالث في شرح البيت 1128)

ولا يكتفى مولانا بهذا القدر بل يشير إلى تطبيق نفس الفكرة على الرسالة المحمدية وعلى شخصية محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو آخر الأنبياء بعثا لكنه أولهم خلقا ، وكان نبينا وآدم بين الماء والطين « وآدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة »

والأب مولود منه بالمعنى وإن هو ولد منه بالصورة : وإني وإن كنت ابن آدم صورة * فلي فيه معنى شاهد بأبوتنهذا هو أول الفكر آخر العمل ،

والعلة الغائية في العالم فاعل مقدم وفي العين مؤخرة للفعل ، إذن فأول الفكر آخر العمل ،

(انظر أيضا حديقة سنائي المقدمة) خاصة إذا كان المقصود تلك الفكرة العظيمة أي وجود خاتم الأنبياء والمرسلين « لولاك ما خلقت الأفلاك » .

(531 - 537) : وهكذا يدوم الفيض الإلهي وتظل الصلة بين العالمين موجودة على الدوام وظاهرة في كل مظاهر الكون ، ويكفى دليلا على وجودها تلك القوافل التي تمضي وتذهب من المواليد والموتى ، وربما يقصد مولانا جلال الدين أن أرواح الأنبياء وكل أرواح البشر هي في حالة تجوال دائم من الأرض إلى السماء . . ألا يمكن في لحظة ما أن يفصل الإنسان عن كل ما يحيط به بحيث يكون جسده فحسب هو الموجود بينما روحه هائمة في ملكوت آخر (جعفري 9 / 488) وفي الكتاب الأول :

ففي كل لحظة يا رب قافلة وراءها قافلة تسير من العدم إلى الوجود أو ليست جملة الأفكار والعقول - خاصة - تصير كل ليلة غرقى في سحر عميق ؟

أو ليست كل الملكات الإلهية ترفع كالأسماك رؤوسها في وقت الصباح ؟ ! وفي الخريف تذهب آلاف الأغصان والأوراق إلى بحار الموت وثانية يجئ الأمر من سيد الأرض فيقول للعدم رد ما أكلت (1 / 1889 - 1894) ، قد تكون السماء هنا هي السماء المعنوية ولعل هنا في قول نكلسون نقله استعلامي 4 / 211 إشارة إلى قول ابن الفارض :

أسافر عن علم اليقين لعينه * إلى حقه حيث الحقيقة رحلتي
العلم المعنوي هو علم الله الحاكم والمحيط بجميع الأشياء ، فكما أن السماء الصورية موليدها صور الأجسام تذهب وترجع كل آن بواسطة الكواكب وقطرات الأمطار فتوجد منها المواليد وتحى بطريق تجديد الأمثال فإن وجود أفراد العالم في كل زمان تارة معدوم وفان وتارة حي وموجود ورؤيته على الدوام موجود من سرعة فيض الله ودوام إفاضته (مولوى 4 / 76) ،

وليس الطريق بالطويل ، بل إن معجزة الخلق واستمرارية الخليقة تتم في هدوء وسكينة وبسرعة ، وانظر إلى السالك القوى الجلد ، إنه يجتاز كثيرا من

العوالم في نفس واحد ، ألا يعرج القلب ويحج إلى الكعبة في لحظة واحدة ؟ !!
 يستطيع القلب إن اتخذ صفة القلب (نجا من الكدر وسكنه النور الإلهي) أن يقوم
 بنفس الأمر (طي المسافات عند الصوفي) . (انظر سيرة ابن خفيف ص 153 وما
 بعدها - الترجمة العربية للمترجم - لجنة نشر الثقافة الإسلامية - القاهرة 1977 م) ،
 فلا مسافات هناك أمام القلب ، إنما توصف الأجساد بالطول والقصر ، أما بالنسبة لله
 الواحد القهار فهلا قرب ولا بعد ولا طول ولا قصر في المسافات ، وعندما يشاء الله
 سبحانه وتعالى يبدل الجسم (انظر فكرة التبديل في الكتاب الثالث شرح 4001 وما
 بعده) فإن ذهابه يكون بلا مسافات . .

والمعراج خير دليل على ذلك وهذا في حد ذاته أيها الفتى يبعث في نفسك كثيرا من
 الآمال فخل الكلام واهتم بالعمل والرياضة الصوفية ، وسلوك طريق الله وتنقية القلب
 وجعله محلا للأنوار ، وإن فعلت فإنما مثلك يكون كمثلك النائم في سفينة تقطع به
 الطريق وهو في حماية الربان (النبي بالنسبة للأمة والمرشد بالنسبة للطريق) تمضي
 بك السفينة هونا ، وأنت امن من أمواج البحر (مصائب الحياة ووعورة الطريق) .

(538 - 551) : ولست أنا الذي أقول هذا بل يقوله الرسول - صلى الله عليه وسلم -
 مثل أمتي كسفينة نوح . . إلى آخره والخلاف هنا : هل قال الرسول - صلى الله عليه
 وسلم - مثل أمتي أو قال مثل أهل بيتي ويميل الشيعة بالطبع إلى الرواية مثل أهل بيتي
 وقد اعترف بصحتها الإمام الشافعي نفسه في أبيات : ولما رأيت الناس قد ذهب بهم *
 مذهبهم في أبحر الغى والجهل

ركبت على اسم الله في سفن النجا * وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
 وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم * كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل
 (جعفري 9 / 494)

أي كن من الأمة وإن لم تلحق بالنبي فأمامك الولي الشيخ المرشد فهو كالنبي في أمته وهو نبي وقته (وانظر هنا شروح الأبيات 1774 - 1775 من الكتاب الثالث والأبيات 2283 - 2384 من الكتاب الثاني) .

فاستمسك به ، وحذار من اعتمادك على حولك وقوتك وطولك واحتيالك ، استسلم لقيادة الشيخ الذي عونه جنده ، وجنود الأولياء من أنفاس الرحمن ولا تقس الشيخ بلطفه وبقهره ، فإن عاملك باللطف أو عاملك بالقهر فإن النتيجة واحدة ، وإنما هو يريد خيرك وأدرى بالوسيلة التي تليق بك . . .

إنه يجعل جسدك هذا التراب ينبت السوسن والريحان مما يراه الشيخ ولا يراه غيره ، فأياك وإنكار الشيخ حتى نجد الريحان في روضته (الأسرار من عالمه) وحتى تشم رائحة الخلد من الشيخ مثلما شمها الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قبل اليمن (إني لأشم رائحة الرحمن قبل اليمن) كناية عن ظهور أويس القرني رضي الله عنه .

(552 - 562) : مثلما كان للرسول - صلى الله عليه وسلم - معراج وكان للأولياء أيضا معارج فإن لكل سالك في هذا الطريق بعون من المرشد معراجا ، والمرشد هو الذي يهيبىء البراق ، والغاية هنا هي الوسيلة إذا كنت تريد الفناء أو العدم فإنما سيكون الفناء براقك الذي يجذبك ، إياك أن تفكر في المسافات وفي الأجسام وفي المراحل وفي الأرض وفي السماء ، فليس السفر هنا كسفر البحار من الأرض إلى السماء ، ولا المعراج من الأرض حتى القمر . . ؟ ! !

ولكنه كمعراج الجنين يتطور إلى مرحلة العقل والنهى ، أو كمعراج البوص يتحول إلى قصب سكر ، هذا معراج براقه الفقر والسلوك ، يكون أعلى من البحار والأقمار والكواكب يجوب هذه العوالم فلا يكاد يمسه بحافر ، فهيا عليك بتلك السفينة التي هي إرشاد الشيخ امض إليها خبيا كأنك ماض إلى لقاء

معشوق ، أو كأنك روح من الأرواح تأتي من جانب العدم فلا يد لها ولا قدم ، عودتك إلى عالم الروح هي المقابل لمجىء الأرواح من عالم العدم إن كل ما أقوله هنا إنما أقوله على سبيل القياس ، وكان في إمكانى أن أترك هذا القياس وأتحدث صراحة لو لم يكن السامع غير متصف بالحیطة الكاملة ، إنما يريد الكلام الصريح المباشر مستمعا وها هو يدعو نفسه بضمير الغائب تواضعا فيدعو الغوث الأعظم وهو بمنزلة الفلك أن يمطر جواهر العطاء الروحي عليه ، فإنه إن فعل فسوف ترد عليه عطاياه فيضا ربانيا من عطاء الشيخ من حيث تتضاعف عطاياه وشفته صامته فكأن عطاء الشيخ للفلك يكون فوق عطاء الفلك للشيخ .

(563 - 572) : قصة إرسال بلقيس ملكة سبأ هدية إلى سليمان . .
والحديث هنا موضعه تبادل الهدايا بين الشيخ والملك (سليمان وبلقيس) وكيف أن ما يمنحه الشيخ خير وأبقى ، لقد أرسلت بلقيس إلى سليمان عليه السلام هدايا الذهب والرواية واردة في قصص الأنبياء للثعالبي ص 266 لكن الصحراء السليمانية كانت مفروشة بالذهب النضار . .
وقبل أن تصل القافلة إلى سليمان أحست بعدم قيمة الهدية . فهيا . . انظر أية هدية تحملها من عندك إلى الحضرة الإلهية ؟ !
هدية من العقل ؟ !
وما قيمة عقلك الجزئي هذا إلى جوار العقل الكلي الذي يسيطر على العالم ؟ !
لكن هل كانت القافلة التي تحمل هذه الهدية تستطيع أن تعود ؟ ! لا ؟ ! بل لا بد وأن تنفذ الأمر .

(573 - 584) : ها هو سليمان عليه السلام يسخر من هذه الهدية التي يحملونها إليه ويسميها مجرد ثريد . . إنه لم يطلب هدية من بلقيس لكنه طلب منها أن تكون لائحة بالهدية التي يقدمها لها ، وكيف تقدم الهدية لمن أفاض عليه الغيب بالهدايا النادرة التي لم تتوفر لإنسان من قبله أو من بعده ؟ !
ألأنكم تسجدون للشمس التي تصنع هذا الذهب ترون أنه أفضل ما يقدم لإنسان ؟ ؟

اسجدوا للذي خلق الشمس إذن وأي سجود للشمس تقومون به ؟ ! إن الشمس مجرد منضج لطعامنا . . ليس أكثر . . فكيف تجعلون منها آلهة ؟ ! وماذا تصنع إذا أصاب هذه الشمس الكسوف ؟ !

ألست تتضرع إلى الله تعالى أن يعيد إليها ضياءها . . وإذا أرادوا قتلك في منتصف الليل ، فأين هذه الشمس لكي تشكو إليها في حادثات الليل ؟ ! ! . . إنك إن سجدت لله صرت مسموحا له بالأسرار مثلنا . . وإذا بلغت هذه الدرجة لتحديث معك بحيث خرجت تاما من آثار الطبيعية . . ولا استطعت أن تسيطر على الشمس نفسها وأن تستحضرها في منتصف الليل ، بل تستحضر شمس وجوده ، شمس الحقيقة . . أنوار التجليات وتشاهد الجمال الإلهي .

(585 - 597) : تسألني عن شمس الحقيقة . . ماذا أقصد بها ؟ ! إنها تلك التي تشرق في الأرواح الطاهرة ليل نهار ، تلك الأرواح التي تبدلت فلا يحجب هذه الشمس أمامها حاجب . . فهي نور دائم في نهار دائم ليلها كنهارها . . هي المحجة البيضاء . .

إن شمس الفلك بالنسبة لشمس المعاني كأنها الذرة لا قيمة لها ولا خطر منها أمام تلك العين التي نورت بالنور الإلهي وذلك النور الإلهي فعله كفعل الكيمياء إن ضعت على دخان جعلت منه كوكبا . . فكيف إذا وقع هذا الأكسيد النادر على ظلام . . ويستمر مولانا في تعبيراته الفنية . .

إن هذا الفنان يعجب بعمل واحد جعل خواص كوكب زحل كالشعلة الدائرة في الكوكب فيه خواص السماء السابعة وخواص الأرض . .

وهكذا فاعتبر كل كواكب الروح وجواهرها . . افتح عين الروح تستطيع أن تتمثل كل هذه الكواكب والأفلاك داخل وجودك وداخل نفسك . .

وتحتوى على عالم كامل داخلك وانظر إلى عين الحس . . إنها لا تستطيع أن تحدد في هذه الشمس الأرضية فهي قطر ناري . . لكن انظر بنورى أي بنور الله تختلف تماما عنه .

(598 - 612) : تريد مثالا إذن عن ذلك الذي قبل النور والذي كان وجوده مشرقا للأنوار الإلهية ولم يكن نوره يغيب ليل نهار فأليك الشيخ أبو عبد الله المغربي الذي كان يمشى معه أصحابه بالليل ووراءه فكان إذا حاد أحدهم عن الطريق يقول يمينك يا فلان يسارك يا فلان ، وقد ورد في نفحات الأنس لعبد الرحمن الجامي وهو متأخر عن مولانا جلال الدين أن شيخ الإسلام (وهو الأنصاري) روى أنه لم ير ظلمه قط وما كان يبدو للخلق ظلاما كان له نورا . . وعندما كان يتحدث فوق جبل سيناء كان الحجر يتفتت ويتساقط إلى الوادي (نفحات الأنس ص 90)
وقال القشيري إنه مات سنة 299 عن مائة وعشرين سنة (الرسالة / 38) علق فروزانفر على البيت 606 :
وجعل المغرب كالمشرق مشعا بالنور (مأخذ / 133) .

ولقد جعله الله غارقا في الأنوار ، إنه الذي تنطبق عليه الآية الكريمة يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا (التحريم : 8) . .
اطلب من الله تعالى هذا النور حتى في الدنيا ، . فإنه يهب هذا النور للسحاب وللظلمة وهو نور الروح الذي لا تبقى بعده ظلمة ، حتى وإن كف البصر ، فالحديث عن النور الباطني لا النور الخارجي ، بهذا النور الذي يهبك الإله إياه تستطيع أن تمضي في أمان بين عقارب الناس وأفاعيهم .

(614 - 624) : عودة إلى قصة سليمان عليه السلام وهدية بلقيس ، ها هو يطلب من الرسل أن يعودوا بذهبهم وأن يأتوه بقلوبهم ، يقول لهم : ضعوا ذهبي على ذهبكم . . فإن كانت له قيمة لما تزينت به مؤخرات البغال (التعبير من سنائي ديوان ص 148)
فهي لائقة بهذا الذهب ، لكن صفرة وجه العاشق تفضل صفرة الذهب ، فهي من عشقه الله تعالى . ومن نظرة الله تعالى له ، لكن صورة الذهب من تأثير الشمس وشتان بين من هو موضع نظر الله تعالى وبين

ما هو موضع نظر الشمس . . وإياكم وغضبي وأخذى . . وعليكم بالإيمان بالله تعالى وإن كنت أسارى لي . . وأنتم بصيرون . .

ما أشبهكم بطائر يفتح جناحيه يرفرف بهما على سطح منزل لكن بصره مثبت على الفخ وعلى الحب فهو مأخوذ مأخوذ حتى ولو لم يؤخذ بعد . هذا هو القيد الداخلي ، الوسوسة ، الوهم ، العكوف على التفكير ، في أمر يعنى مراقبة الظاهر دون مراقبة الباطن يقال إن فلانا (سقط فجأة) لا يسقط أحد فجأة . . هذه هي الأمور التي تحرم الإنسان الحرية الحقيقية (جعفري 9 / 511)

إنه سوف يسقط في الحمى ما دام يحوم حوله . . ها هو الطائر ينظر إلى الحب . . والحب في نفس الوقت ينظر إليه . . وأنت مأخوذ بالدنيا . . والدنيا سوف تأخذك ، إنك أدمت إليها النظر . .

وهي تأخذ منك أيضا الصبر والقرار وما دام هذا النظر يجذبك إلى . . فأنا أيضا أحس بانجذابك إلى وأسحبك خلفي .

(625 - 652) : وما أشبه هذا الذي يحس أنه مأخوذ بالدنيا ميال إليها يجعلها كل همه ومبلغ علمه بذلك الذي ذهب يشتري سكرًا لكنه عاشق للطين فأخذ يسرق من صنج الميزان وهي من حجر الطفل (مأخوذة من حديقة سنائي أنظر الترجمة العربية الأبيات 6086 - 6100) إن الذي يسرق الطين ليأكله لا يدري أنه بهذا ينقص من نصيبه من الكسب وهكذا أهل الدنيا جميعا ، يستغرقون فيها ، وهم يظنون أنهم يكسبونها .

(653 - 677) : عودة إلى قصة سيدنا سليمان مع رسل بلقيس إنه يحدثهم عن الملك الإلهي ، والملك الدنيوي ، وما الملك الدنيوي بجوار الملك الإلهي إلا جبيرة ساق ، والممالك الإلهية أدنى درجاتها تفضل هذا الملك الدنيوي ، وذلك الذي لا يستطيع أن يسيطر على شبابه ، أن يمنع نفسه العجز والهرم والشيب كيف يسمى نفسه ملكا ؟ ! إن ملك الملوك يمنحك في مقابل العبودية ملكا عظيما

إن أحسست به مثقال ذرة لتركت الملك السوري كما فعل إبراهيم ابن أدهم ، وملوك الدنيا هؤلاء من دناءتهم وخستهم لا يحسون بهذا الملك العظيم الذي يحس به من سجد لآله سجدة طاعة واحدة من القلب . . .

لكن الله تعالى زين في قلوبهم عروشهم وتيجانهم من أجل عمارة الدنيا . . وهم وإن فخروا بأنهم يجمعون من الناس الخراج . . إلا أنهم يتركون هذا الخراج ميراثا عنهم فدعك من هذا الذهب . .

ودعك من هذا الملك . . وأطلب من الله بصيرة سليمة تستطيع أن تدرك أن هذه الدنيا مجرد بئر متعلق بحبل الله فيوسف تعلق به فخرج به من البئر فكان أول ماصك مسمعه . . يا بشرى «

وفي ديوان شمس :

يا من أنت في روح يوسف * لماذا تبقى في البئر تمسك بحبل القرآن * فاصعد من بئر الظلمات وحتى إنهم يخسرون كل شئ حتى أنفسهم ، كم من ظامىء منهوم إلى مال أو حياة أو منصب يستغرقه هذا النهم ويفسد عليه دنياه وأخراه معا كآهل الطين تماما ، ويقدم مولانا مثالا آخر للطائر والحب ، من المشتري والعطار ،

فالمشتري يظن أنه يأكله للطين من صنج العطار إنما يغين العطار ، والعطار يلاحظه ويراه ويتغافل عنه أملا في أن يأكل أكبر قدر من الطين فإن هذا سوف ينقص بالتأكيد نصيبه من السكر . . تماما كالطائر والحبة . . الطائر ينظر على البعد ، والحبة تقطع الطريق إليه . . الصياد يطلب الفريسة ، والفريسة نفسها تطلب الصياد . .

وهكذا تصاد الطيور حتى الطيور الضخمة تصاد من سهام النظر ، ومن هنا حذر الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال : إن النظرة سهم من سهام الشيطان ، وفكرة أكل الشواء من الجنب تبدو من أفكار سنائي وعن

الإمام الصادق - رضى الله عنه - « ما اعتصم أحد بمثل ما اعتصم بغض البصر فإن البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى كلية مشاهدة العصمة والجلال (جعفري 9 / 515) .

فالشهوة تجعل الناس أسارى للدنيا وهم يظنون أنهم أمراؤها ، يظنون أنهم ملوك وهم مملوكون ، سادة وهم عبيد ، وما السيد إلا من خلص روحه من إيسار هذه الدنيا ، إن العارفين بالله هم الكيمياء التي تحول المعادن الرخيصة إلى ذهب فكيف يمكن أن يكون للذهب قيمة في عيونهم ؟ !!

(678 - 688) : إن لم تكن تصدق أن أولياء الله قادرون بنظراتهم على تحويل كل شئ ينظرون إليه إلى ذهب فأليك هذه القصة عن هذا الدرويش الذي طلب من الأولياء العظام رزقا بلا تعب . . .

فدلوه على غاية في جبل وجعلوا فواكهها البرية حلوة في فمه . . ومن هذه الفاكهة الحلوة جرى لسانه بالحكمة بحيث أصبحت أقواله فتنة للخلق أجمعين وكان الدرويش يخاف شبهة الرياء ، فأدرك ما في إقبال الخلق من فتنة تقف أمام سيره الصوفي ، فدعا الله أن يسلبها عنه ، فاستجاب لدعائه . . أعقبه سعادة في قلبه . .

هي سعادة الإخلاص والبعد عن الرياء تلك السعادة التي لا يحسها إلا ذلك الذي جعل علاقته مع محبوبه بحيث لا يطلع عليها بشر ولا يدركها (غيره) ، لقد بلغ درجة من السرور الباطني بحيث أصبح يظن أنه إن لم يكن في الجنة سوى هذا السرور جزاء للمؤمنين لكفاهم هذا . . . إلى هنا . .

الحكاية تعتبر مقدمة للحكاية الحقيقية التي يريد أن يضربها كمثال على قرّة أولياء الله على تحويل كل شئ إلى ذهب مما يجعل الذهب غير ذي قيمة في أنظارهم .

(689 - 710) : يقدم مولانا جلال الدين الجزء الثاني من الحكاية وهو مأخوذ من كشف المحجوب للهجویری (ص 297 - 298 مأخذ 134 - الترجمة العربية لكشف المحجوب ص 279) كان الدرويش يملك حبتي ذهب من أيام حاجة خاط عليهما جبته رأى خطابا فقيرا فحدثته نفسه أن يهبه حبتي الذهب ما دام قد فرغ من أمر الرزق ، عليه يفرغ هو الآخر من أمر رزقه عدة أيام ، لقد ظن الدرويش نفسه مقسما للأرزاق فلا بد وأن يأتيه الدرس الإلهي . . لقد كان الخطاب الفقير من رجال الله المطلعين على الأسرار السماعين لله وبنور الله . .
لقد أخذ يهمس :

أهذا يليق بالملوك ؟ ! كيف تفكر في أن تتصدق على ملك ؟ لقد كان يتحدث بلا لسان وكان حديثه ينطلق مباشرة إلى قلب الدرويش . . وها هو يبدي المعجزة . .

فإذا بهيبة شديدة تمطر عليه . . هيبة حولت كومة الحطب بدعائه إلى ذهب ثم أعادها ببركاته خوف الشهرة والفتنة إلى حطب مرة ثانية وحملها وانصرف إلى المدينة . . دون أن يجرؤ الدرويش أن يسأله الصحبة ، وقد خاطب ابن سينا منكري الكرامات بقوله « ولعلك قد يبلغك من العارفين أخبار تكاد تأتي بقلب العادة فتبادر إلى التكذيب مثلما يقال : إن عارفا استسقى للناس فسقوا أو استشفى لهم فشفوا أو دعا عليهم فخسف بهم وزلزلوا أو هلكوا بوجه آخر ، ودعا لهم فصرف عنه الوباء والموتان والسيل والطوفان ، أو خشع لبعضهم سبع ، أو لم ينفر عنه طائر أو مثل ذلك مما لا تؤخذ في طريق الممتنع الصريح فتوقف ولا تعجل فإن لأمثال هذه الأشياء أسبابا في أسرار الطبيعة

ثم يقول : « إياك أن يكون تكيسك وتبرؤك عن العامة هو أن تنبرى منكرا لكل شئ فذلك طيش وعجز وليس الخرق في تكذيبك ما لم يستبن لك بعد طلبه دون الخرق في تصديقك ما لم تقم بين يديك بينة بل عليك الاعتصام بحبل التوقف وإن أزعجك استنكار ما يقرع سمعك ما لم تتبرهن استحالاته لك ، فالصواب أن

تطرح أمثال وتمده إلى بقعه الإمكان ما لم يذكرك عنه قائم البرهان ، واعلم أن في الطبيعة عجائب وللقوى العالية الفعالة والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب (عن جعفري - 9 / 533 - 534)

وقد فسر مولانا جلال الدين في الكتاب الخامس كيف يعرف المرشد ما في ضمير السالكين :

- لقد كنست المنزل في الخير والشر فصار منزلا ممتلئا من عشق الأحد - وكل ما أراه غير الله ليس ملكي بل انعكاس صورة ذلك الشحاذ .
- فلو ظهر في الماء انعكس نخلة أو عرجون . . . فليس منه بل من النخل :
- وإن رأيت في قاع الماء صورة ما تكون انعكاسا لشيء في الخارج أيها الفتى - ولكن بشرط تنقية لماء من القذى فالتنقية شرط في نهر البدن - حتى لا يبقى فيه كدر أو غشاء حتى تصبح أمينا في عكس الوجوه - فأين في بدنك سوى الماء والطين أيها المقل صف الماء من الطين يا خصم القلب - وأنت مقيم في كل لحظة من النوم والأكل في طمس هذا النهر بالتراب أكثر (الكتاب الخامس أبيات 2804 - 2811) .

(711 - 716) : مثل هذا الرجل هم الملوك الحقيقيون ، هيبتهم هيبة

حقيقية ، وعظمتهم عظمة حقيقية ، ليس المهم أن تملك ، بل المهم أن يكون في إمكانك أن تملك وأن تزهد في الملك ، كثيرهم أولئك البلهاء الذين يلتقون بهؤلاء الملوك دون أن يغتنموا الفرصة ، إنهم يستكثرون عطاءهم ، مثل ذلك المتسول الذي أعطوه كثيرا من لحم الأضحية فاعتقد أن الأضحية بقرة ، دون أن يعرف أنه هكذا يكون عطاء الملوك .

(717 - 725) : إن مزاولة سليمان للملوكية هي في هذا القبيل ، إنه ملك في المجاز والحقيقة ، ومن ثم فعطاؤه هو عطاء الملوك الحقيقيين إنه يدعو بلقيس وكل من عندها أن يغترفوا من بحر الجود ، إنه يدعوهم إلى عطاء الجنة . . . يدعوها لتطلب ويدعو من لا يطلب لكي يضم طلبه إلى طلبها . . . هكذا فأساس العطاء الطلب . . . ادعوني استجيب لكم . . . لا تستكبر عن الدعاء (الطلب) لكي يكون الفتوح .

(726 - 730) : ليست بلقيس ببدع في الملوك الذين تركوا الملك السوري من أجل الملك الحقيقي . . . فكثيرون هم الذين أشرقت عليهم هذه اللحظة فبدلتهم تماما ودلتهم على الطريق . . . وكما يكون في الأنبياء . . . يكون في الأولياء وها هو إبراهيم بن أدهم مثال حي على أولئك الذين تركوا العرش المجازي في سبيل العرش الحقيقي ليس هذا فحسب فقد يجلس أحدهم ينظر خلفه عبر رحلة عمره ،

فيرى أنه قد أفنى هذا العمر في سبيل أن يكسب الدنيا ، وها هو في سبيله إلى الخروج منها كما دخلها عاريا ، فلا هو اكتسبها ولا هو اكتسب نفسه ، عشرات النماذج تقدمها سير الصوفية في هذا المجال بحيث لا يكاد يوجد صوفي واحد لم يخبر الدنيا قبل أن يسلك طريق الآخرة ، بل عاش معظمهم في حضيضها ، فقد كان منهم قاطع الطريق والغانية والغارق في الفجور حتى أذنيه ، درس تقدمه سير الصوفية ، إن جوهر الإنسان يظل غاليا مهما تمرغ في الطين ، ويستطيع

بعد هذا التدهور ، ونسيان الأصل أن ينطلق من هذا الطين فإذا بالنفخة الإلهية ترفعه إلى آفاق لم تصل إليها الملائكة . . وإبراهيم بن أدهم مثال حي ، كان على كرسي الإمارة . . أي أن الدنيا كانت ملك يمينه والسبب هداية إلهية تأتي عبر حكاية غير متصورة ، وحادثة غير عقلانية فما الذي يوصل أولئك الذين يبحثون عن الجمل إلى سطوح دار الإمارة ؟ !! وهل يبحث الإنسان عن بعير ضال فوق سطوح دار الإمارة ؟ ! نعم . . إنه تماما كمن يبحث عن الحقيقة الإلهية وهه وفوق كرسي الإمارة (انظر تذكرة الأولياء للقطار ج 1 ص 88) ويلق شمس الدين التبريزي : هذا ما كان فحسب ومضى والقلوب في أثره !! (مقالات ص 27) .

(730 - 744) : كما لا يأتي الأمن من الحرس ، بل يتأتى من العدل ، فإن طرب ابن آدم لم يكن يتأتى من أصوات الصنج والرباب ومن ذوات الأوتار ، بل لأن هذا الطرب هو شوق إلى الخطاب الإلهي « فقد كانت هذه الأصوات موجودة في الجنة يستمع إليها آدم ونحن من أبنائه فيؤثر فينا إذن هذه الأصوات وذلك الشوق الكامن في كل منا إلى الجنة أو إلى الخطاب الإلهي ألسنت بربكم » . .

ثم انظر إلى جلال الدين وهو يشبه صوت المزمار بالأنين وقرع الطبول بالتهديد (لا يزال الموسيقيون الكبار يعبرون بالآلات الإيقاعية ومن أهمها الطبول عن ضربات القدر أو هزيم الرعد أو البعث . . ومثلها مثلا السيمفونية السابعة لبيتهوفن المسماة بالإيقاعية) ويرى مولانا جلال الدين : أن هذا الحزن والتهديد لأنها صورة من الناقور الكلى « إشارة إلى الآية الكريمة » فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ (المدثر : 28)

والفكرة كلها كما ذكر نيكلسون مأخوذة من آراء فيثاغورث ومنه اتخذت سبيلها إلى أعمال فلاسفة الإسلام في رسائل إخوان الصفا ، ويواصل مولانا جلال الدين : من هنا قال الحكماء (والمقصود فيثاغورث) أنهم أخذوا ألعانهم من مقامات وسبعة أصوات وأربعة وعشرين شعبة وثمانية وأربعين تركيب ، فالمقامات مقابلة للأبراج والأصوات

للكواكب السيارة والشعبة للساعات والتراكيب لجمعات السنة (مولوى 4 / 103 انقروى 4 / 147) والخلق يحاكون هذه الحركات سواء بالموسيقى أو بالغناء ، هذا ما يقوله الحكماء ، أما ما يقوله المؤمنون فهو أن هذه الألحان هي آثار أصوات أشجار الجنة وأنهار وجدرانها فهي التي تجعل كل قبيح لطيفا حسنا مقبولا . .

ونحن جميعاً من آدم سمعنا كل هذه الأصوات في الجنة ولا زلنا نشتاق إليها . . . نشتاق إلى خطاب اللطف الإلهي «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» والشوق إلى الخطاب هو الشوق إلى يوم أَلَسْتُ يوم أقرت النطف في الأصلاب بالربوبية كما فسرها مولانا نفسه (أتدري ما هو السماع ، إنه الاستماع إلى قوله بلى . . . وهو الانقطاع عن النفس والاتصال به (استعلامى 4 / 229) .

لكن شتان بين هذه الألحان في أصولها الطاهرة وبين صورتها الإنسانية تمتزج الروح الطاهرة بالجسد النجس وتختلط على هذه الموسيقى برغائبنا وشهواتنا - وفي كليات شمس التبريزي يقول مولانا في إحدى الغزليات : إن علم الموسيقى هذا علم كأنه شهادة ، ولما كنت مؤمناً فإنني أتوق إلى الإيمان والشهادة (غزل 457 ص 210) -

كما يختلط الماء العذب بالبول فيفقد عذوبته وطهر يختلط طهر الموسيقى بدنس الجسد ، لكن الماء صار نجساً فإنه يستطيع أيضاً أن يطفى نيران الهموم ، فكذاك الموسيقى والمعشوق الأوح لا يمكن أن تطفى ناره هذه الموسيقى لكن السماع هو مدار العاشقين ، إذ أن « خيال » أو « ظن » اللقاء بالمحبيب يمكن في هذا السماع ، إنه مجرد شاهد للرغبة أياً كانت هذه الرغبة فإذا كانت رغبة في الدنيا اشتدت وإذا كانت رغبة في الآخرة اشتدت ، فالموسيقى والسماع إذن في رأى مولانا جلال الدين تحرك في الإنسان ما في داخله هو « وفي تعليق آخر نقله الأفلاكى (1 / 431 - 432)

« سئل مولانا لماذا تفرع الطبول وتندق النقارات أيام الأعياء قال : إن الطبل من أجل الأذان الثقيلة حتى تنتبه من غفلتها وتستعد للعيد وهذا المعنى مأخوذ من نقر

صور القيامة وطبل يوم العرض فهي لبعضهم عيد ولبعضهم وعيد ، والعاشق إنما يجد لذة العشق في مجرد توهمه اللقاء بالمعشوق .
« فمن على سمعي بلن منعت أن أراك فمن قبلي لغيرى لذت » تماما كقصة من كان يلقي بالجوز في الماء .

(745 - 759) : لم يورد فروزانفر هذه الحكاية في كتابه عن مصادر قصص المثنوى ، وقد وردت رواية أخرى للحكاية في الكتاب الثاني من كتب المثنوى

(الأبيات 1196 - 1212) كان يقف على الجدار الذي يحجزه عن الماء . . . وكان يقتلع منه الطوب ويلقى في الماء فيسر بصوت سماع الماء من ناحية . . . ويسرع في إزالة الجدار من ناحية أخرى . لقد كان ذلك الرجل فوق شجرة الجوز يلقي بثمارها في الماء الذي يجري أسفلها في عمق وها هو ذلك العاقل الذي يقيس كل الأمور بعقله ، يعذله . . ما هذا الذي يقوم به ؟ !
يفقد الجوز ويزداد ظمأ إذ أن الماء يزداد ابتعادا لكن من الذي قال : إن الظمآن مراده الماء ؟ !

إنه إذا ظمأ إلى الماء لم يكن هذا الماء في متناول يده ، وإنما يكفيه أن يرى حباب الماء أن يسمع مجرد صوت الجوز في الماء نعم إنه الخيال والتصور فالظن الذي يبني به الإنسان عالما خاصا به ، يجد فيه العزاء عن هذا الحرمان الذي يحيط به ، وأي حرمان أقبح من أن يحرم الإنسان الجنة ؟
وما الذي يهدف إليه الظمآن في هذه الدنيا إلا أن يطوف دائما حول حوض الماء إنه يجده من صوت الماء ؟

ومن خريز الماء - تماما كالحاج الذي يود أن يطوف حول الكعبة - وهكذا أيضا وانظر إلى جلال الدين في بعض تفسيره للعمل الأدبي والفنى يكون هذا المثنوى . إنه مجرد تعبير عن المقصود ، هو أنت يا حسن حسام الدين . .
إنه أنت الذي يجعل هذا المثنوى ينطلق من فمي ، ومن خيالي ومن وجداني أقدم هذا البناء الفنى العظيم الجدير بهذا الحرمان العظيم ، وقد يتساءل سائل هل من الممكن أن يكون هذا الأمر كما يعبر عنه جلال الدين . . أياكون ديوان شمس الدين التبريزي كله من أجل شمس الدين

والمثنوى بكل ما فيه من أجل حسن حسام الدين ويقدم جعفري ثلاثة احتمالات لهذا الموضوع : - الاحتمال الأول : إن الحالة النفسية لمولانا جلال الدين كانت تدفعه إلى أن يركز عالمه الذاتي الداخلي على نقطة معينة . . . يجعل نقطة محسوسة كجسر من الحقائق والصور التي يقدمها . . وبين عالم الوجود .

الاحتمال الثاني : إنه لم يقصد بشمس الدين أو بحسن حسام الدين شخصين محددين بهذا الاسم . . بل كل السائرين في طريق الحقيقة والذين يرون فيه مصدر نجاتهم ومرشدتهم ودليلهم إلى العالم الروحي العظيم .

الاحتمال الثالث : أن مولانا كان يرى في حسن حسام الدين المريد القادر على مواصلة الطريق والزهرة التي تبعث فيه التغريد فإن أرواح أولياء الله جديرة بالعشق الروحي (جعفري 9 / 562 - 563) وأضيف أن كثيرا من المعلمين والأساتذة يرون في طالب معين من بين طلابهم مقدرة على سماعهم وتلقى أفكارهم فيكون بمثابة الملهم والجاذب لفكرهم ولأعظم ما فيهم . . الملهم موجود في التراث الإسلامي . . لكن منذ أن ابتلينا بغزو الثقافة الغربية . . أصبح الملهم لا بد وأن يكون ملهمة وإلا فالويل كل الويل والالتهامات بالشذوذ الجنسي (التفصيلات أكثر حول هذا المعنى انظر الكتاب الثالث شروح أبيات المقدمة الشعرية) إنه النبات الذي زرعت أنت بذرتة . . تنمو أزهارها وتنبتق بملازمتك أنت ، إنما أحب من أفاضه أن أسمعها منك ، فإن صوتك هذا متصل بالأنوار الإلهية تنصب على هذه الأنوار الإلهية من هذا الصوت الذي يبدو في الظاهر صوتك . . ويجعل هذا المثنوى ينبثق بالرياضة والزهور .

(760 - 764) : نعم هناك اتصال بلا تكيف ولا قياس ولا بشكل من الأشكال المصورة لرب الناس مع الناس « فإن روح المؤمن لأشد اتصالا

بروح الله من اتصال شعاع الشمس بالشمس (حديث نبوي) كما قال - صلى الله عليه وسلم : « ذهب الناس وبقي النسناس ، والناس كإبل مائة لا تجد منها راحلة وكما عبر نظامي عن هذا المعنى : إن من تراهم ليسوا كلهم بالبشر ، أغلبهم ثيران وحمير بلا ذبول لقد سلبت المعرفة من البشر فلم يعد هناك بشر موجودين (أنقروى 4 / 155) ، الأدميين ، الأناسى - ولم أقل جنس النسناس الذي يشبه البشر في الشكل وليس ببشر ، أولئك الذي لهم صور البشر وأجساد البشر ينقرون كما ينقر الطائر ويرعون كما ترعى البهائم (سبزوارى 4 / 278) ليس البشر إلا أولئك العارفين من أصحاب الأرواح التي تعرف روح الروح . .

الناس هم البشر وأين إنسان واحد ، « لقد كان الشيخ يطوف بالأمس بمصباحه في المدينة قائلاً أبحث عن انسان . . أبحث عن إنسان كأسد الله وكرستم بن دستان . فقد ضاق صدري من هؤلاء الرفاق المخنثين . . الذين يتشدقون بالرجولة وما هو بالرجال . . حقيقة إنه يبحث عما لا يوجد ولكن البحث عما لا يوجد هو نهجنا الذي نسير عليه

(كليات ديوان شمس الدين التبريزي غزل 441 ص 203) إنك لم تر إنساناً واحداً ذلك لأنك ذيل من الذبول (ترجمها الانقروى لم تر إنساناً لحظة (4 / 155) ولا شك إنه خطأ لأن « مردم » في الشطرة الأولى مضمومة الدال ولا بد أن تكون « دم » مضمومة الدال وليست مفتوحتها وهي بمعنى ذيل) ولأنك ذيل تسير خلف العوام والسوقة والرعاع فإنك لا تستطيع أن تعرف الرؤوس أي الأولياء الذين يعرفون الناس . .

إن كل هذا الاتصال بين رب الناس والناس يتجلى في الآية الكريمة « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » لقد تجلى الله على عبده بصفة من صفاته فظهر عليه فعل هذه الصفة . تجلى على عيسى عليه السلام بصفة الإحياء وتجلى على محمد عليه السلام بصفة القدرة (مولوى 4 / 107) فترك الجسم من أجل الروح . . أترك ملك الجسم من أجل الروح كما فعلت بلقيس من أجل سليمان النبي .

(765 - 770) : يخاطب مولانا مستمعا وهميا يتصور أنه ينكر عليه هذا الحديث ، إنه يستعيز بالله منه ويلجأ إلى الله من خيالاته التي تنكر عليه ما يقول ولا نستطيع أن تستوعب هذه الإفاضات ، وما ذلك الإنكار إلا من خياله الفاسد وظنونه الحمقاء . . .
 إنني ألجأ إلى الله تعالى وأستعيز به لأنه في مثل هذه المواقف لا يملك الإنسان إلا أن يلجأ إلى الله تعالى فإنما يكون فهم كل إنسان بقدر همته ، ورب قارىء للقرآن لم يفهم فيه سوى الحرف ، وألم يقل أبو جهل إنه أساطير الأولين (انظر الكتاب الثالث شروح أبيات 4385 وما بعدها) فما دام حديثي قد وقف في حلقك لأن هذا الحلق لا يتسع لهذه اللقمة فلا صمت أنا . . .

وهات أنت ما عندك ، وحدثنا لا فض فوك بما تعلم أنت فما نحن كلنا آذان صاغية . . .
 ما دام الفم لا يستطيع أن ينفخ في النادي جيدا . . .
 فانفخى أيتها المؤخرة وهذه الطريفة واردة في مقالات شمس تبريز (ص 52) انظر كيف هبط مولانا في الحديث لكن هذا الهبوط في الحديث عند كبار شعراء الصوفية كان يحدث عندما يكون المخاطب من هذا القبيل « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » لكن داخل هذا الهزل يكمن التعليم فالعارف هو في البداية معلم قد يلجأ داخل درسه إلى فكاهاة قد توصل إلى طلابه ما لم يستطع الجد أن يوصله . . .

وها هو الحكيم سنائي رغم جهامته الشديدة يهزل أحيانا . . . لكن حذار من اعتباره هزلا . . . إنه توحيد . . . بل وقال مولانا جلال الدين في موضع آخر : إن بيت شعري ليس بيتا إنه إقليم كما أن هزلى ليس هزلا إنه تعليم (مولوى 4 / 108) .

(771 - 780) : يحدثنا مولانا جلال الدين عن الأدب ، ليس المقصود بالطبع الأدب المكتوب بل بمعناه الأخلاقي كعماد من عمد الطريقة ، فالأدب ليس إلا تحمل عديم الأدب ، بهذا تغلق أبواب عديده من الجدل ، ومن التلاحى ، ومن التعصب ، ومن ثم فإن كل شكاء من سوء خلق الناس لا بد وأن يكون هو نفسه

سوء الخلق ، فهو يشكو بدلا من أن يصبر ، لكن شكوى الشيخ مختلفة . إنها ليست غضبا ولا جدلا ولا هوى ، إنها من أمر الله تماما كأنها شكوى الأنبياء ، وإلا فهل يمكن أن نتصور نبيا لا يتحمل ، لا . . .

إنه في الحقيقة أكثر تحملا من الجبل ، أن يصدر ما يدل على الضعف من نبي تركيز على جانبه البشري وتقريب له من أتباعه ، وإصلاح لأرواح قومه ، فهيا يا سليمان يا حسن حسام الدين ، كن مثالا على حلم الحق وتواءم مع الغربان « الوقحاء » أو الصقور (الشرفاء) من الناس . .

فإن كثيرا من أولئك المستعدين للدخول في الطريقة والمهيأين للإيمان كما هيئت بلقيس للإيمان بسليمان عليه السلام . هيا اقتد بالرسول - صلى الله عليه وسلم : - وقل اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون ولا تدع عليهم .

(781 - 797) : عودة إلى قصة سليمان عليه السلام وبلقيس ، وها هو خطاب سليمان في التحذير من مغبة الكفر والعناد وعقاب الابتعاد عن طريق الإيمان ، حيث يفقد المرء توازنه ، ويكون صاحب السلطان بلا سلطان ، ينقلب عليه صاحب بابه ، يأتيه الموت من حرسه ، ويكون مساعده خصما له ، يكون كجسد أعضائه كلها في حرب ، فإن هذا الذي جعل أساسا للتناسق بين كافة عناصر الكون ، وبين كل جوانب الإنسان قد غاب وإن غاب يتفتت الوجود الإنساني ، يكون كل جانب من جوانب الإنسان في حرب مع الجانب الآخر ، يعتريه القلق والاكتئاب ، يحس بأن حياته لا نفع فيها ، تستعبده الطواغيث ، ثم يؤخذ أخذ عزيز مقتدر من جند الله ، تريد أن تعرفي جند الله يا بلقيس ؟ !

إنها الرياح التي اقتلعت قوم عاد ، والطوفان الذي أغرق قوم نوح ، والبحر الذي انشق لقوم فرعون ، والأرض التي ساخت بقارون ، والطير الأبابيل التي دقت الفيل ومزقته إربا والبعوضة التي أهلك النمرود ، والحجر الذي ألقاه داود فتشقق

إلى ثلاثمائة قطعة وأهلك جند جالوت ، وهذه الحجارة التي أمطر بها قوم لوط حتى غرقوا في المياه السوداء ، وكثير غيرها مما تظنونها جمادا لكنها كانت من جند الأنبياء (انظر الروح الجمادية وتسبيحها الكتاب الثالث أبيات 1008 وما بعدها) ولو تحدثت فيها لطال الحديث ولو شاء الله لأمر أعضاء جسدك نفسها بتأديبك إنها تطيعك أنت نفاقا ، ولكن طاعتها الحقيقية لله تعالى فلو أمر عينك بتعذيبك لرمدت وأدبتك ، ولو أمر أسنانك بتهذيبك لتألبت عليك وسلبت من عينك النوم . وافتح كتب الطب وأقرأ أبواب العلل . . وإذا كان الحق سبحانه وتعالى هو روح الروح فكيف يمكن أن تكون العداوة مع روح الروح من السهولة بمكان ناهيك عن عسكره من الجن والإنس .

(798 - 805) : هيا يا بلقيس أتركي ملكك في البداية وإن تركت هذا الملك فقد وجدت الملك الحقيقي الذي لا ملك بعده ، سوف تعلمين أنت نفسك بمجرد أن تلحقى بي إنك كنت مجرد صورة جميلة لكن لا روح فيها ولا حياة مثل تلك الصور والنقوش التي تصور على جدران الحمامات :
لا آدم في الكون ولا إبليس * لا عرش سليمان ولا بلقيس
الكل عباده وأنت المعنى * يا من هو للقلوب مغناطيس
(سبزواري 4 / 279)

وماذا تعنى صورتك أيا كانت الصورة دون تلك الروح ينفخها فيها ، إن زينتها ليست لها بل لغيرها ، إن تلك الصورة تفتح عينا لا ترى ، وفما لا يتحدث ، لقد فقدت نفسك جدلا وعصيانا فجعلت من نفسك مجرد شئ مع آخرين لا وجود له دون وجود آخرين وإلا فهل تستطيعين أن تؤكدى على أن هذه الصورة التي ترين أنها هي أنت . . هي أنت بالفعل ؟ !

إنها مجرد حالة من حالاتك . . وهذا ليس إحساسك الحقيقي بل إن ما تحسین به هو ما يوحى به

إليك أتباعك من حولك وإلا فإنك لو ابتعدت عنهم لحظة واحدة لأحسست بالحزن وليس الحزن إلا لأنك وأنت بعيدة عنهم لا تشعرين أدنى شعور بذاتك لأن هذه الذات خاوية ، ذلك النموذج الإنساني الموجود في كل عصر وكل زمان ، إن وجوده فارغ ، يجب دائما أن يملأ بالآخرين أما أصحاب الوجود الثرى الغنى فما يغنيهم الناس وكل منهم « عالم على قدمين » أما أصحاب الصورة أولئك الذين حرموا في الحقيقة فإنهم دائما ما يدورون حول أنفسهم .

(806 - 811) : إن من يكون قائما بذاته ، ليس كالقشة مدفوعا بكل ريح لا يقر له قرار ، يكون جوهرًا ، والجوهر ثابت الخاصية ، أما ما يكون فرعا لهذا الجوهر فإنما يكون عرضا لا بقاء له ولا ثبات ، يكون وجوده معتمدا على وجود العرض إن زال زال ، والباقي بشئ يكون بقاءه بهذا الشئ ، وزواله بزوال هذا الشئ . فلماذا لا يكون ثباتك بالحي الذي لا يموت وبالباقي الذي لا يزول ؟ !!
 إنك إذا اعتمدت على سلطان فسلطانك هالك ، أو على جاه فجاهك إلى نهاية ، أو على مال فمالك إلى نفاد ، « وكل شئ هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون » وأنت في النهاية ابن آدم فيك كل ما في آدم ، فكن عبدا كآدم ، واعترف بالعبودية لله وحده وإياك أن تسأل : أين أنا من آدم . . إنه نبي وأنا مجرد إنسان . .
 لا ليس الأمر هكذا ، فإن أقل القليل من الشئ يحتوى على خاصية الكثير جدا ممن هذا الشئ . .

فما الذي يوجد في ماء البحر ولا يوجد في القدر ؟
 وما الذي يوجد في الدار غير الذي يوجد في المدينة ؟ !
 بل إن العكس هو الصحيح .
 إن هذه الدنيا بأجمعها هي القدر والبحر العباب هو قلب الإنسان هو المدينة العجيبة التي تسع الحقيقة الإلهية التي لا تسعها أرض وسماء ؟
 فالزم عجائب مدينة القلب ، وسح في هذه المدينة ترى عجا .

(812 - 829) : عودة إلى خطاب سليمان عليه السلام إلى بلقيس ، ها هو يعيد لها أنه يدعوها إلى الإيمان دعوة خالصة لله تعالى ، ولا دعوة تكون مخصصة إلا إذا كانت لله تعالى ، لا لغرض فيها ، ولا لشهوة إلى جمالها ، ولا لطمع في حسننها ، فكل هذه أصنام جاهلية يرتفع عنها المؤمن فما بالك بالنبى الذي هو سليل محطم الأصنام ، الأصنام هي التي تسجد له ، ولو حدث ودخل أحمد عليه السلام وأبو جهل إلى معبد الأصنام لكان هناك اختلاف كبير بين دخول ودخول ، فسوف يسجد أبو جهل للأصنام

بينما تسجد الأصنام كلها لمحمد عليه السلام كما حدث بالفعل (المولوي 4 / 115) وهذه الشهوات التي تسكن جسد الإنسان إنما هي على مثال معبد الأصنام . . يستوى في وجود هذه الشهوات الأنبياء والكفار ، فليس الأنبياء مبرأون من وجود الشهوة ، فهم بشر من خلقه سبحانه وتعالى ، لكن الشهوة تحت سيطرتهم ، فهم كالذهب النضار مهما تعرض للنار يزداد لمعانا ، بينما الكفار كالزيف ، يسود إن تعرض للنار ،

فلا تنظر إلى ملوك الدين على أنهم هم الآخرون مخلوقون من الطين ، وقد ركبت فيهم الشهوة ، فقد كانت هذه نظرة إبليس إلى آدم ، لم يكن في نظر سوى مجرد مخلوق من طين ، لم ينظر إلى ما تفوق به عليه أي نبوته وعلمه ، وهكذا تكون نظرة العوام إلى الأولياء إنهم مجرد بشر وأنهم كلهم سواء ، ولا ينظرون إلى النور الذي اختصوا به لعظيم مجاهداتهم وارتفاعاتهم على بشريتهم ، هيا انهضى يا بلقيس ودعك من هذا الملك كما فعل إبراهيم بن أدهم ، والخطاب هنا بالطبع لمولانا جلال الدين وليس لسليمان عليه السلام ، على أساس أنه لم يوجد في عالم الأنبياء ما حرم منه عالم الأولياء ، وأن الولاية في أوانها تقوم بما كانت النبوة تقوم به في أوانها وعلى أن المؤمنين كلهم جسد واحد .

(835 - 839) : بعد أن يقص مولانا جلال الدين قصة توبة إبراهيم بن أدهم كما وردت في كتب الصوفية ، يقول إنه اختفى بعدها ولم يره أحد نعم لقد اختفى كما يختفى الجن عن عيون البشر ، ولكن هذا لا يعنى أنه لم يكن موجودا ، وإنه ليس موجودا إنه اختفى لأن معناه قد خفى على الخلق ، فالناس لا يرون إلا اللحية والخرقة ، وما دام إبراهيم بن أدهم لم يكن يهتم بلحية أو خرقة ، ولما غاب إبراهيم بن أدهم عن نفسه وعن ملكه وعن مظاهر ملوكيته وغاب عن أعين الخلق ، أصبح مشهورا بين الخلق كعقلاء جبل قاف التي لم يرها أحد ، لكنها أكثر شهرة من كل ما يمر به الناس كل يوم ويرونه أمام أعينهم ، إن كل الطيور (الأولياء) تهفو عليها وترفوف بأجنحتها شوقا إليها .

(840 - 842) : لقد وصلت رسالة مشرق الهداية إلى سبأ ، فأحيت النفوس الميتة ، وأخرجت موتى الجسد من قبورهم ، وأخلت أرواحهم من قبور الأجساد ، أخذ كل منهم يبشر الآخر بأن البشرى قد وصلت من السماء ، هذا النداء يحيى النفوس كما يحيى المطر موات الأرض ويجعل القلوب تورق بأوراق الإيمان وثمار اليقين ، لقد كان هذا النداء من سليمان عليه وسلم كنفع إسرافيل في الصور جعل الموتى جميعا ينهضون من قبورهم . . ولتكن لك أيها المستمع سعادة كتلك التي مست أهل سبأ وأحيت موات قلوبهم ونفوسهم ، وأن تقبل رسالة سليمان عصرك وأونك . . أي المرشد الشيخ الذي يقوم في أوانه يما كان يقوم به سليمان في أوانه .

(845 - 859) : إن سبأ ليست سوى تلك الأرض التي مسها العشق الإلهي فبدلها وأحيها ، ومن ثم فإن مولانا مع عزمه على أن يتم القصة يعود إليها بوجد شديد كما يعود الصبا إلى مزرعة الشقائق ، وعندما يكون مولانا في

حال الوجد ، فإنه ينطلق بشعر عربى ، لقد التقت الأجساد بأرواحها وها هي أمة
العشق الخفي ، لها السقيا دائما ، ولها البقاء فإن من عاش بالعشق لا يموت أبدا ، إن
هذا النفس هو الذي رد يعقوب بصيرا وهل هناك من مرشد كامل جدير بأن يوجه
رسائل العشاق مثل سليمان عليه السلام ، لقد علم عليه السلام بنطق الطير ، وما
الطيور التي يتحدث عنها مولانا هنا إلا أنواع من البشر تحدث إلى المؤمن بالجبر أن
الجبر لا يعنى اسقاط التكليف ، وحدث كسيرى القلوب عن الصبر ، وحدث من اختار
العزلة عن جبل قاف ، وحدث الضعفاء كالحمام بالاحتراز من الحكام الأقوياء حتى لا
يجوروا عليهم بمخالب غضبهم وطغيانهم ، واجعل ذلك الخفاش الذي أنتلف بالظلمة
وعاش فيها واستسلم لها قرينا قليلا لشئ من النور ، وعلم أولئك الذين يحيون
الخصومة ويعيشون عليها مزايا العيش في سلام ، وعلم أولئك المستغفرين بالأسفار
علامات الصبح الصادق . .

وهكذا فافعل مع كل الطيور من الهدهد إلى العقاب . . خاطب كل طائر بما يليق به ،
ودل كل طائر إلى عالم العشاق الأزلي بما هو جدير به من لغة ، وبما يفهمه من بيان ،
فعالم العشاق قابل لكل لون : الضعيف والقوى والمجادل والمسالمة ، والظلماني
والنوراني إنه عالم اللون الواحد وخاصة إذا عرف الطريق إليه .

(860 - 868) : إنك تستطيع أيها الولي أن تخاطب كل إنسان على قدر عقله ، وأن
تجد مدخلا إليه مما يهمه ، وأن تدق على الوتر الحساس عنده لكن هناك ممن يكون الله
قد ختم على قلبه وعلى سمعه وعلى بصره ، فهو لا يستطيع أن يتقبل الرسالة اللهم إذا
أسلم نفسه تماما للوحي وللولي كالميت بين يدي الغسال » ، حينئذ يستطيع أن يرد
عليه سمعه وبصره وقلبه . . ثم يعود إلى قصة بلقيس لقد وجدت الرسالة صدى في
قلب بلقيس ، فبطل كل ما كان أمامها ، تجلت لها حياتها السابقة بما لا يبعث إلا الندم
والخزي ، وتدنت قيمة كل ما في

حياتها عند قبولها الرسالة ، لا بل أدركت قيمتها الحقيقة ، متاع الدنيا ، ومتاع الدنيا قليل وهكذا يكون العشق الإلهي ، يجعل كل ما تراه في الدنيا غير ذي قيمة وغير ذي موضوع ، وهذه هي قيمته الحقيقية ، وإنما يجليها العشق . . وهذا هو ارتباط العشق بالحرف الأول من الشهادة « لا » نفى لكل شئ وسلب لكل شئ ، هي غيرة على الحقيقة الإلهية من كل شئ هذه هي الشهادة أيها السيد السند الجدير بهذه الأقوال ، هي التي تبدى لك محبوبك في سواد القدر حتى لو كان قمرا .

(869 - 879) : يتجلى اتجاه مولانا جلال الدين الإنسانى في هذه الأبيات حقيقة أن كل إنسان يستطيع إذا قدر له وإذا تيسر له مرشد حاذق ، أن ينظر هذه النظرة إلى كل ما يحبه من أمور الدنيا ، لكن تبقى بعض الأشياء يكون من الصعب على المرء أن يتحمل فراقها أو التخلي عنها ، قد تكون شيئا صغيرا وقد تكون شيئا كبيرا . . وكل أشياء الدنيا صغيرة إلى جوار العشق الإلهي ، ومع ذلك فإن هذا الشئ الصغير يعز على المرء لارتباطه بأشياء معينة أو ربما لطول الألفة ، وهكذا فقد كان العرش عند بلقيس ، ليس العرش كرمز للسلطة ولكن العرش كعمل فنى ، كشئ ، وليس هذا ببعيد ، فإن المرء قد يألف قلما ما ويرتبط به ، لا لشئ إلا أنه مؤنس له ، إنه ليس من جنس الكاتب ، لكن المجانسة قد تحدث بين أشياء غير متجانسة ومتباينة ، إنه الميل ، ألفة القلب ، تعود العين ، طول العشرة .

(880 - 896) : وها هو سليمان عليه السلام ، فهم كنه هذه العلاقة بين بلقيس والعرش ، وقدرها بسليقته النبوية ، وأدرك أنه بالرغم من أن الحقيقة الإلهية ، والعشق الإلهي ، سوف تقضى على كل شئ عندها حتى العرش بعد

فترة وجيزة من الزمان ، فإن إطلالة واحدة من الروح تقضى على كل تعلقات البدن تماما كما يجعل الدر المستخرج من قعر البحر الزبد والقذى حقيرين ، ولا قيمة لهما ، إن محبة الدنيا أشبه بذنوب العقرب ، فذنوب العقرب يختفى في الشمس ، تماما كما تختفى محبة الدنيا عندما تطل شمس الحقيقة . كل هذا حقيقي وكان سليمان عليه السلام يعرف حق المعرفة ، لكنه كان يعرف أيضا الضعف الإنساني ، وأن ثمة وارد دنيوي واحد ، قد يؤخر الوصول إلى الحقيقة ، وقد يشوش فكر المريد ، ويعطل جمع خاطره ، وكان يريد أن يقدم للمريد العنيد درسا ، إنه يستطيع أن يلبي له احتياجاته الدنيوية أيضا في حدود المشروع مهما بدت مستحيلة ، فهو يريد أن يكون العرش إلى جوارها لتتذكر بها أيام ضلالها القديم ، وترى قدر نعمة الله عليها ، تماما كما كان إياز مملوك السلطان محمود الغزنوي المفصل يحتفظ بملابسه أيام الفقر في كوة مختفية بجناحه في قصر السلطان ، وكان يخرجها كل يوم ليتذكر أيام فقره وبؤسه ، حتى يعلم أين كان وإلى أين وصل (وردت القصة بالتفصيل في الكتاب الخامس أبيات 1857 وما بعدها) .

فلتعلم بلقيس أيضا في أي ابتلاء كانت ، وإلى أين وصلت بعد أن تداركتها رحمة الله . . وهكذا أنت أيضا أيها الإنسان . .

لم فخرك وقد كنت نطفة من منى يمنى ثم علقه ، ثم مضغة « ما لابن آدم واللفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قدرة »

أو كما قال تعالى في سورة المؤمنين « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلُقَةَ مِضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا » (المؤمنون : 14) .

وهكذا أنت أيها الإنسان : ألم تكن عاشقا لحالة كونك مضغة وعلقة ألم تكن تظن أنه لا حياة خارج هذا المضيق المسمى بالرحم ، ولا طعام سوى هذا الدم .

(انظر تفصيلات هذه الفكرة في الكتاب الثالث شروح أبيات 50 - 62) فلماذا لا

تؤمن أيضا بأن وراء نعيم الدنيا نعيما آخر ، وفوق أعظم لذاتها لذة أخرى لا تقل . .
ولا تفنى !! لقد كنت تنكر الوصول إلى المرتبة الإنسانية ،
فلماذا بعد أن وصلت إليها تنكر ما بعدها وتجده ؟ !
لماذا تظنها نهاية المطاف ؟ !

لماذا تنكر هذا على قدرة من صور من تراب بشرا سويا . .
نعم كنت تنكر أنذاك إذا لم يكن لك قلب أو روح ؟ ؟ ومجرد تحويلك من مرحلة
الجمادية إلى مرحلة الحيوانية حشر في ذاته فلماذا الحشر بعد مرحلة الإنسانية ،
(للمراحل وتفصيلاتها انظر الكتاب الثالث شروح أبيات 3901 - 3906) .

(898 - 902) : ما أشبهك وأنت تنكر الحشر بذلك الذي يدق عليه أحد بابه ، فيجيبه
بصوته إنه ليس موجودا ، كيف وجوابه في حد ذاته هو الدليل على وجوده ، وهكذا
فوجودك نفسه دليل على صدق ما تنكر ، وعلى أن الله يجعل الحي جمادا ومن الجماد
حياة ، وهكذا في حشر متوال . .

لقد خلق أباك من تراب وأخرجك بواسطته ثم تنكر الحشر « وما خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا
كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ » « وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كُلَّمَحٍ بِالْبَصْرِ » وكم من الصنائع الإلهية قد جرت
على الإنسان أيها المنكر . .

وإن كنت لا تزال تنكر فأقرأ « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً
مَّذْكُوراً ، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ
السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً » (الإنسان : 2 / 1)

وهكذا الإنسان المخلوق من الماء والطين ينكر كالمغفل ، يخبر عن عدم وجود ذاته
وهو داخل الدار ، فكيف تنكر وأنت نفسك الدليل على ما تنكره ، وإنكاره هنا هو عين
إقراره ، إنني أشرح هذه الفكرة بمائة طريق ، وأدق عليها كثيرا ، فهي بداية الأمر ،
ورأس الجهاد . .

لكنه أين الخاطر المتقيظ الذكي الذي يتقبل هذه المعاني ولا ينزلق منها ، ولا تنزلق
هي أيضا على وجوده ولا تستقر أو تثبت .

(903 - 907) : يناقش هنا الفرق بين السحر والنفخة الإلهية أو القدرة الإلهية فذلك العفريت الذي قال لسيدنا سليمان «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ هَذَا» (النمل : 39) يعتمد على السحر ، أما آصف بن برخيا وهو الذي تتفق التفاسير على أنه المقصود بالذي عنده علم من الكتاب «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» إن النفس المبارك المقتبس من الولي أو المرشد أقوى في فعله من السحر ، وما حدث هذا إلى لكي يعلم الجن أن النفس الرحماني الذي يستطيع سليمان عليه السلام أن يمنحه للبشر القابليين أقوى من قوة الجن وقوة السحر (محي الدين بن عربي فصوص الحكم ص 46) .

(908 - 914) : ها هو سليمان عليه السلام يخاطب عرش بلقيس بأنه مجرد شجرة منقوشة ، وكم خدعت هذه النقوش كثيرا من البشر فسجدوا إليها والساجد والمسجود كلاهما لا علم لهما بالروح ، كلاهما في مرحلة الجمادية ، لأن من يدعى أنه ذو روح ومع ذلك لا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة بتلك الروح ، فكأن لا فرق بينه وبين الجماد ، والعضو الذي لا يعمل كأنه غير موجود ، يضعف ويضعف حتى يتلاشى ، ومن هنا تسمع عن من مائت أرواحهم وأصبحت الدنيا كل همهم ومبلغ علمهم سخرية ممن يتحدثون عن الروح ، وهكذا فإن الكفرة عندما رأوا أثرا قليلا وحركة قليلة من الحجر خروا لها ساجدين ، وألم تكن ناقة صالح من الحجارة وعجل السامري من الذهب لمجرد أثر من الروح سجدوا لها فما بالك بالروح (سبزواري 4 / 282)

(سيرد هذا في القصة التالية) ، وهكذا فإنهم أبدوا خدمتهم بالعكس ، فبدلاً من أن تسجد الأصنام لهم . وربما كان وهما ، فإن الإنسان عندما يوجه عشقه واهتمامه إلى أي شيء حتى وإن كان حجراً ، ويقف في مواجهته مناجياً ، ويخيل إليه ويتوهم أن

هذا الحجر إنما يجيبه ويتوجه إليه بالحديث ، والصوفية أنفسهم يرون أن كل موجودات الكون تتحدث إليهم بكل لسان (جعفري 10 / 55 - 56) كما سجدت الأصنام عندما سمعت أسم النبي - صلى الله عليه وسلم - سجدوا هم لها ، لقد ظن الأشقياء أسد الحجارة أسدا حقيقية ، والأسد الحقيقي لأنه أسد حقيقي لا يزال يلقي بالعظام أمام هؤلاء الكلاب ، أجل فإن هذه العظام لا تساوى عنده شيئا حتى يجعلها لمن يحبونه فقط ولمن يعترفون به فحسب ، ولو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ، فإياك أن تظن أن الدنيا تعطى لمن رضي الله عنه فحسب ، إنما يؤخرهم ويملى لهم ويمد لهم في طغيانهم ، حتى إذا أخذهم كان أخذه عزيزا ، إن العطاء عنده لطف عام لا يفرق بين أحد خاصة تلك الدنيا التي يظنها أهلها ذات شأن وهي مجرد (عظام) عنده سبحانه وتعالى .

(915 - 964) : الإنسان يسجد للصنم لكن الصنم يسجد لخير البشر - محمد صلى الله عليه وسلم - بل يسجد لمجرد أن يسمع اسمه ، وهذا هو مولانا يفتتح الحكاية بقوله : إنه يقص حكاية عن حليلة ليذهب عن المستمع حزنا قد ألم به ، أي حزن ؟ ! إن المرید الذي يتميز بشفافية الباطن إنما يحس بالحزن عندما يرد ذكر الدنيا والتكالب عليها تكالب الكلاب حول الجيفة ، ومع ذلك فإنه عندما ينأى بنفسه عنها ، ينظر إليه هؤلاء باحتقار . .

أو أن يكون الحزن قد ألم بالمرید شوقا إلى هذا العالم الذي يتوق إليه . . وما أحراه أن يتعزى عندما يستمع إلى رواية من روايات معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين ، والرواية واردة بتفصيل لا بأس به في دلائل النبوة للبيهقي (ج - 1 ص 142 - 144 وطبقات ابن سعد ج 1 ص 70 وفي تفسير أبي الفتوح الرازي ج 5 / ص 546 - 547 انظر مأخذ

135 / 137) وفي الروايات أن حليلة السعدية رضي الله عنها تركت محمدا عليه السلام لبعض أمورها فعادت ولم تجده ، لكن مولانا بمذاقه الصوفي ، ولكن يذهب الحزن عن المريدين بمدحه للمصطفى - صلى الله عليه وسلم - ، يروى أن حليلة سمعت وهي في الحطيم من يتغنى بمدح المصطفى عليه السلام ، لقد سطعت عليك أيها الحطيم اليوم شمس شديدة العظمة . . لقد صرت اليوم منزلا للأرواح . . تأتئك أرواح الأنبياء والأولياء في موسم الحج ومواسم العمرة ، مليئة بالشوق ومفعمة بالعشق زمن العشق الإلهي على الأرض ، لقد أخذت حليلة رضي الله عنها تبحث عن مصدر الصوت فلما عادت لم تجد رببها في مكانه

ولأن هذه الأبيات تتفق أكثر مع رواية البيهقي دون تغيير يذكر نذكرها هنا « فقال الناس : رديه يا حليلة على جده عبد المطلب وأخرجيه من أمانتك قالت فعزمت على ذلك فسمعت مناديا ينادى هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والكمال ، فقد أمنت أن تخذلين أو تحزنين أبدا الأبدن ودهر الداهرين فقالت : فركبت أنا ناقتي وحملت النبي بين يدي ، أسير حتى أتيت الباب الأعظم من أبواب مكة وعليه جماعة ، فوضعت له لأقضى حاجة وأصلح شأني فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره ، فقلت : معاشر الناس أين الصبي ؟

قالوا أي الصبيان ؟ قلت : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي نضر الله به وجهي ، وأغنى عيالي ، وأشبع جوعتي ، رببته حتى إذا أدركت به سروري وأملى وأتيت به أردته وأخرج من أمانتي ، فاختلس من يدي من غير أن تمس قدميه الأرض ، واللات والعزى لئن لم أره لأرمين بنفسي من شاهق الجبل ، ولأتقطعن إربا إربا ، فقال الناس : إنا لنراك غائبة من الركبان ، ما معك محمد قالت الساعة كان بين أيديكم قالوا : ما رأينا شيئا ، فلما آيسوني وضعت يدي على رأسي فقلت :

وا محمداه ، واوالداه !!

أبكيت الجواري الأكار لبكائى وضح الناس معى بالبكاء حرقه لى ، فإذا أنا بشيخ كالفانى يرى متوكئا على عكار له ، قالت : فقال : مالى أراك أيتها السعدية تبكين وتضجين قالت فقلت فقدت ابني محمدا . قال لا تبكى ، أنا أدلك على من يعلم علمه وإن شاء أن يردده عليك فعل ؟ !

قالت : قلت دلنى عليه ، قال الصنم الأعظم : قالت : ثكلتك أمك كأنك لم تر ما نزل باللات والعزى فى الليلة التى ولد فيها محمد ؟

قال : إنك لتهذين ولا تدرين ماذا تقولين أنا أدخل عليه وأسأله أن يردده عليك قالت حليلة : فدخل وأنا أنظر ، فطاف بهبل سبعا وقبل رأسه ونادى يا سيداه ، لم تنزل منعما على قریش ، وهذه السعدية تزعم أن محمدا قد ضل قال فانكب هبل على وجهه ، فتساقطت الأصنام بعضها على بعض ، ونطقت - أو نطق منها - وقالت إليك عنا أيها الشيخ ، إنما هلاكنا على يدي محمد قالت : فأقبل الشيخ لأسنانه اصطكاك ولركبتيه ارتعاد ، وقد ألقى عكاره من يده وهو يبكى ويقول : يا حليلة لا تبكى فإن لابنك ربا لا يضيعه ، فاطلبيه على مهل .

قالت فخفت أن يبلغ الخبر عبد المطلب قبلى ، فقصدت قصده فلما نظر إلى قال : أسعد نزل بك أن نحوس ؟

قالت : قلت نعم ، بل نحس الأكبر ، ففهمها منى وقال : لعل ابنك قد ضل منك قالت : قلت نعم ، بعض قریش اغتاله فقتله ، فسل عبد المطلب سيفه وغضب ، وكان إذا غضب لم يثبت له أحد من شدة غضبه ، فنادى بأعلى صوته : يا يسيل وكانت دعوتهم فى الجاهلية ، فأجابته قریش بأجمعها ، فقالت : ما خطبك يا أبا الحارث ؟

فقال فقد ابني محمد ، فقالت قریش : اركب نركب معك فإن سبقت خيلا سبقنا معك ، وإن خضت بحرا خضنا معك قال : فركب ، وركبت معه قریش ، فأخذ على أعلى مكة وانحدر على أسفلها ، فلما أن لم ير شيئا ترك الناس وانتشع بثوب وارتدى بأخر وأقبل إلى البيت الحرام فطاف أسبوعا ثم أنشأ يقول :

يا رب إن محمدا لم يوجد * فجميع قومي كلهم متردد فسمعنا مناديا ينادى في جو الهواء : معاشر القوم ، لا تصيحوا فإن لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه فقال عبد المطلب : يا أيها الهاتف من لنا به : قالوا :
 بوادي تهامة عند شجرة اليمنى ، فأقبل عبد المطلب فلما صار في بعض الطريق تلقاه ورقة بن نوفل ، فصاروا جميعا فبيناهم كذلك إذا بالنبي صلى الله عليه وسلم - قائم تحت شجرة يجذب أغصانها يعبث بالورق فقال عبد المطلب :
 من أنت يا غلام ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال عبد المطلب فدتك نفسي ، وأنا جدك عبد المطلب ثم احتمله وعانقه ولثمه وضمه إلى صدره وجعل يبكي ، ثم حمله على قربوس سرجه ، ورده إلى مكة فاطمأنت قريش ، فلما أطمأن الناس ذبح الشاة والبقر ، وجعل طعاما وأطعم أهل مكة .

(970) فلما كان يوما من ذلك خرجوا يرعون بُهما لنا حول بيوتنا ، فلما انتصف النهار إذا أنا بابنى « ضمرة » يعدو فزعا وجبينه يرشح قد علاه البهر باكيا ينادى : يا أبت ، يا أبه ، ويا أمه ، الحقا أخي محمدا فما تلحقاه إلا ميتا ، قلت : وما قصته ؟ قال : بينما نحن قيام ننترامى ونلعب إذ أتاه أتاها رجل فاخطفه من أوسطنا ، وعلا به ذروة الجبل - ننظر إليه حتى شق صدره إلى عانته ، ولا أدري ما فعل به ، ولا أظنكما تلحقا به إلا ميتا قالت فأقبلت أنا وأبوه - تعنى زوجها - نسعى سعيا فإذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره إلى السماء يبتسم ويضحك فأكببت عليه ، وقبلت بين عينيهِ وقلت فدتك نفسي ، ما الذي دهاك ؟
 خيرا يا أمه ، بينما أنا الساعة قائم على إختي إذا أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم إبريق فضة وفي يد الثاني طستين من زمردة خضراء ملؤها ثلج ، فأخذوني فانطلقوا بي إلى ذروة الجبل ، فأضجعوني على الجبل إضجاعا لطيفا ثم شق صدري إلى عانتي ، وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما ، ثم أدخل يده في جوفي فأخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ، ثم أعادها

وقام الثاني فقال للأول تنح ، فقد أنجزت ما أمرك الله به ، فدنا منى فأدخل يده في جوفي ، فانتزع قلبي وشقه فأخرج منه نكتة سوداء مملوءة بالدم ، فرمى بها فقال هذا حظ الشيطان منك يا حبيب الله ، ثم حشاه بشئ كان معه ورده مكانه ، ثم ختمه بخاتم من نور فأنا الساعة أجد برد الخاتم في عروقي ومفاصلي ، وقام الثالث فقال : تنحيا فقد أنجزتما ما أمر الله فيه ثم دنا الثالث منى فأمر يده ما بين فوق صدري إلى منتهى عانتى فقال الملك زنوه بعشرة من أمته ، فوزنوني فرجحتهم ثم قال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجح بهم ، ثم أخذ بيدي فأنهضنى إنهاضا لطيفا فأكبوا على وقبلوا رأسي مما بين عيني ، وقالوا : يا حبيب الله إنك لن تراع ولو تدرى ما يراه بك من الخير لقرت عيناك ، وتركوني قاعدا في مكاني هذا ، ثم جعلوا يطيطرون حتى دخلوا حيال السماء وأنا أنظر إليهما ، ولو شئت لأريتكم موضع دخولهما . (البيهقي 1 / 140 - 141) .

(996 - 1016) هناك إضافات لمولانا على الرواية المذكورة في المصادر الأصلية العربية فيها هو النداء يأتي من داخل الكعبة بمديح للمصطفى صلى الله عليه وسلم يحتوى على أغلب ما تراه الصوفية فيه عليه السلام ، إن النداء الإلهي يصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه محفوظ من قبل الله تعالى بإقباله وبأفواج من الملائكة ، وهو صلى الله عليه وسلم - ذو ظاهر مشهود أمام العالم هو ظاهره البشري فهو عليه السلام بشر يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ويجلس على الأرض ولا يميز بشكل أو إشارة عن أحد من أصحابه ، لكن ما يحتويه باطنه من عجائب لا يستطيع أحد أن يدركها فلا يستطيع أحد أن يوفيه حقه من المدح ، إنه ذهبنا الإبريز وهذا الجسد الإنساني بالنسبة لنا كالذهب ، نجعله حيناً تاجاً على الرأس من علوه وعظم مقامه ، وحيناً آخر نجعله خلخالاً في القدم ، حيناً نعز به فنجعله حمائل سيف ، وحيناً نذل من دونه

فنجعله طوق أسد ، حيناً نجعله زينة للدنيا ، وأحياناً نجعل منه وسيلة للتقرب إلى الله تعالى ، هذا بالنسبة للإنسان العادي فما بالك الإنسان الذي هو محبوب لدينا والذي نحس بالحب نحوه ، نعم فإنه متصف بالرضا والتواضع ، ومن هنا فنحن نجعل منه ملكاً ، ونجعل منه عاشقاً لنا مدلهما في حبنا طائراً في ملكنا ،

وهو التراب (الإنسان) هو المخصوص بالعشق هو المخصوص بالجدل ، وهو المخصوص بالخلافة ، وهو الذي تواضع فرفع ، وهو وإن كان من التراب ظاهراً ، إلا أن باطنه ملئ بالنور ،

ولا يزال طينه ونوره في حرب وفي قتال يظن جسده أنه هو ، فيقول باطنه ، حسبك وأنظر أمامك وخلفك إلى الأجساد التي ذهبت وإلى الأجساد التي تأتي ، كلاهما ينكر الآخر الظاهر ينكر الباطن والباطن ينكر الظاهر ، لكن بالرغم من هذا الظاهر العبوس ، هناك الباطن الملى بالسرور والضحكات ،

ونحن كاشفو الأسرار نستطيع أن نخرج ما يخبؤه هذا التراب (الإنسان) من معجزات : معجزات في الفنون والآداب والفكر ، معجزات في التفوق على متطلبات الجسد والسمو عنها . أتدري بماذا ؟ ؟

بأن يتعرض لقدر من الابتلاء وقدر من الألم ، ومن ثم فإن الألم هو الذي يستطيع أن ينسى الإنسان هذا الجسد ، ويجعله يتنحى ليفسح للباطن ، والفكر بأن يخرج ما عنده ، وكان مولانا جلال الدين يرى أن الطريق إلى المعجزات الإنسانية إنما يتبع في البداية من معاناة الألم والمشقة ،

إن هذه الأنواع من التراب قد أبدت من جراء حبنا وتكريمنا وتسخيرنا كل شئ لها كثيراً من أنواع الفضل والعلم ، وما هذه الفضائل والعلوم إلا من قبل الإقرار بالفضل الإلهي والعطايا الربانية ، فالإبتلاء من الله تعالى لاستخراج جواهر الأخلاق الإنسانية من معادنها كما قال مولانا نجم الدين كبرى ،

وكما ورد في قوله تعالى : «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (سورة الكهف : 7) .

(1017 - 1029) إذا كانت هذه هي أنواع الفضل التي خصصنا بها البشر ، فما بالك بما خصصنا به صفوة البشر وسيد الخلق أجمعين ، لقد زاد على كل أولاد آدم ، زدته من محبتي وزدته من فضلي ، لقد ظهر من السماء والأرض (الأب والأم) مواليد كثيرة ، لكنهما لم يسعدا بأحد منها قدر سعادتهما بمحمد - صلى الله عليه وسلم - إن السماء لتتفتح والأرض تمتلئ بالأزهار والرياحين . . ثم يعود مولانا جلال الدين فيتحدث عن الإنسان عموماً ، ذلك المخلوق العجيب الذي يحتوى على كل المتناقضات ، فظاهره مع باطنه في نزاع ، وما هذا النزاع إلا من أجل أن يصل إلى الحق ، وأن يحقق مصداقية النفخة الإلهية ،

إنه يقاتل ما ركب في طبيعته من شهوات ونزوات ومطالب جسدية وهي ما رمز إليها مولانا جلال الدين بالألوان ، إنه ظلمة ونور ، ومن كان نوره وظلمته معا في قتال فإن شمس روحه لا تغرب أبداً لأن الله سبحانه وتعالى يمدّها بالنور الذي به يستطيع أن تهزم الظلمة ، إن كل من يعاني المحن في سبيل هذا الجهاد ، يجعل الله من السماء تحت قدميه حتى يصل إلى سدرة المنتهى

وهكذا أنت يا ابن آدم مهما كنت فقيراً مسكيناً متضرعاً من ناحية الجسد ، فإن عالم الروح وأصلك ملك واسع ورياض متفتحة مفعمة بالسرور الروحاني لقربك من الحق ،

وما هذا الوجه العبوس إلا هبة من الله تعالى حتى لا يقترب منك كل من يريد أن يشغلك عن هذا النور داخلك ، المشايخ كالفناذ داخل أشواقهم حتى لا يتجرأ كل عامي عليهم ويشوش أوقاتهم ،

إنهم كالحدايق التي تخفى خلف الأسوار الشركية التي تبعد اللصوص وأولئك الذين يتميزون بالجمال الظاهري والقبح الباطني الذين يقللون من كل سرور إلهي ومن كل رضا .

(1035 - 1040) : روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : إن قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور

وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال :
عليه السلام : فأهبطني الله الأرض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في
صلب إبراهيم عليه السلام ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة
حتى أخرجني من أبوى لم يلتقيا على سفاح قط . . .

وهذه الأنساب في حد ذاتها مجرد دريئة ، فإن الغرض من إيجاد كل من سبقوه في
عالم الحس هو ظهوره عليه السلام فهو زبدة الكائنات وخلافة الموجودات وعزة آبائه
إنما كانت بسببه ، وما كان فراره تحت الشجرة إلا ليستقبله أشراف قريش ويشهد عنه
ذلك ما رواه على عن وائلة أنه عليه السلام قال : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم
إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا
واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم (مولوى 4 / 141) .
وأي حاجة بها صلى الله عليه وسلم إلى النسب ، وهو أظهر وأصدق وأشرف من كل
نسب وروحه هي أول روح خلقت فهو أبو الأرواح لم تولد روحه من أحد كي ينتسب
إليه ، ونور الحق لا يمكن أن ينتسب إلى نسب ، ولا يبحث إنسان له عن أصل ،
وخلقة الله سبحانه وتعالى إلى نسب في حاجة إلى مادة نسيج وإلى خيوط ، وإن كل من
طلعت عليه من هذه الخليقة فإنها تجعله فوق شمس السماء ، فما بالك بروح رسول الله
وخير خلقه ؟ ؟

(1041 - 1044) الخطاب موجه إلى بلقيس أو النفس الأمارة بالسوء التي تجعل
الإنسان الأمير ابن الخليفة يقنع بالأسمال ، عودي يا بلقيس النفس إلى الملك الباقي ،
فإنك إن وصلت إلى ساحل البحر الإلهي ولم تقومي بالخوض فيه فلن يكون لك نصيب
من الدر الذي تلقيه أمواج بحر الحقيقة على الساحل أليس هؤلاء المريدون الذين لم
يخوضوا بعد في بحر الحقيقة يتلقون الدر من الشيخ ؟

هيا فإن إخوانك اللائي امن قبلك يسكن الجنان . .
فكيف تمارسين أنت السلطة على جيفة طلابها كلاب هيا فإخوانك من النفوس التي
أمنت سواء كانوا

ذكرانا أو إناثا لا تعلمين ما يخفى لهم من قرة أعين . . . فكيف أخذت تقرعين الطبول
مفاخرة بسلطنة تنتهى وملك يبلى على هذه المزبلة ومستوقد الحمام المسمى بالدنيا ؟ !

(1045 - 1064) مر شرح الآية الكريمة في الكتاب الثالث في شرح حكاية الدقوقي
، والحكاية نفسها وردت في الكتاب الثاني
(أنظر الأبيات 2362 - 2369 من الكتاب الثاني) والكلب الذي يهاجم العميان في
الحي وفي الطريق رمز لأولئك الذين يستخدمون قواهم الكلبية وتكالبهم على الدنيا
لإيذاء الناس واستضعاف الخلق بينما هناك من هم من جنسهم ويتشابهون معهم في
الخلقة لكنهم عرفوا لأنفسهم قدرها وأهموها بما هو جدير بها فكأنهم يصيدون حمر
الوحش في الجبال ولا يتجرأون على العميان في الطرقات -

ثم يخاطب مولانا هذا النوع من المخلوقات : دعك من هذا الاحتيال أيها الشيخ ، ، إن
من تحسبهم مريدك قد اجتمعوا حولك هم في الحقيقة جماعة من عميان القلب ظنوا
ماءك المالح الذي يزيدهم عطشا ماء إنك أشبه بمن يقول : هؤلاء هم المريدون لي
يجلسون حولى يشربون منى ويتحولون جميعا إلى عميان . .

وكم من الشيوخ من أمثال هذا الشيخ يوجدون في الدنيا ووجدوا فيها وسيظل هذا
النموذج من البشر موجودا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ترى أحدهم في كسوة
أهل العلم ، يحمل أعلى الألقاب العلمية ، شاخ في عمره لا في عقله ، تجمع حوله
جمع من المخدوعين فيقودهم إلى سراب .
هؤلاء الذين ليس لهم من المشيخة أو الأستاذية إلا هيأتها الظاهرة ، هؤلاء يفرخون
جهلا لا علما ، ويقودون إلى الضلال والنار حتى من كان منهم ذرب اللسان يلوك
بعض المقولات ذات الألفاظ الطنانة والرنانة ، هؤلاء هم شيوخ السوء الذين لم يأخذوا
العلم من لدن الحكيم الخبير ، وأخذوا علمهم من ميت عن ميت ، ،
إن أشباه هؤلاء الشيوخ كلاب الحارة يصيدون العميان ، بينما أسد الله في الجبال يصيد

الوحوش إنهم يثملون بصيدهم ، إنهم أسد تصيدا أسدا . . لقد تركوا الصيد وفنوا في عشق الحبيب ، إن هذا العشق هو الشبكة التي يصيدون فرانسهم القوية بها ، إنهم أشبه بالطيور الميتة التي يضعها الصياد في موقع الفخ فتتزل عليها الطيور من الجو ، وهذا الطير الفاني مضطر لا اختيار له ، إنه بين يدي الشيخ كالميت بيد يدي الغسال ترك قلبه بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء بين صفتي جماله وجلاله وقهره ولطفه (مولوى 4 / 144)

فإياك أن تعتبره طائرا ميتا وتشيح بالوجه عنه فإن هذا الطائر الميت هو قائدك إلى الحي الذي لا يموت ، إنه ليس ميتا وليس ميتة ، فمن مات بالعشق لم يمت أبدا . . . إنه متحرك بالله حي به منتعش بأنفاسه هذه هي الحركة الخالدة الباقية الصحيحة . . هذا الضعف البادى قوة هائلة جبارة تستطيع أن تقضى على العنقاء إن أبدت أي إعوجاج في الطريق . . إنه يخاطبك قائلا : لست بالميت إنني في كف المليك تحركني أصبعاه ، وإنما يدرك هذا من كان حيا بالفعل ومن كان عبدا لله لا عبدا لسواه من طواغيت الأرض .

(1065 - 1069) ما دام الحديث عن العشق فلا بد لجلال الدين أن ينطلق (عن العشق أيضا انظر الكتاب الثالث شروح الأبيات 3830 وما بعدها وخاصة الواردة في قصة وكيل صدر جهان) إن كرم الله سبحانه وتعالى على عيسى معجزة إحياء الميت ، لكنني في كف خالق عيسى هذا الكف هو الذي يحركني فقد فنيت عشقا فيه وسلبت مني كل إرادة ، فإذا كانت كف عيسى قد أحييت الميت ، فكيف أكون أنا ميتا في كف من وهب عيسى هذا المعجزة ، إنني أنا أيضا عيسى لكن ذلك الذي أحياه لا يموت بعدها أبدا ، لقد أحيا عيسى أحدهم ، لكن هذا الذي أحياه عيسى عليه السلام مات ثانية وما أسعده ذلك الذي أحياه نفس العشق وسلم روحه وقلبه للمولى وحيا به ولقى مرتبة البقاء بعد الفناء (أنظر مقدمة الكتاب الثالث) إن الفاني في الله في أي مرتبة يكون الة في يد الحق ،

كالعصا في يد موسى وإن كان موسى لا يظهر لكنني أنا الظاهر ، نعم أنا بالنسبة للمؤمنين جسر على البحر لكني بالنسبة لفرعون عقاب . . إياك أن تعتبر أن عصا موسى عصا وحيدة انتهى أمرها ، فما دام الذي كان يحرك العصا موجودا وحيا وباقيها فإن عصيه كثيرة ، وإن لم تكن في صورة عصي ألم تكن له معجزات أخرى فعلت فعل العصي في حين أنها لم تكن عصي إن طوفان نوح من قبيل العصا . . إن عصي الله لا حصر لها ولا عدد لها ، ولو أنشئت في أي صور يجلى الله سبحانه وتعالى معجزاته ، لعلم أولئك المتظاهرون بالتقوى والصلاح والمحتالون على الخلق من أين يأتيهم العذاب وفي أية صورة سوف يفضحهم الله سبحانه وتعالى ولكن دعك منهم إنهم يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام من هذه الأعشاب المسمومة وذلك الرزق المخلوط بخوف الموت وخوف الفناء والنار مثوى لهم .

(1070 - 1079) إن أمثال هؤلاء الناس لازمون للعالم تماما ، هذا هو دفع الناس بعضهم ببعض الذي لولاه لفسدت الأرض هؤلاء لازمون لحركة الدنيا ولرواج هذا السوق ، كما أنهم أيضا لازمون للآخرة ، فكيف يبدو الصالح إن لم يكن الطالح ، إن لم يوجد الطغاة فلماذا خلق جهنم ومن أين تجد قوتها ؟
دع هذا الفرعون يزداد سمنا ودع من حوله ينفخون فيه كما تنفخ الدابة المذبوحة حتى تسليخ ، فإن كلاب جهنم في انتظار لحمه ، لقد خلق الله الجنة والنار ، . .
فمن أين تجد النار قوتها إن لم يوجد غضب ، إن لم يوجد الغضب لأطفائها تلك الرحمة التي تسبق الغضب دائما ، إذن لكان هناك لطف فحسب دون قهر فمن أين إذن تتم للمليك صفاته ومن أخص سماتها أن تكون متقابلة . .
قد خلق الكون كما خلق الإنسان تماما في أحسن تقويم ، وما هذا التقويم الحسن إلا تعايش هذا المتضادات داخل الإنسان وداخل الكون وتصارعها في نوع من التناسق الرباني الذي لولاه لما كان لهذه الحياة طعم أو غاية .

(1080 - 1088) فإذا أنكر عليك أحدهم ما أنت فيه ، وإذا سخر أحدهم من الطريق الذي اخترته . .

فدعه يسخر فطالما سخر المنكرون من الذاكرين ، وطالما سخر الكفار من المؤمنين «وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ» صاروا مادة للضحك والسخرية في بيوت المنكرين ،

فسوف يعلم يوم أن تنتهي حياته الدنيا أنه كان في ضلال مبين .

أما أنتم أيها المحبون فلتقيموا على هذا الباب الذي فتح لكم اليوم . . فحقيقة أنكم تعيشون مع هؤلاء المنكرين في الدنيا ، لكن ما أشبهكم بتلك الزروع والنباتات الموجودة في البستان لكن لكل منها حوضا خاصا بها ،

ولا يمكن أن تزرع نباتا في حوض مخصوص بنبات آخر ، كل نبات يروى مع جنسه ، وكذا الإنسان في بستان الحقيقة يرويه خالقه ، خلقه على أصناف وأنواع منه العاشق ومنه المنكر وكلهم يسقون بماء القدرة والحكمة

«وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ» (الرعد : 4)

فإذا كنت في حوض الطيبين الأطهار كن طاهرا طيبا ، رب نفسك على الطهر والطيبة حتى تصل إلى المقصود من خلقك في أحسن تقويم إلى الهدف من خلقك وهو العودة إلى الجنة والوصول إلى الملاء الأعلى ،

لا تختلط بالأوباش والعوام والكلاب التي تجمعت حول جيفة الدنيا ، وأنا بنفسك عنهم حتى لا تأخذ منهم عدوى الحماسة والانحطاط فالصحبة مؤثرة والطبيعة سارقة ، أنت مودع في مكان وهو مودع في آخر ، فاهجرهم مليا ،

وأرض الله واسعة وما هذه الأرض الواسعة التي توصف بأنها أرض الله إلا قلب العارف :

أصل أرض الله هي قلب العارف .

وهي في اللامكان ولا عال فيها ولا سافل .

ولا حد لربعها ولا حصر فأقل حبة تغل فيها سبعمائة حبة .

(1089 - 1094) هذه الأرض التي قال الله عنها سبحانه وتعالى أنها واسعة ذرة في محيط كونه ، إنها واسعة لك إذا كنت مخلوقا أرضيا ، فما بالك إذا جالست أولياء الله ، وخرجت عن ريقة الجسد ، وصرت مخلوقا كونيا ، تخيل إذن تلك العوالم الواسعة التي سوف تفتح أمامك إذا دخلت عالم الحقيقة ، وما هذا العالم الذي نعيش فيه ونراه واسعا إلا مجرد صورة مصغرة له فأرض الحقيقة يتوه فيها الشيطان والجنى ، تتقطع في جبالها وصحاريها الأوهام والخيالات ، وما هذه الصحارى الشاسعة التي تراها هنا إلا كقطرة في بحر بالنسبة إلى صحارى عالم الحقيقة وفيافيه ، بل إن ماءها الراكد لأكثر حركة من أنهار هذا العالم الجارية إنه يجري من داخله هو ، حياته وجريانه تلقائيان وما هذا الماء الراكد الباطني إلا ماء الفكر . . فهل جربت أن تجلس متأملا في أفكارك ، تترك لهذه الأفكار العنان ، فكرة وراء فكرة ، وفكرة تبت فكرة إلى ما لا نهاية . .

ألم تلاحظ أنها أكثر حياة من موج البحر ؟ ! تصور إذن أن هذا السير الباطني يكون على يد مرشد يهديك إلى عالم الحقيقة بصحاريه وفيافيه وجباله ووديانه ، تسير بالروح خارج الجسد تخيل هذا السير والسفر الساري في عوالم الكون .
ألن يكون بالتأكيد أكثر انطلاقا وخفة وأبعد أثرا وأكثر ثمرا من السير في عالم الدنيا ؟ ! ما هذا ؟ !

كأنني بك أيها المرید قد تركت لنفسك العنان وحدك وسبحت في هذه العوالم . . ومن يدرى . . لعل لا أستطيع أن آخذ بيدك منها . . فإنك تبدو كالنائم . .
وعلى أن أقصر هذا الخطاب . . ما دام المستمع لا يملك يقظة تمكنه من أن يتابع هذه الإفاضات التي لا جدوى منها بالنسبة للمرید وكأنها نقش على ماء .

(1095 - 1109) عودة إلى خطاب بلقيس أو تلك النفس التي تعرض عليها الهداية .
وتكون قريبة منها ، وهي تتعلل بعرض من هذا الأدنى هيا يا بلقيس والحقي بالكسب ، فإن رواج سوق الدنيا كساد ، ونفعها خسارة وضرر ، هيا

أيتها النفس ولك الخيار من قبل أن يأخذ الموت بخناقك ، ويكون من وراءك برزخ إلى يوم يبعثون . .

هياً كفاك انغماسا في السرقات التافهة كذاك الذي يسرق سنابك الحمر ، هيا تعالى واضفري بالياقوت وإذا سرقت فاسرقي الدرة ، أي ملك هذا الذي تتشبتين به ؟ ! أملك البؤس والظلم ، أملك إلى خراب ؟ تعالى إلى الملك الحقيقي ملك أولياء الدين ذلك الذي لا يساوى ملك الدنيا إلى جواره ذرة من تراب ، إنه بظهر الباطن في رياض من السرور والسعادة بينما يكون في الظاهر بين رفاقه ومريديه يحدهم في طريق الحق ، وبرياض سروره وسعاداته تمضى معه حيث يمضى وإن كان هنا مخفيا عن أعين الحق ،

إن ثمار بستانه المعنوي تتضرع إليه أن يأكل منها وماء الحياة ذلك الذي يهب الخلود يرجوه أن يشرب منه ، ولا تزال تلك الثمار وذلك الماء ترجوه أن يداوم تطوافه بين الأفلاك كالشمس والقمر ، إنك يا بلقيس النفس - في هذا السفر تكوينين سارية في الأرواح ولا قدم آكلة للثمار المعنوية ولا فم ، فلا تمساح من الهم والحزن يهاجم سفينة وجودك ،

ولا موت يغير ملامحك ويذهب عنك هذا الجمال الذي تدلين به وتكوينين الملكة والجيش ، فلا خوف يكون عندك من قبل الجيش كما يظل الحكام والملوك جميعا خائفين من جيوشهم ومن غضبة جيوشهم ومن تمرکز جيوشهم ومن قول لحافظ الشيرازي سعادة امتلاك الدنيا لا يساوى لحظة من شغب العسكر (ديوان حافظ ص 17) . فكأن الأمن من العسكر في رأى مولانا جلال الدين هو الملك الحقيقي ، والملك الدنيوي لا يدوم والإقبال يمضى من إنسان إلى آخر والملك عقيم والعرش الدنيوي مجرد جبيرة ساق .

(1110 - 1112) إنك إن علقت على هذا الملك الدنيوي لبقيت في النهاية كالشحاذة ، إذ ماذا يخرج به الملك من الدنيا أكثر مما يخرج بالشحاذ ، فهيا حافظي على حظ نفسك من العلم والعمل ، ولا يمكن لك يا من تحمل هم المعنى وتترك القشور أن تضل . . كيف يمكن أن تضل ومصباحك في داخل

نفسك أو أن تظماً ونهرك يجرى من داخلك . . أو أن تفتقر والملك والمال ينبعان من ذاتك أنت لا من خارجها ، هذا ديدن العظمة التي تنبع من داخل الذات . . لا يمكن أن تسلب منك .

(1113 - 1121) يتابع مولانا جلال الدين بقية قصة بناء المسجد الأقصى على يد سليمان عليه السلام التي بدأها في البيت 389 وتركها في البيت 487 دون أن يكملها وها هو يخاطب سليمان أن يتم بناء المسجد الأقصى أي سليمان ؟ !
أو أي مسجد أقصى ؟ ! سليمان الإرشاد أي المرشد الكامل المسيطر على قلوب المريدين والعالم بدخائل أنفسهم والذي يبني كل يوم مسجداً أقصى عن القلوب العامرة بالذكر الواسعة الرحبة التي تسع رحابة الأكوان ، كي تنزل فيها بلقيس النفس ، فنترك الهوى وتصفو من أدران الدنيا لكي تكون جديرة بالنزول في هذه القلوب ، هذا هو سليمان الإرشاد عندما يشرع في بناء القلوب ، تقوم الإنس والجن بالعمل معه ، طوعاً أو كرهاً ، تماماً كمريديهم في العبادة ، وفي الحياة وفي الكسب لقوت الدنيا ، جنونهم الدنيوي يجذبهم نحو السوق ، وما هي السلسلة التي تجر هذا المجنون وتجذبه ؟
إنها شهوة الحياة ومحبتها التي لا يخلو منها إنسان ، هناك جاذب يجذبه نحو كسبه ومن هذا قال تعالى «فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ» فهل كان في جيد زوج أبي لهب حبل من مسد إنه الحبل الذي يجذبها نحو ما تراه نفعا لها (انظر تفسيراً آخر للآية في الكتاب الثالث شرح البيت 1664) .
هذا هو الحبل الذي يجذب الأعناق ، إن لم تكن تصدق قلبي اقرأ الآية الكريمة «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ» (يس 7 - 9) .
لا يوجد إنسان منغمس في الشر والرذيلة أو طرحها عن نفسه وأبل منها إلا وطائره في عنقه أي عمله الذي قدر له منذ الأزل «وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» (الإسراء : 13) .

(1122 - 1129) وهكذا حرصك على العمل القبيح انظر كيف يزين لك العمل القبيح ، تماما كما تقوم النار بتجميل الفحم الأسود وتحويله إلى جمرة في لون النار ، وانظر عندما تخدم فيك الشهوة إلى هذا العمل القبيح وتنتفى عنه النار بعود الفحم المتبقى أو رماد الفحم إلى لونه الطبيعي يبدو الفعل القبيح بعيدا عن الحرص الذي يزينه لك مجرد عمل قبيح ، هذا الحرص هو الحبل الذي يجذبك نحو الفعل القبيح ، وعندما ينقضى هذا الحرص يبدو العمل مجرد فعل قبيح ، وهذه النبتة الحامضة التي تفسد الأسنان المسماة بالغولة ويزينها الشيطان يظنها الأبله نباتا مفيدا لذيذا في حين أنه إذا ذاقها فسوف تفسد أسنانه ، هذا هو غول الحرص الذي يدعوك نحو المتاهات ويجعلك تضل الطريق في صحراء الحياة هذه ، وتحسب الفخاخ حبا والغول في المأثور الفارسي مخلوق خرافي يظهر في الصحارى ويضل السائرين عن الطريق المأهولة فيهلكون وهو في المأثور الصوفي رمز على المرشد المزيف ، أو الذي يدعو دعوة السوء يغلفها في إطار باهر من الخير .

(1130 - 1145) كن حريصا فحسب في أمرين كلاهما متصل بالآخر وهما لا يتجزان : الدين والخير ، وعندما ينتفى الحرص ، تمضى خفيفا حاذ السير تستطيع أن تقطع الطرق الطويلة وتطوى المسافات الشاسعة ، يكون سير جسدك كسير الرمح لا يقف حائل أمامه ، فإن الخير في حد ذاته ليس نابعا من نفعه أو لأن أحدا يزينه لك ، وإن مضت شعلة الحرص التي تضئ الطريق وتحفز على السعي فإن جمال الخير وحسنه في موضعه لا يتغير ، والحرص هذا ليس من أخلاق الرجال ، إنه من أخلاق الأطفال ، أولئك الذين يتصورون أذيال أثوابهم خيولا يركبونهم ، انظر إلى نفس هؤلاء الأطفال عندما يصلون إلى مرتبة الرجولة إنهم يضحكون من الأطفال الذين يقومون بنفس العمل . .

يتذكر أيام الطفولة عندما كان الحرص يحول الأعيان عن خواصها بيدي الخل عسلا . . إن ما

يبينه الأنبياء هو الذي يكون خاليا من الحرص والهوى والغرض ، ومن ثم فإن أبنيتهم تزدد بهاءً وعظمة ورفعة مع مرور الزمان . . وما أكثر المساجد التي بنيت لكنها لم تحمل اسم « المسجد الأقصى » انظر أيضا إلى الكعبة هل زادها أصنام مثل اللات والعزى رونقا ومجداً ؟ !

إنما يكون مجدها وعظمتها من إخلاص إبراهيم عليه السلام ، إن شرف المسجد الحرام وحرمة ليست نابعة من حجارته ومن هيئته ومن الحجر الأسود ، بل لأن البناء قد تم على الوفاء والإخلاص في عبادة الله عز وجل ، لم يبن كبرا أو ردا أو حربا أو خصاما ، هكذا أبنية الأنبياء وهكذا مساجدهم ودورهم وأحوالهم ولا علاقة لها بما للآخرين ، وليس غضبهم ولا أدبهم ولا نكالهم ولا حرصهم ولا فعالهم كالآخرين ، بل إن طيران أرواحهم من جناح آخر ،

إنهم مختلفون عنا تماما ، فإن لأفعالهم صفرة الذهب الرنان وقيمته ، ومن ثم فقد انقشعت الظلمات أمام أرواحهم فصارت في ظلمات الليل ترى ضوء الفجر ، . . فهذه هي أرواحهم التي تضيئ أمامهم (أنظر قصة عبد الله المغربي في نفس هذا الكتاب شرح الأبيات 598 - 612) إن كل ما أتحدث به عن هؤلاء القوم مهما أفضت ومهما فصلت يظل ناقصا .

(1146 - 1155) فهيا أيها الكرام هيئوا قلوبكم وهي لكم بمثابة المسجد الأقصى للمؤمنين ، فإن سليمان الإرشاد والطريقة قد أتى إليكم فاجعلوا هذه القلوب مستعدة لإفاضاته ، وإن تمردت عليك قوى النفس وأعرضت عن الطاعة فإن قوى الروح مستعدة لحصارها وقمعها وحملها على الجادة وها أنت أيها الروح السليمانية ، لو أن الشيطان إعوج لحظة واحدة ، فإن سياط العذاب الإلهي تلهب رأسه «وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزْغِ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» (سبأ : 12) .

فكن أنت في عظمة سليمان حتى تقوم قواك النفسانية أيضا بالمشاركة صاغرة في بناء إيوان قلبك ، فكما كان في الخاتم قوة لسليمان ، فإن خاتمك ومكمن قوتك ومفتاح هذه القوة هو هذا المضغة التي

إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ، هذا القلب ، فاحرص عليه وكن دائماً مراقباً له ، حتى لا يقوم شيطان بالسيطرة على خاتمك هذا فإنه إن فعل يقوم بالسيطرة عليك سيطرة تامة ، فكن على حذر من شيطان ملك سطوة سليمان وقوته ، فإن القوة إن منحت لسليمان فإنه يستطيع أن يوظفها في الخير كله ، أما القوة في يد شيطان مريد ففيها خراب العالم كله ، انظر إلى سليمان عندما خلع الخاتم ، وسرقه الشيطان وسلب ملكه لأنه أطاع هواه مرة واحدة وتزوج من امرأة كانت تعبد الصنم في قصره ، «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ» (سورة ص 34)

وهذا وإن كانت السلطة السليمانية الحقيقية قد نسخت ، فإن سلطة القلب لا تنسخ إنها بالرغم منك تظل تعمل داخلك في باطنك ، تظل تؤرقك وتخزك وتدعوك إلى العودة مهما سيطر عليك الشيطان ، وحتى إن كان الشيطان قد سرق خاتم سليمان وسرق صورته فإن ثمة فرقا هائلا وكان شديد الوضوح بين هذا السليمان المزيف وسليمان الحقيقي (انظر هذا الكتاب البيت 1264)

وهناك فرق هائل على الدوام يكون شديد الوضوح لكل ذي عينين بين أصيل في شئ ومتظاهر به ، وليس كل ناسج يستطيع أن ينسج الأطلس ، وناسج الحصير ناسج أيضا وكلاهما في الظاهر ناسج يحرك يديه ويجلس إلى نول وأمامه خيوط لكن شتان بين ما ينسجه هذا وما ينسجه ذاك ، وإن لم يكن المعنى قد وصل إليك فإليك هذه الحكاية التي تدعوك إلى البعد عن الأسماء والمظاهر والبحث عن الأفعال والقلوب والأصول .

(1156) لم يورد فروزانفر أصل الحكاية التي تبدأ بهذا البيت ، ولعلها - وإن لم يكن الأمر يبدو كذلك - من مؤلفات مولانا جلال الدين - والحكاية هنا قائمة على التشابه بين اسمي الوزيرين الأول الجواد الذي يحض على الجود والوزير الثاني البخيل الذي يأمر السلطان بالبخل ويزين له التضييق على

الشعراء والتضييق على الرعية وذلك حتى لا تقف عند الأسماء بل تقف عند الأفعال وفي خلال الحكاية هناك بالطبع بعض إفاضات مولانا جلال الدين .

(1170 - 1179) إن اسم الإله مشتق كما قال سيبويه من أن الخلق يولّهون إليه ، أي يلجأون إليه في حوائجهم من أله الفصيل إذا التجأ إلى أمه وهكذا فسر بهاء ولد (1 / 233) والحق تعالى منزّه عن الوصف وعن الاشتقاق وعن الأسماء وعن الإشارات ، فأى موضع للبحث عن اللفظ والعبارة ، والإشارة لا تستوعب في هذا المجال (ولا يحيطون به علما) أي حديث لك عن الشرح والبيان وأي بحث لك عن الاسم والصفة حينما تحل « الوحدة » لا اسم لها ولا صفة (انقروى 4 / 243)

وهكذا فإن آلاف العقلاء يطلبون حاجاتهم منه ، يطلبون أن يرفع عنهم الألم أي يولّهون إليه ، ومن المستحيل أن يلجأ الإنسان وقت الحاجة إلى من لا يجيب هذه الحاجة ، ومن لا يرفع الضر ، فإن لم يكن الناس قد أجيب حاجاتهم آلاف المرات ما لجأوا إلى الفرد الديان الصمد في حاجاتهم ، لا ليس فحسب بل والأسماك في قيعان البحار والطيور في السماء وكل الوحوش ، والتراب والعناصر كلها تستمد حاجاتها منه وقوام وجودها منه سبحانه وتعالى ،

وهو أيضا الذي يمسك السماء أن تزولا إن رفعها بلا عمد وعندها حفظه سبحانه وتعالى . .

كل ما هو موجود في الكون يستمد وجوده في الوجود الكلى وكل وجوده ظل من وجوده الحقيقي .

(1181 - 1184) ومن هنا فإن الأنبياء قد طلبوا الاستعانة بالصبر والصلاة عند طلب الحاجات منه سبحانه وتعالى وأمروا أتباعهم أن يطلبوا حاجاتهم من الذي لا ترد عنده الحاجات ، ولا ينقص ملكه على كثرة عطائه ، فهو البحر الفياض العباب ، وكل المحسنين مجرد جداول جافة ، بل إنك إن لجأت إلى غيره فهو أيضا العاطى هو الذي يوحى إلى المحسنين من البشر بالعطاء أو

بالمنع ، فإذا كان قد أعطى لقارون وهو يعرض عنه كل هذا المال فماذا يمكن أن يفعل إن توجه إليه أحدهم بالطاعات ؟ ! فالصلاة أم العبادات ومعراج المؤمنين والمؤمنات وأهل الطاعات ، قال سهل بن عبد الله : « استعينوا بالصبر على ما أمر الله به واصبروا على آداب الله » قال الضحاك : « استعينوا بالصبر أي بالصوم واصبروا على الصلاة » (انقروى 4 / 245) .

(1188 - 1199) يفسر مولانا جلال الدين ميل الإنسان الطبيعي إلى الشهرة وإلى الظفر بمدح الممدوحين ، والوصول إلى علو الذكر ، فهو في البداية يشبع حاجات جسده ، وعندما يحدث - وهذا من النادر أن يشبع الإنسان من حاجيات البدن - ، وانظر إلى قول مولانا جلال الدين « نادرا » أي إن المستغنى عن الدنيا مهما أخذ منها نادر تماما ، عندما يستغنى الإنسان عن الخبز يبدأ في البحث عن حسن الذكر وعلو الصيت ، أي ينبغي أن يحدث الاستغناء الخبز أو لا ، ثم يأتي بعدها حب الشعر وسائر الفنون والبحث عن علو الذكر ومن يبسط الحديث عن كرمه ومحاسنه لماذا ؟ لأن الله سبحانه وتعالى جعل خلقنا وخلقنا على صورته أي على صفاته والخلق الفرد يجب أن يحمد ويشكر ،

ومن ثم قال فابن آدم أيضا يجب أن يحمد ويشكر ، خاصة إذا كان الممدوح من عباد الله تعالى الصالحين قد سما بالعبودية ، فإنه يمتلئ بالمدح كما يمتلئ الزق الصحيح بالهواء ولا يتسرب الهواء منه كما قال عليه السلام « إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه » (الجامع الصغير - أنقروى 4 / 249) . وحديث آخر « لا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل ولذلك مدح نفسه » (استعلامى 4 / 256) .

أي يمتلئ قلبه بالسرور كما يمتلئ الزق بالهواء ، أما إن كان الممدوح من أهل الباطل ، فإنه يكون كالقربة الممزقة لا تمتلئ ولا يربو ، وتقوى نفسه الأمانة لضعف قلبه ، إذ أننى رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام « ويلك قطعت عنق أخيك » . . . إنني أحدثك بهذا حتى تعلم كم كان

المشركون مخطئين عندما عابوا على محمد - صلى الله عليه وسلم - حبه للمدح . . وماذا في المدح ما دام الممدوح يمدح بما هو فيه وما دام هو أعلى وأفضل من كل ما يقول المادحون فيه وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يضع لحسان المنبر في المسجد فيقوم عليه فإنما كان يهجو من كان يهجو رسول الله فقال عليه السلام : إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسول الله .

(1205 - 1239) على عادة مولانا جلال الدين لا يترك فرصة دون أن يتحدث عن الظلمة في الأرض ، وانظر إليه وهو يصف الوزير الجديد ، ويجرى على لسانه الأحاديث التي يطلقها عادة الوزراء الذين يريدون التضييق على الشعوب والمناعون للخير في كل عصر وفي كل مكان ، وانظر إليه وهو يدبر بخسة كيف يحرم الشاعر من هبة الملك ، وكيف يسوف ، تركه منتظرا حتى يقبل ربع عشر المبلغ الذي قرره له الملك ، وها هو الشاعر ينتظر ويانتظر بحيث بات كل همه أن يتلقى من الوزير الجديد « سلاخ الفقراء » السب والشتم والطرْد أصبح يتمنى اليأس والمنع لا العطاء ، وانظر إلى هذه الصورة القاتمة من صور البخل والاحتيال والمكر التي يحترفها بعض السياسيين في كل عصر ومكان فيوسعون على من لا عمل له ، ويقتررون على من يعمل ، وينفقون على وجوه لا لزوم لها ، ويقتررون حيث يجب الإنفاق ، والصورة شديدة الحياة الطبيعية والحركة والدرس الذي يود مولانا أن يقدمه لنا ، أن الملك العادل في حاجة أيضا إلى وزير عادل . . وإلا فإن وزارة هامان جديرة بملك فروعون .

(1240 - 1256) إن أرواح الفراعين الهشة كالزجاج هي التي تتأثر بنصائح أمثال هامان ، وإلا فإن الأنبياء مقنعون شديد والإقناع ولقد كان فرعون أحيانا يرق لقول موسى (انظر الكتاب الثالث أبيات 1252 - 1259) لكن روحه لم تكن قوية لكي يتخلص من تراكمات السنين ومن الفرعونية ويؤمن بالله الواحد

القهار وهكذا بعض البشر ، إنما يمنعهم من الإيمان ضعف في أرواحهم ، فهم لا يستطيعون التخلص مما يسره لهم الكفر من ناحية ومن ناحية ثانية فهم لا يستطيعون الصمود بإيمانهم أمام الساخرين الهازئين ، فضلا عن ذلك فإن الواحد من هؤلاء يكون كالقشة تتقاذفه كل ريح ، ويكون مستعدا لسماع من هم دونه يخوفونه ، ويردونه عن إيمانه (فرعون وهامان) فالقوة عند المؤمن قوة تنبع من الداخل ولا تنبع من السلطة ، وإلا فمن كان أقوى سلطة من فرعون من الناحية الظاهرية ، لكن من الناحية الباطنية كان ألعب في أيدي أمثال هامان . .

وعلى المستوى السياسي هكذا يكون وزير السوء الذي يكون مناعا للخير ، يعيش الخلق منه في ضنك ومسغبة ومع ذلك فهو ينقل الصورة إلى السلطان أن كل شئ على ما يرام وأن الناس يدعون له . . والوزير من السلطان بمثابة العقل من الروح ، صحيح إن البدن لا يحيا إلا بالروح ، لكن لا بد من عقل يحفظ هذه الروح ، ومن ثم فإن السلطان الذي يكون له مثل هذا الوزير يصبح سلطانا فاسدا . . . ويضرب مولانا مثلا على السلطان الحسن بسليمان ووزيره آصف وهما في الناحية المقابلة تماما لفرعون وهامان وهذا كله وارد في الحديث النبوي « إذا أراد الله بالأمر خيرا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إذا نسي لم يذكره ، وإن ذكر لم يعنه » (مولوى 4 / 170 - انقروى 4 / 255) وعلى مستوى البدن والوجود الإنسانى فإن الملك الذي يكون مغلوبا لرأى وزيره الفاسد يشبه تماما العقل الذي يكون مغلوبا للهوى ، وهذا يكون قاطعا للطريق إلى الله وليس معينا عليه .

(1258 - 1262) العقل الجزئي هو ذلك العقل الإنسانى الفردى المعتمد على ما تنقله إليه الحواس والذي دائما ما يتصرف في حدود هذه الحواس ، أما العقل الكلى فهو فوائد العقل على الإطلاق وما يستدعيه العقل على الإطلاق ، وهو أقرب عند الصوفية إلى لطيفة روحانية وليس بالمعنى الفلسفى والمشهور

والسلطان المخاطب في الأبيات هو الإنسان على وجه العموم ، وليس المقصود هو المعنى السياسي وهو هنا يرى للإنسان وجودا سياسيا مستقلا ، سلطانا وابن خليفة ، لكن الهوى يقطع عليه طريق العبودية (الصلاة) والعبودية لله هي السيادة الحقّة ، فعند ما يكون المرء عبدا له فحسب فإنه لا يرهّب سلطانا دنيويا مهما بلغت عظمتة وسطوته والهوى ابن الحال وابن اللحظة وإلا فأى شهوة تدوم ، إنه يريد أن يعيش لحظته فحسب ، ولا يحسب حسابا للعواقب أما العاقل فهو يفكر في العواقب وفي يوم الدين ، والعقل هنا هو عقل المعاد وليس عقل المعاش وهو يتحمل مشاق الطاعات ومخاطر الطريق من أجل أن يجنى ورود الآخرة ، تلك الورود الدائمة التي لا تتساقط في الخريف والتي تكون في حاجة إلى أنف خاص يشمها .

(1263 - 1286) يستمر مولانا جلال الدين في مواصلة الحديث عن هذا الموضوع المحبب إليه . . إن التشابه في الهيئة لا يعنى التشابه في الباطن ، وأن التشبه لا يعنى بالمرّة تغير الجبلة والطبيعة ، وإن الناس وإن تشابهوا في صورهم ، إلا أن القلوب تختلف اختلافا بيّنا ، وها هو يعود إلى قصة جلوس الجنى صخر على عرش سليمان عليه السلام وتشبهه به ، إلا أن الشيطان يظل شيطانا . . ولا يعنى تغير الصورة أن يتغير الباطن (واردة في قصص الأنبياء) (عن مأخذ / 137)

ففرق بين يقظ القلب والضمير ومستنير الباطن بنور الله ، ومجىء الصورة باهرة تخفى خلفها طبيعة شيطانية ، إن الازدواجية في الشخصية من الموضوعات المحببة عند مولانا جلال الدين والزيف في المظهر والذي ينبئ عنه المخبر ويفضحه ، ذلك النموذج الفذ في الأدب العالمي فيما بعد جلال الدين بمئات السنين عند فاوست جوته وصورة دوريان جراى لاسكار وايلد وعشرات من الشخصيات في الآداب العالمية ذات الظاهر الذي يقوم به المرء والذي يفضحه في نفس الوقت ، لأن المتظاهر يبالغ في الحقيقة فيفضح نفسه ،

دون أن يدري ، وكلما جاهد الجنى في تقمص شخصية سليمان ازداد الخلق شكاً ، إنه محروم من ذلك الصفاء ، إن الفرق بينه وبين سليمان مثل ذلك الفرق الشاسع بين الوزير أبى الحسن الجواد والوزير الآخر أبى الحسن البخيل ، ثم إن الشيطان يسقط على نفسه ، إنه يجسد سليمان الحقيقي ، فيقول للناس سوف يظهر شيطان على صورتى فأياكم أن تتخذوا به ، وما يجول هذا الخاطر أبداً بخيال من تزين بالصفاء ، لقد فضح نفسه بنفسه ، ثم اعترف بلسانه ، لقد فهمه الطيبون والمستنيرون ويخاطبونه : إنك تخاطبنا تقصد شيئاً ، لكن ما يصل إلينا هو عكس كلامك تماماً أي الحقيقة التي تحاول أن تفر منها فتظهرها :

إن سليمان الحقيقي الظاهر بين وإن كان سليمان الحقيقي في الأسماح فإن نور الملوكية

(الإلهية) ساطع من جبهته ، ومهما تظاهرت أيها الشيطان بالفخامة ، ومهما أسبغت على نفسك من مظاهر السلطنة وأبهتتها ومواكبها ، فأنت لا شئ ، لا طاعة لك علينا ، وحتى إذا أردنا أن نركع لك غفلة ، فإن يدا سوف تظهر من الأرض تمنع جباهنا من السجود لك ، وفي هذه الحالة سوف تفضح ويفتضح إديبارك . .

ويحس مولانا جلال الدين أن الفكرة لا تزال غامضة إلى حد ما . .

كيف يستطيع الخلق أن يطلعوا على الباطن وأن يكتشفوا الزيف من الحق . .

وأن يميزوا بين الخبيث والطيب . . يجيب إنه لو لم يخش من الغيرة الإلهية على كشف الأسرار لتحدث في هذا الموضوع واستفاض ، لكنه يرجىء هذا الأمر إلى وقت آخر . .

لقد سمى نفسه سليمانا النبي ، لكنه كان يحتال من أجل أن تخيل حيلته على كل صبي ، فدعك أيها المرید الطيب من الأسماء ، لا يغرنك فلان المشهور أو فلان الوزير أو فلان المفكر دعك من الأسماء ودعك من الألقاب وابحث عن العقل والمعنى .

(1287 - 1300) أصل هذا الجزء من حكاية سليمان عليه السلام والمسجد الأقصى ورد في مصادر عديدة . . كانت الشجرة تنبت في محراب سليمان النبي

عليه السلام وتكلمه بلسان ذلق فتقول : أنا شجرة كذا وفي دواء كذا فيأمر بها سليمان فيكتب اسمها ومنبعها وصورتها وتقطع وترفع في الخزائن حتى كان آخر ما جاء منها الخروبة فقالت : أنا الخروبة فقال سليمان الآن تعيت لي نفسي وأذن في خراب بيت القدس (قصص الأنبياء للثعالبي ص 275 مآخذ / 138) ويعلق مولانا بأن الوحي أصل العلوم وإلا فهل يستطيع العقل الجزئي أن يكتشف ما لا سبيل إليه إلا به ؟ والثابت أن الأصول الأولى للعلوم مجهولة ، وأن الناس في العصور القديمة كانوا يقولون عن بعض كبار العلماء أنهم أنبياء بل كانوا يألّهون بعضهم وربما نبعت الفكرة من هنا ويفسر عبد الباقي (4 / 209)

بأن رأس أرباب الفتوة إدريس النبي وصناعة الدروع من الحديد داود وصناعة (وعلمناه صنعه لبوس لكم) النسيج للنبي شيث بل والزراعة لأدم ، لكن مولانا لا يقف عند هذا الحد ، فإذا كان العلم يبدأ بالأنبياء إلا أن البشر بالتجربة يطورونه وبالعقل يزيّدون عليه . .

ولا يمكن للعقل الجزئي أن يتعلم حرفة دون أستاذ فهو قابل ومثلق . . . ولا يمكن أن تحصل حرفة دون أن يقوم أستاذ بتعليمها ، ولو كان الأمر غير ذلك لاستطاع العقل وحده أن يكتشف حرفة .

(1301) كمثال يقدم مولانا جلال الدين نموذجاً من قصة مصرع هابيل على يد قابيل ، وكيف أنه بعد قتله لم يستطع أن يوارى الجثة التراب لأنه لم يكن يعرف صنعة حفر القبور (على بساطتها) «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ» (المائدة : 31)

وقد خاض المفسرون كثيراً في هذا الموضوع فليطلب من مظانه ، وثمة تفسير آخر صوفي قدمه مولانا نجم الدين كبرى جدير بالذكر : إن آدم الروح بازدواجه مع حواء القلب ولد قابيل النفس وتوأمته إقليما الهوى في بطن أولاً ثم ولد هابيل القلب وتوأمته لبودا العقل وكانت إقليما الهوى في غاية الحسن في نظر قابيل النفس لأن النفس به تميل إلى الدنيا وما فيها وهي مزينة وفي نظر هابيل القلب أيضاً لأن القلب به يميل

إلى طلب المولى وما عنده وهو محبب إليه ، وكانت لبودا العقل في نظر هابيل القلب في غاية القبح والدمامة لأن القلب يغفل به عن طلب الحق وأيضا في الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال وفي نظر قابيل النفس أيضا في غاية القبح لأن النفس به تغفل عن طلب الدنيا والاستهلاك فيها فאלله تعالى حرم الازدواج بين التوأمين كليهما وأمر بازدواج توأم كل واحد منهما إلى توأم الأخرى لئلا يغفل القلب عن طلب الحق بل يحرضه الهوى على الاستهلاك والفناء في اللهو لهذا قال بعضهم ولولا الهوى ما سلك أحد طريقا إلى الله ، فإن الهوى إذا كان قرين النفس يكون حرضا فيه وينزل النفس إلى أسفل سافلى الدنيا وبعد المولى وإذا كان قرين القلب يكون عشقا فيه يصعد القلب إلى أعلا عليى العقبى وقرب المولى ولذا سمى العشق هوى كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا
ولتغفل السعي عن طلب الدنيا يحرضها العقل على العبودية وينهاها عن متابعة الهوى
فذكر آدم الروح لولديه ما أمر الله ،

فرضى هابيل وسخط قابيل النفس وقال هي أختي يعنى إقليما الهوى ولدت معي في بطن وهي أحسن من أخت هابيل القلب يعنى لبودا العقل وأنا أحق بها ونحن من ولادة جنة الدنيا وهي من ولادة أرض العقبى فأنا أحق بأختي فقال له أبوه : فإنها لا تحل لك يعنى إذا كان الهوى قرينك تهلك في أودية حب الدنيا وطلب الدنيا لذاتها وشهواتها فأبى أن يقبل قابيل النفس هذا الحكم من آدم الروح

وقال : إن الله لم يأمره به وهذا من رأيه فقال له آدم الروح فقربا قربانا فإنه من يقبل قربانه فهو أحق بها فخرجا لتوهما وكان قابيل النفس صاحب زرع يعنى مدبر النفس النامية وهي القوة الثابتة فقرب طعاما من أردى زرعه وهو القوى الطبيعية وكان هابيل القلب راعيا لمواشى أخلاق الإنسانية وصفات الحيوانية فقرب فحلا يعنى صفة البهيمية وهي أحب الصفات إليه لاحتياجه لها لضرورة التغذية والبقاء ولسلامتها بالنسبة إلى

الصفات السبعية والشيطنة فوضعا قربانهم على جبل البشرية ، ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت وأكلت حمل صفة البهيمية لأنها حطب هذه النار ولم تأكل من قربان قابيل النفس لأنها ليست من حظها بل هي حطب نار الحيوانية فطوعت نفس قابيل النفس قتل أخيه وهو القلب لأن النفس أعدى عدو للقلب فقتله فأصبح من الخاسرين يعنى في قتل النفس خسارة النفس في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فتحرم من الواردات والكشوف والعلوم الغيبية التي تنشأ من القلب وعن ذوق المشاهدات ولذة المؤانسات فيبقى في خسران جهولية الإنسان ، وأما في الآخرة فيخسر الدخول في جنات النعيم ، (مولوى 4 / 179 - 180)

وهناك تفسير آخر قدمه الفيلسوف الشهير الدكتور على شريعتي ويعد من أحدث التفاسير على القصة « من قصة ابن آدم يمكن فهم أول حرب وتناقض في حياة الإنسان على وجه الأرض ومن قصة قابيل وهابيل يمكن استنباط فلسفة التاريخ فقابيل بسبب مسألة جنسية هي عشقه لجمال أخته التي كانت خطيبة أخيه هابيل قام بأول ذنب وحقد وقتل للبشر وخيانة لأخيه وعصيان لأبيه وذنب أمام الله ، فمن بين ابنتي آدم تصوير الأجل خطيبة لهابيل ، ولا يقبل قابيل ويرفع آدم قضية الأخوين إلى حكم الله ، فيأمر بأن يقدم كل منهما قربانا إلى الله وأيهما يقبل قربانه سوف يكون هذا دليلا على حكم الله وعلى الآخر أن يقبله وقبل الأخوان ،

كان هابيل راعيا فاختر أفضل إبله الذهبية الغالية القوية ، وكان قابيل زارعا فقرب إلى الله حفنة من القمح المصفر العطن من مزرعته ، ووضح أن قربان هابيل الذي لم يدع حق أحد ولم يفكر في المال في سبيل إيمانه وقرب إلى معبوده أغلى وأعز ما عنده قد قبل ،

وفي نفس الوقت لم يستسلم قابيل وتمرد على حكم الله الذي لم يكن في صالحه ، وواصل تمرده في اعتدائه وقال هابيل : إني سلمت لحكم الله ولئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا باسط إليك يدي لأقتلك ولن أفصم عرى الأخوة

بيننا ، لكن قابيل قد جن جنونه استدرج هابيل إلى الخلاء وقتله خفية ، وسفك دم إنسان على يد إنسان لأول مرة على وجه الأرض : هذه القصة كما رويت تفهم غالبا على أنها حادثة تاريخية ونزاع بين أخوين حول شهوة ، وخبت جبلة قابيل وطهر جبلة هابيل . . إلى آخره في حين أن جبلة كل منهما واحدة ، كلاهما ولد من أب واحد وأم واحدة وربى في بيئة واحدة وعلى يد مرب واحد لم يكن المجتمع قد تكون بعد وتحول إلى البيئات المختلفة حتى تربى كل واحد بطريقة ، وأولئك الذين قاموا بتحليل هذه القضية علميا ومنطقيا أرادوا أن يستنبطوا هذا المبدأ الذي يريد أن يقول : إن الشهوة أو الغريزة الجنسية هي السبب الرئيسي وعلة العلل في الجريمة والذنب وأن أول دم سفك في التاريخ كان من جراء الشهوة ، هذا صحيح لكن هذا السؤال بقي بلا جواب وهو : لماذا يسقط قابيل فريسة للشهوة ولا يؤثر هذا العامل القوي على هابيل ويدفعه إلى الخيانة وسفك الدماء وقتل أخيه وارتكاب الذنب ؟

ففي هذين الأخوين العدوين ذات واحدة ولهما أب واحد وأم واحدة وبيئة تربية واحدة وبيئة طبيعية واحدة ومدرسة تربوية واحدة وتجربة كليهما واحدة فمن أين هذا التضاد في الخلق والجبلة والسلوك ؟ من هنا ينبغي من الناحية العلمية أن نبحث عن عامل يفسر هذين الشخصين المتناقضين ، . .

عامل لا يكون مشتركا بينهما وبالمبحث نرى أن العامل غير المشترك في سيرة هذين الأخوين هو نوع العمل ووضع الحياة الاقتصادية لكل منهما فأحدهما راع والآخر زارع ، وهذا الاختلاف جدير جدا بالتأمل . . ماذا يعنى الإنسان الراعي ؟ يعنى إنسان عصر سكنى الخيام والقبيلة إنسان بدائي ، أي إنسان المرحلة التي لم تكن فيها الملكية قد ظهرت بعد ، مرحلة أن البشر يعيشون فيها جماعات في أحضان الطبيعة ويأكلون من مائدة الطبيعة العامة ، كان صيد البر والنهر والغابة هو مصدر الإنتاج ، ولما كان مصدر الإنتاج في الطبيعة السخية البكر موجودا بالتساوي تحت سيطرة الأفراد ، لم تكن

الملكية بالطبع موجودة إلا من مصادر الإنتاج الموجودة في الطبيعة ، لم تكن الملكية بمعنى احتكار فرد لمصدر الإنتاج وحرمان الآخرين فيه موجودة ، وكان المجتمع ينقسم إلى أفراد لا إلى طبقات فالطبقات الاقتصادية تتشكل على أساس الملكية والملكية أو احتكار مصادر الإنتاج تظهر عندما تصبح مصادر الإنتاج محدودة وهذا عندما يتحول شكل الإنتاج الاقتصادي من الصيد والرعى إلى الزراعة ، وهابيل راعى أي إنسان مرحلة الحرية وتحرر الإنسان من الأرض أي الإنسان الذي ينتمي إلى مجتمع بلا طبقة ، الشركة الأولى ، العصر الذي كانت فيه الطبيعة العظيمة ملكا للمجتمع ملكا لكل من يعمل فيها ، وقابيل زارع أي أن إنسان مرحلة السكنى وارتباط الإنسان بالأرض أي إنسان المجتمع الطبقي ، والملكية الفردية والاحتكار ، والامتلاك والحرمان ، استغلال الفرد للفرد ، تسلط الإنسان على الإنسان . . يدخل الإنسان مرحلة تاريخه الحاضرة بموت هابيل « (على شريعتي : العودة إلى الذات الترجمة العربية لكاتب هذه السطور ص 346 - 350 بتصرف الزهراء للإعلام العربي - القاهرة 1986) .

(1307 - 1314) ها هو قابيل بعد أن رأى الغراب يدفن الغراب الآخر ، يعيب على عقله . الجزئي يا ويلتا . . شاه هذا العقل !! أيكون غراب أكثر منى علما . . هذا هو العقل الجزئي . . إياك أن تغتر به فقد يتفوق عليه فيه حيوان ، ويتلاعب مولانا جلال الدين بين عقل الزاغ (نوع من الغربان شديد السواد اللون والكلمة عربت أيضا فيقال أسود من جناح الزاغ) وعقل (ما زاغ) إشارة إلى الآية الكريمة (ما زاغ البصر وما طغى) وإنه هو العقل الكلى ، عقل المعاد ، عقل الروح . . الذي لا يُعلم ، بل يأتيه العلم اللدني الذي يقذف في القلب إن هذا العقل في تفسير لنجم الدين : ما مال ببصره عن مرتبة المقصود له وما التفت إلى الجنة وزخرفها ولا إلى النار ومتاعبها وما طغى قدمه عن الصراط المستقيم (مولوى 4 / 181) هذا العقل هو نور الخاصة خصهم به ربهم ، حتى لا يطيروا

خلف كل ناعق من غربان النفس فتحملهم نحو الجبانة (الدنيا فكل ما فيها إلى موت وإلى فناء) . لا نحو الجنان فإن النور الإلهي هو الذي يحمل إليها . .
 فإذا كنت مستهديا فاستفت قلبك ولو أفتاك المفتنون ، فإن كانت النفس على مثال زاعغ ، فإن القلب هو العنقاء . . يأخذك هاديا إلى المسجد الأقصى . .
 والعنقاء هو المرشد يحلق عاليا بالمرید في سموات لا يستطيع أن يحلق فيها وحده كما أنه هو الذي يستطيع أن يتبع كل ما يدور في قلبك .

(1315 - 1320) إن أهواءك النفسية وأفكارك التي تمضي كل ان إلى كل صوب تنمو في قلبك كأنها النباتات التي كانت تنبت في ساحة المسجد الأقصى فأياك أن تهملها ، بل عليك أن تقوم كسليمان بتتبعها وتتبع خواصها ، لترى هل هذه الواردات التي وردت إلى قلبك أهى دينية أم دنيوية وإياك وإنكارها ، فقد يكون منك النافع ، كما أن منها الضار وما قلبك إلا أرضك وما ينبت فيها إلا ما يترجم عنها ، والهوى في الإنسان ميوله ورغائبه ، فإذا تركت هواك صرت جديرا برسالة الله (1 / 1101) .
 وهذه الفكرة واردة أيضا في الكتاب الثالث (أبيات 360 وما بعدها) .
 انظر إلى هذه الأرض التي تنبت أنواع النبات سواء كانت من قصب السكر أو من البوص إن ما يخرج منها يترجم عن طبيعتها . . ومن ثم فأرض القلب نبتها الفكر ، وهذه الأفكار التي تبدو في أرض القلب هي التي تترجم أحوال القلوب . .
 ولو أجد في هذا المجلس قابلا للكلم جاذبا له مستفيدا منه متجاوبا معه متحملا إياه . .
 لأبديت لك ما في قلبي من أفكار ومعارف إلهية كأنها زهور الرياض لكني إن وجدت إنسانا غثا قاتلا للفكر فإن النكات العميقة تفر من القلب فإن هذا المنكر لن يستفيد من بيان هذه الأفكار .

(1321 - 1329) وحركة كل امرئ إنما تكون نحو جاذب معين ، ما من كلمة يتفوه بها أحد أو تصرف يقوم به إنسان حقيرا كان أو خطيرا إلا وجاذب معين يجذبها منك فهي موجهة إليه ، وهو المقصود بها . . وال جذب الصادق ليس

كالجذب الكاذب ، وهكذا فإنك تمضى حيناً على الطريق المستقيم وحيناً على طريق غير مستقيم ، والخيط الآخذ بناصيتك الذي يجذبك ليس ظاهراً ، هذا هو خيط القضاء والقدر بيد الله تعالى إنما يقف عليه أصحاب القلوب البصيرة ولا يقف عليه عمى البصيرة . . فانظر إلى نفسك كبغير أعمى لا تستطيع الخلاص ممن يقودك ، تحس به يجذبك لكن لا تنظر إليه . . وهناك حبل الشرع المتين يقود الأتقياء الأولياء ، أما أرباب الغفلة والأهواء فخيطة إبليس هو الجاذب ، ولو أن ذلك الحبل قد ظهر ، ولو انكشف هذا المقود ، وانكشف سر القضاء والقدر لما بقيت الدنيا دار الغرور ، وإن كل من فيها مغرور لأنه يحس بذلك الجذب لكنه لا يراه ولا يعرف مصدره إذ لو عرف المصدر لرأى المجوسي أنه يسير إثر نفسه الكلبية التي تجعله عبداً للشيطان الأكبر . . ولما مضى في أثره ، ولارتد سريعاً ونجا . .
تماماً كالأنعام التي يقودها القصاب إلى المذبح . . لو كانت تعلم أنها تمضى إلى الذبح لما أسرعت هكذا في إثر القصاب ، ولما أكلت من يده . .
ولو أكلت لما هضمت ذلك العلف . . لو علمت أن المقصود منه أن تسمن وتصير صالحة للذبح .

(1330 - 1345) إذن فعماد الدنيا الغفلة ، وانتظامها ورواج سوقها إنما هو قائم على هذه الغفلة ولولا الحمقى ما قامت الدنيا من هذه الغفلة هي التي تجعل الحي يظن أنه حي أبداً . . وهذا المعنى وارد في معارف بهاء ولد 1 / 347 وما دولة الدنيا إلا سعى (دُو) ثم (لت) أي ضرب . .
أولها اسع اسع من ثم آخرها خذ على أم رأسك ضرباً من العجز والشيخوخة والمرض ثم الموت والحساب . . وفيها يكون هلاك الحمار . . لأن الحمار فحسب هو الذي يهلك في سبيل ما لا نفع فيه . . .

فإنك إذا أقبلت على عمل معاً فإن الله يخفى كل عيوب هذا العمل عليك فالله قد ستر العيوب من أجل عمارة الدنيا ، وجعل عمارة الدنيا من أجل تمحيص الذين آمنوا من الذين أشركوا ومن ثم فهي فتنة وهي دار الامتحان ،
إنك لن تستطيع أن تقوم بعمل ما إلا إذا أخفى عليك الخالق عيب هذا العمل ، « إن الله تعالى

إذا أراد إنفاذ أمر ، سلب كل ذي لب لبه « (استعلامى 4 / 264) وكذلك كل فكرة ترد عليك وتنشغل بالتفكير فيها . . فلو اكتشفت فيها أي عيب ، لجفلت منها روحك وبعدت عنها بعد المشرقين . .

والحاصل أنك تندم فيه في نهايته . . فلو اكتشف عيبه من بدايته هل كان لك أن تندم ؟ هذا هو القضاء الذي يخفى عليك فإن ندمت من بعد الفعل فهذا الندم أيضا قضاء مقضى عليك به ، وإن استسلمت لهذا الندم صرت معتادا عليه ، والندم لا يورث إلا الندم ، وهكذا ينتهى نصف العمر في التشتت والفرقة ونصفه الآخر في الندم فاترك كل هذا وعليك بعمل أفضل وعليك بالبحث عن صديق أفضل يساعدك في الطريق هذا وإن لم يكن أمامك عمل أفضل . . فلا شيء . . إذن يكون الندم ؟ هل خيرت بين عمليين فاخترت أسوأهما ؟ إنما تعرف الأمور بأضدادها . . فمن أين لك أن تعلم الشر وأنت لم تعلم الخير . . وإن لم تعلم الخير . . أي علم لك بأن ما تقوم به شر . . لقد عجزت عن ترك الذنب لأنك لا تعرف سواه . . إن عكوفك على الذنب عجز ، عكوفك على القبيح عجز عن إدراك الحسن ، فمتى وجد عجز مع قدرة ؟ وما دمت عاجزا فلم الندم ؟ !

ولو كان الله سبحانه وتعالى قد أطلعك على قبح فعل ما فهل كان يستطيع أحد أن يحمك على فعله ولو بالقوة الجبرية . .

هذا هو القضاء كما يفسره مولانا جلال الدين وهو لا يفتأ يعود إلى هذه النقطة (انظر الكتاب الأول أبيات 260 - 263 و 1502 - 1512 والكتاب الثاني أبيات 61 - 62 والكتاب الثالث البيت 1369) (عن عبد الباقي وانظر مقدمة الكتاب الخامس) ، اطلب من الله تعالى أن يريك الأمور كما هي « اللهم أرنا الدنيا كما تريها صالح عبادك . »

أن يخفى عليك عيب الفعل النافع وأن يبدي لك شر الفعل القبيح ، وإلا فارض بما قسم الله لك ، واستسلم لقضائه ، واعلم أن الإدارة والاختيار كليهما قضاء آخر أيضا في القضاء التعليقي (سبزواری 4 / 289)

وكما ورد في الحديث ألا أخبرك بتفسير لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا حول عن معصيته الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بعون الله هكذا أخبرني جبريل (أنقروى 4 / 278) .

(1355 - 1372) وهكذا كان سليمان عليه السلام يمضى كل صباح إلى المسجد الأقصى ليرى ما نبت فيه من نبات ، لقد كان يرى بعينه الصافية ما خفى على العوام سواء من النباتات التي تنمو في صحن المسجد ، أو نباتات الفكر التي تنمو في قلوب المريدين . . لكن ألا يوحى سير سليمان النبي في الآفاق والأنفس . . مع وجود تلك الإلطافات الإلهية التي شملت وجوده كله والتي يستطيع فيها أن يتكشف كل ما يريد دون أن ينتقل من مكانه بتساؤل ما ؟ هنا يختلف مولانا جلال الدين في منطلقه الصوفي ، فإن كان الصوفية يقولون بالمراقبة في الخلوة ، فإن جلال الدين كان يرى المراقبة في الملاء ، ويرى في هذا اجتلاء لآثار رحمة الله في خلقه مراقبة أفضل من مراقبة الخلوة ، ويضرب مولانا بحكاية الصوفي الذي وضع رأسه بين ركبتيه متفكرا ومراقبا فطلب منه أحدهم أن يرفع رأسه ليرى آثار رحمة الله في الرياض والقصة مأخوذة عن تذكرة الأولياء للعطار (1 / 68) عن رابعة العدوية ، جلست في منزلها في فصل الربيع وقد طأطأت لرأسها فقالت خادمة يا سيدة اخرجي لتشاهدى الصنع ، قالت بل ادخلي أنت لتشاهدى الصانع ، شغلتنى مشاهدة الصانع عن مشاهدة المصنوع كما رويت الحكاية في مقالات شمس قيل لصوفى : ارفع رأسك وانظر إلى آثار رحمة الله - فقال آثار الآثار واردة في القلب (مقالات شمس ص 196) وهذا لا يخرج عن احتمالين في إدراك الجمال : الاحتمال الأول : إما أن يكون الجمال جمالا لأنه يصادف هوى داخل النفس ومن هنا يختلف تقديره . والثاني : هو أن الجمال إدراك من الداخل إلى الخارج وليس العكس (جعفري 10 / 183 - 184) والكلام معتمد على الآية الكريمة : «فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» . (الروم : 50) قال نجم الدين : فانظر إلى آثار رحمة الله

الخاصة كيف يحيى أرض القلوب بالفيض الإلهي بعد موتها بكبائر الذنوب (مولوى 4 / 184) ويجب الصوفي إجابة الصوفي في رواية شمس الدين التبريزي ، إن الرياض والمروج هي في لب الروح أما ما هو موجود خارجها فهو انعكاسها تماما كما تنعكس صورة هذه المروج العينية المادية في الحياة ولطفها إنما يكون من لطف المياه . . وإن لم تكن هذه الأشياء انعكاسا فكيف سماها الله سبحانه وتعالى دار الوهم والخيال دوار الغرور ، وهذا يعنى أنها خيال : كل ما في الكون وهم أو خيال * أو عكوس في المرايا والظلال

لاح في كل الورى شمس الهدى * لا تكن حيران في تيه الضلال (انقروى 4 / 283) إنها انعكاس للعالم الحقيقي والرياض الحقيقية والشموس التي لا تغيب ، والأنهار التي لا تنقطع الموجودة في قلوب الرجال الكاملين فهم « سر الهوية ومظهر نور الأحدية » (مولوى 4 / 185) والناس مغرورون بالانعكاس والصور والخيالات والأوهام . . ولا يبحثون عن الأصول . . .

فإذا ماتوا علموا أنهم أضاعوا عمرهم في الخيالات والأوهام ونزلت عليهم الحشرات ، كما قال عليه السلام « ليس للماضين هم الموت إنما لهم حسرة الفوت » (انقروى 4 / 284) ولا ينجو من هذا المصير إلا ذلك الذي مات قبل الموت (انظر تفسير الموت قبل الموت في الكتاب الثالث الأبيات 3672 - 3678) .

(1383 - 1401) المستفاد من قصة سليمان عليه السلام والخروب يقول مولانا : إن القلب هو مسجدك والجسد ساجد له أما الخروب الذي يؤدى إلى خراب المسجد فهو رفيق السوء عليك أن تهرب منه ما استطعت فاقتلعه من جذور قلبك ، أما أنت أيها العاشق فإن الخروب بالنسبة لك والذي ينذر بخرابك هو الاعوجاج . . وأنت كنت مجرما اعترف بإجرامك حتى تفتح عليك أبواب رحمة

المعلم ، هذا أفضل من أن تجمع بين الجهل والكبرياء وتعلم من أبيك الأول الاعتراف بالذنب «قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (سورة الأعراف آية : 22) فلا هو حاول ولا هو احتال في حين أن إبليس شرع في الجدل . . لقد قال لله تعالى إنه هو الذي صبغه بصبغة الكفر والكبرياء . . وقال إن الله تعالى هو الذي أغواه . . وهذا هو قول الجبريين . . وأنذر بإغواء بني آدم في مقابل هذا الذي يظنه إغواء من الله سبحانه وتعالى فأياك أنت أن تقول : إن الله سبحانه وتعالى قد كتب عليك المعصية وقدرها عليك وأنه لا محيص لك من ارتكابها ولا مهرب من إتيانها . .

والواضح أن مولانا جلال الدين شغل في الأبيات الأخيرة بمشكلة الجبر والاختيار فهو يتركها ليعود إليها وواضح أيضا أنه من أنصار حرية الإرادة والاختيار عن الإنسان ، وكيف يكون المرء مجبرا على شئ وهو يقوم به بكل هذه اللذة والسرور والإقبال كيف يكون المرء مجبرا وهو يدافع هكذا عما يقوم به منذ فكر ويسوق الحجة تلو الحجة على أنه هو الصواب والطريق المستقيم . .

وكيف تختار كل ما تأمرك به نفسك من المعصية والفساد وتترك كل ما يأمرك به عقلك هكذا يناقش مولانا جلال الدين المشكلة دون خوض في أقوال علماء الكلام ومشايخه . . إن الأمر كله من داخل الإنسان وأن إبليس لعنه الله كان أول الجبريين فقد اعتبر المعصية التي دفعه إليها كبرياؤه وأحتقاره لآدم قدرا مكتوبا عليه من الله سبحانه وتعالى وليس عصيانا أملتة عليه نفسه المتكبرة المعوجة .

(1402 - 1413) وهكذا كل إنسان يعلم أن الحيلة من إبليس لكن الخضوع والعشق من آدم ، وهذا الاحتيال أشبه بالسباحة في البحار ، حيث يعتمد السباح على مهارته وليس على أي شئ آخر فهو في النهاية غريق لا محالة « انظر النحوي والملاح » وإذا كان هذا شأنه وديدنه في البحار فما بالك بهذا البحر الذي تبدو البحار السبعة كقشة تتقاذفها أمواجه والبحار السبعة تعبير كان يستخدمه

القدماء للتعبير عن كل بحار الدنيا وهي في نظرهم سبعة : بحر الصين (المحيط الهادي) وبحر المغرب (المحيط الأطلسي) وبحر الروم (البحر الأبيض) والبحر الأسود (وبحر طبرية) والقلزم (البحر الأحمر) وبحر جرجان (بحر الخزر أو ما نسميه قزوين) وبحر فارس (الخليج) (عبد الباقي 4 / 212) في مثل هذا البحر العشق هو سفينة النجاة وترك الاحتيال وازدياد التحير (عن التحير انظر الكتاب الثالث شروح الأبيات 1108 - 1117)

وفي حضور المصطفى صلى الله عليه وسلم اجعل عقلك حائرا لأنه ملاح سفينة العشق في بحر التوحيد (مولوى 4 / 196) وهذا معناه أنك أصبحت مكتفيا بالله . . . ولا يزال مولانا يضرب الأمثال بأولئك الذين اعتمدوا على حيلة عندهم وعلى من اكتسبوه ومنهم كنعان بن نوح الذي رفض أن يركب السفينة رافضا أن يحمل منة من أحد على نفسه وكأن الله سبحانه وتعالى لم يقدم له من نعمة إلا أنه كان سينجيهِ من الطوفان ، وكأن الله سبحانه وتعالى لم يكن ليضاعف إحسانه على نوح فضلا منه وشكرا على عشقه أليس هو سبحانه وتعالى الذي « يحبهم ويحبونه » فسبق ذكر حبه إياهم عن حبهم إياه (انظر معاني أخرى عن قصة نوح عليه السلام مع كنعان في الكتاب الثالث شروح الأبيات 1306 - 1355) .

(1414 - 1423) من هنا فإن العجز عن المعصية قد يكون سببا في نجاة المرء فلو لم يكن ابن نوح قد تعلم السباحة لألحق نفسه بسفينة نوح ، ولو كان كالأطفال بريئا من الاحتيال لتعلق بأذيال أمه ، وليته كان خاليا من ذلك الوهم المكتسب ، إذن لو وجد علم الوحي مكانا في قلبه فإنك إن استعنت بكتاب أو نقل مع وجود هذا النور عندك لعاتبته ولحرمته من علم اليقين ، ولحرمته قلبك من ذلك النور وللجأت إلى التيمم في وجود الماء أي إلى العلم النقل في وجود قطب الزمان . . . الذي ينبغي أن تتبعه دون أن تظهر علما من لدنك أو احتيالا أو مهارة . . .

بل ينبغي أن تكون أبلا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « إن أكثر أهل

الجنة البله « والبله جمع أبله وهو الغافل عن الشر المطبوع على الخير ، وقيل هم الذين غلبت سلامة صدورهم وأحسنوا الظن بالناس لأنهم أغفلوا أمر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها فاستحقوا أن يكون أكثر أهل الجنة ، فأما الأبله وهو الذي لا عقل له فغير مراد في الحديث (أنقروى 4 / 295) أما كثرة الفتن فهي تأتي بالكبر وتردى . . . ولست أقصد بالأبله ذلك الذي يكون سخرية الخلق لحمقه وضعفه وتذلل به الواله محبة الله تعالى الغافل عن سواه .

(1424 - 1435) ضحّ إذن بهذا العقل المكتسب . ومن الرباعيات المنسوبة إلى أبي سعيد ابن أبي الخير :

ما دمنّا قد شرعنا في طلب وصال الحبيب * فأول قدم أن صرنا غرباء عن الوجود إنه لم يكن يسمع العلم فأغلقتنا الشفة * ولم يكن يشتري العقل فصرنا بلهاء (سبزوارى 4 / 290) هو عقل المعاش في سبيل عشق الحبيب ، فالعقول كلها هبة منه سبحانه وتعالى ، وأصحاب العقول صرفوا عقولهم في محبة الله سبحانه وتعالى ، أما الحمقى المجانين فهم الذين احتفظوا بعقولهم . . فلو أن عقلك الجزئي هذا ضاع تحيرا في الله لصارت كل شعرة منك عقلا . .

لعوضك الله عما هو فوق العقول كلها بنوره تنظر به ويده تبطش بها وقدمه تسعى بها . . .

ولمنحك عقلا لا يسبب التفكير به ألما . . وإذا أهمل عقل المعاش هذا لظهرت في صحاريه الرياض والكروم تنبت الثمار الربانية حيث ينقضى وينتهى عقل المعاش . . وعلى حافة العدم للعقل تسمع الرموز . . وينبت نخل وجودك بالمعارف الإلهية . . وفي الطريق دعك من الفيهقة والتكبر وإياك والحركة ما دام دليلك لم يتحرك ، إنه منك بمثابة الرأس وكل الذي يتحرك بلا رأس يكون ذبلا . . تكون حركته أذى وسما كأنها حركة العقرب يزحف ليلدغ قبيح الخطى أعشى

قبيح الشكل سم ، كل عمله هو لدغ الأجساد الطاهرة ومثل هذا حطم رأسه تلك التي لا تحمل للناس سوى الشر والأذى ، وصلاحه هو نفسه في تحطيم رأسه حتى تنجو روحه من الأذى الذي يشبه جسده ويشبه هواه . . هيا اسحب السلاح من يد المجنون فالسلاح يكون في يد الغازي المجاهد ، أما المجنون فسوف يرهب به الناس ويزهق أرواحهم . . فالسلاح في يد مجنون لا عقل له فيه أذى كثير ، هؤلاء الجبابرة أصحاب المناصب اعقد أيديهم خلف ظهورهم لنلا يظلموا الناس ويفسدون عليهم حياتهم .
(1436 - 1451)

قد يفهم بعض المتشدين بالألفاظ وحملة الشعارات هنا أن مولانا جلال الدين ينادى بطبقية المال والتعليم وبالتالي المناصب وهو ما لم يدر لأحد بخلد ، فضلا عن وجود النظرة التي يقدمها مولانا جلال الدين الرومي هنا في المأثور الإسلامي ككل ، وفي الحديث النبوي الشريف . .

« لا تعلموا أولاد السفلة العلم » و « واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر » وتكاد الأبيات تكون ترجمة لقولين مأثورين للإمام على - رضي الله عنه - الأول هو « لا يرى الجاهل إلا مفرطا أو مفرطا » نهج البلاغة تحقيق مذكر فيض الإسلام ص 1116 ، والكلمة الأخرى هي : احذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع (فيض الإسلام ص 1311 ،

والإشارة لعبد الباقي (217 / 4) وهناك قول آخر : قيل لعلى صف لنا العاقل فقال - رضي الله عنه - هو الذي يضع الشئ مواضعه فقيل : وصف لنا الجاهل قال : قد فعلت (ص 1191) فإن التجربة تثبت أن العلم والمنصب إن سقطا في أيدي من ليس بأهلها كانا وبالا على الناس ، تصبح آلة للفساد ، قلة الأصل هنا ليس المقصود بها المعنى الطبقي أو حصر العلم في طبقة أبناء البيوتات حتى إن أثبتت التجربة أن العلم في طبقة أبناء البيوتات عطاء وليس أخذا ، والمقصود بسوء الأصل هذا سوء الطوية وسوء الخلق وعدم الاهتمام بالناس وحقوق الناس ، والجبروت والطغيان ، ومن يتصف

بهذه الصفات ثم يوضع في يده علم أو منصب بمثابة وضع السيف في يد زنجي ثمل فلا عقل عنده ولا إدراك ومع ذلك فالقوة البهيمية عنده شديدة القوة . . . وما الحل إذن إذا كان المنصب في أيدي من ليس بأهل له ومن يظلم الناس ويسعى في الأرض الفساد ؟ هنا يرى مولانا جلال الدين أن الجهاد مفروض على المسلم المؤمن في هذه الحالة حتى يأخذ السيف (القوة أو السلطة) من يد المجنون وأخذ السلطة من مستغلها استغلالاً سيئاً . . .

وما علامة استغلال السلطة ؟ ؟

علامتها تلك الفضائح التي لا يقوم بها مائة ملك متجبر ، ومن المفاصد ما لا يقوم به مائة وحش مفترس . . .

فإن السلطة هي التي تبدى عيوب كل جهول طاغية متجبر ، إذ أن جهله وطغيانه يظلان مخفيين ما لم يجد الآلة والوسيلة فإن وجد الآلة الوسيلة فقد ملأ الصحراء والوادي بالحيات والعقارب (أعوانه وشرطته وعسسه ومخبريه والمستفيدين منه والطغاة والصغار والجهال الصغار الذين يزينون له الشر) ، وعلامته أن لا يضع الأمور في مواضعها ، فإما أن ييخل في غير موضع أو يسخو في غير موضع ، موازينه مختلة ، تقديره غائب ، يظنه جاهاً وهو بئر قد سقط فيه ، ولا هو يعلم السبيل فيعود ، بل تقوم روحه القبيحة بالقضاء على الأخضر واليابس ، وكيف يستطيع أن يبدي القمر (المثل والقيم الجميلة) وهو لم يره طوال حياته ؟ ثم يلقي مولانا بهذا الحكم الذي تردد عنده وعند كثير من الشعراء الإسلاميين ، عندما كانوا ينظرون إلى البون الشاسع بين قيم الإسلام من العدالة والمساواة وما كان الحكام في عصورهم يرتكبونه من مخازى ومفاصد ،

فيقول إن الحمقى هم الذين جلسوا على دست الحكم . أما العقلاء فقد أخفوا رؤوسهم تحت الأغطية ، وقبله بقرنين قال ناصر خسرو إن الدجال قد جلس على منبر الحق فاجلس أنت صامتا تحت المنبر (ديوان ناصر خسرو ص 154)

وبعد قال حافظ الشيرازي (أخفى الملاك وجوده والشيطان يبدي دلال الحسن . . . وقد احترق العقل متسائلاً أي عجب هذا ؟ ؟

(ديوان حافظ ص 77) ومن أجل القضاء على هذا الفساد كان بعث المصطفى - صلى الله عليه وسلم .

(1452 - 1481) يبدأ الحديث عن دور المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وبعثته في القضاء على الظلم والفساد والجهل . . وقد قلنا في المقدمة إن العنصر الغالب على هذا الجزء هو توزيع الحديث حول التوحيد والدعوة والحرية . . والمزمل الملتف في ثيابه حين مجيء الوحي خوفاً منه لمهابته ، وروى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعرض لاستنكاف من ملأ قريش عن الإيمان برسالاته قدموه بأقوال فأتى وتغطي بثياب ونزلت «يا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ» (مولوى 4 / 202)

والواقع أن السورة من السور التي نزلت للأمر بالجهر والدعوة ، وهو ما أشار إليه مولانا في الشطرة الثانية من البيت أي كفاك هرباً حذراً من أهل الرياء فإنك بالرغم منهم جميعاً العقل لهذا العالم وأنت الشمع المنير لهذا العالم ، هيا قم الليل فالليل هو ليل الجهالة وقيامك بالليل هو بمثابة بث النور في هذا الليل ، ولا بد من وجودك ليل نهار فحتى النهار بدونك ليل ، كما أن الأبطال دون عون قلبك يفقدون كل قواهم ، وأنت السفينة في هذا البحر المواج فأنت نوح الثاني والقوم جميعاً يكونون في حاجة إلى دليل « النبي والرسالة والمرشد في الطريقة » خاصة في البحار الهائجة بحار الجهالة وتفرق السبل والفترة ، هيا انهض يا رسول الله وانظر إلى القافلة البشرية قد قطع عليها الطريق . . .

وفي كل ناحية غول قد ارتدى ثياب المرشد ودبج النظريات والمعتقدات ووصف الطرق التي تقود كلها إلى النار وإلى الدمار ، انهض يا رسول الله فقد أخذوا ديننا وأخفوه عنا وشوهوه في أنظارها وسلبونا أخص مقوماتنا ، ثم حقنونا بنفائاتهم ومشوه نظرياتهم ومردود أفكارهم ، وقادونا واستعبدونا وسلبوا عزتنا ، انهض يا رسول الله فأنت الخضر في زماننا هذا ، أنت غوث كل سفينة تائهة . . أنت نبي الأمة وأنت قائد الجماعة لست نبي العزلة كعيسى . . فكيف

تكون معتزلا وأنت شمع هذه الأمة . . وكيف تكون مزملا والجماعة بك جماعة وبدونك غناء كأنها السيل ، هيا انطلق إلى جماعتك فهذا ليس وقت العزلة فهيا يا عنقاء قاف الهدى واهد الناس . .

هيا فمتى يكف القمر عن الطلوع من عواء الكلاب . . . هيا فالناس جميعا عميان . . وأنت القائل أن « من قاد أعمى أربعين خطوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه » (انقروى 4 / 308)

فهيا اسحب هؤلاء العمى قافلة بعد قافلة هيا أيها الهادي فإن هذا هو عمل الهادي ، هيا فأنت السرور عندما تعم الأحزان الدنيا آخر الزمان . .

هيا يا إمام المتقين وحول أولئك الذين يحومون حول الظنون إلى اليقين . . . هيا فإننا كفيناك المستهزئين وكل من يمكر بك أمكر به . .

أزيده عمى وأزيده من ذلك السم الذي يتناوله وهو يحسبه سكرًا وكيف لا ؟ والعقول إنما تفكر بإرادته وكل من يمكر إنما يستمد حيله كلها من حيل الله تعالى ، وكلها كمنزل من شعر من ذلك يقيم به التركمان أمام قوائم الفيلة المقاتلة ، فماذا يكون مصباح الكافر بك أمام إعصارى يا رسولي العظيم ، قم أيها الرسول العظيم بنفخ ذلك الصور المهول الذي أنفخه في قلوب أتباعك بحولى وقوتى ، فيقوم الملايين من موتى الجهل من تراب العدم والمناصب الوافدة والغفلة وبيع النفس للكافر والاستضعاف والاستحمار والتخلف والضعف .

فإنك إسرافيل الوقت ، وأنت الذي تنفخ الصور فيبعث هؤلاء ويكون بعث قبل البعث وقيامة قبل القيامة . .

وكل من يسألك أيها المحبوب : أين القيامة ومتى الساعة ؟ قل له ها أنا القيامة . .

أليس موتى الروح والفهم يحيون من رسالتي ؟ !

انظر ألم تقم مئات العوالم من هذه القيامة ؟ ألم يعذب الكفرة ويثاب المؤمنون فوق هذه الأرض ؟

ألم تبدل الأرض غير الأرض ؟ ! (1482 - 1489)

إن لم يكن ثمة سمع وإن لم يكن ثمة فهم وإن لم تستضاء القلوب بنور الله ، وإن لم يكن مخاطبك هو من أهل الذكر والقنوت والإيمان . . فأولى بك تسكت والخطاب هنا مزدوج : من الله سبحانه وتعالى

لنبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ومن مولانا جلال الدين لنفسه أولى بك تسكت أيها النبي عن مخاطبة الكافر الذي طبع على قلبه وعلى سمعه وعلى بصره غشاوة ، أولى بك أن تسكت أيها المرشد عند مخاطبة هؤلاء القوم الملولين النيام . . فإن جواب الأحق السكوت . . .

والسماء تسكت عندما لا يكون الدعاء مستجابا ، والمرشد يسكت أيضا عندما لا يكون المرید مستجيبا ثم يبدي مولانا أسفه وحسرتة لقد أن أوان الجنى والمحصول . . لكن عمرنا لا يكفي لإدراكه أي وا أسفاه لقد أدركنا الرسالة ولم ندرك الرسول « قدمت حسرة على الفهم الصحيح » (أنظر 3 / 2100)

والإحاطة بهذه الرسالة والعمل بما يقضى حقها لا يكفيه عمر كامل ، والوقت ضيق وعمر كامل لا يكفي لبيان هذا الكلام ، كما ينبغي ، ليس ضيق الوقت فحسب بل ضيق الأفهام أيضا ، إن الحديث عن الرسالة والرسول أشبه باللعب بالحرايب في طريق ضيق إنه يصيب اللاعبين بالضيق ، فإذا كان جواب الأحق السكوت فما بالك تطيل في هذا الكلام ؟ إن الأحق هنا هو ذلك الذي يشك في قيمة الرسالة . . ويشك في قيمة الإرشاد ، لكن أمطار الرحمة تنزل على الأرض الصالحة والأرض البور .

(1490 - 1496) الحكاية هنا لم يجد فروزانفر أصلا لها وهي أقرب إلى التمثيل بمعنى أن يلبس الشاعر معانيه أشخاصا . . فالعبد هنا قد يكون الجسد والملك والروح . .

وعندما يكون الجسد ميت العقل حي الشهوة فإن لطافات الروح تقل ومهما يشكو العبد فإن الملك لا يجيبه على أساس أن الجسد مهما يشكو من علل تحقيق به من جزاء فساده وحرصه فإن الروح لا تجيبه إلى هذا ، وهكذا فإن العبد لا يدقق في خدمة السلطان ولا يقوم بما ينبغي له من الطاعات ،

وكان ينغمس في الفكر القبيح وهو يظنه حسنا ، وهكذا يأمر السلطان بأن يقللوا من كرايته وإن اعترض فاشطبوا اسمه تماما من ديوان الأرزاق - لكن ذلك العبد كان حرونا متمردا بطبيعته فلم يسأل من السبب في تقليل رزقه ولو كان له

عقل لراجع نفسه ليرى أين يكمن خطؤه وذنبه ، وهكذا فلا بد أن يقوم كل إنسان عندما يصيبه شئ باستخدام عقله أولاً ثم بعد ذلك يبحث عن العوامل الخارجية وهكذا الحمار مقيد القدم عندما يحرن تقيد كلتا قدميه ولا يدرى من حماريته أن هذا جزاء عصيانه ، وهكذا المذنب عموماً كلما انغمس في الذنب كلما ازداد شؤمه وإدباره وهو لا يدرى أن هذا من جزاء ارتكابه للذنب وعصيانه فهذا المملوك لفقدانه عقله وغلبة شهوته أقرب إلى البهيمية منه إلى الإنسانية .

(1497 - 1505) هذا التقسيم الذي يقيمه مولانا بناء على هذا الحديث يريد أن يصل به إلى الإنسان الكامل وهو عند كل الصوفية محمد صلى الله عليه وسلم - الذي يفضل كل الملائكة ، ونص على فضله على جبريل - عليه السلام - ، مع ذلك أن الملائكة لا يعرفون بطبيعتهم إلا العبادة ، ولا محل للشهوة في تركيبهم ، وعملهم هو التسبيح فلا حرص ولا هوى بل نور مطلق حي بالعشق الإلهي يتغذى به ويعيش عليه ، وفي المقابل خلق البهائم ومن يشبهها من البشر الذين يأكلون ويتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، وهم أشبه بالحيوانات لأنها لا ترى سوى الإصطبل والعلف أو على حد قول الإمام علي كرم الله وجهه : « إن البهائم همها بطونها وإن السباع همها العدوان على غيرها » (فيض الإسلام 457)

ولا علم لها بالضر والشرف ولا بالشقاء والسعادة هم من أبناء اللحظة لا تهمهم إلا اللحظة التي يعيشون فيها ، هذا هو الحيوان ومن يشبهه من البشر ، ثم خلق الله صنفاً ثالثاً هم البشر وهو مخلوق من النقيضين :

من أدنى عنصر الطين المخمر والحمأ المسنون وهو حيوان بجسده وأسمى عنصر وهو النفخة الإلهية وليس هذا الكلام بحديث نبوي إذ يستخدم مولانا كلمة الحديث واعتبره نيكلسون منقولاً من أخلاق جلالى عن كلام سيدنا على وهو مذكور في وسائل الشيعة نقلاً عن جعفر الصادق - رضي الله عنه - وذكره الغزالي دون إسناد (استعلامى 4 / 273) .

وهكذا يعبر مولانا جلال الدين عن هذه الثنائية المتصارعة التي يعبر عنها كل الصوفية والتي تعد الميدان الحقيقي للتصوف بأن نصفه ملائكة والنصف الآخر حمار فالنصف الحمارى منجذب إلى عنصره أي أصله إلى شهوات الجسد والنصف الملائكى منجذب أيضا إلى الملاء الأعلى أما الصنفان الآخران فمتوافقان تماما ومستريحان من هذا الصراع وهؤلاء البشر لكي يمتحنوا قسموا إلى ثلاثة أقسام . إنهم جميعا متساوون في الشكل والصورة لكن متى كان حديثنا عن الشكل أو الصورة أو الظاهر ؟ !

(1506 - 1512) إن هؤلاء البشر مع أن أشكالهم وصورهم واحدة إلا أنهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام : وهذا التقسيم موجود في القرآن الكريم «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ، فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» وأيضا « منهم ظالمٌ لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات » ، (سبزواری 4 / 292)

والحديث الشريف في العنوان روى أيضا عن علي - رضي الله عنه - وعن عبد الله بن سنان قال :

سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت : الملائكة أفضل أم بنو آدم فقال قال على ابن أبي طالب - رضي الله عنه - إن الله ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله شهوته كان خيرا من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم (جعفري 10 / 215)

فنوع عاشق مستغرق في عشقه فهو كعيسى عليه السلام قد انمحت عنه البشرية وألحق بالملائكة ، إنه حقيقة على هيئة الإنسان ، لكنه نجا من أسوأ ما في الإنسان من حرص وهوى وغضب وجدال ، إنه حي بالعيان والمشاهدة ، لقد انتفت صفاته البشرية بالرياضة والزهد ، حتى صارت العبادة غذاء له كالملائكة . .

أما النوع الثاني فهو على النقيض تماما من النوع الأول فقد ألحق بالأدنى ، ألحق بالحيوان ، لأن الناحية الحيوانية قد تغلبت عليه فهو غضب محض وشهوة

مغلقة . . وهو لم يخلق هكذا بل كان فيه وصف الملائكة لكن هذا الوصف العظيم ضاق به وجوده الضيق ويستعير هنا صورة من سنائي الغزنوي عندما وصف رحيل عثمان - رضي الله عنه - بأن الرجل كان عظيما وكانت الدنيا ضيقة (حديقة بيت 3398) وهكذا فإن أوصاف الملائكة تغادر هذا الوجود الضيق الذي لا يتسع لها ، وأمثال هؤلاء موتى لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ، وكل ما تبقى منهم جانب الحمارية « أولئك كالأنعام بل هم أضل » والروح التي لا تهتم به روح دنية وهذا الكلام حق يعرفه كل صوفي .

(1513 - 1519) إن الإنسان ليقوم لهذه الروح التي نفخت فيه بأكثر مما يقوم به الحيوان إنه يحتال ويقوم بكثير من الفنون فهو الذي يستطيع أن يقوم بكثير من الصناعات الدقيقة . .

ومنها دقائق الهندسة والنجوم والطب والفلسفة والتكنولوجيا ، لكن كل هذا يقوم به من أجل عمران دنياه كل هذا يقوم به على هذه الصفة من الوجود ، ولعل مولانا قد أدرك بثاقب حسه والعلوم (لا تزال في بدايتها)

أن هذا العمران الدنيوي إنما يخرب جانبا من جوانب الإنسانية ، فهو لا نهاية له ، وهو في نفس الوقت يعطى الإنسان كبرياء يدمر به الآخرين ثم لا يلبث أن يدمر نفسه ، لأن النهاية في العمران الدنيوي الخراب « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ، «

ومن ثم فإن الحل في الإسلام هو وصل الدارين - عندما يتم تكامل الإنسان ماديا على أن يصل هذا التكامل بالدار الآخرة يكون الغرض من الأموال الاكتفاء للجميع ، ومن العلم العمارة ومعرفة الخالق وإلا فإن علماء المسلمين كانوا يستطيعون أن يصلوا إلى ما وصل إليه العلم الحديث لولا أنهم لم يكونوا بالفعل بحاجة إليه فأى حاجة إلى المدفع إذا تم الفتح بالسيف ؟ !!

(1520 - 1532) وغير هذه العلوم هناك علم آخر لا يغنى وجودها عن وجوده ، وبهذا العلم يفضل الإنسان ويتفوق على غيره من المخلوقات ، إنه العلم

الذي يصل بالإنسان مهما كان متكاملاً وناضجاً وحاوياً لعلوم الدنيا بالملأ الأعلى وينجيه من التدرج من فوق القمة إلى السفح ، وإلى المحاق بعد الاكتمال ، ويفتح أمامه الحياة الأبدية الخالدة ، فلا يفنى أبداً ، ذلكم هو علم معرفة الحق ومعرفة طريقه ، ومن ثم فقد جعل هذا التركيب الحيواني مؤتلفاً مع العلم ، وإلا كان الإنسان أضل من الأنعام فبهذا العلم يكون الإنسان في يقظة ذاته ناجياً من الروح الحيوانية التي لا تعرف غير النوم « الحياة الدنيا على فحوى الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا » ، وتلك الروح الحيوانية التي تجعل الناس يملكون أحاسيس معكوسة فيظنون النوم يقظة واليقظة نوماً ، يفضلون الدنيا وهي خيال وحلم نائم على الآخرة التي هي دار البقاء وهي الحيوان لو كانوا يعلمون ، وعندما تأتى اليقظة يمضى النوم . . وعند ذاك تعلم أنك كنت في نوم (انظر لشرح النوم الأول والنوم الثاني الكتاب الثالث شرح أبيات 1735 - 1739)

وتقرأ في لوح وجودك (قلبك) أنك كنت نائماً وتنتفى عنك الغفلة إذا ظهر هذا الحس ظهر عكسه تماماً ومن هنا فالإنسان حيواني الحس يكون (أسفل سافلين) . . لقد خلق في أحسن تقويم وجمعت فيه الحقائق اللاهوتية والدقائق الملكوتية ، كما قال نجم الدين ثم رددناه « أسفل سافلين » الطبيعة (المولوي 4 / 213) .

فكن كما كان الخليل رأس الموحدين فقال « لا أحب الآفلين » ، ودعك من الواهن العابر واختر المتين الثابت الباقي وحذار أن تخدع بالروح الحيوانية لأنها استطاعت أن تغير من أصل وجودك ، والحققة أن ضعفه هو الذي جعل الروح الحيوانية تنفذ إليه وتغيره وهي وإن كانت هكذا في الحيوان ، فإن للحيوان عذره في البهيمية فهي طبعه ، أما الإنسان فهو الذي لديه استعداد الرقى ، واستعداد الصراع ضد الطبيعة ، والطبع والحيوانية هما اللذان يقودانه بالفعل ، فإن كل ما يفعله يزيده غفلة وقرباً من الحيوان ، بل إن أنواع العلاج تكون ذات نتائج عكسية تالية له . هذان هما النوعان الظاهران الواضحان من بين البشر من رقى إلى مرتبة الملائكية ومن

نزول إلى مرتبة الحيوانية ثم يبقى قسم ثالث هو في صراع دائم بين النفس وبين العقل ليل نهار في صراع . . هذا الصنف هو الميدان الرئيسي للعرفان هذه الجدلية الموجودة في الإنسان المخلوق من الحمأ المسنون والنفخة الإلهية من الطين الذي ركب فيه عقل ينأى به عن ذلك الطين .

(1533 - 1543) لم ترد هذه القصة في أخبار المجنون والبيت ورد في كتاب « النوادر » لأبى على القالى في قصيدة لعروة بن حزام (مآخذ 4 / 139) كما روى مولانا نفس الحكاية في كتابه (فيه ما فيه) فميل المجنون للحرية أي ليلي أما الناقة فقد تركت فصيلها وميلها إليه ، فتنازع العقل والنفس كتنازع المجنون والناقة ، فالعقل يريد أن يتقدم أما النفس فتريد أن تعود القهقري ، ولو غفل المجنون (العقل) عن نفسه لحظة واحدة لانطلقت الناقة (النفس) إلى الوراء ، لكن عشق ليلي كان قد ملأ على المجنون كل وجوده ولم يكن هناك بد من أن يغيب عن نفسه قليلا . . إن العقل هو الرقيب الذي يكبح جماح النفس ، لكن عقل المجنون في يد ليلي ، أما الناقة فقد كانت فتية سريعة ، فأحست بأن زمامها مفلوت فأخذت ترجع القهقري على الفور ، وهكذا عندما تسيطر النفس فإنها تأخذ المرء معها إلى الهاوية ، وعندما يفيق العقل يجد أنه قد تفهقر في الطريق وهكذا فإن الطريق الذي يمكن للعقل أن يقطعه في أيام ثلاثة يظل مترددا فيه لسنوات وهكذا يقول المجنون ، كلانا عاشق أيتها الناقة لكن عشقى مضاد لعشقتك ولما كنا ضدين فليس زمامك وفق هواي فاللائق هنا ترك الصحبة واختيار الفراق .

(1544 - 1551) وهكذا فالعقل والنفس كالمجنون والناقة ، كلاهما قاطع لطريق صاحبه ، وكذلك الروح والجسد ، فالروح من هجرانها للعرش وهو موطنها في فاقة (انظر الكتاب الأول شرح الأبيات العشرة الأولى) وفي مواضع أخرى شبه مولانا الجسد الإنساني بأنه الناقة التي ترعى الشوك (انظر

الكتاب الأول الأبيات (1966 - 1971) وانظر شرح مثنوى شريف لفروزانفر الجزء الثالث من دفتر الأول انتشارات دانشگاه تهران 1348 ص 809 - 810) - في حنين دائم وفقر وفاقة واحتياج . . والجسد مطمئن إلى أجمة الشوك يرفعى فيها كما تفعل الناقة ، والروح تخفق بأجنحتها إلى الملاء الأعلى ، بينما يتشبث الجسد بأظافره في الأرض . .

وكأنه يخاطب الروح قائلاً : ما دمت معي يا غريباً عن وطنك . . فأنت ذليل ومبعد يا حبيبي ، وهكذا يمضي العمر على مثل هذه الأحوال ما دام الصراع لم يحسم ، وكأنه التيه وقوم موسى ، والطريق إلى الوصال كله خطوتان أقرب من حبل الوريد لكنه من مكرك أيتها النفس بقيت ستين سنة ، إن الطريق قريب لكني تأخرت . . ومللت . . وأصابني الإنهاك والتعب من الروابي على مركب البدن الذي هو يعود بي القهقري كناقاة المجنون ولا يوصلني إلى منزل المحبوب .

(1551 - 1555) وهكذا عندما توصل المجنون (العقل - السالك - الصوفي) إلى هذا المعنى ألقى بنفسه من فوق الناقة . . وانظر إلى تعبير (ألقى بنفسه) أي لم يفكر ولم ينزل بتوذه ، ولم يجعلها تنزله ويهبط بل حزم أمره وألقى بنفسه . . قرر ونفذ) قائلاً : حتام الاحتراق في حزن التردد والتأخر عن المحبوب ، وهكذا فقد ضاقت الصحراء الواسعة بالمجنون وعشقه فلقى بنفسه في أرض ذات أحجار فانكسرت قدمه . . هكذا تتوالى البلى على المجنون دالة على صدق عشقه (فالعاشق مبتلى) وهكذا يربط قدمه . . لم يعد يستطيع السير فليتدحرج في سبيل ثنيات شعرها الذي يشبه الصولجان كأنه الكرة .

(1556 - 1561) ومن هنا فإن مولانا سنائي يعيب على ذلك الذي يظل ممتطياً مركب البدن ، ويبدو عن هذا عند الحكيم في قوله : إنه لانعدام همة عجيب ألا يخرج المرء عن الروح وإنه لفارس بلا اقبال ذلك الذي لا ينزل عن الجسد (ديوان 485) لقد فعل المجنون ذلك من أجل ليلي ومتى يكون عشق

المولى أقل من عشق ليلى ؟ ! متى تكون الحقيقة أقل من المجاز ؟ !
فأولى بك يا عاشقا أن تصير كرة متدحرجة في ثنايات صولجان العشق . . فإنك إن
نويت هذا السفر فلن تكون في حاجة إلى مركب ، نحن في حاجة إلى مركب الجسد
طالما كنا في سفر الدنيا . .

أما سفر العشق عندما تتخلف من مركب الجسد فهناك الوسيلة وهي الجذب الإلهي
الذي يجذبك إليه فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين » (ليس حديثا نبويا
وورد في أحياء علوم الدين دون نسبة إلى أحد ونسبة عبد الرحمن الجامي إلى أبي
القاسم النصر آبادي) (استعلامى 4 / 277) - جذبا خفيفا رفيقا فلا تحس بمشقة
الرحلة بشكل لا يمكن أن يوصف . .

فلا يمكن أن يصفه جن أو أنس . . وليس ميسرا لكل إنسان ولا يستطيع أن يصل إلى
استحقاقها عامي - فهي لخواص الخواص لقد وصفها فضل أحمد . . وهي الجذبة
الأحمدية منحت لقطب الأقطاب ولا تتيسر إلا بالموت الإرادى فصاحبه يسير بالله في
الله على الله (مولوى 4 / 248) .

(1562 - 1577) عودة إلى قصة الغلام الذي انقص أجره (أو العبد الذي قدر عليه
رزقه) والتي بدأت بالبيت (1490) إن العبد الذي أنقص الملك أجره لم يتصرف
كعبد أمام المليك بل ترك التسليم ، ولم يتأدب في الطلب ، بل ظن نفسه صاحب حق ،
وكتب للملك رقعة مليئة بالإنكار والكراهية ، أما كان أولى أن ينظر في هذا الخطاب
قبل أن يرسله إلى الملك . . هل هو جدير بأن يرسل إلى الملك أو لا ؟ ! وهكذا أنت
أيها الإنسان ، انظر هذا الخطاب المسمى جسديك إن كان جديراً بالمليك فقدمه إليه -
هيا تنح بنفسك جانبا واجمع نفسك ، وطالع صحيفة بدنك ، وحاسب نفسك قبل أن
تحاسب ، وراقب أعمالك هل هي لائقة بأن تقدم إلى السلطان أولا تقدم ، فإن لم تكن
لائقة ، عليك أن تقوم بتمزيقها ، عليك أن تصلح صور أعمالك ، وأن تفتح صفحة
جديدة لكن إياك أن تظن أن هذا الأمر سهل هين ، وإلا لكان الاطلاع على القلب
ودونه فناء الجسد والطبائع - أمر هين

بالنسبة لأي إنسان ، إن الاطلاع على صحيفة البدن أمر صعب إنه عمل الرجال أولئك الرجال الذين يستطيعون مواجهة النفس ، تتبّع الأمراض التي تقع في وجودهم من أثره وأنانية وكبر وغرور وحسد ، كم من الناس يستطيع أن يخلو بنفسه ، ويطالعه بعد أن يجردها من كل هذا الزيف الذي يعلوها والذي يواجه به الناس . . هل تستطيع أن تتحمل مشاهدة ما فيها من مثالب وقبح ؟ !

من منا يستطيع مثلاً قبل أن ينام - أن يخلع عن نفسه وجهه المستعار . . وأن يكون نافذا نظره ليدخل إلى أغوار النفس السحيقة فيطلع على ما فيها من وحوش كامنة تنتظر الفرصة للانقضاض ؟ ! . .

لا . . إننا جائعون قانعون يفهرس هذا الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضر ، قنعنا بالقشور ولم نصل إلى اللباب ، ما هذا الفهرس ؟ هو الإقرار باللسان . . وما الإيمان إلا ما وقر في القلب وصدقه العمل . . فهيا طالع قلبك وافهم ما وقر فيه . . هل هو بالفعل موافق لآقرارك ؟ ! . هل أنت مسلم ؟ !
هل سلم الناس من لسانك ويدك ؟ ! هل أنت موحد . . ألا تعترف بجبار في الأرض فتكون قد سقطت في الشرك ؟ !

هل يوافق قلبك لسانك أو تكون قد سقطت في شرك النفاق ؟ !
إنك تحمل جوالاً ثقيلاً مليئاً بكل عطايا الإله لك . . إنه لن يقل إذا ألقيت إليه نظرة قبل أن تقدمه إلى السلطان انظر إليه أولاً . . فإذا كان لائقاً احمله . . وإلا فاجعله خالياً في البداية من كل ما ليس له قيمة . . وخلص نفسك من العار . . وضع في جوالك ما هو لائق حتى لا تفتضح ولا تشعر بالخزي يوم أن يعرض ما يحمله الناس إلى رب العالمين .

(1578 - 1589) الحكاية هنا لم يذكر لها فروزانفر أصلاً وهو تمثل وقفة من وقفات مولانا جلال الدين لكي يقدم فكاهة أو طريفة توافق مقتضى الحال . .
وفي نفس الوقت يعطى نماذج شخصيته من مجتمعه ، فها هو الفقيه المسكين يرى كبر العمامة يوحى بكثرة العلم (وكثيرون هم في عصرنا الحالي من أشباه الأساتذة يرون أن وجاهة الحلة والمظهر اللامع أجدى من الجد في العلم . . وهم أسرع في الوصول إلى المناصب والجاه لأنهم يتعاملون في زمن يرى أن هذه هي

قيمته الوحيدة ، ويكتب في إعلانات طلب الوظائف حسن المظهر) . . هذه العمامة العظيمة الفخمة الضخمة مكونة من خرق مهلهلة (أو هذا العلم الظاهري الذي يرمز إليه الفقيه مكون من معلومات قد قمشت من هنا وهناك) وظاهر هذه العمامة كأنه حلة من الجنة (ظاهر هذا الفقيه يوحى بأنه عالم فذ) لكن باطنها خلق كالمنافق تماما ظاهرة مزدان وباطنه قبيح . . وها هو أحد خاطفي العمائم ينتظره في مكنن وهو في طريقه إلى المدرسة . . إن فضيحة هؤلاء المتظاهرين كثيرا ما يجعلها الله تعالى على أيدي أهون خلقه ، وما أفضعها رذيلة الادعاء .

فها هو يخطف العمامة من فوق رأسه ويقع نفسه في الفخ ، لقد ظن أنه قد سقط على كنز ثمين ولا يدرى أنه قد سقط على كومة من القمامة تماما مثل أولئك الذين يغترون بمظاهر بعض مدعى العلم ، فيطلبون العلم عليهم وهم أحوج الناس إلى التعليم ، . . وها هو الفقيه يناديه بعبارة صارت مثلا ، افتح العمامة ثم حملها إذا أردت أن تظفر بشئ فتأكد أولا بأي شئ ظفرت ، لا بالخرق البالية وبالقمامة . .

وكل ما بقي في يده من تلك العمامة العظيمة الكبيرة الفخمة ذراع من القماش القديم البالي . . وهكذا كل من يغتر في هؤلاء العلماء الذين يهتمون بالظاهر . . كل ما يظفرون به لفافة خرق بالية لا تنفع ولا تجدى وهكذا أيضا كل من يغترون بظاهر الدنيا ويسرعون في أثرها .

(1593 - 1609) ها هي الدنيا بالرغم من أنها مزدانة خلاصة إلا أنها كالفقيه إياه تحدثك عن عدم وفائها هي من شقين كون وفساد . . والمراد مطلق الوجود ، الوجود والعدم في عالم الحركة فالبقاء والثبات لواجب الوجود وهو الله تعالى أما العالم الطبيعي فهو متجدد (بين الوجود والعدم) أنا بعد أن (سبزواري 4 / 294) غير أن مولانا يرى أن كونها وفسادها حادثان معا جنباً إلى جنب ، فما من كون إلا ويتبعه فساد ثم كون . . وهكذا دواليك ، فالدنيا تتحدث إليك بلسانين : كون يقول لك هلم إلى إنني مبارك الخطى محمود العاقبة . . لكن الفساد

سرعان ما يجيب : إليك عنى فأنا لا شئ . . فما من وجود إلا ويتبعه عدم . . ما من ربيع بهى إلا ويعقبه خريف كئيب . .
 ما من شمس ساطعة إلا ويعقبها غروب . . وما من بدر إلا ويعقبه محاق هذه هي سنة الله في خلقه إن الطفل الجميل ينقلب إلى شيخ مخرف ، كان هذا الغلام الجميل الفاتن سالبا لللب ، انظر إليه في شيخوخته كأنه حقل قطن من شيبه . .
 فلو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسيبه لم يسبه (أبو العلاء المعرى) . .
 كل ما في الكون إلى فساد وفكر معي وإلام يتحول ذلك الطعام الذي كنت تتناوله باشتهاء شديد على المائدة . . كانت هذه اللذة والشهية البادية عليها فما لك . . ما من شئ من طيبات هذه الحياة الدنيا إلا ويلحقه الفساد . . انظر إلى هنا الأستاذ الماهر في صنعته ألا ترتعش أنامله فيما بعد فلا يحسن الإمساك بشئ . . وانظر إلى هذه العين الحسناء الفاتنة ألا تصاب بالعمش وينزف منها الماء . . وانظر إلى ذلك البطل الهمام الذي يشق الصفوف ألا يخاف من فأر في شيخوخته ، انظر إلى الدنيا بهذين المنظرين لطفها البادى ثم فسادها الحتمي .

(1610 - 1621) إذا كانت الدنيا تبدى لك كل هذا ، وإذا كنت تشاهده وتلمسه . . فلا تقل إذن ولقد خدعتنى الدنيا بمكرها قال على - رضي الله عنه - : وقد سمع رجلا يذم الدنيا : أيها الدام للدنيا المغتر بغرورها المخدوع بأباطيلها ، أتغتر بالدنيا ثم تدمها ؟ أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك ؟ ! أمتي استهوتك ؟ !
 أم متى غرتك ؟ أبمصارع آبائك من البلى أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى ؟ !
 كم عدلت بكفيك وكم مرضت بيديك ؟ وكم مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ، إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود عنها ودار موعظة لمن اتعظ بها « (جعفري 10 / 243)
 فالآن وقد أخبرتك وبينت لك : انظر إلى ظاهر الدنيا بعين البصر وإلى حقيقتها بعين البصيرة : انظر إلى أطواقها الذهبية وخمائلها وسلاسلها الذهبية ، (زينة

الرؤساء والملوك) كيف تنقلب في النهاية إلى أغلال في الأعناق (وأحيانا في الدنيا أيضا) وقس على هذا فليس هناك أحب إلى قلب ابن آدم من الجاه ، والجاه قتال حتى في الدنيا نفسها ، قس على هذا ما هو أقل من هذا بكثير انظر إلى العواقب ، ولا تنظر إلى الملعف ، انظر بعينك حتى لا تكون أعور كإبليس ، فمن عوره نظر إلى آدم على أنه من طين فحسب ولم ينظر إلى الجانب الروحي فيه ، ولقد فضل الرجل على المرأة لأنه أكثر تقديرا للعواقب ، وليس بقوته ولا بشجاعته ، وإلا فمن الحيوانات من أشجع منه وأقوى .

(1622 - 1640) هيا واحزم أمرك وتدبر العواقب فأنت بين اختياريين ، والدنيا تناديك بصوتين متضادين تماما ، أحد الصوتين نشور الأتقياء والآخر خداع للأشقياء ، هي تقول إنني ورد على غصن شوك سرعان ما يسقط الورد ويبقى الشوك . . الزهر يصيح ها هنا بائع الورد والشوك يصيح حذار منا وإليك عنا . . وإن قبلت جانبا فعليك أن تفقد الأمل في الجانب الآخر . . فسوف تصم وتعمى عما سوى ما ملت إليه . . هذا صوت يصيح ها أنا ذا حاضر لك هيت لك . .

، وصوت آخر يقول : بل انظر إلى عاقبة هذا الجمال والفتنة فها هو إلا مكر وكمين منصوب لك فانظر إلى عاقبة هذا الجمال ، وما أسعده ذلك الذي حزم أمره من البداية . .

وسمع أقوال الرجال الذي قالوا : يا دنيا غرى غبرى ، لقد أدرك من النهاية أن المكان خال فانتحى جانبا ورأى سوى كل ما اختار اعوجاجا يبدو في ثوب حسن وقشيب ، وخير ما فعل من البداية ، فإنك إن استخدمت الأنية الجديدة من البداية في البول فلن تستطيع مياه الأرض بعدها أن تطهرها فلقد تمكن البول من أصلها وهكذا كل من يجعل الدنيا همه من البداية يكون من الصعب بل من المستحيل أن يقلع عنها فكل شئ في الدنيا يجذب الصالح له الموافق له : الكفر يجذب الكافر والرشد يجذب الرشد وكما هناك من شهوات في الدنيا ، الخير نفسه شهوة بالنسبة لمن لديه استعداد للخير ، والأشياء التي

تجذب مختلفة الحديد يجذبه المغناطيس والقش يجذبه الكهرمان ، وما لا يجذب إلى الأختيار يكون انجذابه إلى الفجار ، تماما من لم يجذب لفرعون ويخدع به إنجذب إلى موسى واستجاب إليه ، وإذا عميت عليك معرفة أحد . . فانظر من اتخذ إماما في حياته فبإمامه وقدوته يعرف .

(1641 - 1649) ما ورد في العنوان : أبيت عند ربي حديث نبوي وبقيته يطعمني ويسقيني (انظر 1 / 3840) وفي الدفتر الخامس شرح آخر للحديث : إن كل إنسان يجذب إليه كل من هو من جنسه ألت ترى مهر كل حيوان يسرع في أثره ، إن تجانسه يبدو من هذه المتابعة ، وانظر إن وليد الإنسان يرضع من الصدر والصدر هو الطرف الأعلى في الإنسان ، بينما وليد الحيوان يرضع من الطرف السفلى لأمه فلم يكرم بالروح ولم يكرم بالاختيار والقسمة عادلة فلا ظلم هناك ولا جور . . بل أنت مختار حر الإرادة فإن كان ثمة جبر فمتى كنت تندم على فعلك القبيح ما دام الله قد قدره عليك ؟ !

وكيف يكون ثمة ظلم تعالى الله عن الظلم علواً كبيراً وهو خالقك وحافظك . . ها هو اليوم يقترب من نهايته لتكن بقية الدرس في الغد . . أي يوم وأي غد ؟ ! وهل يمكن للأيام أن تستوعب سرنا ؟ !

هل يمكن للأسرار أن تنقل في الأصل عبر الدروس ؟ هنا يحل ضيق بمولانا فيقف شاكا في قيمة ما يعمل . . بل شاكا في اخلاصه نفسه . . ويخاطب نفسه أو أحدا آخر : حذار أن تكون واثقا مطمئنا إلى ما فعلت فليست النجاة بالعمل بل بالتوفيق الرباني وليس كل من عمل كثيرا رزق كثيرا بل الرزق مقسوم فكيف تثق وتطمئن إلى حديث سقته رياء ونفاقا . . لعلك بالغت فيه لكنه مثل حباب الماء سرعان ما يزول وينفجر وليست بذات قيمة لكنها واهية امتلأت نورا لكنه كنور البرق لا ثبات له ولا دوام ، ولا يستطيع السالكون السير في ضوء هذا البرق .

(1650 - 1669) لا يزال مولانا في نفس « القبض » الذي سيطر عليه فهو قد فقد الأمل في هذه الدنيا وأهلها ، واعتراه القنوط من أن يرى منهم خيرا أو

يدفع عن نفسه منم شرا : فهذه الدنيا لا نفع فيها لا هي ولا أهلها . . هم مثلها تماما لا وفاء لهم وابن الدنيا تماما مثل أمه لا وفاء عنده . . أما أهل ذلك العالم من الأولياء والأنبياء فهم محافظون على عهدهم وميثاقهم إلى الأبد ، ولذلك فهم في توحيد ووحدية فهل سمعت أن نبيين تشاجرا معا ؟ !
هل سمعت أن نبيا سرق معجزة من نبي آخر ؟ ! وهذه الفكرة مأخوذة من شمس الدين التبريزي (مقالات 356) .

إن ثمارهم من العالم الآخر ولذلك لا يطرأ عليها فساد بل هي نضرة دائما ، سرورهم دائم وسعادتهم مستمرة لأنها سعادة نابعة من العقل . .

وشتان ما بين هذا السرور وبين السرور الذي نتج عن اشباع شهوات النفس ، فالنفس لا عهد لها ومن ثم وجب قتلها إنها دنية وقبلتها الدنيا من شهوة وفسق ومعصية وكبر وتفاجر وغرور وهوى وهوس ومن ثم فهذا المحفل أي محفل الدنيا لائق بالنفوس . .
كما يليق القبر أو الكفن بالميت والنفس وإن كانت ذكية عالمة بالدقائق أي إن كان أربابها أذكاء مدققون عالمون بالدقائق في صدر كل مجلس وقبلتها الدنيا فاعتبرها ميتة لكن هناك أمل في أن تحيا تلك النفوس الميتة إذا صب عليها ماء وحى الحق ، إن الإيمان والمعرفة اللدنية الإلهية منهما تكون الحياة الخالدة ، والصيت الذي لا يعقبه خمول ، وشعاع شمس الحقيقة التي لا يعقبها أفول . .
وهي شمس الإرشاد ، ودعك من تلك الفنون الدقيقة والجدل والنقل وعلوم الدنيا إنها بناء فرعون ألم بين فرعون صرحا على الطين ؟ ! ألم يكن في قصر تجرى من تحته الأنهار ؟ !

ألم يأخذ من زينة الدنيا ؟ ! وهل يمكن لأحد أن يكون له ما كان لفرعون من زينة ومن جاه وسلطان لكن الأجل في انتظارها كأنه ماء النيل الذي تحول إلى دم ، إن هذه المعارف الدنيوية بأبهتها وقعقتها وكبكبتهها وسحرها بالرغم من أنها تجذب إليها الخلق أشبه بحيات سحرة فرعون ، إنها تسحر العيون فحسب لا تتجاوز الإبهار البصري إلى العقول والأفهام والقلوب ، والموت بالنسبة لها كحية موسى يبتلعها جميعا ، لقد

ابتلعت حية موسى كل السحر كعالم ملئ بالظلمة ابتلعه نور الصبح والنور الذي ابتلع ذلك الظلام لم يزد به بل ظل على حاله الذي كان عليه ، من قبل ذلك نور الله الذي يسطع على الخلائق لا تزداد به ذاته الشريفة فالزيادة في الأمر وليست في الذات ومتى وجدت الموجودات بإيجاده كان كل شئ هالكا إلا وجهه كل فان في الأزل وهي باقية لم تنزل ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم - كان الله ولم يكن معه شئ وقال الجنيد قدس الله سره : الآن كما كان وقال عبد الرحمن الجامي : كان منجم الحسن ذاك ولم يكن ثم علامة عن الكون ، الآن أن عرفت ما عليه كان (انقروى 4 / 362 - 363)

فلا زيادة في ذاته من أخذ ولا نقص فيها من عطاء وهناك بلا شك فرق بين زيادة الأثر وزيادة الذات ، وزيادة الأثر اظهاره تعالى للأثر حتى تظهر صفاته الكاملة وقدرته الشاملة وغرائب صنعته الثابتة . .

والزيادة في الذات تدل على إنها حادثة وعليلة بالعلل ، وكما كان في غيب ذاته موصوفاً بالكمال والغنى فهو بعد ايجاد الخلق منزّه عن أوصاف الحوادث وغنى عن العالمين فالوجود لله تعالى حقيقة ولما عاده عارية كما قال في حديث القدس : « خلقت الخلق كي يربحوا على لا أن أربح عليهم » (انقروى 4 / 364) .

(1670 - 1676) ها هو موسى عليه السلام بالرغم من تمكينه ونبوته وثبات إيمانه ووفرة نصيبه من النور الإلهي ، يعتريه الخوف عندما يرى سحر السحرة قد اختطف أبصار القوم وألبابهم ، وقيل بل خاف موسى لأن سحرهم من جنس معجزته فخاف أن يلتبس الأمر على الناس فلا يؤمنوا به -

وقال نجم الدين كبرى يشير إلى أن البشرية منه مأخوذة الحيلة الانسانية وكونه نبيا إلى أن ينزع الله الخوف منه ، (مولوى 4 / 223) .

ويطمئن الحق موسى عليه السلام إنه سوف يخلق التمييز في الخلق ، فالتمييز هبة من الله وعطية من عطايه فلو أنهم بدوا في أنظارك بحرا مرغيا مزبدا فإنك أنت الأعلى «فَأَلْقُوا جِبَالَهُمْ

وَعَصِيَّهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ» (الشعراء : 44) «فَلَمَّا أَتَوْا
سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ . . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ
عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَوَقَعَ الْحَقُّ ، وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ
وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ» (الأعراف : 116 - 122)

لقد أرسل الله سبحانه إليهم معجزة من جنس ما كانوا يفخرون به كان فخرهم السحر
فأرسل إليهم عصا أبطلت سحرهم ، وهكذا يكون المحك دائما من جنس الفخر ، فكل
حي ادعى الملاحه والجمال فالموت في انتظاره ، المحك إذن في انتظار تمييز الذهب
النضار رجل الحق من المزيف المدعى وبخاصة عند أولئك الذين يكشف لهم بعض
الكشف فيغترون ويمتحنون ببعض الكرامات فيضلون ويدعون الارشاد وكل شئ
يمضى ولا يتبقى إلا الاسم : مضى السحر إلى حال سبيله كما مضت المعجزة ،
وانعدم الكل ولم يبق إلا الاسم ولم يبق من السحر إلا اللعنة ومن الدين إلا الرفعة .

(1677 - 1694) وإذا كان المحك قد اختفى ، انتهت النبوة ولم يبق إلا المعاد محكا
بالنسبة للرجال والنساء ، فهل أيها الزيف هذا عصرك وأوانك فهيا تعال هنا وتنفج
وتحدث بما ليس فيك ، فإن الأيدي سوف تتناوبك والناس سوف يلتفون حولك ، ما دام
المحك (الموت) ليس موجودا ،

وها هو الزيف يجادل الذهب قائلا له متى كنت أيها الذهب أقل منك ،
لكن الذهب يرد عليه قائلا قد يكون هذا في الظاهر أيها الرفيق لكن الموت آت لا
محالة فكن منتظرا له « والموت هو هدية المؤمن » أليس من بعده يكون الفصل بينه
وبين المنافق والموت تحفة المؤمن وريحانة المؤمن فهل ينقص الذهب الخالص من
المقراض ؟

أو لو أدرك الزيف العاقبة لنجا من السواد في الآخرة ولنجا من النفاق ومن الغناء
ولطلب كيمياء من فضل الله عند الأولياء والمرشدين الذين يبدلون المنافق الشقي إلى
مؤمن

وسعيد كما تبدل الكيمياء المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة ، ويغلب عقله وقلبه على نفاقه واحتياله ولتنازل عن كبريائه ولجأ إلى رب المنكسرين عبداً مسكيناً ، إذن لجبر انكساره ولربطه على الفور برباط المنكسرين ونجاه من كبره ومن شقوته . لقد ساق الفضل الإلهي أولئك الكفار الذين يشبهون النحاس إلى الأكسير . . نعم لقد اعترفوا بأنهم كفار ، اعترف بعجزك أمام الله وبعبوديتك واحتياجك يهديك ، أما إذا كنت هكذا محتاجاً متكبراً وكافراً منافقاً متظاهراً بالإيمان تماماً كالزيف المطلى بطلاء الذهب ، فسوف تظل محروماً ، وإياك أيها الزيف من الدعوى فسرعان ما يفيق طالبوك والمتحلقون حولك فيرون زيفك ، إن ذلك الضياء الساطع الذي سيضيء عرصات المحشر سوف يفتح عيونهم وسوف يفتضح آنذاك كيف وضعت الكمائم على عيونهم ، وكيف خدعتهم وانظر آنذاك لأولئك الذين رأوا العاقبة كيف أصبحوا حسرة على الأرواح وحسدا للعيون . .

وانظر أيها الزيف إلى أولئك الذين اهتموا بالحال وكيف أبعدوا رؤسهم الفاسدة عن أصل السر والوطن الحقيقي وهجروا عالم المعنى كلية . . إن ذلك الذي يتعلق بالحاضر ويتعلق بالحال ولا يرى وجوداً سوى وجود الدنيا وهو في جهل وشك يتساوى عنده الصبح الصادق (المرشد الحقيقي) مع الصبح الكاذب (المرشد المزور أو المزيف) وكم أهلك الصبح الكاذب من قوافل سارت على نوره المزيف فلم تلبث أن وجدت نفسها في الضلام الدامس وابتلعتها تلك الصحارى من الضلال ، وما من حال حاضر إلا وهو ماض في الضلالة أن نظرت إلى صورته ولم تدرك سره ، وهو جدير حقاً بالأسف والحسره ذلك الإنسان الذي لا محك له ولا مقراض معه يستطيع بهما أن يختبر المعدن الذي يعرض عليه فيرى إن كان ذهباً خالصاً أو كأساً مطلياً بالذهب ، ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذباب (انقروى 4 / 369) .

(1695 - 1706) إن مثال الزيف والمعدن الرخيص الذي ادعى أنه معدن نفيس هو مسيلمة الكذاب الذي سمى نفسه أحمد مدعى أن الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه محمد فحسب وإن أحمد رسول نص عليه في القرآن ، ويسمى برحمن اليمامة ، وقتل بحربة وحشى قاتل حمزة !! الذي قال هذه بهذه (انظر تاريخ الطبري ج - 3 ص والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج - 1) هذا المدعى ادعى أنه سوف يقضى على دين محمد . .

فهيا قل لأبى مسيلمة الكذاب ولكل كذاب كفاك بطرا وجحودا ودعك من النظر إلى الدنيا وانظر إلى اللعنة التي سوف تصيبك في النهاية ، ولا تكن مرشدا للخلق وكل هدفك هو جمع المال وكن تابعا لشمع الدين لكي ينير لك الطريق ويخلصك من النفاق والكفر ويريك مقصدك كأنه القمر وترى أن كان في القمر نفع أو في هذا المصباح وهو الذي تستطيع أن تميز به بين الصقر (المرشد الحقيقي) لأنه قادر على اجتياز العقبات ولأنه في كف المليك ولأنه في حاد البصر ، - وتوصف روح الصوفي أو السالك أيضا بأنها كالصقر بينما وصف ابن سينا (الفيلسوف) الروح بأنها حمامة

- وبين الزاغ (أي الشيخ المزور الكذاب) وإن قلت أنك تستطيع أن تميز بينهما ، وأن الفرق بينهما بين واضح وليس في حاجة إلى المرشد ، أقول لك وإن طيور الزاغ أو الغربان تعلمت تقليد أصوات الطيور البيضاء أي الصقور البيضاء وهي أغلى أنواع الصقور ، أي إن أولئك الذين يدعون الإرشاد يقلدون حركات المرشدين ، وسكناتهم دون أن يكون لهم بواطنهم وعلمهم وإن تعلم أحد صوت الهدد ، (أي أرباب العلم والمعرفة)

فقل له أين سر الهدد وأين الرسالة التي جاء بها من سبأ . .
نعم فأن لكل ظاهر باطنا يستتبعه ، والمنافق المدعى فحسب هو الذي يقف عند الظاهر والطيور كلها تغرد لكن فرقا شاسعا بين تغريد طائر محلق في أجواز الفضاء وتغريد طائر حبيس في ركن من قفص ،
أعلم هذا الفرق البين بين من لا تقف أمام أحاديثه حواجز والكون كله مفتوح أمامه وبين قانع بالمظهر لكن

باطنه بلقع لا تجرى على لسانه حكمة الشيخ . . وميز بين تاج الهدد وتاج الملك وإن كان كلاهما تاجا - إن أولئك الذين حرموا نعمة الحياء (وهو من الإيمان) أخذوا يتحدثون بأطراف ألسنتهم دون قلوبهم (وقلوبهم خاوية) بأحاديث المرشدين والعارفين وما كان هلاك الأمم إلا من اتباعهم لأمثال هؤلاء ، لقد ظنوا إن الصندل عود هذا بالرغم من أن تلك الأمم كانت تستطيع التمييز وكان لديها نفس المقاييس لكن الحرص والهوى يصمان ، حبك الشئ يعمى ويصم ، إن الأعمى ليس مبعدا عن رحمة الله ، بل أن الله سبحانه وتعالى يضع الرحمة في قلوب عباده بالنسبة له ويشفقون عليه لكن أعمى الحرص وأعمى الهوى وأعمى الغرض ليس معذورا ، وإن الذي يصلبه الملك ليس بعيدا عن الرحمة أيضا لكن الذي يصلبه الحسد أي يكون مبتلى بالحسد فيكون كالمصلوب الذي ينظر إلى موضع واحد وأفق نظره محدود تماما يكون في عناء وبلاء من حسده لكنه لا يستطيع أن ينجو منه لأنه مرض بلا دواء والعياذ بالله .

(1707 - 1716) انظرى يا سمكة في بحر الحياة المتلاطم إلى الشص ، وقاومى ، فإن شهوة الحلق قد أغلقت عين العاقبة عندك . . هيا انظر بعينيك الاثنتين إلى البداية والنهاية ولا تكن أعور كإبليس اللعين ، والأعور هو الذي ينظر بعين واحدة وينظر إلى الحاضر فحسب ، ومن ثم فهو كالدواب لا علم لها عندها بما خلفها وقدامها عن الظاهر والباطن وعن المبدأ والمعاد ، ومن هنا فإن دية عيني بقرة هما كدية عين واحدة ، لأن بصرها محدود والفقهاء يفسرون ذلك بأن الدابة لها عيناها وعينا مستعملها فهي بمثابة عيون أربعة ، ومن ثم فالعينان بمثابة عين واحدة عند إنسان وقد قضى - صلى الله عليه وسلم في عين الدابة بربع القيمة ، ويفسر مولانا بأن عين البقرة تساويان نصف قيمة عين الإنسان لأنهما تعتمدان على عين الإنسان . . ولأن عيني الإنسان تقومان بالعمل دون مساعدة من الآخر . وبالطبع كان مولانا فقيها قبل أن يكون صوفيا ، لكنه

يسرع ويترك هذه المجادلة الفقهية لفسر لنا تفسيراً صوفياً بأن عين الحمار ناظرة إلى اللحظة إلى الحاضر وليست ناظرة إلى العاقبة ، فحكم الحمار هو حكم الأعور ويرى نفسه سوف ينغمس مرة أخرى في المناقشة الفقهية فيقول بأن هذا الكلام كلام آخر وأن الغلام الذي أنقض أجره مشغول بكتابه رقعة طمعا في الرغيف .
ولكل اهتمامه ، فهمة المرشد إلى ما ينفع مريديه وهمة الغلام إلى ما يملأ بطنه .

(1717 - 1728) عودة إلى قصة الغلام الذي أنقص أجره والتي بدأت بالبيت 1491 وأشار إليها إشارة عابرة في البيت 1563 فما هو يريد أن يضع وزر ما حاق به على كل الناس إلا على نفسه ، فما هو يجادل رئيس الطابخين الذي يحاول أن يقنعه أن الذي حدث لم يكن من فعله هو أولا ،
ثانيا : إن السلطان لم ينقص أجر الغلام بخلا منه . فالسلطان مشهور بالسخاء والجود وإنما يعطى لكل إنسان على قدر مصلحته « وإن من عبادي من يصلح لهم الغنى وإذا أفقرتهم فسدوا وإن منهم لمن يصلح لهم الفقر وإذا أغنيتهم فسدوا » .
(حديث نبوي) وإنما هم عبيد مأمورون والعاطى في الحقيقة هو السلطان : فليدع السلطان ، ليدع الأصل وليترك الفروع ، هيا انظر إلى الآية الكريمة « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى » (الأنفال : 17)
قال نجم الدين : نفى القتل عن الصحابة بالكلية وأثبتته لنفسه ونفى الرمي عن حبيبه وأثبتته له ثم أثبتته لنفسه وهنا ما نفى الرمي عن النبي عليه السلام بالكلية بل أسند إليه الرمي ولكنه نفى وجوده بالكلية في الرمي وأثبتته لنفسه أي ما رميت بك إذ رميت ولكن رميت بالله وذلك في مقام التجلي فإذا تجلى الله لعبده بصفته من صفاته يظهر على عبد منه فعل يناسب تلك الصفة .
كما كان من قال عيسى عليه السلام لما تجلى الله له بصفته الإحياء كان يحيى الموتى بإذنه وهذا كقوله : كنت له سمعا وبصرا ويذا (مولوى 4 / 243) والغلام مع كل ذلك لم يرتدع . . فانتحى جانبا وكتب رسالة .

(1729 - 1738) إن رقعة الغلام للملك شبيهة بأحاديثنا جميعا إلى السلطان : لقد أثنى الغلام في رقعته على السلطان ، تحدث عن جوده وسخائه وعن أنه أكرم من البحر والسحاب ، ذلك أن السحاب يجود بالمطر باكيا ، أما الملك فيجود بالعطية ضاحكا هذا هو المدح الموجود بالرقعة لكن رائحة الغضب تفوح منها وانظر إلى أي إنسان قدر عليه رزقه انظر إليه وهو ينادى : يا الله أهى رنة التضرع التي تفوح من قوله والاحتياج ، أو هي رنة العتاب والغضب . .

إنه خطاب غاضب هدفه اظهار الغضب ، وما الثناء والمدح هنا إلا من قبيل الرياء ويترك مولانا جلال الدين الغلام الذي يغضب ويمدح من أجل الخبز لا من أجل الرضا ، ويتجه بالحديث إلى غلمان السوء في الدنيا : من هذا فكل أفعالك أيها الغافل المرئي بلا نور ،

ليست أفعالك القبيحة بل عباداتك وطاعاتك أيضا لأنك بعيد تماما عن النور الطبيعي والنور الإلهي ، وهكذا أعمال الأخساء الأذنياء لا رونق فيها ولا ازدهار ولا طائل من ورائها مهما بدت طيبة ،

فهكذا شأن الفاكهة الفجة غير الناضجة تماما سريعا ما تعطن ، وهكذا رونق الدنيا وزخرفها ، لا طائل من ورائه فهي عالم الكون والفساد وطالما أنت تمدح أحدا باللسان دون أن يمدحه قلبك . فإن الصدور لا تنشرح بهذا المدح فالحقد في قلب المادح يمنع مدائحه من التأثير فلا صدق في التعبير ولا إخلاص فلا يتجاوز الأذان إلى القلوب . . فقبل أن تقرأ « الحمد » أدخل قلبك في البداية من الحقد والكراهية ، فالحمد على اللسان . .

والاكراه في القلب يكون نوعا من خداع اللسان وغشه واحتياله إذ أن « الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » الاخلاص في العمل إذن أساس قبول أي عمل أو نجاحه : لا تتحدث عن المستضعفين وأنت غارق في الرفاهية ، لا تكتب عن الجهاد وأنت خامل ضعيف لا يتأتى منك فعل ، لا تكتب عن العمل وأنت عاطل ، ولا تتحدث عن العطاء وأنت لا تفعل شيئا إلا أن تأخذ . . كثيرون هم أمثالك في هذا العالم .

(1739 - 1751) على مستوى آخر من التعبير مستوى السخرية القائمة التي تحتوى في ثناياها على المعاني العميقة ، لكن الصورة في مستوى المریدین العادیين . إن فحوى الحكاية من ذلك الشاعر الذي رد خائبا من خليفة العراق ، ومع رثاءة مظهره يسوق لرفاقه الأحاديث الطوال عن عطايا الخليفة له ، ويبدو فيما يقول فروزانفر أن الحكاية استيحاء من بيتي بشار بن برد : أثنى عليك ولي حال تكذبني * فيما أقول فأستحي من الناس

قد قلت إن أبا حفص لأكرم من * يمشى فخاصمنى في ذاك افلاسى
والبيت :

فإذا نطقت بشكر برك جاهدا * فلسان حالي بالشكاية ينطق
(مآخذ 4 / 140) .

وكذا المنافق تظهر على هيئته من آثار ما يكذب ظاهر أقواله إن لسانه يمدح ، لكن أعضائه كلها تشكو وعندما يسأله الناس : « ألم يعطك الخليفة فيما أعطى نعلا وسروالا . . . ويظل سادرا في غيه ولم لا ؟ ! أعطاني ولكني آثرت به الفقراء والأيتام . . لقد أعطيت المال وظفرت بالعمر الطويل فالصدقة تزيد العمر » .

(1752 - 1762) كل هذا الكلام جميل . . لكنه من علامات الذي يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ذلك الرضا الذي يفيض من داخله على ظاهره . . إن كنت قد أخذت . . وآثرت بما أخذت ، فقد قمت بالرضا مرتين مرة الأخذ ومرة بالايثار فلماذا إذن هذا الدخان الذي يتصاعده من النار المستعرة في داخلك . . لماذا هذا الانقباض ؟ !

إن هناك كراهة في باطنك تخزك كأنها الشوك . . وعلى وجهك الهم فمتى كان الهم هو دليل الاستبشار ؟ !

أين أمارات العشق والإيثار والرضا إذا كان ما قلته فيما مضى صحيحا ؟ !
نفرض أن المال قد أخذته وأنفقتة فأين غنى القلب وميله إلى الملاء الأعلى ؟ !
إن السيل ليترك أثره حينما يمر . . فأين أثر ذلك

السيل الذي تتحدث عنه ؟ وإذا كانت عينك سوداء فانتبه . . فلماذا هي الآن زرقاء كدرة بلا نور ؟ ! أيها العبوس أين أمارات الاخلاص ؟ إنك تجدف وتدعى . . فاصمت . . فهناك مئات العلامات للإيثار في القلب وهناك مئات العلامات تراها على وجه المحسن « سيماهم في وجوههم » . .

إن العمل وإن كان مخلصا فإن سيماه على الوجه بشارة وتهلل وارتياح ورضا يشمل وجود المرء كله ، إن الذي أضاع ماله وأتلفه إيثارا يسمع من داخل قلب أن الله سبحانه وتعالى سوف يخلف عليه . . الحبة . . بسبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء فهل يمكن أن تكون هناك زراعة في أرض الله ثم لا يكون منها ربع ؟ ! أليس الصدقات والخيرات زراعة في أرض الله ؟ وإن لم يزد ريع العناقيد والسنابل فمتى كان الله سبحانه وتعالى يصف أرضه بأنها واسعة ؟ !

وإذا كانت هذه الأرض الفانية أرض الدنيا تغل فيخلف عليك في الدنيا ، تزرعها وتحصد منها . . فكيف إذن تكون غلة الأرض الواسعة ؟ ! قارن وتصور !!

(1763 - 1772) عودة إلى خطاب الشاعر : لقد قلت الحمد فأين أمارته ؟ لا هي موجودة داخلك ولا هي ظاهرة عليك . . وذلك الغلام الأحقق قربه من السلطان قرب ظاهري لكنه بعيد بعد المشرقين ، « من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليخرج من أرضي وسمائي وليطلب ربا سواي » والرضا على الله تعالى في كل ما فعل أمات أو أحيى أفقر أو أغنى أبلى أو ابتلى أبهج أو أشجى فإن جميع ما يفعله فضل وعدل وكله عاقبته حميدة ، . . وعن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إذا أنعم الله على عبده نعمة فيقول العبد الحمد لله فيقول الله تعالى : أنظروا إلى عبدي أعطيته مالا قدرة له عليه فأعطاني ما لا قيمة له عندي (انقروى 4 / 386)

وقيل الشكر ثلاثة أنواع شكر باللسان وشكر بالقلب وشكر يجمع الجوارح على ما يليق بكل جارحة ، فشكر العينين غضهما عن محارم الله وعن عيوب الناس ، وشكر

الأذنين التصامم عن عيوبهم وعما لا يحل سماعه ، وشكر اليدين كفهما عن أموال الناس ، وشكر الرجلين كفهما عن المشي في المعصية ، وشكر العقل المعرفة وشكر اللسان الذكر والثناء ، وشكر الأعضاء الخشبية من الله تعالى وشكر النفس العبادة والفناء ، وشكر الروح الخوف والرضا وشكر القلوب الصدق والوفاء ، وشكر العقل التعليم والسخاء ، وشكر المعرفة التسليم والرضا ، والحمد يوضع موضع الشكر وإن كان الحمد أعم من الشكر ، لأن الشكر هو الثناء على المنعم بما أولاك من النعمة والحمد الثناء على الذات لصفاتها الحميدة كائنة ما كانت وفي الصحيح أن أول من يدخل الجنة الحامدون لله على كل حال وقال عليه السلام : الحمد لله شكر على كل نعمة (مولوى 4 / 248 - وهذا المعنى وارد في شرح التعرف 3 / 137 مع بعض التفصيل) ،

والحمد الحقيقي إنما يتأتى من العارف بالله تعالى بحيث تكون يده وقدمه شاهدين على هذا الحمد ، وإنما ذكر هنا البعض دلالة على الكل . . أي تكون كل جوارحه شاهدة على هذا الحمد وبهذا الحمد الذي يزيد النعم سحب العارف بالله من بئر جسده المظلم واشتراه من قيد سجن الدنيا ، وآية حمده التقوى بادية كأنها عبادة من الأطلس يضعها على كتفه والنور المؤتلف معه حيثما يمضى ولقد نجا في الدنيا فهو دائما في نزهة في بستان الطاعات وشارب من العين الجارية

وقال نجم الدين : العين الجارية من المعرفة والسرر المرفوعة أي الأسرار الرفيعة التي يصل إليها المقربون عبادة وهم أيضا في « مقعد صدق عند مليك مقتدر » « إن حمدهم بادي الأثر يفعل بالنفوس فعل الربيع بالرياض وله مئات الأمارات » والعلامات ، ومن حمده أي العارف آثار معنوية تفوق العيون والنخيل والزرع والأشجار من العارف تجلو بجلاء المعرفة وصقلت بصقال العلم والحكمة وشواهد حمده أكثر من أن تعد وتحصى لاحقة لهم كشهادة الدر على وجوده في الصدف أو قل : إنها مخفية كالدر الغالي في الصدف الرث المظهر .

(1773 - 1786) ها هو يخاطب النفاق الذي يثرثر بما لا يفهم ويدعى ما ليس فيه قائلا : إن رائحة الكراهية وعدم الرضا تفوح من فمك كأنها رائحة الثوم ، ومن رأسك ووجهك يتأجج حزنك أيها النفاق ، وهذه المعركة فيها علماء حاذقون بالروائح ذوو فراسة ، ينظرون بنور الله ، ويدركون ما تحت الظاهر الخلاب من فقر مدقع . إنها معركة ، فإياك أن تظهر من نفسك شجاعة ليست فيك وجلدا ليس من خلقك وإلا فضحك هؤلاء ، لا نتحدث عن المسك بينما يفوح منك البصل وكيف تقول لقد طعمت الورد المطبوخ بالسكر بينما تفوح منك رائحة البصل قائلة لك : لا تهرف ولا تجدف ولا تتحدث عبثا وهذرا ، ها أنت تتحدث عن الباقيات الصالحات وعن الطيبات وتصعد إلى سماوات من صنع خيالك ، وتحاكي الطبيعة متحدثا عن عالم لم تدرك منه لمحة واحدة لكن قدمك الثابتة في الطين تكذبك ، إن ما تفعله ليس إلا من قبيل تعلقك بالدنيا أيضا ، ثم أين ذلك النور الذي يشع من الأخيار الطيبين . . لعلك . .

تظن أن أحدا ليس مطلعاً على قلبك ، ألا فاعلم أن لهذا البيت الواسع الموجود داخلك جيرانا حقيقيين يطلعون على أسرارهم وعلى ما يظن أنه خفي ، هم جواسيس القلوب يعرفون الناس بالتوسم ، يطلعون على القلوب من كوة لا اشتراك لك فيها ولا حصّة لك منها ولا تدري عنها شيئا هي حصّة القلب المستنير بنور الله وإن كنت لا تصدق ذلك . . أن هناك من يرونك دون أن تراهم ، ومن يطلعون على أسرارك دون أن تعرف عنهم شيئا . فاقراً في القرآن الكريم «إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ» (الأعراف : 27)

فها هو طريق لا يعرفه الإنس . . لأنه خارج نطاق معرفتهم وحواسهم فإياك والاحتيايل والتصنع والتكلف في وسط هؤلاء الناقدين الذين ينقدون الزيف من الصحيح ، هم المحك المعنوي ، أليس المحك يكون عالما بسر القلب ، إذ جعله الله تعالى لكي يظهر القلوب ويجذب الأدران خارجها ، وكل هذا إنما يتم بالفراسة « واتقوا فراسة العبد المؤمن فإنه ينظر بنور الله » وإذا

سألت كيف ذلك ؟ ! أقول لك ولم لا ؟ ! ألم ينص القرآن على أن الشياطين مع غلظة طبعها تطلع على أمورنا من حيث لا نراها ؟ !
 وألم يقل الرسول - صلى الله عليه وسلم - « إن الشيطان يجري من بن آدم مجرى الدم » وألا تتسلل الشياطين إلينا في مسارب عديدة إلى وجودنا وبواطننا فهل اطلعت أنت على مداخلها إلينا ؟ !
 هل تتبععت تخريبها وتقليبها وتحطيمها لنا وأخذها لنا من الداخل ؟ إنها معروفة وبديهية فهل تدري عنها شيئاً ؟ !!
 (1787 - 1794) فإذا كان الأمر كذلك . . فلماذا تكون الأرواح التي استضاءت بنور الله من الأولياء والمرشدين بلا علم عن أحوال باطنك ؟ !
 لقد نجحت هذه الأرواح فيما لم تتجح فيه الشياطين ، لقد وجدوا طريقاً إلى الفلك ، واستقروا فوق قمة الكون . .
 ووصلوا إلى ما لا يتوهمه بشر ، بينما أغلق الملائكة الأمام الشياطين الذين كانوا يتسمعون فيتبعهم شهاب ثاقب . . الشيطان لا يستطيع إذن أن يذهب إلى الملائكة الأعلى إذ يتبعه في هذه الحالة شهاب ثاقب قينقلب كطعين السنان في الحرب . . فإذا كنت مشلول الفكر والخيال وأعمى البصيرة واهما . .
 « لك عين لا تبصر بها وأذن لا تسمع بها » فلا تظن أن أولياء الله مثلك وحذار أن تظن فيهم هذا الظن ، واخجل ولا تقامر بنفسك ، ولا تجلب على نفسك المشقة فمن الناحية الأخرى للجسد . . في الباطن . .
 هناك جواسيس القلوب من أهل الصدق ، فإذا جالستموهم فجالسوهم بالصدق والخلوص فإنهم جواسيس القلوب داخلون في أسراركم من حيث لا تشعرون فإذا تأدبت معهم عالجوك (مولوى 4 / 253)
 قول أبي يعقوب السوسى (انقروى 4 / 396) على فحوى « وإذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق » .

(1795 - 1801) إن أطباء القلوب هؤلاء لم يأتوا بجديد بل كل ما يقومون به وارد في القرآن الكريم وفي الطب النبوي الشريف ، إنهم يعالجون

المريض دون نبض أو قارورة كالأطباء الجسمانيين ، يعرفونه من لحن قوله . .
«وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» (سورة محمد آية / 30) أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم - كان يعرف المنافقين من لهجتهم في الحديث والألفاظ التي يستخدمونها بل وطريقتهم في النطق ، ورواية الرسول عليه السلام إذ قال لعائشة رضي الله عنها : « إني لأعلم إذا كنت عني راضية أو إذا كنت على غضبي قالت : فقلت ومن أين تعرف ذلك فقال عليه السلام وإذا كنت عني راضية تقولين لا ورب محمد وإذا كنت على غضبي قلت لا ورب إبراهيم - قالت : أجل والله لا أهرج إلا اسمك » وفي القرآن الكريم أيضا يخاطب رسوله عليه السلام « ولتعرفنهم بسيمائهم » (سورة محمد آية 30) كما قال تعالى « وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ » (الزمر آية 45)

وقد فسر أبو طالب المكي هذا بقوله :
وقد جعل الله وصف الكافرين أنهم إذا ذكر الله وحده في شيء انقبضت قلوب الكافرين وإذا ذكر غيره في شيء فرحوا وجعل من نعوتهم أنهم إذا ذكر الله بتوحيده وإفراده عظموا ذلك وكرهوه وإذا أشرك غيره في ذلك صدقوا ، وفيه دليل على أن المؤمنين إذا ذكر الله بالتوحيد والإفراد في شيء انشروحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكره وتوحيده وإذا ذكرت الأواسط والأسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم ، وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ليستدل بها على حقيقة التوحيد في غير القلب لأن أجود خفاء الشرك والنيات في السر « وحديث عثمان رضي الله عنه عن معرفة مرتكب المعصية بالنظرة في عينيه مشهور ففي الرواية دخل عليه رجل وعندما وقعت عليه عينه قال : يا سبحان الله ما بالرجال لا يغضون أبصارهم عن محارم الله وكان ذلك الرجل قد أرسل نظره إلى ما لا يحل وقال له الرجل : أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ولكنها فراسة ، ألم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله . (شرح الأنقرى 4 / 395 - 396) .

وكذلك يكون للأطباء الإلهيين من المرشدين الصالحين الحقيقيين ما يكون للأنبياء والأولياء ، بل إنهم بمجرد سماع اسمك يغوصون إلى أعماق وجودك ، بل إنهم يرون بعد أحوالك قبل ميلادك بسنوات . . وتنبؤاتهم صادقة تماماً لأن الوجود منذ الأزل إلى الأبد مكشوف أمام عيونهم وإن لم تصدق فاقراً الحكاية التالية .

(1802 - 1824) الرواية هنا منقولة عن تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (الجزء الثاني ص 169) وفحواها أن الشيخ أبا يزيد البسطامي كان يخرج كل عام لزيارة دهستان حيث كانت قبور بعض الشهداء وعندما كان يمر على خرقان كان يقف ويتنفس نفساً عميقاً وعندما يسأله المريدون : أيها الشيخ نحن لا نشم شيئاً قال نعم إنني أشم من قرية اللصوص هذه رائحة رجل اسمه علي وكنيته أبو الحسن يفضلني بثلاث درجات ، يتحمل مئونة العيال ويزرع ويغرس الأشجار . . روى إن الشيخ ظل طيلة عشرة سنة يصلي العشاء في خرقان في جماعة ثم يتجه إلى قبر أبي اليزيد في بسطام ويقف ويدعو قائلاً : « يا إلهي من تلك الخلعة التي أعطيتها لأبي اليزيد اعط بضعة قليلة لأبي الحسن ثم يرجع ويعود إلى خرقان عند الصباح » وعن قاعدة أن ما يكون للأنبياء يكون للأولياء يبشر الأولياء بظهور بعضهم البعض ، وهنا يختلف التعبير بالطبع عند مولانا جلال الدين : فأبو يزيد يمر في سواد الري « يقول استعلامي أن ذكر الري هنا خطأ جغرافياً لأن خرقان من أعمال بسطام (4 / 289)

وكأنه ينبغي أن يشم أبو اليزيد رائحة الخرقاني الذي سوف يولد بعد عشرات السنين من وفاة أبي يزيد بالقرب من خرقان ، وفي سواد الري تفوح رائحة طيبة من خرقان ، يستنشقه أبو يزيد بحب ووجد وأنة مشتاق ، وكأنه يشرب من هذه الريح خمراً زلالاً ، امتلاً بها بحيث طرب بها كما يظهر أثر الماء المثلج على ظاهر الإناء وليس ذلك من داخل الإناء بل من الهواء ، وعندما فاض الوجد والسكر بأبي يزيد سأله أحد المريدين عن سر ذلك الحال الذي لا تستطيع الحواس إدراكه . . فهذا الوجه . . وجه الولي تظهر عليه

الأحوال في صورة ألوان تتغير بين لحظة وأخرى ، يتخذ وجهك أمارات البشارة ،
تتنسم رائحة ولا ورود هناك . . فقل يا راو الواصلين . . هل تصلك كل لحظة رسالة
من عالم الغيب أما أن البشرى تأتيك مع الرياح » في قول لسعد الدين الفرغاني : إعلم
أن النفس الرحماني هو عين الرحمة السابقة الشاملة على كل شئ ظاهرا أو باطنا لما
بدا من باطن الغيب بحكم اقتضاء فانبجست » (انقروى 4 / 405) .

إما أنك كييعقوب يصلك من يوسف إلى مشامك شفاء في كل لحظة طالما كان القميص
مع حامله يسرع إليك ، فهيا أيها المراد أعطنا قطرة من هذه الجرة . . وتحدث معنا
بلمحة عن هذه الروضة ، أعطنا نصيبا قليلا من الانعامات الإلهية التي تفيض
عليك . . وليس من عادتنا أيها السيد العظيم . . أن تأكل أنت وحدك . . ونبقى نحن
جياع . . فهيا يا طاوى الأفلاك . . ويا واصلا للمراحل قاطعا إياها بخطوات سريعة ،
هبنا جرعة مما أكلت فلا شيخ سواك ولا أمير سواك في هذا الزمان يا سلطان
العارفين وملك الطريق ،

فانظر إلى أحبابك وارحهم واجعلهم موضع نظرك ، وكيف يمكن لك أيها الشيخ العظيم
أن تشرب هذا الشراب خفية ولا شراب هناك إلا بافتضاح وشهرة ، إنك تستطيع أن
تخفى الرائحة لكن هل تستطيع أن تخفى خمار عينيك ؟ أعشق وإخفاء ؟ !
» وعندما يتحدث اللسان عن سره وعن لطفه تتلو السماء قائلة : يا جميل الستر ! ! أي
ستر ؟ !

والنار في صوف وقطن مهما تخفيها تكون أكثر ظهورا ، وكيف أسعى في إخفاء سره
؟ وهو يطل كالعلم قائلا : ها أنذا : إنه يأخذ رغم أنفى بكلتا أذني قائلا : أيها الغبي ؟ !
كيف تخفيه ؟ ! اخفه إذن (3 / 4735 - 4738 وشروحا)

آلاف الحجب في الدنيا لا تستطيع أن تخفى سر العشق . . وسر هذا النفس الرحماني
الذي امتلأت به الآفاق وجاوز الأفلاك الستة ، فهذا الدن مهما أغلق تفوح رائحة خمره
ويسمع غليانها .

هنا تتجلى ضراعة المريد . . إنه يسأل فحسب ، بل ساق كما يستدعى أدب المريد

مع الشيخ دلائل من الطريق ، دلائل أحقية سؤاله للشيخ ودلائل واجب الشيخ في أن يقتسم ما وصل إليه مع مريديه ، دلائل هذا هو الأمر الطبيعي فإن ما يصل إليه الشيخ أمور غير قابلة للإخفاء لأنها تظهر مهما أخفيتها .

(1825 - 1832) يربط أبو اليزيد البسطامي بين ما يظهر له وبين ما ورد في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من قوله : إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن - يريد أويسا القرني . . وكل إنسان إنما يفوح برائحة المحبوب فرائحة رامين تصل إلى ويس لأنه فان فيها فكأنما رائحتها رائحته لقد طرب الرسول صلى الله عليه وسلم من رائحة جاءته من قرن اليمن لقد صار أويس سماويا وكان قد فنى عن نفسه . . ذلك الأرضي الإنسى كان قد صار سماويا وعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - خبره قبل أن يولد أو يوجد كبشر ، كما أن أويسا استطاع أن يعلم الطريق ويطوى درجاته دون أستاذ أو مرشد ، وبقي أويس القرني عند الصوفية رمزا للذي يستطيع بنور الباطن أن يصل دون أستاذ ودون مرشد ، وماذا في ذلك ،

إن ذلك النبات المر الذي يوضع في السكر لا يفقد مرارته بعد ، وذلك النبات المر الذي يخلص من الكبر والغرور بقيت له صورة النبات المر لكن طعمه تغير . كثيرة هي هذه الأمثال عن التغير وعن التبدل في الطبع والطبيعة وإن لم تتغير الصورة فدعك من هذه الأمثال ولتنتظر إلى ما قاله الرجل العظيم أبو اليزيد البسطامي .

(1833 - 1848) قال أبو اليزيد : إن هذه الرائحة التي تهب من ذلك الصوب تنبئ أن سلطانا عظيما من سلاطين الطريقة سوف يولد فيها ، بعد كثير من السنين ، وسوف يكون مقره أعلى من الأفلاك « وجهه يكون مفعما بالحمرة من بستان ورد الحق ، سوف يكون مقبولا من الحق عاليا عنى في المقام . . سوف يكون اسمه أبو الحسن وأخذ أبو يزيد في تعداد صفاته الجسمية

ووصف حلية الحاجب والذقن وقده ولونه وشكله . . كما بين حلية روحه . . أي ما سوف تتحلى به روحه وهي الدرجات الثلاث المذكورة في رواية العطار .
 ويعلق مولانا على حديث الحلية . .
 ويرى أن جمال الجسد عارية كالجسد فلا تتعلق فإن عمره ساعة وينتهى . . كما أن حلية الروح الطبيعية فانية أيضا . .
 أي تلك الروح المتعلقة بالجسد والمعاونة له ، لكن اطلب حلية تلك الروح التي هي فوق السماء . .

إن ذلك الجسم الذي تسكنه تلك الروح الموجودة على السماء كأنه المصباح فوق الأرض ونور هذا الجسم الذي نورته هذه الروح فوق السماء السابعة . .
 تماما كشعاع الشمس هذا الذي تراه في بيتك ، إن مصدره موجود على الفلك الرابع ، وهكذا الكامل من المرشدين الأولياء وشعلة أنواره في بيت جسده وأصلها في وسط الأفلاك الروحانية وكذلك الزهور تراها تحت أنفك لكن رائحتها تنبعث إلى أعلى الرأس ، أليس ذلك الرجل النائم يحلم بشئ يخيفه فإذا بجسده يعرق . . ويصحو فيجد العرق على جسده . .

وهكذا حال الجسم مع الروح فإنها وأن كانت بعيدة عن الجسم لكنها في تأثيرها ليست بعيدة عنه ، وكذلك الروح بعد الموت ولو كانت فوق الأفلاك التسعة - وانظر إلى قميص يوسف ، إنه في مصر لكن رائحته ملأت أرض كنعان وأوصلته الصبا بإذنه تعالى من مسيرة شهر فلم يحجب أنف سيدنا يعقوب عليه السلام بعد المسافة . . أية مسافة ؟ !

إن المسافات أمر نسبي أما أولئك الذين ارتفعوا عن الحس فإنها لا تعنى عندهم شيئا (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات 4532) ثم عودة إلى نبوءة أبي يزيد البسطامي أخبرهم أبو يزيد بالتاريخ الذي سوف يولد فيه أبو الحسن فكتبوه وعندما حل ذلك التاريخ ولد ذلك السلطان .

(1849 - 1855) لقد ولد أبو الحسن في نفس التاريخ (توفي سنة 425 هـ -)
 وكانت كل صفاته كما أخبر بها أبو يزيد البسطامي . . نعم كان أبو اليزيد

يقرأ من اللوح المحفوظ ، وما وصف هذا اللوح بالمحفوظ إلا لأنه محفوظ من السهو والخطأ . . اللوح المحفوظ في رأى لابن عباس ومجاهد عبارة عن صفحة بيضاء بطول ما بين السماء والأرض وعرض ما بين المشرق والمغرب عليها كل الأحداث الكلية والجزئية لعالم الوجود من مبدئه إلى منتهاه (جعفري 10 / 289) فإذا أراد الله أن يطلع الملائكة على غيب له أو يرسلهم إلى الأنبياء بذلك أمرهم بالاطلاع في اللوح المحفوظ محفوظا مما يؤدونه إلى من أرسلوا إليه وعرفوا منه ما يعلمون » (عن جعفري 10 / 290)

ويستطيع الملائكة قراءته بتجردهم وشرط الاطلاع عليه التجرد فيحدث الشهود المباشر ، وهو أعلى درجات الكشف عند الصوفية يقول « ابن سينا » ولفسك أن تنتقش بنقش ذلك العالم بحسب الاستعداد وزوال الحائل وقد علمت ذلك فلا تستنكرن أن يكون بعض الیغب ينتقش فيها من عالمه (عن جعفري 10 / 291) . لم يكن الأمر بالتنجيم ولا بالرمل ولا بتعبير الرؤيا كان وحيا من الله سبحانه وتعالى في قلب أبى يزيد ، إن الصوفية خوفا من العوام وتعمية عليهم وخشية من التهم التي من الممكن أن توجه إليهم يسمونه « وحى القلب » وهكذا فعندما يكون القلب مرآة قد صقلت من الأدران والآفات والعلل فإنها تعكس المعرفة الإلهية (انظر الكتاب الأول شرح الأبيات 20 - 30)

وهكذا فاعتبره أنت أيضا وحى قلب والقلب هو موضع تجلى الله سبحانه وتعالى وهو موضع نظره فكيف يكون خطأ ما يظهر في قلب العارف بالله وما دام المؤمن ينظر بنور الله فإنه يكون امنا من الخطأ ومن النقصان .

(1856 - 1863) لم يترك مولانا فرصة دون أن يهتبلها لكي يقدم تعليمه للمريدين فالمثنوى كتاب تعليمي في الأصل وإن كان يقدم تعليمه على مستويات عديدة من التعبير . . فغير ذلك الغلام الذي ملأ الدنيا بالشكوى وحقد

على المليك لأنه قدر عليه رزقه وأنقص أجره هناك قوم جوعهم هو عين الشبع وفقرهم هو عين الغنى ، والافتقار إلى الله تعالى هو منتهى أملهم ففي نقصان الطعام الجسماني زيادة في الطعام الروحاني ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - « أبيت عند ربى يطعمني ويسقيني » قالوا : الظاهر والباطن كالليل والنهار كلما نقص من أحدهما زاد في الآخر » (مولوى 4 / 261)

ومن هنا فقد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات « والرحمة مدخرة للعاجز المنكسر » « أنا عند المنكسرة قلوبهم » وذلك لأن في طبيعة النفس أن تعصى وتتمرد ، وأن تتكاسل في أداء التكاليف الشرعية ، كما أن الكبر والعنجهية يسدان باب الرحمة فالكبرياء هو إزار الخالق ، والعظمة رداؤه وحده جل شأنه ، إن الرحمة لا تقترب من ذلك الذي من علوه وتجبره يكسر رؤوس الناس ، لا يرحمه الحق بل يحيق به سخط من الله ولا رحمة من الخلق . .

وانظر إلى مولانا جلال الدين لا يفرق عند الحديث عن الظلمة والعالمين في الأرض بين رحمة الحق ورحمة الخلق فالسنة الخلق أقلام الحق والحق لا يغفر لمن يتجاوز حق الناس ويقطع مولانا كعادته عندما لا يريد الخوض في موضوع ما ، تكفيك هذه الإشارة فهذا الحديث لا نهاية له . .

لقد نسينا ذلك الشاب الذي صار عاجزا من تقليل أجره ومع ذلك لم يعد إليه مولانا جلال الدين على الفور بل استمر في الحديث عن الصوفي ، والتناسب العلمي بين الانعامات الإلهية وقلة الرزق .

إن ذلك الصوفي الذي يقل رزقه يكون ذلك الخرز أي الغذاء بالنسبة له كأنه الدر ويكون هو كأنه اليم يحتوى هذا الدر أي أن يتبدل إلى روحانية خالصة ، وفي قلة الغذاء منافع كثيرة منها أن يكون الرجل أصح جسما وأجود حفظا وأذكى فهما وأجلى قلبا وأقل نوما وأخف نفسا وأحد بصرا وأسمى طبيعة وأقل مئونة وأوسع مواساة وأكرم خلقا (مولوى 4 / 261) وكل من علم قيمة هذا

الغذاء الروحاني فإنه جدير بالقرب ولائق ويكون كل خوفه ورعبه من نقصان هذه الإنعامات والإلطافات الإلهية الروحية ، لأن ذلك معناه أنه قد أخطأ خطأ ما فنقص رضاء الله تعالى عليه .

(1864 - 1873) هكذا فإن صاحب هذه الكراية التي نقصت كتب رقعة إلى صاحب البيت ورفعت إلى أمير العطايا ، لكنة لم يوقع بشئ على الرقعة لقد أهملها تماما ، فقد أدرك طبيعة هذا الغلام ، إنه لم يهتم بأن غضب السلطان قد يكون لخطأ قد بدر منه ، فلم يسأل عن خطئه ، إن كل ما يهتم به هو الطعام ، إن همه كله هو نقصان الكراية لا غضب السلطان ، إنه مهتم بالفروع وليس بالأصول ، إنه لا يهتم بالفراق والوصال إنه أحرق مستغرق في ذاته يرى نفسه طرفا والسلطان طرفا آخر فمن كثرة اهتمامه بالفروع لا فراغ عنده لكي يهتم بالأصول .

وانظر إلى هذا المثال يقدمه مولانا جلال الدين لكي يبين أنه لا خطر لكل الفروع أمام الأصل ، إن وجود الكون كله بما فيه من سماوات وأراضين بمثابة تفاحة نبتت من شجرة قدرة الله ، فالتفاحة فرع وشجرة القدرة هي الأصل ، وأنت مجرد دودة في هذه التفاحة لا علم لك بالشجرة ولا علم لك بالبستان وتظن أن كل عالمك هو هذه التفاحة الضئيلة (انظر مثال القلم والكاتب والنملة الكتاب الرابع أبيات 3721 وما بعدها) .

وهناك دودة أخرى موجودة أيضا في التفاحة لكنها تعرف خبرا عن العالم خارج هذه التفاحة . . إن حركتها الذاتية ومجاهداتها تشق فرجة في هذا العالم الضيق تطلع منه على العالم الواسع . . إن هذه الحركة منها تمزق الحجب ، إنها مجرد دودة حقيرة بالصورة . . لكنها تبين في الواقع الجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم الأكبر .

(1874 - 1885) انظر إلى كل شئ في هذا العالم يبدأ صغيرا ضعيفا واهنا ، لكنه في النهاية يكون صاحب تأثير قوى وخطر عظيم ، تلك الشرارة التي تنطلق من اصطدام قطعتي حديد ، إذا اقترب منها قليل من القطن سرعان ما يندلع لهيبها حتى الأثير ، وهكذا الإنسان يبدأ جنينا ، وتبدو أمارات الحياة ضعيفة فيه لكنه إن وجد الظروف المناسبة ، ومثيل للقطن والكبريت (الأم والأب) ينمو ويتزعرع ويصل طموحه وعلمه ونوره حتى السماوات العلا ، يترك هذه الأرض ، ويتمرد على الطين الذي منه خلق ويثور على الظلمة التي تحيط به ، يملأ العالم بالنور ويقوم بكل معجز من الأعمال حتى ليقطع قطعة الحديد الضخمة بإبرة (وينسف الجبال ويخترقها بالأنفاق ، ويصعد إلى السماء حقيقة لا مجازا وبجسده هذه المرة لا بروحه بل بجسده وروحه ويتنقل بين الكواكب ويرسل عنها الصور إلى الأرض . . .

ويهبط إلى سابع أرض ويبني المدن تحت المدن ويقوم بما كان يحسب في يوم من الأيام حلما من الأحلام ومن يدرى ؟ !
لكن ألم تكن كلها أحلاما نحلم بها الروح والفكر والخيال والوهم في البداية ؟ !
هذا الحلم الإنساني ميدان من ميادين العرفان .
الحلم بالعودة إلى الجنة ، أو على الأقل الخروج عن مقررات الجسد وما يستدعيه ولا يعنى الإنسان في كل طموحاته هذه إلا ذلك ما العالم العظيم الذي يسع الألوان كلها وهو الروح ، هي السارية في الأكوان سريان النار التي وإن كانت تسرى فهي ليست روحانية ، هي مجرد جسم سريانها ينتهى عند نهايته ، لكن الروح هي المختصة بهذا العز ولا نصيب لأي جسم كان فهو بالنسبة للروح كالقطرة أمام المحيط ، وهو الذي تحيا به بالروح ،
وإلا فانظر إلى الجسد عندما تغادره الروح إلى أي شئ ينقلب وماذا يصبح . .
ومن هنا فالجسد محدود بذراع أو بذراعين أي أن إدراك قدر قامته لا يتجاوز هذا الذراع أو الذراعين أما الروح فهي تقوم بجولات واسعة في السماوات . .
تستطيع أن تكون في مقامك هذا (في قونية)

وتهاجر روحك في رحلة إلى سمرقند أو إلى بغداد وفي الفصوص : كل إنسان يخلق في قوة خياله ما لا وجود له إلا فيها وهذا هو الأمر العام لكل إنسان والعارف يخلق بالهمة ما يكون له وجود من خارج محل الهمة (سبزواري 4 / 299) .
فمتى كانت الحواجز تقف أمامها ، ومتى كانت المسافات حائلا أمامها . .

وكل أجزاء جسدك . . إذا نظرت إليها كجسد فهي لا شيء لكن إذا نظرت إلى الروح الكامنة خلفها والتي تقوم بالعمل في خلالها لاستطعت أن تدرك قوتها ، إليك على سبيل المثال لا الحصر : عينك هذه التي لا يزيد وزنها عن درهمين إلا أن النور المنبعث من روحها يصل إلى عنان السماء . .
وعندما تغمض هذه العين فإن الروح الكامنة فيها ترى ومن هنا ترى في النوم . . وبلا هذه الروح فإن العين لا شيء .

(1886 - 1890) ولا علاقة لهذه الروح بقوة الجسد ولا بشكله ولا مظهره العام (بل قد يكون العكس هو الصحيح إذا غالبا ما يخفى الاهتمام بقوة الجسد وحسن المظهر خواء بلقعا في الروح) أي أن الروح لا تعتمد على الجسد في شيء وإن كان الجسد هو الذي يعتمد على الروح في كل شيء - وهذا هو ديدن (برنامج) الروح الحيوانية إذ أن الله سبحانه وتعالى أمرها بأن تترقى وتتقدم لتعطين جمال الروح الإنسانية ، ذلك لأن الإنسان لا يكون إنسانا كاملا إلا بالروح فهيا عبر أيها الإنسان مرتبة القيل والقال ، ومرتبة العلوم العقلية والجدل اللفظي وكن رجل عمل ، ولا تقنع بترديد ما قاله الآخرون ، واعبر مرتبة عالم الناسوت إلى مرتبة عالم الملكوت . .
المكنى عنه هنا بشاطيء بحر روح جبريل ومن بعدها تشير إليك روح أحمد (التي عبرت هذا البحر) ويتقهقر جبريل مثلما تقهقر عندما وصل مع أحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى . . وتقهر وقال : (لو دنوت خطوة لاحترقت)

ويستدل الصوفية في هذه الرواية على عظم مقام النبي - صلى الله عليه وسلم -
(وبالتالي الأولياء) عن مقام الملائكة المقربين .

(1891 - 1896) عودة إلى قصة الغلام الذي أنقصت كرايته ويوهمنا مولانا هنا أن
التعرض هنا هو قصة الغلام وأن الإفاضات الربانية هي مجرد حاشية على القصة . .
والعكس بالطبع هو الصحيح . . وهذا هو الغلام يتساءل :
عجبا كيف لم يجبني الملك ؟ !

وها هو من سوء طويته لا يتخيل أن الملك ربما يكون غاضبا عليه . . بل يتعلق
بأسباب أخرى ويتهم حامل الرقعة بأنه خان ولم يوصل الرقعة ، هيا فلأكتب رقعة
أخرى وأبحث عن رسول آخر إنه لا يستطيع أن يعترف بالجهل على نفسه فهو بيد
أمير الأرزاق والرسول . . إنه لا يفكر في أنه أخطأ وأتى سلوكا فيه اعوجاج كعابد
الصنم .

(1897 - 1912) إن هذا الغلام الجهول يظن نفسه أعلى من سليمان عليه السلام ،
فإن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأخذه سليمان
وإعادة عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت في يده أيقن بالفتن فقال آصف
لسليمان إنك مفتون بذنبك والخاتم لا يتماسك أربعة عشر يوما ففر إلى الله تائبا من
ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير في عملك وأهل بيوتك بسير إلى أن يتوب الله عليك
ويردك إلى ملكك ففر سليمان هاربا إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت
(قصص الأنبياء للثعالبي ص - 322 من طبعة البابي الحلبي)

إلا أن مولانا هنا استبدل الرياح بالخاتم فإن الرياح أنى كانت في طوع سليمان عليه
السلام كانت في طوعه هو ما دام في طاعة الله فلما فتن (بالنسبة للفتن انظر قصص
الأنبياء ص - 320 وما بعدها)

خرجت عن طاعته ، وهكذا أيضا مال التاج على رأسه وكلما أصلحه على رأسه
مال .

وقد روى مولانا القصة في المجالس السبعة أن سليمان عليه السلام كان ذات يوم

جالسا على عرشه وكانت الطيور قد وصلت ما بين أجنحتها وحومت على رأسه فيما يشبه المظلة وفجأة عبر خاطره فكر غير لائق بشكر هذه النعمة . . فمال التاج فقال له أيها التاج استقم . . فقال التاج . . إلى آخر الرواية الواردة هنا (جعفري 10 / 304) وما ميل التاج إلا رمز لقرب زوال السلطة فكان التاج لا يريد أن يبقى على رأس الذي خرج عن طاعة الله ، فلما علم سليمان سر الفتنة وصحح باطنه ، استقامت له الريح واستقام التاج على رأسه مهما كان هو يضعه مائلا والصورة مليئة بالحوار الحي بين سليمان والريح وسليمان والتاج والتاج يعتذر له بأنه مأمور بالأمر يستقيم فوق رأسه ويرجوه ألا يطلب منه تفصيلا أكثر فإن الإنسان بما أكتسب رهين وتعالى الله جل شأنه عن ظلم أحد من عبيده علوا كثيرا .

(1913 - 1924) وهكذا فإياك أن تسىء الظن في الآخرين وترى أنهم السبب لما حاق بك يا تابعا لنفسه الأمانة بالسوء ولا تفعل من مكر ما فعله ذلك الغلام . . . أحيانا يكون قتاله مع الطباخ وأحيانا مع الرسول وأحيانا مع الملك نفسه ، إنه يصب جام غضبه على الجميع دون أن يحاسب نفسه دون أن يصحح باطنه ربما كان العيب منه إنه كفر عون في تخطيطه كأن يقتل أطفال الخلق وترك موسى (انظر لتفصيلات الكتاب الثالث ابيات 963 - 968 وشروحها) . إنه مثل فرعون وجسمه يكون له بمثابة موسى (عدو) وهو يعدو في الخارج قائلا أين العدو ؟ (2 / 774) كان عدوه الحقيقي في صدر منزله لكنه من عمى قلبه كان يقتل الأطفال الآخرين ، الحقيقة أن عمى القلب هذا من ختم الله على قلبه لكي يجرى ما كتب في سابق علمه (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهكذا أنت أيضا يا من صرت في هوى نفسك أنت تعادي الناس لكنك تصاحب نفسك التي بين جنبيك وهي أعدى أعدائك وهي التي

توقعك في كل هذه الشرور ، أنت تدللها . . وتضع التهم على الناس من حولك وهكذا أنت كفرعون أعمى وأعمى القلب . . تصاحب عدوك وتعادى الأبرياء . . وكفأك يا فرعون ، كفأك هذا التناقض وهذا السوء الذي أصابك فمن نفسك ، إنه ختم الحق ختم على سمعه وبصره وختم الحق إن ختم على عين وعلى سمع لا ينفع بعدها علم أو عقل أو ذكاء أو وعى حتى ولو كان أفلاطون وحكم الحق ظاهر فوق اللوح المحفوظ وحكم الحق نافذ . . كما أن نبوءة أبى يزيد بظهور أبى الحسن لا بد وأن تحدث ولا محل هنا للمقارنة بين حكم الحق ونبوءة أبى اليزيد لكن مولانا أراد أن يربط بين الموضوع الذي كان يتحدث عنه وبين الموضوع التالي له في الحديث .

(1925 - 1934) عودة إلى نبوءة أبى يزيد ، بظهور أبى الحسن الخرقانى لقد ظهر أبو الحسن كما تنبأ به أبو يزيد تماما ، كما سمع أبو الحسن هذه الرواية من الناس وسمع هو نفسه هذه النبوءة من أبى اليزيد في رؤيا (رؤيا الأولياء كرؤيا الأنبياء صدق) بأن أبا الحسن سوف يكون مريدا لأبى اليزيد وسوق يتلقى درسا من قبره . . فكان كل صباح يتجه نحو القبر ويقف في غاية الانتباه حتى الضحى يستمع من الشيخ أبى اليزيد فإما يتمثل له الشيخ أو يرى المشكلات التي في صدره تحل دون سؤال وجواب ، وحتى جاء صباح وغطى الثلج المقابر فسمع صوتا يناديه بألا ينكص عن محضر الشيخ وإن كان الثلج قد غطى العالم بأجمعه ومنذ ذلك اليوم بلغ أبو الحسن الخرقانى من الولاية ما بلغ . . .

ماذا يريد مولانا جلال الدين بهذه الرواية ؟ !
من نافلة القول بالطبع أن أول ما يتبادر إلى الذهن من هذه الحكاية أن الأولياء كلهم روح واحدة وأن ليس في عالمهم تلك الفرقة الموجودة في عالم البشر العاديين « انظر الكتاب الثالث الأبيات 31 - 35 وشروحها » ، هذا من ناحية ومن

ناحية أخرى فإن الولي لا يموت بل ينتقل من دار ويظل حيا إما أن يتمثل أو يحل في القلب عن طريق الاستحضار . . . واستحضار الشيخ أو صورة الشيخ عندما يكون المرید مضطربا . . . تقليد صوفي معروف ويظل الغامض في هذه الحكاية ما هو موقعها هنا ؟ ! إنها تكاد تكون خارجة عن السياق تماما .

(1935 - 1945) عودة إلى رواية الغلام الذي أنقصت كرايته ، ان الملك لا يرد فالغلام مصر على حمقه ، ولا خير في جواب للأحمق إلا بسكوت ، فإنك إن رددت عليه لن يقتنع ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنني إن سامحته فكأنني أكثر حماقة وهذا هو معنى أن إصابه الملك بالعدوى من علة الغلام إن الحمق أكثر خطرا من الجرب ، فبالحمق يمتنع الناس عن الدعاء فيجف السحاب وانظر إلى ما حاق بالبشر من كوارث أليس كل هذا من حمقهم ، أليس الكفر من الحمق في النهاية وأليس من الكفر كان طوفان نوح ؟ !

(1946 - 1951) وما دام الحديث عن الحمق وعواقبه فلا بد من حديث عن العقل ، وبالطبع ليس المقصود هنا هذا العقل الجزئي الذي يتلقى من الحواس ولا يحيط إلا بمقدار ما تحيط به هذه الحواس لا بل المقصود به ذلك العقل الذي هو قبس من العقل الكلى وجزء منه ، هو عقل القلب وعقد الروح الذي يمكن له الإحاطة دون استعانة بالحواس وخارج منطقة الحواس ومن هنا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الأحمق عدوى والعاقل صديقي » وقد سبق في الكتاب الثالث شرح المقصود بالحمق في قصة سيدنا عيسى عليه السلام وهروبه من الأحمق (انظر شروح الأبيات 1027 وما بعده من الكتاب الثالث) .

فالعقل روح وريحان لصاحبه والعاقل حتى وإن شتم فإن شتائمه تتقبل بالرضا لأنه العاقل يستفيض من الفياض « العقل الكلى » أما الأحمق فإن حلواه مرض وصحبته لا متعة فيها ولا لذة ، فإن كلامه كضراط الحمار قبيح نتن إنه

يصيب شاربك بالنتن ولن تحصل على فائدة منه إلا على سواد الثوب ، فقد أشار عبد الباقي (283 / 4) إلى أن بعض هذه المعنى مأخوذ من بعض ما نسب إلى الامام على رضي الله عنه « يا بني احفظ عني أربعا وأربعا لا يضررك ما عملت معهن إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق ،

يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب » (نهج البلاغة - فيض الاسلام / 1104 - 1105) (1954 - 1959)

إن لذة مائدة العقل ليس بما تقدمه من خبز وشواء إن الطعام الذي يقدمه العقل هو النور (لتعريف النور انظر كفاي الكتاب الأول ص 496) والانسان الحقيقي يرى أنه روح يحيط بها جسد ويحبسها وليس مجرد جسد هو الذي يتغذى بهذا النور ، أما هذه الأطعمة الصورية فعليك أن تنقطع عنها فهي طعام الحمير وليست للانسان الحر الذي حرره الله من كل العلائق الأرضية ، ومن هنا فإن الجوع هو طعام الصديقين وعن الجوع تحدثنا آنفا

(انظر شرح الأبيات 1856 - 1863 من هذا الكتاب)
هذا البعد عن الغذاء الجسماني يجعلك قابلا لطعام النور فهذا النور هو غذاؤك الأمثل قبل أن تنزل إلى هذا العالم ،
وما هذا الخبز الذي نتناوله إلا انعكاس لهذا النور فإذا الذي تطلبه من صنع هذا الخبز هو العلم والمعرفة والعقل والحكمة وكلها وسائط قامت بنور العقل ومن فيض تلك الروح الكلية التي هي نفخة الهية فإن تلك الروح الحيوانية عن طريق النطقة إن كل ما لديك هو قبس من ذلك الكل (مولوى 4 / 273)

فلماذا ترضى بهذا القبس إنك إن ذقت مرة خبز النور وطعام الإله « أبيت عند ربى يطعمني ويسقيني » ، فإنك لن تستطيع أن تتلذذ بهذا الخبز الصوري « خبز التنور » مرة أخرى فسوق تعتاد على غذاء النور .

(1960 - 1967) يقسم مولانا جلال الدين العقل على أساس شعر للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع (أنقروى 4 / 433) فالعقل المسموع هو ما يسميه مولانا بالعقل الجزئي وهو من الكتاب والأستاذ والذكر والفكر والحفظ والقراءة والكتب بها يمكن بك أن تتفوق على الآخرين ، لكنها قد تثقل عليك وقد تقعدك عن الطريق إذا ظننت أنها كل شئ في هذه الحالة تكون لوحا حافظا واللوح الحافظ كما فسر أستاذنا كفاي هو العقل المفعم بالمعارف فإذا أصبح العلم بالنسبة للطلاب لوحا محفوظا فقد بلغ أسمى مراتب المعرفة الروحية (أول كفاي ص - 493 شرح البيت 1064)

أي تتكشف له المعارف المسجلة في اللوح المحفوظ ومن هنا يوهب عقلا من لدن الحكيم الخبير هو مظهر الوحي الإلهي به تبدو خفايا الأسرار ، هذا هو الماء النابع من الداخل الذي لا يسد طريقه ولا يأسن ، هو العين المنحدرة من داخل القلب ، هو بعكس العقل الكسبي أو التحصيل الذي يشبه الجداول التي تشق في الشوارع لتدخل البيوت إذا انقطع طريقها تنقطع عن البيوت .

(1968 - 1992) لم يذكر فروزانفر أصلا للحكاية التي تبدأ بهذا البيت ومن الواضح أنها أقرب إلى المثل منها إلى الحكاية وترجمة للمثل الشائع عدو عاقل خير من صديق جاهل ، لأن العدو العاقل سوف يمنعه عقله عن ايدائك لكن مولانا يتخذ من المثل تكة للحديث عن موضوعين الأول هو موضوع الصحبة وكيف أن أضيق السجون هي معاشرة الأضداد ، ولو كان ذلك في

الحدائق والرياض (مولوى 4 / 275) والثاني أن ذلك العقل الموهوب من لدن الله سبحانه وتعالى سوف يتغلب على الهوى ، وسوف يتغلب على الطبيعة نفسها فمن الطبيعة ألا يترك المرء فرصة دون أن يهتبلها لا يذاء عدوه ، إلا أن العاقل يمسكه عقله من ايداء من جاء يسترشد به ويستشير ، فهذا العقل الذي يسميه مولانا العقل الإيماني هو بمثابة الشرطي لمدينة القلب وبمثابة الحاكم العادل فهو لا يدع النفس والطبيعة تتجاوز حدودهما ، إنه بمثابة القط والنفس بمثابة الفأر تظل في مكمنها ما دام القط مفتوح العينين ثم يستدرك مولانا : أي قط ؟ بل إن هذا العقل أسد يجنل الأسود وهو حاكم على طبيعة البدن وزئيره يمنع بهائم السيرة من الرعى في مملكة القلب ، ولا بد لمدينة وجودك من وجود هذا العقل فهي مليئة باللصوص الذين يتسلطون على وجودك ويبدلون أمنك خوفا .

(1992 - 2000) الحكاية التي تبدأ بهذا البيت كما أشار فروزانفر مأخوذة عن الرواية التالية : بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا وامر عليهم أسامة ابن زيد فطعن بعض الناس في إمارته فقال النبي إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله وأيم الله إنه كان خليقا بالإمارة وإنه كان لمن أحب الناس إلى وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده (مأخذ 141)

يقول مولانا إن لم ترزق هذا العقل الإيماني فلا محيص من مرشد عاقل يأخذ بيدك فهو رئيسك كما أن الجيش بقائده والقوم بإمامهم ، إنك هكذا تبدو ذابلا ميتا لأنك تركت مرشدك كبرياء وأنانية ، وما أشبهك إذن بتلك الدابة التي تفر من صاحبها إلى الجبل ويكون الذئب في انتظارها .

تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يؤخذ الشاة القاصية ويترك الدانية فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة (مولوى 4 / 277) .

(2003 - 2016) ينصرف مولانا جلال الدين كعاداته عن قصة تأمير الشاب الهذلي منتبعا الفكرة متقصيا إياها : وأنت أيضا دابة يا من غلبت عليك نفسك فصرت مركبا لها ولم تصر هي مركبا لك ، والحكم للغالب ومن ثم فإن من غلبت عليهم طبيعة الملائكية يكونون أقرب إلى الملائكية ومن تغلبت عليهم أحوال البهائم والسباع يكونون أقرب إليها وهلم جرا (شرح السبزواري 4 / 300) هذا في حين أن الله يخاطبك بتعال وهذا الذي يخاطب به الجياد لا الحمر إن الله يعتبرك جوادا أصيلا يقول لك «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» الأنعام / 151)

وما أشبه الرسول صلى الله عليه وسلم بكبير رائضى ذلك الإصطبل المسمى بالدنيا ، إنما أرسل لهذه الدواب الجامعة القاسية التي تظن نفسها بشرا يدعوها قائلا «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً» إنه يناديكم ليروضكم والرياضة كما ورد في الفتوحات تذليل النفس والجامها بالعبودية وهي عند القوم قسمان رياضة الأدب ورياضة الطلب : فرياضة الأدب هي الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب هي صحة المراد أي بالطلب اما الرياضة عندنا فهي تهذيب الاخلاق

وقال شيخ الإسلام في منازل السائرين : والرياضة على ثلاث درجات : رياضة العامة وهي تهذيب الأخلاق بالعلم وتصفية الأعمال بالاخلاص وتوفية الحقوق في المعاملات ، ورياضة الخاصة حسم التفرق وقطع الالتفات إلى المقام الذي جاوزه ، ورياضة خاصة الخاصة تجريد الشهود عن ثبوت الشاهد والمشهود والصعود إلى الجمع ورفع المعارضات (عن مولوى 4 / 379)

كما يشير هذا البيت إلى ما شاع عند الصوفية من اعتبار الرسول صلى الله عليه وسلم رأسا لكل الطرق الصوفية ومنبعا لها فهو المرشد الأول لكل المسلمين ولأن الرائض غالبا ما يتعرض للركل من الدواب الجامعة الشמוש فإن أغلب البلاء يتنزل بالأنبياء مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم . « أشد

الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل » كما ورد « ما أو ذي نبي قط مثلما أوديت » (مولوى 4 / 379) وهكذا فإنكم دواب كسولة بطيئة متعثرة لكنكم بترويضى وبشريعى تسىرون على الجادة وتصبحون جديرين بالانقياد والطاعة لسلطان الحقيقة ، فهيا تعالوا ، هكذا يقول لكم ربكم ، لكن ان لم يأتوا أيها الرسول لا تكن محزوناً عليهم « وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنُ يُضْرُّوا اللَّهُ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (آل عمران / 176)

وإياك أن تكون غاضباً أو في باطنك شئ أن نفرت منك تلك الفرقتان » اليهود والنصارى « الذين لا تمكين لديهم ولا ثبات » قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (آل عمران / 64)

فإن هناك من لهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم قلوب لا يفقهون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ، وكل دابة من هذه الدواب لها اصطبل خاص بها كما أن لكل طائر قفصه الخاص ، به هكذا أراد الله الناس . . فلا تنظر إلى هذه التفرقة ولو شاء الله لهداهم أجمعين .

بل إن الملائكة وهم أرواح خالصة عملهم هو أنهم « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ » الأنبياء / 20 قد انقسموا صفوفاً صفوفاً كما ورد في سورة الصافات حاكياً سبحانه وتعالى عن الملائكة « وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ » الصافات / 164 - 166

وتتجلى في هذه الأبيات نظرة مولانا جلال الدين إلى الأديان : فليس الأمر كما يدعى بعضهم انه كان ينظر إلى الأديان كلها نظرة واحدة على أساس أنها طرق فاضت من نبع واحد ، لا بل كان يرى أن الدين عند الله هو الإسلام لكن كل دابة لها حظيرتها الجديرة بها . .

وإن الهدى هو هدى الله . . وإن كفر الكافر لن ينقص من ملكوته سبحانه وتعالى مثقال ذرة .

(2016 - 2024) لا يزال مولانا جلال الدين يعبر عن نفس الفكرة بمستويات أخرى من التعبير وذلك لبيان أن الاختلاف في الأديان ورفض أهل الكتاب الدخول في دين الله ليس لأنهم رأوا عيباً في الرسالة فهم أدركوا الناس بحقيقتها ، بل إن الأمر في رأي مولانا أن الناس يتفاوتون في تقبل الهدى كما تتفاوت مستويات التلاميذ الصغار في المدارس (انظر الكتاب الثالث الأبيات 1523 وما بعدها) ثم يضرب مولانا أمثلة يدق عليها كثيراً . فلكل حس من الحواس منصب منوط به وعمل كل حس لا تستطيع أحاسيس كثيرة ولو اجتمعت ان تقوم به . . . وهكذا الأحاسيس العشرة : الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة كلها في صف ولكل منها درجة . . وكل من تمرد عن صف الدين القويم آخر إلى صف آخر به « ليست وحدة بين الأديان إذن حتى ابن عربي قال : لقد صار قلبي قابلاً كل صورة . . صورة . . وليست حقيقة فالحقيقة واحدة ، أجل لكن لها صورة نهائية لها صورة نهائية لها صورة ناسخة لكل الصور لها صورة لم تعرف »

(2025 - 2029) إذا كان الأمر كذلك فحذار من أن تعطى أمر الله سبحانه وتعالى (تعالوا) أذناً بها وقر ، فإذا كانت الكيمياء تحول المعادن الرخيصة إلى معادن نفيسة وتبدل طبيعة الأشياء فإن هذا الكلام الذي نزل على محمد بن عبد الله كيمياء شديدة العجب « وأي عجب أشد من تحويل جندب بن جنادة إلى أبي ذر الغفاري ووائد البنات إلى عمر بن الخطاب ؟ !! » حتى وإن نفر منك ومن كلامك نحاسي بطبعه فلا تبخل بالكلام عنه . . فمن يدري ؟ !! إن كانت نفسه الساحرة قد سدت عليه الطريق . . فربما يجدى كلامك فيه في النهاية ، أليس من العجيب أنه لا يكاد يوجد صوفي واحد من كبار الصوفية لم يكن في هوى نفسه قبل أن تنزل عليه

الهداية ؟ ! ألم يسرف الكثيرون منهم على أنفسهم ؟ ! فهيا أيها الغلام (لعله يخاطب غلاما من المريدين) ادع الناس إلى هذه الحضرة «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (يونس / 25) وأنت يا من تظن بنفسك الرئاسة . هذا الكلام موجه إليك أنت أيضا . . ارجع عن كبريائك وسيادتك وتعال إلى حضرة المرشد .

(2030 - 2046) عودة إلى قصة تأمير الرسول للشباب الهذلي : فيها هو أحد أولئك الفضوليين الذين يتدخلون فيما لا يعنيههم وفي ما لا يفهمون قد اعترض لا عن سبب بل لمجرد الحسد ، ولا يترك مولانا هذا المعترض على علم الهدى ورحمة العالمين وخير البشر دون تعليق . .

يقول : انظر كيف ان الخلق في ظلمة وكيف فنوا في هذا المتاع الفاني . . وكيف انهم في تفرقة من كبريائهم وكيف انهم بجوار محيى الأرواح ومع ذلك أرواحهم ميتة يحيون بالشعوذة وفي عالم الطبيعة (سبزوارى 4 / 300) أرواحهم في سجن (انظر 525 / 1)

ومفاتيح السجن في أيديهم وما هذا السجن الا سجن الدنيا ، وما المفتاح إلا أن يتدبروا في أنفسهم وفي خلقهم «وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» (الذاريات / 21) « دواؤك فيك ولا تبصر (منسوب إلى الامام على) لكن هيهات : فما أشبه هذا المعترض بغريق في الدنس والعصيان والشر ونهر الهداية والهدى يجرى إلى جانبه ، وها هو يتقلب ذات اليمين وذات اليسار وبجواره موضع الراحة والتطهير والملجأ لكل البشر . . فالنور خفى . .

لكن سعيهم في البحث عنه دليل على وجوده ، ليس كل ما يخفى غير موجود ، بل إنه عندما يبحث يبحث عن المجاز دون الحقيقة فطالب الغنى وطالب البقاء إنما يصلان إلى غنى مجازى هو عين الفقر وبقاء مجازى هو عين الفناء . . (سبزوارى 4 / 301) « عن الطلب انظر الكتاب الثالث شروح 979 و 1435 وما بعدهما » وإذا لم

يكن هناك مناص من سجن الدنيا (سجن المؤمن وجنة الكافر) لو لم يكن وراءها دار أخرى أبقي هل كانت تبدو بهذا الهول وكان القلب يبحث عن خلاص منها ؟ ! إن وحشتك من الدنيا لدليل آخر يطلب منك أن تبحث عن دار الآخرة وتطلبها وهكذا فإن هذا الطريق اللائح المضئ كامن . . ومن جد وجد فاسع كثيرا وابحث كثيرا فإن العثور على الطريق رهن بالبحث فإنما تعرف الأمور بأضدادها ، انظر إلى النباتات التي كانت قد ماتت في البستان قد نهضت كأنها تقول لك : ها نحن شهود على أن الذي أماتنا يحيينا فأنظر إلى آثار رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (الروم / 50) :

وفي الكتاب الأول :

- أوليست جملة الأفكار والعقول خاصة تصبر كل ليلة غرقى في بحر عميق .
- وفي الخريف تذهب آلاف الأغصان والأوراق منهزمة إلى بحار الموت .
- وبينما الغراب يرتدى السواد كالحزين وينوح على الخضرة في البستان .
- وثانية يجئ الامر من سيد الأرض فيقول للعدم : رد ما أكلت .
- أيها الموت الأسود رد ما أكلت من زرع وأعشاب وورق وحشائش .
- فيا أخي اجعل عقلك معك لحظة واحدة إن بك كل لحظة ربيعا وخريفا .
- وانظر بستان قلبك أخضر ريانا حافلا ببراعم الورد والسرو والياسمين .

(أول ابيات 1890 - 1897) وانظر إلى السجناء « سجناء الدنيا » أليست أعينهم مركزة كل لحظة على باب السجن . . متى كانوا يركزون أبصارهم هكذا على الأبواب إن لم يكن هناك مبشر بأن ثمة خلاصا قادمًا في الطريق ؟ ! وآلاف الماوثين المدنسين

يطلبون ماء النهر يطلبون الهداية والتوبة . . كيف يطلب هؤلاء ما ليس له وجود ؟ ! !
 وهل يستقر لك قرار إن طلب منك أن تنام على الأرض بلا فراش أو لحاف وفي
 منزلك فراش ولحاف وكونك لا تريد أن تنام على الأرض دليل أنك لست معتادا
 على هذا النوم ؟ !

وهل يمكن أن يكون هناك قلق يكون قلقاً وهو لا يعرف لنفسه مقراً ؟ وهل يمكن أن
 يسكر انسان دون أن يعلم أن هناك مزيلا لخمار قد يصيبه ؟ ! ألا يدل كل هذا على
 وجود ما لا تراه لمجرد طلبك إياه وجودا حقيقيا لا لبس فيه ولا شبهة ولا شك .

(2047 - 2059) عودة إلى قصة المعترض الذي اعترض على تأمير الشاب الهذلي
 والواقع ان المعترض يثير هنا قضية عامة تثار في كل زمان ومكان . .
 لمن تكون القيادة . . هل تكون للشيوخ المجربين أو للشباب المجددين . . .
 والمعترض في اعتراضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم درسا في
 المعارضة إنه يعلم إنه يعارض الذي يوحى إليه . .

مع ذلك فهو يحاول أن يلزمه الحجة من كلامه هو عليه السلام والإشارة هنا إلى حديث
 منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم « كبروا الكبر أو الكبر الكبر (استعلامي 4
 / 301)

على أن الرياسة تحتاج إلى شيخ والجيش ملء بالشيوخ ، صحيح أن أوراق أشجارهم
 قد تبدو صفراء لكن ثمار أفكارهم ناضجة وما الأوراق الصفراء إلا علامة النضج
 والكمال والورقة الصفراء في الشجرة هي بمثابة اللحية البيضاء التي هي علامة على
 النضج . .

أما العيدان الخضراء فلا تدل إلا على فجاجة الثمرة . . لكن القدرة على الاستغناء

(تعبير من سنائي والواقع أن التلاعب هنا لفظي من برك بمعنى ورقة وبرك بمعنى
 زاد) هي من علامات الكمال من الأولياء ولا يعيب صفرة الذهب الصيرفي «
 فالصفرة خضاب المؤمن والحمرة خضاب المسلم » (انقروى 4 / 460)
 ويستمر الهذلي من المقارنة بين الشباب والشيوخ : قد تكون أقدام

الشيوخ مرتعدة لكنهم يطيرون بجناح من العقل فوق الأوج . . تماما مثلما رزق الله جعفر ابن أبي طالب جناحين بدلا من يديه وقدميه اللذين قطعاً في غزوة مؤتة قبل استشهاده (انظر 2 / 577) .

(2060 - 2064) يعبر مولانا عن حرجه عندما ورد مدح الشيخ والشيوخ في كلام هذا الفضولي الذي وجهه في حضرة المصطفى عليه الصلاة والسلام فكأنه حتى لم يكن يرضى بأن يمدح الشيخ أو المرشد في موضع اعتراض على خاتم الأنبياء ورأس المرشدين صلى الله عليه وسلم ما كان أحرى به أن يصمت . فإذا كان الكلام كالنهر فالصمت بحر . وكل كلام مهما كان حسنا مآله إلى الفناء والصمت ، فإياك أن تتمرد على إشارات البحر . . والبحر هنا هو محمد عليه الصلاة والسلام وربما كما فسر المولوي اترك الفرع أي جدول الكلام وتمسك بالأصل أي بحر الصمت (4 / 387) .

(2065 - 2074) عودة إلى القصة إن الخلاف هنا بين خبر ونظر فالمعترض يعطى الكلام حقه وحديثه ظاهر الإقناع . .

لكن هل هو أدري بالمصلحة عمن يعاين الأمور برأي العين أو يكون الخبر كالمعاينة وبالطبع يريد مولانا جلال الدين أن يشير إلى موضع آخر إلى المريـد الذي يعترض على تصرفات الشيخ التي قد تكون ظاهرة الخطأ فالمريد لا يرى الأمور إلا مجزأة وطبقا لمعطيـاته وعقله القاصر لكن الشيخ يعاين الأمور . . المريـد يرى الأمور الحاضرة . . .

لكن الشيخ يضع في الحسبان ما غاب من أمور ومن ثم فلا أحد يشاهد ما يشاهده الشيخ فالشيخ أشبه بمن بلغ وصال المحبوب والمريد يريد أن يتحدث عن « الدلالة » و « الواسطة » وما هذا إلا من قبيل اللغو عند من بلغ مرتبة الرجولة في الطريق وترك مرتبة الطفولة ، تكون الكتب عنده ذات قيمة وإلا فما طلب الدليل بعد الوصول إلى المقصود (انظر الكتاب الثالث شروح أبيات

(1401 - 1046) وفي تعليق للأفلاكي : من عرف الله كل لسانه (مناقب العارفين 1 / 279) . ومن الحماسة المؤكدة أن تذكر خبر الشئ أمام من عاينه . . . فليس على المرید إلا الطاعة إن أمر بالصمت أن يصمت وإن قال لك أفض ، فتكلم لكن تكلم بحياء وخجل وأدب وكن مطيعا .

(2075 - 2080) يسمى مولانا المثنوى هذه التعويذة أو الرقية الجميلة إنه يضرب مثالا حيا على الشيخ والمرید . . لكنه يجعل من حسام الدين شيخا له . . إنه هو الذي يغريه بالمقال وبالتطويل والبسط كلما أراد الاختصار للمصلحة ويخاطبه قائلا : يا حسام الدين . . يا ضياء ذي الجلال . . أي حاجة بك إلى المقال . . . ما دمت تعاین الأمور وتشاهدها . . . لعل هذا لأنك تحب أن تسمع . . وأن تعطى الأذن حقها من المتعة . . تماما كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب أن يتلى عليه القرآن وعليه أنزل . . أو كأنك ذلك الشاعر الذي قال « هو أبو نواس »

ألا فاسقني خمرا وقل هي الخمر * ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر
وبح باسم من أهوى ودعني عن الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر (ديوان أبي نواس . . انقروى 4 / 366 مولوى 4 / 389)

ويعلق الأنقروى بأن الأولياء على نوعين عند المشاهدة ، نوع لا يحب أن يتحدث مصداقال - (من عرف الله كل لسانه) ونوع آخر ينطلق في الحديث (من عرف الله طال لسانه) . . .

فعندما يكون كأس الأسرار الإلهية على اللسان نضبح الأذن : وأين نصيبي ، . . ألا يكفيك أن يكون نصيبك هو هذا السكر وتلك الحرارة . . لا . . إن هذا لا يكفي ، ينبغي أن تسمع الأذن أيضا ويعلم الجميع أن المتعة تتضاعف عندما تشارك الأذن .

(2081 - 2088) عودة إلى قصة المعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما زاد المعترض عن حده فإن من نزلت فيه الآيتان الكريمتان النجم إذا هوى . ما ضلّ صاحبكم وما غوى (النجم / 1 - 2) وَعَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (عبس / 1 - 2)

أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم بالرغم من أن القرآن نزل بعضه يبرؤه من الضلال فإنه تذكر أنه أخطأ ذات مرة عندما أشاح بوجهه عن ابن أم مكتوم فنزلت الآية الكريمة عَبَسَ وَتَوَلَّى .

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . فعرض شفّتيه ، لكنه الآخر لم يفهم فأخذ يضع يده على فمه الشريف بما يوحى له بأن يمتنع وهذا هو الأدب النبوي العظيم في معاملة الرعية لم يأمر بالقبض عليه في المجلس أو حتى إخراجه من المجلس ، كل ما فعله أن وضع يده على فمه هو بما يوحى بأنه يريد أن يقول : ماذا تريد أن تقول أمام العالم بالأسرار ، وأي حديث هذا الذي تتشدد به ؟

كأنك تضع بعرا تحت أنفك وتقول ما أجمله وما أحسنه ؟ هكذا وتستحسن هذا القول لكي تروج بضاعتك من الكلام المنمق وتنتظاهر وأنت تشم هذا البعر بأنك أيضا تشم ما بلغ المشام النبوية الشريفة من زهور الأفلاك والعلوم اللدنية . . لقد كان حلم الرسول عظيما لكنه كان يريد الرحمة حتى لذلك المعترض بأن يعرفه بقدر نفسه « رحم الله امرئ عرف قدر نفسه » .

(2089 - 2096) لكن إياك أن تغتر بهذا الحلم بل عليك أن تستحي ، فإذا انبسط الولي وانشرح عليك ألا تسيء الأدب . . وهذا العظيم وإن تناوم فلا تسيء الأدب معه وتظنه نائما ، فهو شديد اليقظة ويخاطب مولانا المعترض على المصطفى : حتام تتحدث بهذا المكر أمام المصطفى عليه الصلاة والسلام ؟ إن هذه الجماعة أي جماعة العارفين تعرف آلاف الأنواع من الحلم كل منها كالجبل وهكذا فإن هذا الحلم يجعل الذكي أبله أي يعتمد على هذا الحلم فيعتمد على

ذكائه فيقع في عين البله . . وكذلك أيضا يجعل ذلك الأديب الذي له مائة عين يضل ، فما تنفع كل هذه العيون الحسية . . دون عين من تشرف على الأمور تقوده . وحلمهم كالشراب الخالص المنقى غير المغشوش يذهب أعلى الرأس لكنه رويدا رويدا فيصاب بالسكر ويفقد وعيه ويمشى بشكل معوج كحركة « الحصان » في الشطرنج فيقع الملىء بالعجب بنفسه مجندلا .

(2097 - 2101) هذا الشراب متعدد لكن أقواه ذلك الشراب الذي يشرب من دن « بلى » أي دن الإقرار بالعبودية منذ الأزل في يوم ألتست (انظر شروح الأبيات 12341 - 2110 - 2111 من الكتاب الأول والأبيات 1667 - 2970 - 3137 من الكتاب الثاني والأبيات 2344 - 2348 - 2470 من الكتاب الثالث) هذا هو شراب العشق الأزلي هو ذلك الذي سلب الوعي من أصحاب الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، ومنها أيضا شرب نسوة مصر فقطعن أيديهن قال نجم الدين كبرى : فلما وقعن على جماله وكماله أكبرن أن يكون جماله جمال البشر (مولوى 4 / 391)

كما آمن السحرة بموسى عليه السلام لأنهم شربوا من هذا الشراب ولم يأبهوا بتهديد فرعون فقد توصلوا إلى الروح ولم يعد يهتمهم الجسد إن قطع أو صلب . . ومن هذا الشراب أيضا شرب جعفر الطيار فضحى بذراعيه وساقيه . . .

البيت 2102 : الحكاية التي بدأت بهذا البيت وردت في تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار على النحو التالي : كان ذات يوم في الخلوة فقال سبحانه ما أعظم شأنى وعندما أفاق حدثه المريدون قائلين : ما هذا الذي تفوهت به ؟

فقال : ناشدtkم الله ، وأنا لكم خصم إن سمعتمونى أتفوه بهذا الحديث هلا مزقتمونى إربا ، وكان أن ردها مرة أخرى فهم المريدون بقتله ، فملئت الدار بأبى يزيد فأخرج المريدون لبنة من الجدار وطعنه كل منهم بسكين : فكأنهم طعنوا بها ماء ، وعندما مرت بضع لحظات وأخذت الصورة أى صورة أبى يزيد تصغر ظهر أبو

يزيد صغيرا كصعوبة جالسا في المحراب فسأله المريدون عن هذا الأمر فقال لهم يا يزيد هو ما ترونه ، ولم يكن الآخر أبو يزيد ثم قال : نزه الجبار نفسه على لسان عبده (تذكرة الأولياء 1 / 134) كما وردت في تلبيس إبليس لابن الجوزي 324 - 345 والفتوحات المكية 1 / 354 (عن مآخذ 4 / 142) وواضح أن القصة عند مولانا تختلف عن هذا الأصل .

(2103 - 2121) يرى مولانا أن أبى يزيد البسطامي قال ما قاله وهو في حالة سكر صوفي . . لقد كان فانيا في الله سبحانه وتعالى فنطق بما نطق به . . وهو ما ذهب إليه الشيخ الأكبر ولا بد من إثبات عين العبد في الفناء في الله وحينئذ يصح أن يكون الحق سمعه وبصره ولسانه ، كأن الحق قال على لسان با يزيد لا إله إلا أنا فاعبدون وهذا هو تفسير السراج والهجویری . لقد أمرهم با يزيد بأن يعملوا مديهم في بدنه إن تفوه بهذا ، فإن كل القائل جسدا فسوف يقتل وإن كان القائل روحا فلن تؤثر فيه المدى شيئا . . وهذه زيادة في الحكاية من مولانا جلال الدين وهي بالطبع في إطار الموضوع موضع الكلام . . أي عدم الاعتراض على الشيخ الذي يشاهد من المريد الذي يحكم طبقا لمعطيته ، وعندما ثمل أبو يزيد من شراب العشق الإلهي ضاع منه العقل ، فالعقل كالشمع والعشق كالصبح وإذا طلع الصباح بطل المصباح ، ويدق مولانا جلال الدين على هذا المعنى : إن العقل كالشرطى والعشق كالسلطان وأي قيمة للشرطى في حضرة السلطان والعقل هو ظل الحق . . والحق هو الشمس وأي بقاء للظل عندما تطلع الشمس . . وإذا كنت لا تصدق غلبة العشق . . فكيف تصدق غلبة المصروع ، ألسنت تقول أن جنيا تلبسه ؟ ! فهو لا يقول إلا ما يقوله ذلك الجنى .

وإذا كان هذا شأن الجنى فما بالك بخالق الجنى ؟ أليس المصروع يتحدث أحيانا بلغة لا يعرفها وهو مفق مثاله ما ورد في تائية ابن الفارض :

وأثبتت بالبرهان قولي ضاربا * مثال محق والحقيقة عمدتى
بمبتوبة ينبئك في الصرع غيرها * على فهمها في مسها طيف جنة
ومن لغة تبدو بغير لسانها * عليه براهين الأدلة صحت انقروى 4 / 475 - 476
أليس من شرب خمرا دنيوية وأبدى ضروب الشجاعة تقول إن الخمر هي التي فعلت
ذلك وإن تحدث حديثا فصيحاً تقول إن الخمر هي التي ساعدته وأطلقت لسانه ؟ !
أتقول بكل هذه القدرة لخمر دنيوية ولا تعترف بهذه القدرة لنور الله تعالى ؟ !
ثم أليس القرآن من فم محمد صلى الله عليه وسلم . وكل من لا يقول إنه كلام الله على
لسان محمد فقد كفر .

ويشير في الشطرة الثانية في 2115 إلى ما قاله أبو الوفاء الكردي البغدادي ومنسوب
أيضا إلى بابا طاهر أمسيت كرديا وأصبحت عربيا (استعلامى 4 / 305) ومن بحث
لجعفرى في هذا الموضوع أن ما يراه جلال الدين هنا إن الجانب الإنسانى في أبى
اليزيد أدنى من أن يتفوه بمثل هذه العبارة والقائل في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى . .
مثلما نطقت الشجرة عند اقتراب موسى «إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» (طه / 14) . . ويقول محمود الشبستري في هذا المجال أليق هذا
من شجرة ولا يليق من مقبل من المقبلين ؟ (جعفري 10 / 350 - 351) .

(2122 - 2130) عودة إلى قصة أبى يزيد مع مريديه : عندما فنى أبو اليزيد عن
نفسه بدأ مرة ثانية في التفوه بأمثال هذه العبارات فقال هذه المرة « ما في الجبة غير
الله » وهذا القول منسوب أيضا إلى أبى سعيد بن أبى الخير لقد كان بايزيد يقصد أنه
امتلاً بالله بحيث لم يعد يحس بأي شئ سواه لقد نفى

الغيرية نفيا تاما وهي قمة من قمم التوحيد ومنتهاه وردت في الحديث النبوي . . .
 فإذا أحببته كنت له يدا وقدماء وسمعا وبصرا فبى يبطن وبى يسعى وبى يبصر وبى
 يسمع ، ومع ذلك فإن المريدين الذين يقفون عند ظاهر العبارات ويعرفون ظاهرا من
 القول وليس هذا بمستبعد عن الفانين في الله الباقيين به ، عندما يستغرقون استغراقا كلياً
 ، ولعل المريدين لم يشاهدوا طوال أعمارهم نور الله متجلبا في خلقه الله (الولي الفاني
 في الله) فهذا ليس بمستغرب عليهم

مع أنك إن أردت السعادة فعليك بأن تتجاوز العادة (سبزواري 4 / 302)
 وهكذا فإن هؤلاء المريدين الذين لم يفهموا من كلام ابن اليزيد إلا ظاهره شرعوا
 مديهم كملاحدة كردكوه (وهو جبل في مازندران كان سكنا لطائفة من إسماعيلية
 إيران المشهورين بالحشاشين وبالملاحدة)

وأخذوا يطعنونه بالمدى وما الطعن بالمدى هنا إلا سوء الظن والوقوف على الظاهر ،
 وهنا يأتي التجديد في تناول مولانا جلال الدين للحكاية فإن هذا الجسد الذي ضربوه
 بالمدى لم يكن جسدا . .

بل كان روحا خالصة وبالطبع فإن الذي يهاجم روحا خالصة إنما يرتد كيده إلى
 نحرة . .

ويجسد مولانا جلال الدين هذه الصورة تماما فالذي يطعن صدر الولي يرتد طعنه إلى
 صدره هو ، والذي يطعن جنبه يرتد الطعن إلى جنبه هو وهلم جرا وما القتل الذي
 حاق بالمريدين إلا ذلك القتل المعنوي . . . القتل في الطريقة . . فليس هناك من ذنب
 أفضع من الشك في المرشد والتطاول على مقامه وكان الذي نجا هو الذي لم يبالغ في
 طعن شيخه .

(2137 - 2147) يتحدث مولانا عن الفانين في الله المنسلخين عن ذواتهم ويحذر من
 أنه لا شأن لك بهؤلاء فهؤلاء في أمان وطمأنينة لأن الأذى إنما يحيق بالجسد وهؤلاء
 لا شأن لهم بالجسد ، لقد انقلب إلى مرآة تتجلى فيها كل ما ينظر إليها فحذار من إبداء
 الرأي السيء فيه ، فهذه الصورة القبيحة صورتك أنت

قد تجلت في مرآة وجوده لقد حدثتك قبل ذلك عن أبي جهل عندما نظر إلى أحمد المصطفى عليه السلام فقال له « ما أقبحك » فقال له أحمد صدقت ثم رآه الصديق فناده يا شمس الروح فقال صدقت وكان تعليق الرسول عندما سئل عن السبب في تصديقه هذين الرأيين المتناقضين : إنني مرآة صقلتها يد العرش الإلهية فالترك والهنود يشاهدون في حقيقة كيانه (مثنوى . . أول . . الأبيات 2365 - 2370 وانظر أيضا الكتاب الثالث شرح الأبيات 488 - 496)

ويرى مولانا نفسه مقبلا على شرح مزيد من الأسرار ويعبر عن هذا الخطر بأنه على حرف السطح أي معرض للسقوط . . . فزم شفتيك وأغلق فمك . . . وما دمت ثملا بخمر العشق الإلهي . . . فحاول أن تجلس في مكان منخفض وأن تخاطب كل امرئ بقدر فهمه .

(2148 - 2152) يفسر مولانا جلال الدين ما الذي يعنيه بقوله على حرف السطح . . فهذا البسط الذي يحدث للصوفي التمل من تواتر الألفاظ الإلهية والكشوف الإلهية عليه هو حافة الخطر ومن ثم فهذا الذي يعبر عنه الصوفية بالوقت والوقت العزيز والوقت الحلو (انظر شرح الأبيات 1427 من الكتاب الثالث) هو مكن الخطر ، وهو السيف القاطع . . .

هذا الفرع بالكشف والفرح بالوصول والفرح بالإنعامات الإلهية قد ينسى العارف نفسه فيبوح بما لا ينبغي البوح به ومن ثم يستحب الحزن : هنا في هذا الوقت ينبغي الخوف والحذر من الغيرة الإلهية والخشية من مصير كمصير إبليس الذي أعجب بنفسه فعند الولاء يأتي البلاء . . .

واحذر زوال هذه الدولة في قمتها ، فإن الشئ إذا تم نقص ودنا زواله وإن لم تصدقني فانظر إلى كل نكال أصاب قوما ما إنما أصابهم بغتة وهم في سرورهم ولهوهمحتى إذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا

(سورة يونس / آية 24) وطالع مصائر الأمم السالفة كقوم نوح وقوم لوط فلولا خافوا ما سقطوا .

(2152 - 2160) أتدري لم تخطب ذلك الشاب الذي اعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسقط كل هذا السقوط ؟ ! لقد حدث له كل هذا من فرط سروره وانبساطه ونشوته وسكره لأن قبسا من النبوة قد سطع على روحه بينما كان جالسا في محضر النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن روحه مستعدة له . . . فضل هكذا حتى خسر الدنيا . . . ولإنها تزيد المؤدب الوقور الأصيل أدبا ووقارا ونجابة ، وهكذا بالنسبة لوضع المهذار . . . تزيده وضاعة وهذرا من هنا حرمت الخمر لأن أغلب الناس من هذه الطينة الوضيعة التي تزيدها الخمر شرا وشررا والشرع عادة ما يكون في سبيل الأغلبية أو الأكثرية ولا يشرع في الإسلام لمصلحة أقلية من الناس وليسلب هذا السيف من يد قاطع الطريق لأنه توسل بالقوة لا بالبيعة ! !

(2161 - 2169) من الأوفق أن يبدأ ما تحت العنوان بهذا البيت وهو ما اتبعه يوسف بن أحمد والأنقروى . . . وها هو الرسول عليه الصلاة والسلام يفسر ما هو المقصود بالشيخ المجرب (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات 2282 - ومن 1791 إلى 1800)

فليس الأمر هنا مما يؤخذ على ظاهره فليست الشيخوخة بمظاهرها ، قرب شاب أكثر تجربة وعلماء وحكمة من كثير من الشيوخ ، ورب شيخ أشيب الشعر لكنه أسود القلب ، فالشيخ هو شيخ العقل وترى من كان أكثر طعنا في السن وله مظاهر الشيوخ أكثر من إبليس ؟ ألم يعبد الله ألف عام ؟ !

والم يكن عيسى طفلا ومع ذلك أوتى الحكم صبيا . . . إن الأمر كما يبدو في الظاهر فحسب وعند من ينظر إلى ظاهر الأمور يبدو العقل والنضج مرتبطا بالشيخوخة وهذا له قيمته عند المقلد وليس المحقق (انظر للمقلد والمحقق 2 / 490 - 494) .

(2170 - 2176) المقلد هو الذي يبحث عن الأمارات والعلامات والدلائل أما المحقق فهو الذي ينظر بنور الله ويشق حجب المظاهر والدلائل نافذا فيما وراءها إلى لب الحقيقة ، إن الزيف والنقد أمام المقلد الذي ينظر إلى الألوان سيان ، لكن المحقق يعرف ما في داخل القوصره « القوصرة : صندوق يوضع فيه البلح » سبزواري (4 / 304) وما أكثر الأشياء التي تعمى ظواهرها وتخفى ملامحها الثمينة لتنجو من يد كل عدو ، أليس الملامتية من أهل التصوف هم الذين يخفون حقيقتهم عن الناس بكل ما يستوجب اللوم ؟

إنما نحن فقط أهل التحقيق الذين ننظر إلى الباطن ولا ننظر إلى الظاهر ، أما القضاة فهم الذين يحكمون على الظاهر وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس ولا أشق بطونهم ، وما أكثر المنافقين الذين استفادوا من هذا وأراقوا دماء المؤمنين ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (البقرة / 8) .

فجاهد إذن حتى تكون شيخا من شيوخ العقل حتى تكون كالعقل الكلى (للعقل الكلى انظر 1 / 1899 وانظر الكتاب الثالث 2529) ، أو من لهم نصيب من العقل الكلى ناظرا إلى الأشياء كما هي وإلى بواطنها .

(2177 - 2187) فصل في مدح العقل . . . وعندما أسفر عن وجهه أي خلقه أعطاه الله ألف اسم على أسمائه هو جل شأنه هذا في رأى للسبزواري (4 / 303) وفي رأى يوسف بن أحمد فإن علماء الرسوم قالوا لهذه العزيزة العقل النظري والعلمي والكسبي والحصولي والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل المنفعل والفعال والكلى ، وقالت الحكماء : الجوهر المفارق وقالت الصوفية القلب ، وقال بعضهم نور القلب والروح والنفس الناطقة ، وقالت المشايخ المستقدمون لهذه العزيزة القلم والروح القدسي وباعتبار أنه منور الباطن ومظهر صور

العقول واللمات الملكية لوح (نجم الدين كبرى ومجد الدين البغدادي وعلاء الدولة السمناني) وباعتبار تحريره التجليات ونقشه الحروف العاليات والواردات الإلهية على صحائف قلوب أهل الكمال : قلم ، وباعتبار أنه منشأ النزاهة من شوائب أدناس البهيمية وأوساخ الطبيعية والشيطان روح القدس ، وبهذه المناسبة قال سهل بن عبد الله التستري : للعقل ألف اسم ولكل اسم ألف اسم ذكر منها القليل ليدل على الكثير (4 / 301 وانقروى 4 / 490 - 491)

وأقل هذه الألفاظ أنه المستغنى عن كل شئ بالله تعالى وأنه لا يحتاج إلى أحد ، وهو وإن تمثل نوره جسدا سويا لأزرى بنور الشمس ،

وهذا كما قال أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره فلو كوشف أنوار القلوب لانطوى نور الشمس والقمر مشرقات أنوار قلوب أولياء الله فقلوب أولياء الله لا كسوف لها ولا غروب

(ينظر عجائب القلب في الإحياء للغزالي) كما قيل :
إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب كما قال ابن الفارض : فيدرى
لم يأفل وشمسي لم تغب * وبى تهتدى كل الدراري المنيرة (الانقروى 4 / 492)

وإذا كان العقل نورا فالحمق ظلام ، لا يعيش الأحق إلا في الظلام كالخفاش فائتلف بالنور ، وإلا كنت خفاشا عاشقا لكل مكان تكون فيه العقبات والمشاكل عدوا لكل مكان فيه مصباح ، عابدا للدنيا جامعا لفتاتها غافلا عما فيك من سوء وجبلة سيئة .

(2188 - 2201) يقسم مولانا جلال الدين البشر إلى ثلاثة أصناف ، عاقل ونصف عاقل وشقى مغرور : والعاقل هو ذلك الذي يملك الشعلة أي شعلة

المعرفة ونور الهداية ، فهو بذلك دليل القافلة وذلك الإمام يقتدى بنور ذاته ويتبع تلك الذات التي أفناها في ذات الله ، فأمنوا أنتم أيضا أنه يستطيع أن يقودكم لتصلوا إلى ذلك النور الذي وصل إليه ، وهناك نصف العاقل وهو الذي يتخذ من عاقل عينه التي ينظر بها . .

لقد أمسك به كما يمسك الأعمى بدليله فهو يبصر ويتحرك ويحفظ توازنه ووقاره به ، أما الثالث فهو الذي ليس لديه نور يهتدى به كما أنه لا يمسك بأحد العقلاء ، إنه لا يعرف الطريق لكنه يحس بالعار من أن يتبع أحدا ، يمنعه كبرياؤه من التعلم ، ويملى عليه عجبه إن على الناس أن يتعلموا منه ، وهو ينطلق كيفما اتفق في هذه الصحراء القاحلة ، يسرع حيناً ويبطئ حيناً دون أن يعلم متى يبطن ويبطن متى يسرع ، فلا نور لديه من عقل . .

ولا نصف شمعة من سؤال ، فلا هو بالعاقل ليعيش بالعلم كالأحياء ، ولا بنصف عاقل لكي يبحث عن يكمل له عقله ينقذه من الحضيض الذي يعيش فيه إلى السطح ، فإن لم يكن لك عقل عامل فاعتبر نفسك ميتا في حضرة العقلاء الذين يحيون بكلامهم موتى القلوب ، إن مثل هذا كمثل الذي لا هو بالحي لكي يكون لائقا بصحبة من هم في قوة عيسى الروحية ، وليس بالميت لكي يحاول هؤلاء إحياءه .
إن روحه العمياء تخبط خبط عشواء ، إنها تسعى كثيرا وتكد كثيرا لكنها لا تصل إلى نتيجة ترجى ولا تنجو بسعيها هذا .

(2202) يقدم مولانا مستوى آخر من التعبير عن الفكرة السابقة والحكاية التي تبدأ بهذا البيت من الحكايات المشهورة في كليلة ودمنة باب الأسد والثور قال ومنه :
زعموا أن غديرا كان فيه ثلاث سمكات : كيسة وأكيس منها وعاجزة ، وكان ذلك الغدير بنجوة من الأرض لا يكاد يقربة أحد ، وبقرية نهر جار فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان ،
فأبصرا الغدير ، فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما يتصيدا ما فيه من السمك ، فسمعت السمكات قولهما ،

فأما الأكيس لما سمعت قولهما وارتابت لهما وتخوفت منها ، فلم تعرج على شئ حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير ، وأما الكيسة فإنها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ، هبت لتخرج من حيث يدخل الماء فإذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت : فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال ؟ !

وقلما تنجح حيلة العجلة والإرهاق ، غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ، ولا ييأس على حال ولا يدع الرأي والجهد ، ثم إنها تماوتت فطفت على وجه الماء متقلبة على ظهرها تارة ، وتارة على بطنها ، فأخذها الصيادان فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت إلى النهر فنجت .

أما العاجزة فلم تزل في اقبال وإدبار حتى صيدت (كليلة ودمنة - ترجمة ابن المقفع ص 43 من طبعة دار الشعب) كما اشتق المراد بهذه الحكاية من قول منسوب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الرجال ثلاثة رجل ينظر في الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ، ورجل متوكل لا ينظر فإذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأي وقبل قولهم ، ورجل حائر بائر لا ياتمر رشدا ولا يطيع مرشدا (البيان والتبيين للجاحظ / 3 ص - 182 طبعة مصر 1932 بتحقيق حسن السندوبي (مآخذ 4 / 142 - 143) وقد ذكر مولانا مصدر الحكاية لكنه استدرك بأنها في كليلة ودمنة مجرد صورة لكنها في المثنوى روح ومعنى .

(2206 - 2212) السمكة العاقلة الحازمة لم تقدم حتى بمجرد استشارة رفيقتها فهي بعقلها وحزمها أدركت أن مشورة من يقل عقلا أو يعدمه خالية من القيمة وإنه من الممكن أن يثبطاها عما عزمت عليه . . . ومن ناحية أخرى كانت تعلم أنها سوف يحدثانها عن حب الوطن وأن الهجرة عن هذا الوطن أمر صعب على نفسيهما : فالمسافر عليه أن يستشير مسافرا مثله ، استشر عموما من هو

في مثل حالتك أو من خبرها أو من مرت عليه ، سل حكيما وسل عالما ، إن هاتين السمكتين سوف تتعللان بحب الوطن وحب الوطن من الإيمان حديث صحيح لكن متى كان المقصود هو هذا المكان الذي نعيش فيه وهل نسيت أن وطنك الحقيقي هو في تلك الناحية ، هو ذلك الذي خلقت أولا فيه ونفيت عنه ومن واجبك أن تعود إليه ، فاقرا الحديث لكن لا تقرأه مقلوبا ، إن الله يرغبك في أن تعمل لكي تعود إلى وطنك لا أن يكون همك هذا التراب الذي تعيش عليه والدنيا التي تحجب عنك الوطن الحقيقي وقد أشار عبد الباقي (4326) إلى أن المعنى مأخوذ من قول للإمام على « إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعادها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وما شئ بينهما كلما قرب عن واحد بعد منى الآخر وهما بعد ضرتان (نهج البلاغة - فيض الإسلام / 1003) أدرك هذا وإلا صرت مثل الذي قلب الدعاء عند الوضوء .

(2213 - 2220) الخبر الذي يشير إليه مولانا جلال الدين في هذه الأبيات :
إذا أردت الشروع في الوضوء تقول أولا : نويت الوضوء لله تعالى ورفعا للحدث والاستباحة للصلاة ، ثم بعد الاستعاذة والبسملة تقول : اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ،
فإذا تمضمضت تقول :

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ، فإذا استنشقت بأنفك اطلب من الرب الغنى رائحة الجنان وقل اللهم أرحني رائحة الجنة وارزقني من نعيمها ولا ترحني رائحة النار ،
وإذا غسلت وجهك تقول :

اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وإذا غسلت يدك اليمنى تقول اللهم أعطني كتابي بيمينى وحاسبني حسابا يسيرا ، وإذا غسلت يدك اليسرى تقول : اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي وتحاسبني حسابا

عسيرا ، وإذا مسحت رأسك تقول : اللهم غشني برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك ، وإذا مسحت أذنيك تقول : اللهم اجعلني ممن يستمع القول فيتبع أحسنه وأسمعني منادى الجنة مع الأبرار ، وإذا مسحت رقبتك تقول اللهم فك رقبتني من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ، وإذا غسلت رجلك اليمنى تقول اللهم ثبت قدمي على الصراط مع أقدام المؤمنين ، وإذا غسلت رجلك اليسرى تقول اللهم أعوذ بك من أن تنزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم « من ذكر الله عند الوضوء طهر جسده فإن لم يذكر اسم الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء (مولوى 4 / 306) وعند الاستنجاء يستحب أن يدعى الله سبحانه وتعالى بأن يطهر النفس من جنابتها وأن ينقى الباطن من الأدران : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من العلماء الراشدين واجعلني من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (أنقروى 4 / 499) .

(2221 - 2230) هذا المثل الساهر ورد في مقالات شمس الدين التبريزي (مقالات شمس ص 361 مأخذ / 143) إن الدعاء صحيح لكن موضع الدعاء خطأ . وهذه الشطرة ضل فجوة الدعاء أو اشتبهت عليه فجوة الدعاء مما جرى مجرى الأمثال السائرة في اللغة الفارسية لمن يطلب الشئ طلبا صحيحا لكنه يطلبه من غير موضعه أو في غير أواه أو للذي يستخدم الشئ في غير موضعه (انظر داستانهای أمثال ص 284)

ويضرب مولانا هذا المثل لخطأ ذلك الذي يذكر حب الوطن من الإيمان على أساس أن الرسول عليه السلام يقصد به هذا الوطن في الدنيا ، بل هو وطن الآخرة ، كما أن رائحة الجنة بفتحة الأنف وليس بهذه الفتحة الدنيا . . .

وهذا التفسير يمكن أن يكون أبلغ رد على دعاة القومية الضيقة الذين يعبدون التراب ، ويستشهدون بها الحديث

قائلين إن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى حب الوطن ، غافلين عن أنه إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى وطن ما فهو على الأقل هذا الوطن الذي ينضوى تحت رسالته وهو العالم أجمع أو حيثما يرتفع أذان من مسجد والرأي ما قاله العارفون .

(2231 - 2234) تكون الشورى والخطر جائم ومائل ووشيك ضربا من الحماقة ، أو عندما يكون ما على الإنسان أن يفعله واضحا ولا مجال فيه للاختيار بين رأيين ، فالسمكة العاقلة أو الرجل الحازم العاقل لا يضيع وقته عند الخطر ، ويضرب المثل في الشطرة الثانية بالإمام على رضي الله عنه وتأوّهه في البئر بدلا من أن يفشى الأسرار ، وفحوى الإشارة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسر ببعض الأسرار إلى سيدنا على . . .

وطلب منه عدم إفشائها وبعد عدة أيام ضاق صدره عن حملها . فذهب إلى بئر وأسر إليه ببعض ما عنده فتحول ماء البئر إلى دم وممر الرسول بهذا البئر فطلب من بعض صحابته أن يستخرجوا منه بعض الماء . فوجدوه دما فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا إلا لأن علىّ تكلم فيه بالسر (المولوي 4 / 309 - الانقروى 4 / 503) وزاد السبزواري على الرواية إن عليا رضي الله عنه قال حديث طويل رواه كميل آه آه إن هاهنا لعلماء جمالو أصبت له حملة (سبزواري 4 / 304) وقد نظم العطار الجزء الخاص بمرور الرسول على الرسول على البئر في منظومته منطق الطير فقال نزل المصطفى في موضع من الطريق ،

فقال هاتوا الماء للمعسكر من البئر فذهب ثم عاد مسرعا قائلا : إن البئر ملئ بالدم ولا ماء فيه فقال لعله من الألم الذي أصابه عندما بث المجتبى فيه أسرار (منطق الطير الأبيات 523 فما بعدها) ويضيف المولوي رواية أخرى إن قصب الناي نبت في البئر فجاء شاب وقطع منه عودا أخذ ينفخ فيه فاسمعه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : يخبرني عن

الأسرار التي قلتها على والرواية هنا محرفة عن حكاية لسنائى الغزنوي وردت في الحديقة (انظر حديقة الحقيقة وشرعية الطريقة الترجمة العربية ص 46) منسوبة إلى حلاق الإسكندر الأكبر والمراد هو حبس الأسرار عمن لا يستحقها من ناحية وحبسها عند الاستماع إليها على أساس أن « قلوب الأحرار قبور الأسرار » ، كما أشار سنائى إلى الواقعة في شطرة واحدة من البيت 3302 من الحديقة وقليل من يستحقون هذه الأسرار فتوار كالعسس وسر ليلا وليحفك ظلام الليل إن كنت غير أهل للأسرار وجاهد في ترك هذا الجدول ذي الماء الآسن واطلب بحر الحقيقة المحيط (لبحر المعنى انظر 1 / 295 وما بعده) .

(2235 - 2237) ما أقرب التعبير هنا إلى محتوى الحديث النبوي الشريف ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها (مولوى 4 / 310 - انقروى 4 / 504) .

(2245) الحكاية التي تبدأ بهذا البيت من المأثورات المشهورة وردت في كتب كثيرة من أمثال العقد الفريد لابن عبد ربه وحلية الأولياء (ج - 4 / ص 316) وإحياء علوم الدين وكتاب الأذكياء لابن الجوزي كما نظمها العطار في إلهي نامه (مأخذ 144 / 145) .

(2271 - 2273) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وموتوا قبل أن تموتوا . وقد مر تفسير الموت قبل الموت في الكتاب الثالث (شرح الأبيات 3762 - 3768) ويريد مولانا هنا بالموت بالغنى أي الموت بمغريات الدنيا من ناحية والموت الاضطراري أي موت البدن دون توبة أو رجوع .

(2282 - 2283) قال تعالى في سورة الملك «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ إِذَا أُلْفُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنْ

الْعَيْظُ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ؟ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ » (آيات 6 - 9) .

(2287 - 2300) قال تعالى « وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (الأنعام / 27 - 28)

ويجربى الحوار بين العقل والسمكة الحمقاء وهو في الحقيقة بين العقل وكل أحقق قلبه غلف لا يعرف العذاب إلا عندما يرى نفسه فيه ، وذلك لغيب عقله ، والخطاب موجه إلى السمكة وإلى كل أحقق : اذهب يا عديم القيمة فإن هذا التمني أيضا ليس من العقل فهو من قبيل تمنى المحال « كلا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ » (سورة المؤمنون / آية 100)

فهذه الفراشة تعود إلى النار مهما تدفع عنها ، ومهما تذق من لهيبها ، والندم أيضا من أمارات الحمق فهو لا يغير من الحقيقة شيئا ، وهو أيضا من ألم العقاب لا من ألم الذنب ، وهذه التوبة ليست في محلها وإنما تكون التوبة قبل التعرض للعقاب . .

إنما تكون التوبة من قريب وإلا فإن الذي ينتظر التوبة حتى الموت كالذي يسخر من خالقه وعندما يذهب الألم عنه ، يمضى ندمه وتمضى توبته كالقائل قولا بليل (ليل الألم والعذاب والظلام) فإذا طلع عليه النهار نسي ما بدر منه من ندم وتوبة ومن ثم فإن العقل يرد عليه (ولو ردوا لعادوا) .

(2300 - 2306) ينشد مولانا الحقيقة دائما ، فيرى أن هناك ما يشبه العقل وليس بعقل ، بل هو وهم يبدو كأنه عقل ، كما يبدو الزيف كأنه ذهب ولهذا الوهم يحاول أهل الباطل قتل الحقيقة كما جادل فرعون موسى عليه السلام .

ويقول السهروردي في هياكل النور الوهم ينازع العقل حتى إن المنفرد ببيت بالليل يفر منه عقله ووهمه حتى ربما يغلب تخويفه ، فينفرد الإنسان وهو يخالف العقل في أمور غير محسوسة حتى أن الذين يتبعون قضاياه ينكرون

ما وراء المحسوسات » (أنقروى 4 / 515) الفیصل إذن فی التمييز بین العقل والوهم عند صاحب الهیاكل أن صاحب الوهم ینکر ما وراء المحسوسات ، وعند مولانا محک آخر فإن الذي يدبر من أجل شهوات الدنيا ليس عقلا بل هو وهم . . . على أساس أنه يدبر ويفکر فی الزيف والوهم . . . وهناك محک آخر يقدمه مولانا : اعرض أفعالك على معیار القرآن وأحوال الأنبياء ، وها هو العقل يخاطبك : إن تعرض نفسك على هذا المحک سوف ترى نفسك لست أهلا لطريقتي ، ولا صبر لك على ما أملیه عليك . . . لكن العقل الحقيقي إن تعرض لأشد أنواع العذاب حتى لو قسم بالمنشار فهو يضحك لأنه يعلم أن هذا البلاء مخصوص به الأولياء وأنه دليل على صدق معدنه (انظر الكتاب الثالث / 1511 - 4120 - 4123) .

(2307 - 2321) يجسد مولانا المعاني ليقربها فموسى عليه السلام هو العقل ، اما الوهم فهو فرعون الذي أحرق العالم بنيران ظلمه وجبروته وتعيده على العباد وجرأته على الحق ، وهكذا يدير مولانا حوارا بين موسى وفرعون : فرعون لا يرى من موسى إلا ما يعرفه عنه وهو الذي رباه ولا يعرف عنه شيئا يذكر (الوهم) وموسى يحاول ان يفهم فرعون أنه وجود غير الذي رباه ، وانه وهب ما لم يكن آلاف الفراعين يستطيعون ان يهبوه إياه دون فائدة ، ان فرعون يسأله : من تكون ؟ !

قال له : « إني رسول من رب العالمين » لكن هذه النسبة بالذات لا يريد لها فرعون فيقول له : دعك من هذا الادعاء أذكر نسبك القديم عندما كنت تعيش بيننا ، يجيب موسى بأن النسبة الحقيقية له أنه عبد الله من نسل عبيد وإماء وأنا من تراب ومرجعي إلى التراب مثلك تماما أيها المهول فهذا هو نسبك أيضا الذي خرجت منه ، ومرجعنا جميعا إليه سبحانه وتعالى يوم لا أنساب بينهم ولا يتساءلون ، أنسابنا واحدة نحن الأنبياء والعصاة ونحن جميعا

من هذه الناحية أكفاء غير أن فرعون يريد أن يذكر موسى عليه السلام بأنه كان مجرد عبد لها لَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (الشعراء / 18 - 19) بل أنت عبد متمرّد عاص هربت من وطنك بعد جريمتك المشنومة ، إن كلام فرعون كله واضح الصدق لكنه بعيد عن الحقيقة وأقرب إلى الوهم ، كل القياسات التي يقدمها صادقة وذلك لأنه لا يعلم أن موسى عليه السلام أصبح عبدا ربانيا .

(2322 - 2340) ينفذ موسى عليه السلام خطاب فرعون إليه إلى أي مدى هو كاذب رغم لهجة الصدق التي يتحدث بها ، فموسى هو عبد الله وحاشا أن يكون عبدا لسواه ، وحاشاه أن يكون له شريك في ملكه ، ثم إن الله هو خالقه ولا يستطيع فرعون أن يصور حاجبا واحدا من حاجبيه ، فمن أين يستطيع أن يعرف ما يدور في روحه ، ثم إن فرعون هو الطاغية المشنوم لأنه يدعى الملك مع الله ، ثم إن فرعون الملوّث الأيدي بدماء الآلاف من آل يعقوب يعير موسى بفعلة واحدة لم يفعلها عن عمد أو عن قصد لقد وكزه فقضى عليه ومتى كانت الوكزة تقتل انسانا لا يريد الله سبحانه وتعالى له أن يقتل ؟ لقد قتلت كلبا كافرا . . .

وقتل أنت آلاف الأبرياء ، وكنت أنا المقصود ولكن الله سبحانه وتعالى اجتبانى واصطفانى برغمك . وهكذا عندما يفحم فرعون لا يجد ما يقوله امام الناس ، إلا أن موسى عليه السلام أساء الأدب . . .
لقد حط من كرامة فرعون أمام الناس ، انه لم يفكر في يوم الحشر العظيم ، انه سوف يذل أمام الخلق أجمعين وهكذا فإن النفس الفرعونية في كل عصر وكل أوان ، داخل كل لباس . .

عندما تحصر ولا تحار جوابا لا تملك إلا أن تتوسل بظاهر المبادئ الأخلاقية وكيف يجرؤ على من رباه ؟

وإن لم يكن قد رباه كيف يجرؤ على كبير القوم ورب الأسرة ؟
كيف يحطم ما بناه رب الأسرة ؟ وكيف يخرب بنيانه ؟ إن هذا المنطق يغفل عن نقطتين

مهمتين : الأولى أنه لا شئ يعلو على الله وإذا كانت القضية حق الله وحقوق الناس فلا كرامة لأقرب الأقربين : «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (التوبة / 24) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : فإن ليس كل هدم تراه بالهدم وغالبا ما تكون العناصر الهدامة تسعى في هدم بناء واه لكي تقيم مكانه صرحا عاليا ، والبقاء في الفناء فكرة دق عليها مولانا جلال الدين كثيرا وهي الفكرة الجامعة للكتاب الثالث

(انظر مقدمة الكتاب الثالث) ، كما وردت في الكتاب الأول بشكل مختصر « وصحة حسن الدنيا تجيء من سلامة البدن وأما صحة حسن الدين فتأتي من خرابه وأن طريق الروح يخرب الجسم لكنه يعود فيعمره بعد هذا التخريب ، فهو كمن خرب دارا من أجل كنز من الذهب ، ثم زادها عمرانا بذلك الكنز ذاته ، أو كمن قطع الماء وطهر مجرى النهر ثم عاد وأجرى ماء الشرب فيه ، « أو كمن » شق الجلد وانتزع منه رأس الحربة فنما على الجرح بعد ذلك جلد جديد ، أو كمن هدم القلعة وأخذها من الكفار ثم أقام على أرضها مائة برج وسد ، ومن ذا الذي يصف من لا شبيه له ؟ إن ما قلته ليس إلا ما تمليه الضرورة (الأبيات 305 - 311 من الكتاب الأول) وانظر أيضا مثال قيمة الحرص في الكتاب الثالث

(الأبيات 4159 وما بعده) (2341 - 2354) ورد هذا المثل في مقالات شمس الدين التبريزي (295) (مأخذ / 146) ويضرب مولانا أمثلة عديدة من الواقع المعاش :

حراثة الأرض :

جراحة التقيح ، والخياط عندما يقطع الملابس والأدوية عندما تدق والقمح عندما يطحن ليكون دقيقا ، وكل بناء قديم يراد تجديده ، أجل كل بناء قديم يراد

تجديده لا بد وأن يهدم هذا البناء من البداية لكي يقام البناء الجديد خاليا من كل عيوب البناء القديم . . دعك من كل الألفاظ والمصطلحات المعاصرة كالأصولية والراديكالية وما إليها ، فهذه هي روح الإسلام الحقيقية ، كل واقع جديد لابد وأن يقوم على أنقاض القديم ، وألا يقبل الرسول أن يحكم عاما وقريش عاما آخر . .

أو لتتنازل لهم عن بعض ما كانوا يطالبون به من مسائل قد لا تمس روح الدين ، لكن الأمور كلها لا تتجزأ ، ولست أقول إنها روح الاسلام فحسب لكنها أيضا روح الفطرة التي يدق عليها مولانا جلال الدين كثيرا . .
فالعالم كله في حالة تهدم وبناء ، وقديم يمضى وجديد يأتي ، وكل شئ هالك الا وجهه .

إن ما يظنه فرعون تخريبا من موسى وحطا من شأنه هو في الحقيقة عمل من شأنه أن يعلى من شأنه ويخلصه وهو السمكة الحقيرة من شص الدنيا والإصرار على الذنب الذي أمسك بحلقها ، وعلى المستوى الصوفي والتربوي النفسي : عدم الوجود المادي يؤدي إلى عمران الوجود المعنوي (انظر 1 / 1897 - 1906 وما بعدها) .

(2355 - 2359) لا يزال الحديث موجهها من موسى عليه السلام أو العقل إلى فرعون لعنه الله أو الوهم : لقد جعلت من نفسك حية تسعى ذات فحيح وهي مجرد دودة ، وهذا هو فعل الوهم وهو أن يضخم الشئ الحقير التافه ويجعله كبيرا ، ويجعل المرء الهالك الميت يظن في نفسه ما ليس فيها حتى ينقلب إلى فرعون ، ولأن دودة فرعون نفسه قد صارت أفعى ولأن فرعون الذي لا يزيد عن دودة قد ظن بنفسه أنه أفعى فقد أحضر الأفعى من أجله ، فلا يصلح للأفعى إلا الأفعى ولا يكسر حية النفس الفرعونية إلا حية موسوية فإن رضيت يا فرعون نجوت من هاتين الحيتين حية نفسك وحييتي .

(2360 - 2375) رد فرعون على موسى انه ألقى بسحره في الأرض الفساد وفرق بين الخلق (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات 1067 - 1085) ، لكن موسى يفرق بين ما يراه سحرا وبين الاستغراق في الرسالة الإلهية الذي يجعل من موسى مخلوقا إلهيا ساعيا بالله ناطقا به وليس مجرد ساحر . وشتان ما بين الرسالة والسحر ، فالسحر من الغفلة والكفر ، وأي شبه لي بالسحرة ومتى كانت أنفاس الساحر تحيي الموتى ، ومتى كانت الكتب المنزلة تستضاء بنور السحرة ، ان هذا الذي يظنه فرعون في موسى ليس إلا من أوهام فرعون التي تستنكر على موسى الرسالة ، وانه إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يلقيه من توهم ، إنما ترى العالم كما تكون ، فإذا كنت دائر الرأس ترى المنزل يدور بك .

وإذا كنت في سفينة تسير بك في اليم فذلك ترى الساحل يسير بينما تكون أنت السائر لا الساحل ، وأنت في الحرب في ميدان القتال عندما يضيق بك الحال ألست ترى الدنيا أيضا قد ضاقت بك في حين أن الدنيا هي الدنيا بل الضيق نابع منك أنت ، أنت الذي يمكن تحس بهذا العالم كأنه روضه ومن الممكن أن تحس أنه مجرد سجن لك وأنت ترى من العالم ما يفيض من داخلك أنت وهذا المثال ورد في معارف بهاء ولد (1 / 234)

قلت لنفسي : إذا كنت خربا فكل العالم المعمور خراب وإذا كنت ضياء فكل الظلمات ضياء وإذا كنت متعبا فكل ألوان الراحة تعب وإذا كنت عامرا فكل أنواع الخراب عمران المدرك والمدرك من جنس واحد فإذا كنت فانيا عن نفسك يكون العالم أمامك فانيا ، وإذا كنت باقيا يكون العالم أمامك باقيا ، وإذا صرت نورا يكون العالم نورا لا أرضا ولا سماء ولا عناصر ولا مواليد كما يقول القائل في مقام الشهود لا إلا ولا لا كل ما يبدو للنظر هو الله هو الله هو الله . .

إن المكرم يرى كل شئ مكرما وهكذا ترى العين الطاهرة فمدرك النور يرى نورا ، ومدرك الظلمة يرى الظلمة وما أصدق ما يقول مجد الدين سنائي « الصوفية يقيمون كل نفس عبيدين . . بينما تقدد

العناكب الذباب (سبزواری 4 / 305 - 306) وهكذا يستمر مولانا جلال الدين في تقصى فكرته : لا بالسفر ولا بالإقامة فحيثما ذهبت لا ترى إلا ما يفيض من نفسك ، وما تكون هذه النفس مهياة لرؤيته أنه كاللحم القديد المنشور على وتد الطبيعة . . هل يتغير هذا اللحم وهل يحس وهل يبدر منه ما يدل على أنه موجود ! (2380 - 2383)

لكنك إذا كنت في أرض تخرق فيها الأسباب والعلل لا يرتبط ما فيها بمنطق الأشياء وبما يفيض من النفس إلى الخارج ، فأنت قد أصبحت في أرض الله ، وأرض الله توصف بأنها واسعة حيث تفنى المظاهر وما يرتبط بها من أسباب أو علل ، هي أرض القلب حيث تتفتح العوالم الرحبة ، وحيث تتبدل صورها هي أمامك كل لحظة ، لا بتلك الصور التي تنبت من وهمك ومن ظنك ومما تفيض به نفسك ، وكأنها تلك الصور التي يراها عالم الأرواح . .

ان هذا الحسن من التبدل الذي يطرأ عليها ، من الجديد الذي تبديه لك كل لحظة وأخرى ، فلو أن الجنة نفسها كانت ثابتة الصور لا نقلبت إلى صورة قبيحة من دوامها واستمرارها على وتيرة واحدة ، فإن اللذة في التغير لكن ليس التغير على عواهنه ، بل التغير الذي تسيطر عليه الروح والذي يكون تابعا للقلب ، هذه هي النعمة التي لا توصف .

(2384 - 2399) وإذا كنت لا تصدق ان المدركات الروحانية تختلف من إنسان إلى إنسان ، فأمامك في خلقتك أنت الدليل ، هذه الحواس وآلاتها المركب فيك : فلا الأنف يستطيع أن يبصر ، ولا العين تستطيع أن تشم ، ولا الأذن تستطيع أن تلمس ، كل آلة من هذه الآلات أستاذة في فنها ، لكنها إن كانت معطوبة أو تشكو آفة ما فإنها لا تدرك المدركات إدراكا صحيحا مهما كانت هذه المدركات صحيحة ، إن عين الأحول لا ترى الوجدانية ، هي دائما في شرك (انظر

مثالا على هذا الكتاب الأول ، فهذه الحواس إذن في حاجة إلى غسل حتى تكون طاهرة ولا تريك إلا الطاهر ، وهذا ما يسمى عند الصوفية بتطهير الثياب : ذكر عن أبي الحسن الخرقاني رأيت رسول الله في النوم فقال لي يا أبا الحسن طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس (انقروى 4 / 515) والكلام لا يزال لموسى : وحتى تدرك يا فرعون أن هناك فرقا شاسعا بيني وبينك لا تنظر إلى بعينك ولكن انظر إلى بعيني أنا . . ترى عالما من العشق ، وهذا عندما تنجو من البدن ومن آلات البدن ومن الاثنية .

(2400 - 2411) عندما تنجو من البدن فإن كل قوانين البدن تنعدم ، ومنها تلك القوانين التي تحكم كل اله بأن تدرك جانبا من المدركات فتستطيع الأذن والأنف أن تكون عينا ليس هذا فحسب بل كما قال ذلك الملك حلو البيان « إن كل شعرة من شعور العارفين تنقلب إلى عين (انقروى 4 / 539) قال جعفري انه أبو اليزيد البسطامي (10 / 419) وقال استعلامى انه أبو اليزيد البسطامي اعتمادا على رواية وردت في تذكرة الأولياء لقد هتف به جزاء عبادته ثلاثين عاما : يوم القيامة أحول وجودك الجسدي إلى ذرات وأهب كل ذرة منها بصيرة (4 / 320) وما أشبه البيت بما ورد عند ابن الفارض :

فكلى لسان ناظر مسمع يد * لنطق وادراك وسمع لبطشت
فعيني نامت واللسان مشاهد * وينطق منى السمع واليد أصغت
وسمعي عين تجتلى كلما بدا * وعيني سمع ان شدا القوم تنصت
ومنى عن يد لساني يد كما * بدى لي لساني في خطابي وخطبتي
كذاك يدي عين ترى كلما ترى * وعيني يد مبسوطة عند بسطتي
وسمعي لسان في مخاطبتي كذا * لساني في اصغائه سمع منصت
(أنقروى 4 / 538)

ألم يكن هكذا الجسم في البداية عندما كان جنينا دون عين ؟ ! فهل تظن أنت أن النور من هذه الشحمة ؟ ! والشيطان يرى والجنى يرى دون هذه الشحمة المسماة بالعين ، فليست هذه الشحمة إذن هي السبب في الرؤية وإلا ما رأت العين شيئا في النوم ، إنما يضع الله فيها النور ، فليست الشحمة إذن هي سبب النور وإلا فأية صلة للانسان المخلوق من التراب بالتراب ، وهل الجن يشبه النار ؟ والطير من الهواء فهل يشبه الهواء ؟ ، إن هذه الفروع منسوبة إلى أصلها بلا كيفية ، والافأى شبيهه للتراب مع الانسان أو الانسان مع التراب ؟ ! ! إن كان ثمة شبه فهي مخفية عن العقل ، إنها بلا كيفية وكيف يفهم العقل ما لا كيفية له .

(2412 - 2422) الموضوع المفضل عند مولانا جلال الدين : كيف تعطى الجمادات الإدراك من لدن الله مباشرة ، والدليل على ذلك أنه سلط الريح على قوم عاد فكانت تفرق بين المؤمن والكافر ببصيرة ممنوحة من الله سبحانه وتعالى ، وإذا لم تكن هناك بصيرة عند نار النمرود فكيف عرفت إبراهيم الخليل وامنتلت للأمر ولم تحرقه ؟

وإذا لم يكن للنيل هذه البصيرة فكيف كان تتحول دما لآل فرعون ويظل على طبيعته المائية لقوم موسى ؟ وكيف أوب الجبل مع داود إن لم يكن له سمع وبصر ونطق ؟ ! وإذا لم يكن لهذه الأرض عين وروح فكيف ابتلعت قارون وما رأيك في الجذع الحنان ؟

وفي الحصى الذي نطق بنبوءة محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وإذا لم تكن تصدق فاقراً «إذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا فَكَيْفَ تَزَلُزَلُ الْأَرْضُ إِن لَّمْ يَكُنْ عِنْدَهَا حَيَاةٌ وَإِحْسَاسٌ ؟ !

(2423 - 2434) الخطاب ما زال لفرعون ومولانا شديد الاهتمام بقصة موسى وفرعون على أساس أن فرعون وموسى موجودان في كل جبلة وفي كل ذات يتصارع هذان القطبان المتنافران (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات 975 و 1259 و 971 و 1252 ومقدمة الترجمة العربية للكتاب السادس) ، إن مجرد

إرسالى إلى مثلك أميرا لدليل على أن الله سبحانه وتعالى لطيف وخبير يعلم بأنك على كثرة ما عندك إنسان ضعيف في حاجة إلى هداية ، وهو يرى أن داءك الوبيل الذي لا شفاء منه يحتاج إلى هذا العلاج أي العصا ، بهذه العصا سوف يكسر قرن وقاحتك وجبروتك ، وقد أُنذرك الله وحذرك وأبدى لك من الواقعات المخفية ما كان فيه رادع لك لكنك أولتها كلها واعتبرتها أضغاث أحلام من النوم الثقيل وعميت عن فحواها ، وصرت أصم عن سماع النذير فيها ، وسار منجموك وبحثوا لها عن أسباب أخرى غير طغيانك وكفرك ذلك لأنهم رأوك لست مجرد طالب نصح مسكين ، بل خافوا منك لجبروتك وظلمك وتعطشك للدماء ، فسددت على نفسك بذلك أبواب النصح ومضيت في وادى الهلاك .

(2435 - 2436) والملك الحقيقي هو الذي لا يسفك الدم إلا لمصلحة ، والذي تخلق بخلق الله فتسبق رحمته غضبه ، كما ورد في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبى .

(2441 - 2445) هذا مثال على أساس أن أهل الدنيا عندما يأنسون غفلة من أهل الدين يهاجموهم هم ، ويحاولون قطع الطريق عليهم حتى في الأصلاب والأرحام ، كما فعل فرعون عندما أراد أن يمنع ميلاد موسى (لتفصيلات في الكتاب الثالث شرح الأبيات 840 - 845) ،

وهذا على أساس أن المسلم إن لم يغز غزى هو في عقر داره ، وفي خطبة للإمام على رضي الله عنه : ألا وإنني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا وإعلانا وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا (عن جعفري 10 / 463)

وهكذا عندما حلم أهل الروح على فرعون ، تجرأ بطبيعته الخسيصة وأراد أن يقطع الطريق على مجيء موسى . . . فكأنه أراد أن يسد الطريق التي جعلها الله للتناسل فكانت السخرية منه في قمتها وكان موسى المقصود في صدر داره وهو منهمك في جرمه .

(2458 - 2467) إن الله سبحانه وتعالى عادل يعطى لكل إنسان ما يستحقه تماما وما يليق به ، ومتى قام الإنسان بشر أو عصيان والتواء لم ير من بعده ما يناسبه من جزاء ؟ !! على المرء أن يكون مراقبا لفعله ووجوده ، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا . .

حينذاك لا تكون في حاجة إلى قيامة وحساب ما دامت كل لحظة من لحظات وجودك قيامة وحساب ، وذلك الحر الذي تكفيه الإشارة متى كان في حاجة إلى القول الصريح ؟ !

أن البلاء قد حاق بك من حمقك أنك لم تفهم الرموز . . وإلا فهل كان فرعون في حاجة إلى الأنبياء بعد الآيات التسع . . وفي هذا تنبيه على فرعون كل زمان إذا ظهر في زمانه شئ من التسع أو غيرها تزداد حتى يهلك وإن تاب ورجع تاب الله عليه . . . ويتوب الله على من تاب (مولوى 4 / 338) .

وإياك والعكوف على الذنوب حتى لا يسود قلبك ، ولا يكون لك أمل في عودة أو أوبة أو توبة مصداقا للحديث النبوي الشريف إذا أذنب العبد ذنبا حصلت في قلبه نقطة سوداء ، إن تاب واستغفر صقلت ، وإن عاد زيدت حتى يسود قلبه ، إن كل فعل خيرا كان أو شرا يتولد لك منه شئ في داخلك .

(2468 - 2472) هذا الجسد الذي أصله من الطين كحديد حسن الصنف ، يمكن أن يصقل فيتحول إلى مرآة يتجلى فيها كل شئ ، وعادة ما يضرب الصوفية بهذا مثلا على أن الجسد وهكذا طبيعته يستطيع أن يسمو عنها لكي يصير مرآة يتجلى فيها كل شئ . . . فما بالك بالروح وطبيعتها أنها نفخة أو نفخة من ذي الجلال .

(2475 - 2486) لقد أعطى الله سبحانه وتعالى العقل لكي يكون صقلا لهذا الجسد ولكي ينور القلب . . . وما العقل هنا إلا العقل القدسي ، لكنك بتركك للصلاة عطلت هذا العقل عن عمله وأطلقت يد الهوى تفعل فيك فعلها ،

ولو أنك حبست الهوى وأطلقت العقل لصقل جسدك لكنك فعلت العكس وهذا هو السعي بالفساد في الأرض منذ عطلت آلة الإصلاح أي العقل وأطلقت آلة الفساد « الهوى » ولا تذكر ماء الجدول (القلب) حتى ترى الجواهر أو المعاني الإلهية في قاعه وروح الإنسان مثل الهواء إن علق بها التراب يحجب السماء (الدعاء والرحمة) بل ويمنع الشمس نفسها من الظهور فانظر إلى الكدر والتراب ماذا يفعلان في الكون حتى تظهر وجودك من كدر الخطايا وتراب الدنس وتصلقه ، وانظر رحمة الله بك . . . إذ يرسل إليك في منامك التحذيرات ويدعوك إليه على فحوى الحديث المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم « إذ أراد الله بعبد خيرا عاتبه في منامه » (مولوى 4 / 341) .

(2487 - 2500) ها هو موسى عليه السلام يفاجئ فرعون بما كان يعن له . . . بالنذر الإلهية التي أيسرها انقباض النفسي واكتئابها . كانت أفعال فرعون السوداء ترتد على ذاته كما تعكس المرأة صورة حاملها عله يحاول التخفيف من قبحه ، لكن النفسي الفرعونية كلما جوبهت بعيوبها ازدادت فسادا وصلفا ، كان فرعون يرى قبحه مجسدا في النوم ، فكان يفر منه دون أن يعلم أن قبحه معه ، كذلك الزنجي الذي رمى المرأة مدعيا أنها قبيحة (مثل ورد عند سنائي الغزنوي انظر . حديقة الحقيقة الأبيات 4035 - 4040 وشرحها)

وتكررت في أكثر من موضع من مقالات شمس ولها أصل عربى . إن كل ما يحدث لك أعرفه . . . كل الكوابيس التي تتوالى عليك . . . وكل الأصوات التي تسمعها وهي تلعنك وتندرك بسوء العقاب إلى غير ذلك مما لا يليق بنبي أن يتفوه به ، وما يحدث لك كثير ، بل ذكرت لك قليلا من كثير لتعلم أنى عالم بكل أحوالك خبير بها ، هذا الكفر يجعلك تتجاهل كل هذه النذر كما تجاهلت الآيات التسع وقد دفع إلى شقاء الكفر والعصيان وادعاء الربوبية فلم تنفع معه كل هذه النذر .

(2505) في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « باب التوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والياقوت ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاما للراكب وهو مفتوح منذ خلقه الله تعالى إلى طلوع الشمس من مغربها » (مولوى 4 / 343) وفي حديث آخر من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه (انقروى 4 / 565) .

(2506) للجنان الثمانية ثماني أبواب وهي عدن والوسيلة والفردوس والخلد والنعيم والمأوى ودار السلام ودار القرار ويقال لباب جنة عدن باب التوبة ويقال لباب الوسيلة باب الزكاة ويقال لباب الفردوس باب الصلاة ويقال لباب الخلد باب الريان يدخل منه الصائمون ويقال لباب النعيم باب الحج ويقال لباب المأوى باب الجهاد ويقال لباب السلام باب الورع ويقال لباب دار القرار باب صلة الرحم (مولوى 4 / 343)

(2507) الحوار الذي يبدأ بهذا البيت ورد في موضعين من قصص الأنبياء للثعالبي . . قل له : ان ناصيته بيدي ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شئ إلا بعلمى وأخبره بأنى من العفو والمغفرة أسرع منى إلى الغضب والعقوبة . . وقل له أحب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك في طول هذه المدة ، وفي كلها تدعى الربوبية دونه وتصد عن عبادته ومع كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الأرض ويلبسك العافية حتى لا تهزم ولا تسقم ولا تفقر ولا تغلب (ص 170) والموضع الثاني : فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون : إنك إن آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شابا طريا ، فاستنظره فرعون ، فلما كان من الغد دخل إليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال هامان : والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ في منخره ، فقال له هامان

أنا أردك شابا فأتى بالوشم فخضبه به (ص 184) فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه (قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس للثعالبي ط 4 / 1954 القاهرة) ،

ومن قائل إن وعود موسى لفرعون كما وردت على لسان مولانا جلال الدين مستوحاة من حديث نبوي : « إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا » استعلامى 4 / 273

(2515 - 2522) الأنهار الأربعة في الجنة تعبيرات عن بعض أخلاق المؤمنين في الدنيا . لتفصيلات أكثر انظر (الكتاب الأول شرح الأبيات 3459 إلى 3484 وهذا الكتاب شرح الأبيات 476 / 483) وتدعوهم إلى هذه الأخلاق .

(2523 - 2527) تماما كما أنها أنهار الجنة الأربعة هي انعكاس وتعبير وتمثيل عن بعض أخلاق المؤمنين في الدنيا ، فإن بعض أخلاق الكفار والأشقياء تجد انعكاسها في بعض صفات الجحيم . . فنار الغضب من نار غضب الله سبحانه وتعالى « من غضب منكم فليتوضأ فنار الغضب من النار » . .

ومن الغاشية (حية جهنم) صار فرعون كأنه الحية يبيت سموه في المؤمنين ومن ماء الحميم الذي يسقاه أهل الجحيم يكون الظلم ، ظلم كل فرعون يترك الخلق كالرميم ، وهو من انعكاس مصيره عليه ، يمثل تماما هذا المصير ، هو مثال لجهنم على الأرض ، تلك التي يعذب فيها الفقير والمظلوم .

(2532 - 2538) سوف تتمنى الموت إن كنت طائعا . . لا فرارا من عجزك في الدنيا بل طمعا في كنوز الآخرة . . سوف ترى الدنيا كالخرابة إن هدمتها وجدت تحتها كنزا . . سوف ترى هذه الدار حائلا دون الكنز العظيم ، تراها كأنها حبة واحدة حجبت عنك البيدر كله . . تكون إن قنعت بها كدودة قنعت بورقة

واحدة من الكرامة وعكفت عليها ، لكنها إن استيقظت من جهلها هذا بكرم الله استطاعت أن تفترس حيات الجهل .

(2540 - 2560) لقد شبه الله تعالى نفسه بأنه كنز مخفى . . أو قال في حديث قدسي « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفوني » وفي تفسير للآية الكريمة « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » أي ليعرفون . . ومن ثم فإن أساس الوصول إلى الكنز السعي من أجله ويدق مولانا على هذا المثل كثيرا ويشبه وجود الإنسان في الدنيا بإقامة في خرابة تحتها كنز . . لكنه لا يريد أن يهدم الخرابة ليجد الكنز ، وفي النهاية فإن الخرابة سوف تتهدم وحدها . .

لكنه لن ينال شيئا ، وما هذا البيت الذي أنت فيه إلا بيت بالكراء هو ليس لك ببيع أو شراء . .

وهذا الكراء بالأجل . . وسوف تخرج منه دون أن تستفيد شيئا ، ثم يقدم مولانا مثلا آخر : إنك تقوم بخصف النعال في دكان بالكراء . .

في حين أن هذا الدكان تحته كنزان . . ها أنت تعيش في ذلة ما لم تهدم هذا الدكان . . وما هذا الرثق إلا تعلقك بالطعام والشراب فإن ترتق وجودا مآله إلى الفناء . . وتترك الكنزين : القلب والروح . . أنت ترضى لنفسك هذه الذلة في حين أنك عريق الأصل : أنت ابن الخليفة . . ألسنت ابن آدم آخر الأمر . . أم ينص على أن آدم خليفة . . أليست هذه الأرض منفاه ومنفاك ؟

أليس هذا الكنز هو الذي سوف ينجيك من السعي والشقاء ؟ !

سوف ينتهى إيجاز الدكان في النهاية وسيخرجونك منه عندما يجئ الأجل ، وسوف تعض بنان الندم على أنك لم تستفد شيئا عندما كان كل شئ مهيبا لفائدتك « يوم يعض الظالم على يديه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا » .

(2563 - 2567) أتدري لم كل هذا ؟ ! لأنك مجرد طفل لم تبلغ مرحلة الرجولية . . لقد رأيت الدار منقوشة مزدانة فلم تهن عليك ، والبيت والأبيات التالية كلها مستوحاة من بيت واحد لسنائي :

كل نصيحتي لك هي هذه أنك طفل والدار ملونة . (حديقة بيت 6440) .

(2585) الحديث « من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة » موضوع من الأحاديث الضعيفة ويرى الشيعة أنه موضوع على أساس أن الرسول ، قد توفي - طبقا للروايات الشيعية - في السابع أو الثامن والعشرين من صفر ، بينما تجعل أغلب الروايات السنية وفاته ، في الثاني عشر من ربيع الأول وبعض الروايات تجعله في الثالث عشر من ربيع الأول . . وقد ضرب بالحكاية كلها مثلاً على اشتياقه ، إلى الملاء الأعلى . . إذ كان دعاؤه ، في أخريات أيامه « اللهم اغفر لي وارحمني وألحطني بالرفيق الأعلى » .

(2594 - 2595) عن انتقال الرجال من هذا العالم وعن أن الموت عند الصوفية المحققين هو عبارة عن زفاف ، (انظر الكتاب الثالث شرح الأبيات 3519 - 3536) والماء المالح هو الدنيا والماء العذب هو الآخرة ولمولانا في ديوان شمس تبريز : فلترحل من الماء المالح نحو ماء الحياة وعد من صف النعال نحو الصدر (كليات ديوان شمس غزل 1353 ص 525) .

(2598 - 2627) لم تؤد مشورة فرعون مع زوجته المؤمنة آسية عليها السلام إلى نتيجة وإن استطاعت الرسالة أن تؤثر في قلب آسية المؤمنة بحيث تواجدت من هذا الفتوح الذي نزل على زوجها دون استحقاق ، وأن يصير مطلوباً هكذا دون أن يقوم بأي جهد في الطلب ، إنها تعلم أنه مثل إبليس ، لكن هل يفتقد الله سبحانه وتعالى إبليس . . نعم - كل عاص مهما بلغت درجة عصيانه يظل الله سبحانه وتعالى يناديه ، وآسية عليها السلام هي رمز للقوة الإيمانية تلجأ إليها النفس الأمارة بالسوء ، وفي تفسير لنجم الدين كبرى لقوله تعالى « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ : رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » (التحريم / 11) أي ضرب الله مثلاً

للقوى المؤمنة من قوى النفس اللوامة امرأة فرعون أي القوى الصالحة القابلة تحت القوة الفاسدة الفاعلة المستكبرة (مولوى 4 / 355) . وها هي تتعجب كيف لم يؤمن في التو واللحظة وقد عرض عليه تاج من الإيمان يخفى « قراع » نفسه وكفرها ؟ وأي غفلة هذه زادت عن الحد الذي يحفظ المرء . . أجل قليل من الغفلة ينفع . . وإلا لو لم يكن فرعون غافلا لهلك لساعته فرحا من هذا الطلب وهذا العرض وفي الحديث جعلت معصية ابن آدم سببا لعمارة الكون (استعلامى 4 / 232) ولكن أن تكون الغفلة لهذا الحد هو أيضا من قبيل الهلاك . . وإلا فمن الذي يرفض مائة أجمة من الأشجار عوضا عن بذرة واحدة . .

ومن الذي يرفض مائة منجم عوضا عن حبة واحدة ؟ أن يكون إنسان لله فيكون الله له . . أن تأمن القطرة من الرياح والتراب وتعود سالمة إلى لجة البحر . . لكن النفس الفرعونية تظل النفس الفرعونية وإلا لما ألهم فرعون استشارة هامان ولما سقط بين يدي هامان كما سقط البازي في يد المرأة العجوزة المعتوهة .

(2628) وردت الحكاية التي تبدأ بهذا البيت في الكتاب الثاني من كتب المثنوى (انظر الأبيات 325 - 337 وشروحها) وقد وردت القصة في كشف المحجوب إشارة « ولا محالة أنه عندما يطير بازى الملك فوق جدار امرأة عجوز فإنها تقص جناحه وقوادمه (النص الفارسي ص 8 العربي ص 11) كما وردت نظما في أسرار نامة للعطار ص 101 / 102 ، كما وردت أيضا في مقالات شمس الدين التبريزي (مآخذ / 44 - 45) ولا جدال أن البازي هنا رمز لمن يلجأ إلى من لا يعرف قيمته

وقدره ، أو إلى الروح الغالية ومكانها ساحة الملك لكنها تقع في يد العجوز (الدنيا) التي ترهقها من أمرها عسرا وعند استعلامى أنه العبد الذي يبتعد عن طريق الحق (4 / 333) وهو مستبعد إذ يشبهه مولانا الروح

دائما بالبازي ، وهكذا يكون فرعون وهو على أبواب الهداية يطلب مشورة هامان فيضله .

(2635 - 2644) من هنا زيادة عن الحكاية الواردة في الكتاب الثاني : أن العجوز تزيد في تعذيب البازي عندما لا يلتفت إلى ما تظنه كرما منها وعطفا على البازي وتزداد العجوز سوءا . فتصب الماء الساخن على رأسه وتجعل الدموع تسيل من عينه تلك العين التي كانت تنظر إلى عوالم لا تراها العين الطبيعية . . وهكذا تصاب العين الناضرة إلى الملاء الأعلى بالأذى في الدنيا من تلك العيون الأرضية التي لا ترى أبعد من مؤطى قدمها . . وينصرف مولانا عن عين البازي الوارد في الحكاية وينطلق إلى وصف عين العارف التي تتجاوز المحسوسات وترى بالغيب وترى انبساط المحيط كأنه شعرة واحدة . أو التي عبر عنها ابن الفارض بقوله :ومن مطلعى نور البسيط كلمعة * ومن مشرعى بحر المحيط كقطرة . (انقروى 4 / 597) هذه العين لها صفات أود لو أقولها ولكن أين هي الأذن التي تسمع ؟

(2645 - 2650) كان البازي يذرف الدموع وجبريل يأخذ هذه الدموع مع شرفه ومرتبته فيدهن بها جناحه ومنقاره ، وهكذا أيضا قطرات دموع العارفين (أنين المحبين وبكاء المستغفرين أحب إلى الله من تسبيح الملائكة) (أنقروى 4 / 599) وكان البازي يتصبر . . ان الدنيا وإن أذلتها هكذا فلم تقض على دينه وعلمه والنور الذي أخذه من المليك . . إن الجفاء كان على ناقة البدن لا على صالح الروح . . وما دام صالح الروح موجودا فإنه بنفس واحد من أنفاسه المباركة يستطيع أن يجعل متن الجبل يلد مائة ناق . . وهكذا ينطلق البازي في الحديث :
إلا أن القلب يصيح به : أصمت كفاك بوحا بالأسرار وإلا فإن الغيرة الإلهية سوف

تنتقم منك وتمزق سداك ولحمتك جزاء على إفشائك هذه الأسرار .

(2562 - 2657) عودة إلى فرعون : إن كبرياء الملك منعه من سماع النصيحة ليس الكبرياء فحسب بل لأن الشقاء قد كتب عليه وضرب ما بينه وبين الهداية سورا : فهو لم يمل إلى هامان إلا لأن هامان من جنسه ، وهكذا فإن لكل ملك وزراء من جنسه ، وكل طاغوت إنما يحيط نفسه بطواغيت صغار ، يكون هو مثلهم في الطاغوتية ، وهكذا فإن أبا لهب كان مستشارا لأبي جهل بينما كان الصديق هو مستشار المصطفى ، هذا هو عرق التجانس يجعل «الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ» و « الجنس إلى الجنس يميل » .

(2658) قال فروزانفر إن أصل الحكاية في الرواية التالية « عن جابر قال : كنا عند النبي فجاءه رجل من الأنصار

فقال إن ابنا لي دب من سطح إلى ميزاب فادع الله أن يهبه لأبويه ، فقال النبي : قوموا . .

فقال جابر : فنظرت إلى أمر هائل فقال النبي : ضعوا لي صبيا على السطح فوضعوا له فناغاه ، فدب الصبي حتى أخذه أبواه . فقال رسول الله هل تدرون ما قال له . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : لم تلقى بنفسك فتتلفها . قال : إني أخاف الذنوب . قال : فلعل العصمة أن تلحقك . قال وعسى فدب إلى السطح « (مأخذ : 147) وواضح أن مولانا استفاد من الجزء الأول من الرواية .

(2670 - 2682) إن التجانس يكون في الصورة وفي المعنى فقد بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء صلوات الله عليهم من البشر وذلك لكي ينجذب البشر إليهم وإن كان هناك بين معنى النبي ومعاني بقية البشر بعد المشرقين «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ*» . .

وجاذبية التجانس عجيبة ، إنها هي التي تبين في النهاية الإنسان . وإن لم تعرف الإنسان فانظر إلى من يصاحب ومن يجالس . .

ألم يكن عيسى وإدريس وهما بشر من جنس الملائكة فسكننا السماء مع الملائكة ؟ !
وَألم يكن هاروت وماروت من جنس البشر مع أنهما من الملائكة فكانت عاقبتها أن
هبطا إلى الأرض ؟ !

أليس الكفار من جنس الشياطين فتعلموا من الشياطين مئات الآلاف من الخصال
الذميمة أقلها الحسد الذي حرم إبليس من رحمة الله تعالى ومن الفردوس . . نعم تعلم
الكفار من الشياطين الحقد والحسد على بني آدم إذ كانوا يحسدونهم على ملك الأبد ،
وعن التجانس تحدث بهاء ولد بأن كل ما في الخلق له مغناطيسه (1 / 421) 357
كما أن هناك بيت شعر فارسي جرى مجرى الأمثلا « كل يطير مع من هو من جنسه
، الحمامة مع الحمامة والصقر مع الصقر (عبد الباقي 385 / 4)

وانظر إلى هذه الصورة :

إنما يصاب الشيطان بمرض القولنج عندما يرى إنسانا متصفا بالكمالات الروحانية عن
يمينه أو عن شماله . . وهو أن حصل على الكمال لما أحس بحسد بالنسبة لكمال
الآخرين . . فاطلب من الله أن يدفع عنك الحسد ، وأن يشغلك بتربية الباطن عن
الاهتمام بالظاهر .

(2684 - 2690) إن أنواع السكر في هذه الدنيا كثيرة ، والله سبحانه وتعالى يخلص
الأشرار من شرهم ، ويريح العاشقين من عشقهم بوسائل عديدة ، إنه يعطى لجرعة
من الشراب خاصية الإراحة من قيود الدنيا والآخرة ، فما بالك بسكران الخمر الإلهية
؟ وفي المخدرات ألا توجد هذه الخاصية . . ينسى متعاطيها كل ما يحيط به . .
والنوم . . أليس النوم عطية في النهاية لكي يستطيع الإنسان أن ينجو من تفكيره في
هذا العالم (انظر تفصيلات رائعة عن النوم . . الكتاب الأول . الأبيات 385 - 406)

،
أو يشغل المرء بشئ من خلقه . . كما شغل المجنون ببضعه من الجلد . . وهناك مئات
آلاف من أمثال هذه الوسائل يطلقها الله سبحانه وتعالى على إدراكاتك ، مئات من
خمر الشقاء التي تعبها النفس أو خمر السعادة التي يصيبها العقل . . بحيث يجد
الإنسان مطلبه دون

أن ينتقل من مكانه ، أن يخلع خيمة الفلك . . ألا تكون خيمة الفلك مانعا بالنسبة له ، وأن يتجاوز أقطار السماوات .

(2691 - 2720) لكن ليست كل أنواع السكر تيسر لك ذلك ، فحذار ، لا تغتر أيها القلب بأي سكر ، فليس سكر عيسى من تلك الخمر التي تظنها ، فأبحث عن هذه الخمر من هذه الدنان الإلهية ، من الخمر الصافية لا من الدردى ، وذق من الشراب بكل حذر حتى تتبين أولا بأي شراب سوف تسكر . . فكل الدنان تسكر . . لكن شتان بين دن يعطيك المروذن يجذبك إلى رب السماوات .

. ينجيك من كل وسواس ، يصفيك من كل شر . . وهكذا جذب الأنبياء إلى حيث يكون الملائكة لأنهم من جنسهم . . وإليك هذا المثل البسيط : الريح من جنس النار . . فكلاهما نزاع إلى العلو . . وإن وضعت كوزا فارغا على الماء فإنه لا يغوص أبدا . . إنه مملوء بالهواء والهواء ينزع به إلى أعلى . . وهكذا أرواح الأنبياء انها نزاعة إلى العلو لأنها من جنس أرواح الملائكة ، وذلك لأن عقولها ناجية من الشك . . ذلك الشك الذي يأخذ العقول وينزع بها إلى أدنى وإلى أسفل . . وهكذا فإن آل فرعون من جنس فرعون . . وهامان من بينهم أكثر تجانسا . .

ومن ثم فقد جذبه معه إلى قاع الجحيم . . لأنهما معا من جنس النار . . فكل منهما محرق كالنار . . ولأن المؤمن ليس من جنس النار فإن النار تقول له : جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ ناري . . « تقول النار اللهم أجرنى من المؤمن كما يقول المؤمن اللهم أجرنى من النار » والمراد بهذا الحديث أن تنظر إلى نفسك أنت . . إلى أي شئ تنجذب . . إلى من تنجذب . . هل أنت ميال إلى النفس والهوى أو ميال إلى العقل والقلب ؟ وكيفيك في هذا الصراع فخرا وسرورا أن تنتصر في كل لحظة على عدوك « نفسك التي بين جنبيك » والتي تجرك جرا إلى الأسافل .

(2722 - 2736) هذا رأى هامان ، وانظر إلى كمية المغالطات التي يقدمها هامان ، أنه لا يرد على ما اقترح موسى ، لكنه يحدد في فرعون ما ليس فيه وإن كان فيه فهو وقتي وعابر ولا دوام له ، إنه يتساءل : كيف هانت على فرعون نفسه وأبهته وعظمته وكبرياؤه حتى سمح لموسى أن يقول ما قاله ؟ ! وكيف يهون عليه كل هذا الملك ليسجد لواحد من عبيده ؟ !

هكذا فهم هامان الدعوة ، وهكذا يفهم كثير من المتكبرين الدعوات الكبرى ، احتقار لصاحب الدعوة يمنع من مجرد التفكير في الدعوة . . تماما كبعض كفار مكة : لم ينكروا القرآن لكنهم أنكروا أن ينزل على يتيم أبى طالب . . وقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » . . إن مجرد قبول فرعون لدعوة موسى لا يترتب عليه كل ذلك . . لن يترتب عليه أن يكون فرعون عبدا لموسى . . لن يترتب عليه سرور الأعداء « أعداء فرعون » وحزن الأصدقاء . . لكن متى كان هامان يقف عند منطق ، ومتى كان المنطق الهاماني يقف عند حدود المعقول ؟ !

(2737 - 2755) تفسير للمنطق الهاماني : إنه يقسم الناس إلى أعداء وأصدقاء بينما لا عدو له سوى نفسه . . إنه يفسر الأمور بالمقلوب ، فما هذا الملك الذي يتحدث عنه . . ولمن دام قبل فرعون حتى يدوم لفرعون . . وهل هذه الأرض نفسها ساكنة حتى يكون من عليها ساكنا ؟ ! يقول ناصر خسرو :

أي انتظار لديك للاستقرار تحت هذا الفلك ما دام هذا الفلك نفسه لا يقر له قرار (ديوان / 9) .

إن كل الذي جرى أن سجود الناس لفرعون وهامان كان كالسم الذي اختلط بروحيهما . . وما أكثر المتكبرين الذين يرديهم إقبال الناس عليهم . . وما أكثر الطواغيت الذين يصنعهم البشر ثم يضجون منهم بالشكوى . . كل قوم خالقو نيرونهم ، إن هذا الملك وهذا الكبرياء كالخمر المسمومة ، إنه يحرك رأسه سكرًا للحظة واحدة . . وسرعان ما يفعل السم فعله . . الكبرياء

كالخمر المسمومة » ورد عند بهاء ولد (معارف 1 / 387) وإن لم يكن سما . . فلماذا يدفعه إلى كل هذا الظلم ؟ ! لماذا يرديه فعله ؟ لماذا يقتل الأبرياء ؟ ! حتى قاطع الطريق لا يهاجم فقيرا . . حتى الذئب لا يعض ذئبا ! إن الأنبياء والأولياء قد يقومون ببعض ما يظنه الآخرون ظلما لكنه عين العدل . . والخضر قد حطم السفينة فنجت من الفجار . . فكن كسيرا تنجو . . وكن فقيرا تنجو ، ولابن الفارض : (متى عصفت ريح الولا قصفت أبا عناء ولو بالفقر هبت لربت) (انقروى 4 / 620) فحتى الجبل لا ينجو من ضربات المعاول طمعا لما فيه . .

الخلاصة أن الذي أوردى فرعون هو كبرياؤه « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري » وفي خطبة للإمام على « الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من ينازعه فيهما » (عن جعفري 10 / 497) ، وروى الأفلاكي : طوبى لمن زلت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته (1 / 298) الكبرياء اشراك . . هذا هو الأصل وناهيك عن فروعه .

(2775 - 2777) الخلاصة أن هذه العطية لم تكن من نصيب فرعون لقد قنع بسلطان العوام ولم يرض بالسلطان الذي يمنحه الله تعالى . . رضى بالسلطان المستعار الفاني . . ولم يرض بالسلطان الباقي ، رضى بسلطان محل تنازع ، ولم يرض بالسلطان الذي لن ينازعه فيه أحد ، فإن السلطان الذي يستند على شرع الله فحسب هو السلطان الباقي ، وأما السلطان الذي يعتمد على شريعة البشر ، فإنه فرعونى ، وكل فرعون يحاول أن يمحو آثار من سبقه ليكون هو وحده . . ومن ثم لا يدوم ذكر فرعون واحد بالخير بل يدوم ذكره بالسوء .

(2779 - 2786) من الغريب أن فروزانفر لم يلتفت إلى الحادثة التي تبدأ بهذا البيت كما لم أجد لها أصلاً ، اللهم إلا ما يقال من أن كفار مكة عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة أن يحكم عاما ويحكموا عاما . . أو أن يعبدوا الله عاما وتعبد آلهتهم عاما . ورفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الحل (الوسط) !!

ومولانا يفرق هنا بين نوعين من الولاية : الولاية الإلهية المعقودة لمحمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين . . فكل من يحكم بالشرعية التي جاء بها إنما يكون نائباً له في الحكم ، والحكم الحقيقي لصاحب الشرعية ، وهي أيضاً ولاية دينية باقية ما بقي الدين . .

ولا يمكن أن تعين فحسب بالفترة التي أسس فيها النبي صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية في المدينة . .

أما الملك الدنيوي ، فهو مجرد عارية . . لقد أتى عادة بالميلاد (البيت 2785) وقد ترجمها نيكلسون من أجل الزاد على أساس أن زاد عربية بينما أن زاد الموجودة في البيت فارسية ومعناها التوالد والمقصود أنه يأتي بالإرث ، وواضح بالطبع أن الملك القائم على الدين لا وراثته فيه . .

(2790 - 2810) لم أعر أيضاً على بقية الخبر . ويقيم مولانا جلال الدين مقارنة بين الحراب التي ألقاها أمراء العرب في طريق السيل وبين القضيب الذي ألقاه المصطفى عليه السلام . وفي نسخة جعفري (عاشر / ص 507) بيت يقول أن هؤلاء الثلاثة هم أبو جهل وأبو لهب وأبو سفيان (ط 11 بهار 1367 هـ - ش) . لقد جرف السيل كل حراب أمراء العرب بينما بقي القضيب النبوي - رمز حكم النبوة - تدق له الطبول الخمسة كل يوم (الصلوات الخمسة) حتى تقوم القيامة . . وإما أن ترضح بعقلك . . لكن إن كنت يا فرعون حماراً لا عقل لك فقد خلق الله العصا . . يسوقك بها خارج اصطبل الدنيا لينجو من شرك . . وإن لم تنفعك العصا وكنت أكثر فرعونية فإنه يحول لك العصا إلى

حية . . لكي ترى الجحيم في الدنيا . . ما دمت تنكر وجود الجحيم في الآخرة . .
وتتساءل أين جحيم الله ؟ ! .

(2811 - 2819) إن عذاب الله ليس مخصوصا بالآخرة ، بل أحيانا يجعل الفضاء ضيقا على الطائر فيقع على الشراك (إن جاء القضاء ضاق الفضاء) أو يبتليك بآلم من آلام الجسد كآلام الأسنان ومن شدة هذه الآلام تقول إنها كالجحيم وكالأفاعى . .
يجعل ريقك حلوا . . وكأنما السكر من تحت اسنانك فتحس أنك في جنة ونعيم . . وهذا كله مرتبط بتعاملك مع خلق الله فقل إذن من ظلمك للخلق فإن الظلم ظلمات وليس في القيامة فحسب بل وفي الدنيا أيضا . . وإلا فلم أنزل الله العذاب بآل فرعون في الدنيا فجعل عليهم ماء النيل دما ولقوم موسى ماء ، فكيف كان الماء يتحول هكذا ؟ ! لقد منحه الله التمييز . .

بينما قد يحرم الإنسان والمفروض فيه العقل من التمييز ومن العقل فيصبح سفاحا سفاكا لدماء أخيه مثل قابيل .

(2820 - 2831) عن وجود العقل في الجمادات وعن تسبيحها أنظر الكتاب الثالث شرح الأبيات 1008 - 1028 (2833) الحكاية التي تبدأ بهذا البيت وردت ببعض التصرف في تذكرة الأولياء أن مالك بن دينار تنظر مع دهري ، وطالت المناظرة فاتفقا أن يضع كلاهما يده في النار ، ومن تحترق يده فهو على الخطأ ، فوضعا أيديهما ، فلم تحترق ، فذهب مالك إلى داره محزونا وركع مخاطبا ربه : لي سبعون سنة وأنا على الإيمان حتى أتساوى مع أحد الدهرين فسمع هاتفا : إنما حفظت يدك يد الدهري ، دعه يضع يده وحده ثم أنظر النتيجة (تذكرة الأولياء 1 / 50 - 51) كما وردت نفس الحكاية عن كرامات الحسن البصري في نفس الكتاب ص 34 وما بعدها (عن مآخذ ص 145) والجو العام للقصة

يشبه إلى حد كبير مناظرة الإمام أبي حنيفة مع الدهري التي نظمها سنائي في قصيدة طويلة في ديوانه (ديوان سنائي 238 - 246) (2834 - 2837) الاختلاف هنا واضح بين نظرة المتفلسف ونظرة الصوفي ، وهذا الاختلاف ناشئ من اختلاف وجهة نظر كل منهما في الإنسان :

فالإنسان عند المتفلسف عبارة عن ذرة في هذا الكون الواسع ، هو بمصطلح الخيام : قطرة ماء ثم توحدت بالبحر ذرة تراب وتوحدت بالأرض : ومجئتنا ما هو إلا مجئ ذبابة . . دخلت ثم اختفت (من رباعيات الخيام) لكن الأمر يختلف عند الصوفية . . فهو أول الفكر وهو آخر العمل وهو سيد الخليقة وهو ابن الخليفة وفيه النفخة الإلهية .

(2850 - 2862) من الواضح أن الحجج التي يقدمها « السنّي » أو المتصوف لا تنفع المتفلسف فهي كلها حجج نابعة من الباطن والمتفلسف يريد حججا ظاهرة وواضحة يستطيع أن يدركها بمحسوساته ، إن الإيمان بالخالق عند الصوفي خفي وواضح مثل سر العاشقين ولا تبقى إلا نار الامتحان . . والامتحان هنا غريب على مولانا جلال الدين فإن امتحان النار فيه اختبار لله إلى حد كبير وهو ما هجمه مولانا في أول هذا الكتاب (شرح الأبيات 352 - 365) لكن الموضوع قد يختلف هنا إلى حد ما ، فإن المناقشة العلنية أمام الناس كان من الممكن أن تزلزل إيمان بعضهم ، ويشير مولانا إلى أن الباطن لا يصلح إلا للتعامل مع أهل الباطن ، أما أهل الظاهر فلا بد من التعامل معهم بما يفهمون « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » و « إن الله لا يرضى أن يضيع إيمانكم » .

(2863 - 2871) إذا قال لك هذا المتفلسف : إن ما أنت عليه هو التقليد ، فهل رأيت الأنبياء والرسل - فقل إن الأذان شاهد عليها وعلى أنها وجدت

وسوف يظل الأذان باقيا إلى يوم الدين ، والشريعة تدل على المشرع . . وهناك في كل العصور أمثال هذه الرهانات وهذه المباهلات والمجادلات التي تمزق منها المنكرون ، إن حجة المنكر هي إصفرار وجهه وضعف حاله ، وانظر إلى أي منكر للألوهية فلا بد أن تجد فيه عيبا ظاهرا وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يبدي غضبه على وجهه . . فهل سمعت عن منبر يذكر فيه منكر والألوهية . .

(إن أي منكر للألوهية في عصرنا الحالي . . عصر الدين أفيون الشعوب - لا يستطيع أن يجهر هذه الدعوة عيانا ، بل يغلفها بكثير من الأشياء كالهجوم على رجال الدين ، أو وصف المتدين بالرجعية . . والروايات لا تنتهي عن أقوال كبار الملحدين عند اختبار الموت . .)

وأخيرا فإن الجهر بهذا السوء خف كثيرا ، ولم يكن مولانا جلال الدين عندما قال هذه الأبيات يتصور أنه سوف يخرج من بين المسلمين من يقول إن الإسلام مرحلة وانتهت وأنه كان مجرد وسيلة لسيطرة الجنس العربي . . ومن يجعل الدين الذي نزل للناس كافة دينا لشعب واحد . . ومن يقول إن الغلبة للعلم وكأن الإسلام ينافي العلم . . لكن إن هي إلا مرحلة قصيرة من مراحل التاريخ أثبتت فشلها وعقمها ولم تقدم الناس جنة على الأرض بل قدمت لهم جحيما مركبا . . أي جحيما بلا أمل .

(2872) في الكتاب الأول :

واسم أحمد هو اسم جميع الأنبياء .

فعندما يصل العدد إلى مائة تكون التسعون متضمنة فيه .

أنظر البيتين 1105 - 1106 وشرحهما .

(2875 - 2880) إن لم يكن هذا يكفيك أيها المنكر ، فيكفيك القرآن بيانا ، إنه يحدثك

بمائة لسان أو سمى بذلك لأنه أصل كل الكتب الإلهية التي نزل كل

منها بلسان قومه وهو مبين لجميعها وهو أم الكتاب . . فهل يستطيع أحد أن ينقص منه حرفاً أو يزيد عليه حرفاً إلى يوم الدين . . إنه محفوظ من لدن الله سبحانه وتعالى وهو الغالب . . فكن مع الغالبين . . إن المنكر أنه يقيم على الظاهر لا يرى سواه وهذا من حمقه وسذاجته . . أليس يرى أن في بعض الأشياء الظاهرة باطنا هو مكنم الفائدة فيها ؟ ! إذن فلتعلم أن لكل ظاهر باطنا هو فائدته ولبه وحقيقته . . تماماً كالدواء نفعه كامن في داخله المختفى وفي باطنه .

ويقدم مولانا في غزليات شمس الدين التبريزي (غزلية 472 ص 212) رداً آخر :
 - أیه علامه هناك على أن هناك عالماً آخر * تجدد الأحوال وذهاب تلك الأحوال القديمة - يوجد صباح جديد ومساءً جديد وحديقة جديدة مع نفع جديد * وكل نفس فكرة جديدة وسعادة جديدة وفيئ جديد - فمن أين يصل الجديد وإلى أين يذهب القديم * إن لم يكن وراء النظر عالم لا نهاية له - إن العالم يبدو كأنه جدول متجمد لكنه * يمضي ويعود من جديد فمن أين هذا ؟ !

(2881 - 2892) المقصود بتفسير الآية الكريمة (الحجر / 58) أي أننا لم نخلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بمقتضى الحكمة . . وليس لأجل الظاهر الذي ترونه . . بل خلقناهم من أجل المعنى والحكمة الباقية التي لا ترونها (مولوى 4 / 397) وإن كنت لا تصدق . . أو لا يزال عندك شك من

هذا الأمر فأني صانع ممن تراه من الصانعين يصنع الصنعة لذات الصنعة ؟
 حتى المصور إنما يقصد من الصور التي يرسمها والتي تظنها بلا فائدة المتعة للصغار
 والكبار (كل المتع الفنية من موسيقى وتصوير وخطوط وما إلى ذلك كان مولانا
 جلال الدين يراها نوعا من المحاكاة الإلهية ، أو محاكاة الخالق الصغير المبدع الفنان
 من البشر لسيد الخالقين ولأحسن الخالقين) . ويصور نفسه في غزليات شمس
 مصورا يخلق من المعاني تماثيل :
 - أنني مصور نقاش أصنع تمثالا في كل لحظة ، ثم أذيب كل هذه التماثيل في
 حضرتك .

- أنني أخلق مائة صورة أمزجها بالروح ، وعندما أرى صورتك . . ألقى بها كلها في
 النار (غزليات باهتمام فروزانفر ص 199 - 200) والمعنى ورد برمته في معارف
 بهاء ولد (1 / 422)

إن هذه الصورة الظاهرة من أجل معنى خفى . . وعندما يصير المعنى الخفى ظاهرا ،
 إنما يظهر لكي على يدل معنى خفى وراءه وهكذا دواليك بقدر قدرتك على النظر . .
 هذا النقش علة لما بعده وما بعده معلول له ، وهو في نفس الوقت إن ظهر لك له لشيء
 آخر من مراتب الخلق والأمر وهي جد كثيرة لا يعلمها إلا هو . .
 وإذا كان لاعب الشطرنج يجعل كل لعبة قائمة على ما قبلها وممهدة لما بعدها حتى
 يصل إلى الانتصار ، فكيف تظن أن الخالق قد خلق السماوات والأرض وما بينهما
 دون حكمة ، حتى اللاعب له خطة تكفل له النصر . . فما بالك أنت بهذا الكون ؟
 أظنه دون الألعب ؟ إنك إذا حركت ذرة واحدة من مكانها لاختل نظام الكون وهو ما
 عبر عنه فيما بعد الشيخ الشبستري « إنك إذا حركت ذرة واحدة من مكانها لأصاب
 الخل كل العالم (انقروى 4 / 652) .

(2894 - 2900) حتى الشهوات ، ليس لمجرد المتعة والعبث . إن شهوتك للطعام هي دون أن تقصد من أجل المنى . . والمنى هو الذي يتحول إلى نسل يعمر الأرض وتكتحل بهم عيناك . . لكن بطئ الرؤية لا يرى في الشهوة إلا الشهوة . . إنه لم يجاوز مرحلة النباتية فهو كالنبات ثابت الجذور في الطين ، وإياك أن تظن أن النبات يتحرك حتى لو حركة نسيم الصبا فحركته ليست منه ولكنها مستعارة . . أنه يقول لريح الصبا « سمعنا » لكن جذوره الممتدة في الطين لا تتحرك وتقول « عصينا » . .

وهذا الذي لا يعلم السير في الآفاق والأنفس - والنظر بعين البصيرة لحكمة الخلق ، وتتبع هذه الحكمة - إنما هو من العوام (والعوام كالأنعام) . . أنه يضع قدمه كيفما اتفق . . دون بصيرة ودون تفكير . .

كما يفعل الأعمى . . ويقول أنه يفعل هذا على التوكل . . أي توكل هذا . . إنه توكل العابثين لاعبي النرد . . ينتظر ما يأتي به الزهر . . إنما يكون التوكل مع المجاهدة . . والمجاهدة لا بد لها من مرشد . . والتوكل التام شديد الندرة .

(2901 - 2911) في مقابل هؤلاء العوام كالأنعام هناك أصحاب البصيرة النفاذة غير الجامدة . . إنها بصيرة نفاذة تمزق الحجب . . تعلم قوانين العلية والسببية . . تدرك عواقب الأمور التي يمكن أن تجد بعد عشرة سنوات بنظرة واحدة . . وهكذا فكل امرئ بقدر نظره يستطيع أن يسير هذا السير المعنوي « والعارف بقدر همته » . . إنه المشرف على الأزل والأبد : يرى ما حدث يوم الخلق ، يوم أنكر الملائكة على الله سبحانه وتعالى أن يجعل في الأرض خليفة . . ثم يلقي بنظرة إلى الأبد فيرى حتى الحشر ، أنه مشرف على أصل الأصل ويرى ما هو آت حتى يوم الفصل وبأي شيء تيسر له هذه المعرفة الشاملة ؟ بهذا القلب الموجود دوماً بين إصبعين من أصابع الرحمن . . بقدر جلالة تنعكس فيه صور الماضي والحاضر . . فإذا قلت : إنه من فضل الله إنه من العطاء ولا دخل للإنسان

فيه . . إن الله يهب هذا لمن يشاء من عباده ويرضى عنهم . . وانه لا دخل للإنسان في العطية . أقول لك مجاهدتك أيضاً من العطيات وصقلك للقلب من العطيات والله سبحانه وتعالى لا بد وأن يهيئ الأسباب .

(2912 - 2920) وكله بفضل همتك ، حتى الطلب والدعاء بقدر الهمة . .
والعطيات بقدر القابليات ، والقابليات إنما تتحدد تبعاً للهمم ، والله تعالى أيضاً واهب الهمم ، من الناس من تطمح همته إلى الملك ، ومنهم من تكون همته قاصرة على ما يسد شهوات الجسد و «أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» . .
والله سبحانه وتعالى لم يخص أحداً بشئ أو بعمل . . لم يخلق إنساناً للملك وإنساناً للكدر ، لم يخلق أحداً تجرى في عروقه الدماء الزرقاء . .
وأحداً تجرى في عروقه الدماء الحمراء . . وأحداً لا تجرى في عروقه دماء قط . .
وإلا لكان ذلك جبراً على الإنسان ، والحق سبحانه تعالى عن الظلم علواً كبيراً بحيث يجبر أحداً على شئ ثم يحاسبه عليه (انظر مناقشة الموضوع في الكتاب الثالث في شرح بيت الحكيم سنائي الغزنوي - شرح الأبيات 2741 - 3761
وانظر مقدمة الترجمة العربية للكتاب الخامس) لكن الشقي الذي إذا ابتلى كفر أما السعيد فإنه كلما ابتلى صبر وشكر . . العمل واحد وهو الابتلاء . .
لكن الهمة الواهنة الضعيفة تجعل الشقي يكفر . . أما همة السعيد فإنها تجعله يصبر ويشكر ويزداد عبادة .

(2916 - 2920) وإن أردت أن تنكر أن رد الفعل لعمل واحد قد يختلف عند شخصين فأليك مثل يتكرر أمامك عندما تقوم حرب : الجبان يهرب خوفاً على حياته . . لكن الشجاع يقدم ويهاجم خوفاً على حياته أيضاً . . انظر هو خوف واحد على الحياة ، لكنه أدى إلى تصرفين متناقضين تماماً وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر العربي أبي الطيب المتنبي :

- أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه * حريصا عليها مستهما بها صبا
فحب الجبان النفس أوردته التقى * وحب الشجاع الحرب أوردته الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد * إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا
(ديوان - دار صادر / ص 327 د . ت)
فالمحك يبدي الشجاع من الجبان (أنظر أيضا الكتاب الثالث تفسير قول الإمام على
رضي الله عنه لا شجاعة يا فتى قبل الحروب) .

(2921) يرى فروزانفر أن الموضوع الوارد في الأبيات التي تبدأ بهذا البيت وقيل
المتوكل كالطفل لا يعرف شيئا يأوى إليه إلا أمه كذلك المتوكل لا يهتدى إلا إلى ربه
(الرسالة القشيرية) والدرجة الثانية من درجات التوكل وهي أقوى وهي أن يكون
حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإه لا عرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها
ولا يعتمد على إلا إياها فإذا أول سابق إلى لسانه يا أماه وأول خاطر على قلبه أمه ،
فإنها مفزعه (إحياء العلوم ج - 4 ص 185) وقد أخذ على شريعتي الجدلية وجعلها
للشعوب المغلوبة (الطفل) والشعوب الغالبة (الأم) (أنظر العودة إلى الذات) .

(2926 - 2931) ليكن خاطرك أيها الآمن متعلقا بالله تعالى تعلق الطفل بأمه ،
وليكن كل ما هو سوى الله عندك كالحجر والمدر وهذا هو معنى « إياك نعبد وإياك
نستعين » ، و « إياك » هنا هي للحصر ونفى الرياء في نعبد وهي للحصر في
نستعين : أي أنت فحسب نعبد ومنك فحسب نطلب العون . . وقد وردت في الفاتحة
معاني كثيرة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : نعبدك ولا نعبد غيرك .

(2932) الحكاية التي تبدأ بهذا البيت قائمة على حكاية وردت في تذكرة الأولياء (2 / 191 / 192) وفي الرسالة القشيرية (10) عن أبي على الدقاق أن سيدا غضب على عبده فتقدم أحد الشفعاء حتى عفا عنه وظل العبد يبكي : فقال الشفيع : لقد عفا عنك فلم البكاء ، قال السيد : إنه يطلب رضاي ولا طريق عنده إليه ولذلك فهو يبكي (مأخذ 49) والواقع أن الحكاية قائمة على بعض المعاني التي تكررت عند الصوفية من أن « كل ما يأتي من المحبوب محبوب » و « وأن ظلم الحبيب أحلى من رعاية الشفيع » وإن « حقيقة الحب ألا يحاول المحب الشكوى من ظلم حبيبه له » وعليها معاني عديدة والمحب أو النديم هو العبد والمليك هو الملك . . ولا يستبعد هذا الرمز الصوفي (أنظر قصة وكيل صدر جهان في الكتاب الثالث) .

(2941) إن الشفيع هنا من جنس المشفع إليه . . والحب بينهما قائم . . فبه يرى وبه يسمع وبه يسعى وبه يبطش : (انظر الكتاب الثالث / البيت 2220) .

(2944 - 2949) ليس المقصود أن أبين قدر شفاعتك أو أن أمن عليك بل المقصود أن أبين مدى عزتك . . فالسلطان هو هو السلطان الحق الواحد وعماد الملك المتشفع هو المحمدي المشرب الذي ذابت صفاته في صفات الملوك . . والنديم المجرم هو العاشق إذا كان خليلي المشرب ناجيا من حب السوى والأغيار مفوضا جميع أموره لربه تعالى .

كان له من علو المرتبة وشرف الرفعة بحيث إذا شفع في ألوف المجرمين لا ترد شفاعته من الله تعالى . (مولوى 4 / 396) ولأن الشفيع هكذا فلم يقيم بالشفاعة بل قام بها المشفع إليه . . فما أعطاه لم يعطه هو بل أعطاه الملوك . . ما دامت صفاته فانية في صفات الملوك « من رآك رأي ومن أهانك أهانني ومن أعطاك أطاعني فإذا أعطيت لأحد شيئا فأنا قد أعطيته ، وأنا الدائم القائم ولا موجود سواي وأنا أعلم بالرشاد وإلى المبدأ والمعاد ، (انقروى 4 /

(670) ومعنى خذك « إلا » مكانا بجوار لا : أي أعبّر مقام النفي والفناء واتخذ لك مقاما بجوار البقاء أي لا تيأس من رحمة الله وروح الله فأنت الأسير في الدين الأمير على المخلوقات .

(2959 - 2967) إن المعفو عنه ضائق من تدخل الشفيع لأنه كان يريد أن يبذل الروح في سبيل الملك ، والشكر ليس للشفيع ، فقد تدخل بين العاشق ومنتهى أمله . . وحياته الدائمة ، وخلوده ، فكأنه أضره من حيث أراد نفعه ، وفصلة من حيث أراد وصله ، وضع « ذلك الوقت » العزيز الذي كان له . . والصوفي هو ابن وقته لا يريد ضياعه بعد أن عثر عليه « ولى مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » حديث نبوي ورد في الكتاب الأول فليطلب تفسيره عند الأنقروى في طلب الرسول فتح مكة . . وإن قهر الحبيب في حد ذاته التفات واهتمام ، وقتله للمحب حياة خالدة . . فهو إن أخذ روحا يهب أرواحا . . وإن خلص الإنسان من عالم ضيق يهبه عوالم واسعة . . وكان قهر الملك فتحا وظنه الشفيع غضبا . . كان لطفا مخفيا في ثوب القهر ، وكيف تستطيع الألفاظ أن تعبر عن هذه المعاني وهي فوق الألفاظ ؟ وآفة الحال ادراك المقال .

(2968 - 2974) يضيف مولانا تفسيرات جديدة إلى فكرته عن قصور الألفاظ الأرضية عن التعبير عن أمثال هذه المعاني ، وبخاصة عن تجربة العشق الصوفي . . فتعبيرات العشق أشد خفاءً يكرر مولانا صفة الخفاء للتوكيد . . إن هذه الأسماء التي تعلمها آدم جاءت مناسبة لقول آدم (في نص المولوي) أو لجسد آدم (في نص نيكلسون) والمراد احتياجات آدم . . فلا يخص العشق معانيها ولا يقدر على النطق بأسرارها . أنه أشبه بصب البحر في كوز . . لقد علم آدم الأسماء بالإلهام . . وليس في ثياب الحروف . . وعندما خلق جسد آدم من الماء والطين . فإن الأسماء الروحانية والمعاني الروحانية لم تستطع تحمل

هذا الجسد ولفها الطين في ظلامه وهبط بها فتلفت في حجب الحروف والألفاظ لتبدو معانيها للماء والطين . . فكشف عن بعض معانيها أو كشف عنها في وجه لكنها أخفيت من عدة وجوه . . أي فقدت كثيرا من أبعادها الروحانية لمجرد وضعها في نقاب الحروف . . فكلما أردت أن تكشفه باللفظ فقد حصرته في نطاق هذا اللفظ . .

وتكون قد ألغزت من حيث أردت التوضيح وأشكلت من حيث أردت اليسر ، وهذا هو معنى آفة الحال إدراك المقال أو معنى غسل الدم بالدم (ورد في الكتاب الثالث وبعد تقديم الكتاب الثالث للطبع اكتشفت أن هذا التعبير غسل الدم بالدم ليس لمولانا جلال الدين في الأصل بل هو لسنائى وورد في الحديقة (بيت 6420) ولا يفزع القلب إن أمن كثرة الكلام فلماذا غسل الدم بالدم ؟ ! .

(2975 - 2984) الخبر الذي يبدأ بهذا البيت ورد مصادر عديدة منها قصص الأنبياء وإحياء علوم الدين . . والرواية أقرب إلى رواية كشف المحجوب للجهيوى (ص 83) (الترجمة العربية ص 89) . مثلما أشعل النمرود نارا ووضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق فجاء جبريل عليه السلام وقال : هل لك من حاجة ؟ ، وقال : أما إليك فلا ، قال : فاطلب إذن من الله سبحانه وتعالى . فقال : حسبي من سؤالي علمه بحالي (مأخذ / 149) ويشبه مولانا في معالجته لهذا الخبر الشفيع بالواسطة من بعد العيان (أو بحديث الدلالة في وجود المحبوبة) طلب الدليل بعد الوصول إلى المدلول قبيح .

فالواسطة هنا في الدنيا ولو أن كل قلب كان يسمع حديث الحق لما كانت هناك حاجة للحروف والأصوات في الدنيا . . ويعود من البيت 2980 إلى حديث العاشق المغفوعنه : إن عماد الملك بالرغم من مرتبته ، إلا أنني أدق حالا منه . . فالخير الذي أبداه هو شر بالنسبة لصفتي أنا . . وإن الموضوع لمتعلق باللفظ والقهر وهي أمور نسبية فحسنات الأبرار سيئات المقربين : وما قد وجده العوام لطفا قد يكون قهرا للواصلين كما يقول ابن الفارض :

وكل أذى منك في الحب قد بدا * جعلت له شكري مكان شكايتي
وما حل بي من محنة فهو منحة * وقد سلمت من حل عقد عزيمتي .
و « وسبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته ولأعدائه في سعة رحمته
(انقروى 4 / 681) وهذا الكلام والحديث هو مجرد واسطة ، لكنه عند الواصلين
يحجب الكثير من مواجيدهم ويكون أشبه بالشوك في الطريق .

(2985 - 2989) لكن ما هو الفيصل ؟ ! هو تحمل البلاء فبتحمل البلاء تنجو الروح
من قيد الحروف . . فمع المعاني مباشرة يلقي بها في القلب . . هذا البلاء للأمثال
فالأمثال . . يكون بشرى عند قوم . . ونذيرا عند قوم آخرين . . هو لقوم سعادة
ولآخرين شقاء . . أنهم سوف يقفون عن الأسماء دون البحث عن المسمى . . وكلما
رأى الصالحون ثمار البلاء . . يعرضون أنفسهم للبلاء أكثر . .
ومن هنا تكون « الدنيا مزرعة الآخرة » ليس تحمل البلاء من أجل البلاء نفسه . .
من أجل ما يتأتى وراءه من نفع ، وفي بوتقه الامتحان يصبح الذهب النضار أصفى
لونا ، أما الزيف فيسود ويحترق .

(2990 - 3000) وهكذا كل أمور الدنيا ، فهل رأيت « عقدا » مطلوبا في حد ذاته
؟ ! إنما يكون العقد من أجل النفع الذي يتأتى منه ؟ ! هل رأيت منكرا من أجل الإنكار
نفسه ؟ ! إنه يكون من أجل قهر الخصم أو إظهار النفس . . وهذا التفوق في سبيل
طمع آخر ، فلا قيمة لكل هذه الصور دون معانيها المستترة خلفها وكما أن المقصود
من وضع الزيت في القنديل (صورة) هو الضياء (معنى) فكذلك المقصود من كل
صورة معانيها . . وإلا فلماذا

الاستفهام عن أسباب الأفعال إن قولك لماذا هو سؤال عن الفائدة . فلماذا تطلب الفائدة إذا كانت الفائدة متضمنة في صورة الشئ وليست كامنة فيه . . ومن ثم فإن السماء والأرض وما فيهن من صور ليست حكمتها أنها هكذا ، فإذا لم يكن الصانع حكيما وعلينا فمم هذا الترتيب ؟ !
ولما ثبت أنه حكيم وعليم فكيف يكون فعله خاليا من الفائدة ؟ !
إذا كنت تريد أن تبحث عن الفائدة . فاعلم أنه لم يوضع شئ في الأرض أو السماء دون فائدة أو نفع .

(3001) الرواية التي تبدأ بهذا البيت وردت في حلية الأولياء « قال موسى عليه السلام ، يا رب خلقت خلقا وهم عبادك ثم تحرقهم بالنار ، قال يا موسى أذهب فازرع زراعا قال قد فعلت قال فأحصده ، قال قد فعلت قال فأجعله في كدوسه قال قد فعلت قال : فلا تدع منه شيئا إلا رفعتة قال قد فعلت قال فلعلك قد تركت منه شيئا قال : لا إلا ما لا بال به ، قال فمثل أولئك أدخل من عبادي النار (حلية الأولياء ج - 4 ص 360 وأيضا ص 286 وج - 5 ص 94 عن مأخذ (150) .

(3003 - 3011) السؤال من موسى عليه السلام لرب العالمين ليس صادرا عن غفلة أو عن هوى أو عن اعتراض ، ولكن كسؤال إبراهيم عليه السلام « رب أرني كيف تحيي الموتى » « والسؤال نصف العلم مأخوذ عن حديث منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم العلم خزائن ومفتاحها السؤال ، فإن المتنزه عن السؤال المستنكف عنه يظل مأخوذا بورطة الجهل . . هكذا يكون الجهل المركب ومن السؤال يأتي الجواب . .

وهناك جواب كالشوك ، وجواب كالورد ، وهناك جواب مضل وهناك جواب هاد وشاف . . تماما كما يقوم الحب والبغض من التعارف أولا . . فإن من لا تعرفه لا تحبه ولا تبغضه ، يبتليك التعارف بالمحبة أو البغض أو كما يصيبك الطعام بالقوة أو السقم والمرض .

(3012 - 3014) وما كان موسى عليه السلام بالجاهل ، لكنه تجاهل تجاهل العالم ، والأعجمي في مصطلح مولانا هو الجاهل . . وقد تجاهل موسى ليجعل الجهال عالمين بالسر . . ونحن أيضا معشر العارفين نتظاهر بأننا جهال بالسر مصداق ل - « إذا كان العارف بين أعاجم يتعاجم » وكل جماعة فيما بينها وبين أنفسها هكذا تعمل . . لكي تتفتح أمورها ، حتى باعة الحمر يصطنعون خصومة فيما بينهم لكي يروجوا سلعهم . (3022) قال يحيى بن معاذ بن الرازي : الدنيا مزرعة الله تعالى والخلق زرعه والموت حصاده وسيدنا عزرائيل أكله والمقبرة بيته ، والجنة والنار مقره (مولوى 4 / 405) .

(3025 - 3029) وهكذا ديدن الله سبحانه وتعالى ، فهناك في الخلائق أرواح طاهرة وأرواح دنسة ، ولا بد أن تعود هذه الأرواح إلى بارئها ليحاسبها ، ولیميز الخبيث من الطيب ، وليعلم الصابرين ، وهذا التمايز موجود بين كل أنواع الخلق ، كما تحتوى صدفه على درة وصدفة أخرى على سبه . . وإذا أردت أن تفهم هذا المعنى فعد إلى تفسير « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفوني » وجاهد كي تعرف روح الوحي عندك وهي كامنة في طبقات من الخلق عندك .

(3030 - 3035) يحاول مولانا جلال الدين أن ينقل إلى سامعيه فكرته على اختلاف مستوياتهم متوسلا بصور من الواقع المعاش ، وفي الكتاب الثالث رأينا كيف استطاع أن يدير حوارا بين حبة الحمص وبين السيدة التي تقوم بإنصاجها ، وهو هنا توسل بهذه الصورة المعاشة اليومية في كل منزل إيراني أو تركي ، اللبن المخيض الذي يسمى في الفارسية « دوغ » وفي التركية « إيران » فجوهر الصدق أو روح الوحي خفية في الجسد كما يخفى الزيت في المخيض ،

و

من هنا يرسل الله تعالى الرسل ليحرك تلك القرب بنسق ونظام وفن وما هو صالح للبشر يمكن أن تستخرج أفضل ما فيهم لا يؤيسهم ولا يقنطهم ، كما لا يقوم بجعلهم يأملون أملا واهيا . . إنه يخضها برفق حتى يصعد الزيت على وجه المخيض وهذا واجب الأنبياء ، وواجب العرفاء والأولياء بعد ختم النبوة .

(3036 - 3040) لكن ليس الكلام فحسب اللازم بل وأن تكون أذن المؤمن منصته لنا ، تمتلئ بكلامنا فتنتطق . . تماما كالطفل يمتلئ في البداية بكلام أمه ثم ينطق . . وإن لم تكن أذن الطفل صحيحة فإنه لا يستمع الكلام ويكون أخرس وكل أبكم في البداية أصم ، ومن ثم فمن كان بأذنه آفة فهو غير قابل للتعليم ومولانا يرى أن الطالب المستعد ليس أقل أهمية من العارف المتعلم (أنظر الكتاب الثالث أبيات 3602 وما بعدها) وأول كلمة في المثنوى هي « استمع » (البيت الأول : أستمع للناى يأخذ في الحكاية . . ومن الفرقة يمضى في الشكاية) .

(3041 - 3050) النطق بلا تعليم خرق للأسباب والعلل ، والله سبحانه وتعالى هو الناطق بلا تعليم ، إنه لا تجرى عليه عللنا ، وآدم عليه السلام علمه الله إذ لا أم له ، وعيسى في المهد لكي يبرئ أمه البتول عليها السلام من افتراءات اليهود . . لكن مع هذا التحريك للمخيض ، ينبغي أن تكون هناك حركة ، جهد ، كدح ، فالزيت مكتوم والجسد بين ظاهر ، في حين أن الظاهر هو القشر وهو الواهي وهو المؤقت ، والباقي هو الذي يبدو فانيا . . وإذا كنت قد وصلت إلى مرحلة الشيخوخة ، فلا تنفق هذا المخيض الذي يبدو بلا زيت ، بل جاهد في أن تقوم بتنشيطه وتدويره وتحريكه بالعلم حتى يبدو ما هو خفى فيه من زيت ، ذلك أنه ما دام هذا البدن الفاني موجودا فهو دليل على وجود الروح الباقية ، تماما كما تدل ضجة السكارى على وجود الساقى .

(3051 - 3060) يقدم مثالا آخر : أليس هذا الأسد المرسوم على العلم مجرد صورة ميتة . . أنظر حركاته وهو يهتز . . أليس اهتزازه هذا دليلا على وجود رياح تحركة ؟ وإن لم تكن هذه الرياح فكيف ومتى كان لهذه الصورة الميتة أن تبدو لك وكأنها تفقز متوثبة ؟ ! لتكن هذه الرياح ، ليس من المهم أن تكون من رياح الصبا أو رياح الدبور (رياح اللطف ورياح القهر) المهم أن المتحرك لا بد وأن يلزمه محرك - هذا البدن إذن مجرد صورة أشبه بأسد العلم « لكن « الفكر » هو الذي يحركها . . هذا الفكر من جانب الروح أو القلب (الصبا الريح الشرقية) أو من جانب النفس والهوى

(الرياح الغربية أو ريح الدبور) (في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلك قوم عاد بالدبور) ، وحتى لا يلتبس عليك الأمر بالمشرق والمغرب المكانين أقول لك أن الفكرة الشرقية مشرقها الله سبحانه وتعالى ، أما الفكرة الغربية فمشرقها النفس والهوى والشيطان . .

ومشرق أي فكرة من جنس هذه الفكرة . . فالقمر ومشرق الفلك جماد أيضا . . لكن مشرق روح روح الروح (الحقيقية) هو الفؤاد ولاين الفارض :ومن مشرعى بحر المحيط كقطرة * ومن مطلعى نور البسيط كلمعة.ولا فلك إلا ومن نور باطني * به ملك يهدى الهدى بمشيئتي . (انقروى 4 / 699) وإن عين البعير لهذا تكون ممطرة نورا ، فإنه يرعى الشوك من أجل (الحصول على) نور العين ، وتلك الشمس ، وشمس الحقيقة التي تسطع

فتنيره هي الشمس الحقيقية ، وهي لب الشمس ، بينما تمثل تلك الشمس الساطعة على الأفلاك قشرا لها وانعكاسا لها . . لأن ذلك اللهب المسمى بالروح إن غادر الجسد مات الجسد . . ولم يعد له ليل أو نهار ، لكن إذا قويت فيه الروح ملك الشمس الباطنية لأصبح نوره دائما لا مغرب له ولا ليل له (انظر مشكاة الأنوار للغزالي) .

(3061 - 3069) : وبنور الروح ترى العيون في الأحلام ، ولما كان « النوم أخ الموت » فاستدل على الأخ الذي تعرف من الأخ الذي تعرف : وإن قال لك واحد منهم : إن النوم فرع لكن الموت أصل لا تستمع إليهم ، بل استمع إلى قوله تعالى «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الزمر / 42) . وترى روحك في النوم من المشاهد ما لا تستطيع أن تشاهده في عشرين عام وما لم تشاهده قط في عالم اليقظة ، وتسرع أنت خلف معبري الأحلام الدهاة تسألهم ، فإن كان هذا يحدث لك فلماذا تنكر وتسميه فرعا إذن . . هذا هو حلم العوام ، وحلم الخواص اجتناء واختصاص . . .

لماذا ؟ ! لأن . . كل إنسان يحلم ليلا بما يمسك عليه فكره نهارا ، يرى علماء النفس المعاصرون أن ثمة شيئين يسيطران على ما يمكن أن يحلم به الإنسان أولهما : ما يعيشه بالعقل نهارا وثانيهما ما يتمناه وما يتمسك به خياله (انظر الأحلام لسيجموند فرويد) . وفي ديوان شمس الدين يقول :

ليلة أمس تذكر فيلنا الهند ثانية فأخذ يمزق حجاب الليل من جنونه حتى الصباح .
 (غزل 306 / 735) وهكذا فالفيل هو الذي يحلم بالهند (وهو مثل أيضا في الفارسية
 عن الإنسان الذي يحلم بما كان في حياته الماضية ، ولعب الصوفية الفرس على هذا
 المعنى كثيرا على أساس أن الإنسان دائم الحلم بالجنة . .
 كما أنه عندما يقال إن فيل فلان تذكر الهند يعنى أنه ارتكس بعد هدى وحن إلى حياته
 القديمة بعد أن تأقلم بالحياة الجديدة) وهكذا لا يحلم الحمار بالهند لأن الحمار لم
 يغترب عن الهند .

(3070 - 3084) : ومن هنا ينبغي أن تكون الروح قوية (في قوة الفيل وقدرته)
 حتى تستطيع أن تذهب إلى « هندها » أي إلى عالم الملكوت (المثنوى كله حنين
 الروح إلى أصلها وتربية الانسان لكي يكون جديرا بالعودة من منفاه أي الأرض
 لموطنه) . . إن الفيل يرى الهند لأنه يطلبها طلبا حثيثا طوال النهار وبمجرد أن يغفل
 صاحبه عنه يغمض عينيه ويمضى إليها ، وكذلك كل ما تذكره بالنهار ، ومن هنا فإن
 « ذكر الله » ليس عمل الأوباش الرعاع ، كما أن الروح التي ترجع إلى ربها راضية
 مرضية ليست روح أي محتال . . . ولكن لا تيأس : إن لم تكن فيلا فجاهد ، وبدل
 نفسك بالتدريج إلى فيل ، واعرض نفسك على المشتغلين بكيمياء الرجال من العارفين
 الذين يبدلون نحاس الرجال ذهباً وأوباشهم إلى عارفين وحميرهم إلى فيلة . . واستمع
 في معلمهم إلى هذا الطنين الذي يصحب عملية التبديل هذه ، انهم هم الذين يرسمون
 في أجواء الفلك يخرقون العادة . .
 يهيئون الأمور لي ولك أي لنا جميعا . يطوفون أجواء الفلك من أجل وأجلك ، وإن لم
 تكن تبصر هؤلاء الأولياء فأنت أعشى ولا بد أن تعالج

نفسك في البداية من هذه الآفة لكي تكون مستعدا للرؤية ففي كل لحظة هناك آفة فوق إدراكك . . وينبت منك من الوسوس الشيطانية والخواطر الابليسية أولا بأول ، ولأن إبراهيم بن أدهم كان يملك هذه الرؤية فقد بسط له العالم أثناء النوم (أو بين النوم واليقظة إن شئنا الدقة) فلا جرم أنه من هذه الرؤيا قطع كل علائقه ، وترك الملك واختفى . .

وأهمل كل شئ ، وهذه هي علامة النور كما قالها المصطفى صلى الله عليه وسلم أي التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور كما ورد في الحديث النبوي « الدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا وهما حرامان على أهل الله » وورد عن ابن مسعود أنه عليه السلام قرأ « من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد الله أن يضلّه يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء » ثم قال « إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قالوا وما علامة ذلك يا رسول الله قال عليه السلام « التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور والتأهب للموت قبل نزوله » (مولوى 4 / 415) .

(3085) : هذه القصة كما يتضح من مبتكرات مولانا جلال الدين والتراب ربيع الصبيان حديث نبوي والمقصود جفت عينه فلم يعد فيها دمع وهو تعبير عن شدة الحزن .

(3092 - 3093) : إن شعلة الروح تموت من الحزن الزائد ، كما أنها تموت من السرور الزائد . . والوجود الإنساني حي بين موتين ولذلك لا يمكن الاعتماد عليه وهو مطوق بين موتين . . إنه أمر يثير السخرية والشفقة .

(3095 - 3099) : القبض والبسط كلاهما من الله تعالى ، فقد انقبض الملك في نومه ، ولما استيقظ أحس بانسراح لا سبب له ، وكأنه شئ واحد له وجهان وجه فيه الحياة ووجه فيه الموت ، هو حياة بالنسبة لإنسان وموت بالنسبة لآخر ، هو هلاك لإنسان وحياة لإنسان آخر كما قال سنائي :

السم لهذا حياة ولذاك موت هو « هلاك للروح الحيوانية بقاء للروح الإلهية » وكل شئ تراه في الدنيا له نسبتان بالنسبة لبعض الأشياء ضرر وموت وبالنسبة لبعضها حياة وفي القرآن « فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ » (الحديد / 13)

أي من ناحية المؤمنين رحمة ومن ناحية المنافقين عذاب .
(مولوى 4 / 417) وهكذا فسرور البدن كمال دنيوي لكنه نقص أخروي وإذا كنت تعلم أن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فاعتبروا أعمالهم هنا من قبيل الأحلام ، تعبيرها وتفسيرها وموجود في العالم الآخر ، فالضحك في النوم تعبيره البكاء والبكاء في النوم فرح وسرور .

(3100 - 3112) : عودة إلى الملك : إن الحزن يمضى والفرح ، ولكن لا شئ يمضى دون أن يترك أثرا . . حتى وخز الشوك لا يمضى دون أثر ، وهكذا فهو يفكر في وفاة ولده التي رآها في النوم ، إن مضى الورد (الابن) فينبغي أن يكون له منه تذكرا ، وإن من الصعب أن تقف أمام الموت ، فلا محيص عنه ولا مهرب منه . . وهناك مئات الأبواب إليه فأي باب تسد ونحن نسمع صريرها ، وإن من لا يسمع صريرها إنما يكون ذلك من انشغاله بالدنيا . . وإلا فإن هذه الأبواب وصريرها ليست مما يستبعد أو يتجاهل إلا إذا كان الإنسان شديد الغفلة شديد الانشغال بالدنيا . . أتدري ما هو هذا الصرير : إنه الآلام التي تسكن البدن . . وجفاء الخصوم وعداوتهم . . واقرأ فهرس الأمراض والعلل في كتب الطب . .

كلها كالعقارب كامنة في الجسد الإنساني في انتظار الأمر أن تخرج وتلدغ . . هذه هي الرياح الصرصر العاتية التي لا يصمد أمامها مصباح . . فما بالك والمصباح (الابن) شديد الضعف . . إن الملك يفكر إن ذهب هذا المصباح فلا أن يحل محله مصباح آخر ، إنه كالعارف يشعل قلبه شمعا لكي يعوض مصباح الجسد الناقص ، حتى إذا ماتت تلك الشمعة ذات يوم . . يضع أمام عينيه شمع الروح الباقي أي يحيا بنور الحق الذي هو على صلة بهذا القلب ويستمد منه

هذا القلب ، هذا هو الاستبدال الحقيقي والتعويض الحقيقي ، لكن ليس كالسلطان الذي يستبدل فانيا بفان ولم يفكر في الباقي الذي لا يفنى .

(3117 - 3119) : الناس يعلمون أولادهم حرفهم وصناعاتهم وعلمهم أو يميلون إلى ذلك في الغالب الأعم ، لكي يكون الابن استمرارية للأب ليس لمجرد الجسد بل للمعاني التي يزاولها الأب ، الله سبحانه وتعالى وضح هذا الأمر في خلقه البشر وفي جبلتهم لكي تبقى هذه الحرف في الدنيا ، والمعلم أب معنوي لتلميذه ومن هنا يكون الولد « سر أبيه الصوري وسر أبيه المعنوي » . . .
وقد ركب الله تعالى فيهم الحرص على تعليم كل صغير ، . . .
وليس كل صغير فحسب ، بل كل صغير « مستعد » بنص مولانا جلال الدين فاستعداد الصغير أهم من الرغبة الطبيعية الكامنة في الأب لتعليم ولده .

(3121 - 3126) : الملك في الحقيقة هو الله ، ومن البشر الصالح الذي لا يملكه شئ . . لا قلق ولا فرح ، والرجل هو من سيطر على شهوات نفسه ، هو الأشعث الأغبر ذو الطمرين الذي لو أقسم على الله لأبره . . لكن الناس دأبوا على تسمية أسارى الدنيا وعبيد شهواتهم وطلاب الزيادة في الدنيا بالملوك من قبيل تسمية الشئ بضده كتسمية العبد الأسود كافورا والبادية مفازة والمسافرة قافلة . .
وهكذا يسمى العوام من به ترجى الدنيا (صاحب السعادة وصاحب السيادة) ويسمون أسير الشهوة والأمل « الصدر الأجل » وهو إن شئت الحقيقة في صف النعال ، أما أسير الأجل فهو الأمير الأجل .

(3131 - 3136) : إن تسمية الصالح الدرويش بالشحاذ أمر شديد الخطأ لا يقل خطأ عن تسمية أسير الأجل والشهوة والحرص بالأمير ، وهناك فرق بين أن يكون فقرك تقى وغنى بالله وتعففا عما في أيدي الخلق ، وأن يكون هذا الفقر ناتجا عن خسة ولؤم وكسل ، فقر الدراويش قناعة وتقى لكن فقر

الأدنياء مختلف ، فهم إن وجدوا لا يتعففون ولا يقفون بل يضعون الدانق على الدانق والدرهم على الدرهم ، هؤلاء هم الشحاذون على وجه الحقيقة ، وليس الغنى من كثرة العرض . كل ملك يأكل من الحرام ولا يرحم الرعية ويكون عليهم وعلى أموالهم سبع ضار هو مجرد شحاذ وليس ملكا مهما كان له من الأموال وهذا المعنى ورد عند مصلح الدين سعدى الشيرازي .

لو أن أحدا كان ملكا على كل الآفاق صلى الله عليه وسلم عندما يأخذ المال من غنى فهو شحاذ (كليات سعدى / بوستان ص 238)
(3137) : إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم « من جعل الهموم هما واحدا وقاه الله سائر همومه » .

(3141) : إشارة إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم « تنكح المرأة لثلاث لجمالها ومالها ودينها فانكح ذات الدين تربت يداك » وفي تفسير « رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » قال الإمام على رضي الله عنه « الحسنه في الدنيا المرأة الصالحة والحسنه في الآخرة الزوجه المطهرة » (انقروى 4 / 722) .

(3142) : إذا ملكت الآخرة ، فقد تبعتها الدنيا كما يتبع ملكيتك لقطيع من الجمال ملكيتك للصوف والوبر ، لكن إذا ملكت الدنيا فليس من المحتم أن تتبعها الآخرة فملكيتك للصوف والوبر لا تدل على ملكيتك لقطيع من الجمال .

(3154) : إشارة إلى الحديث النبوي الشريف « داووا مرضاكم بالصدقة فإنها تدفع عنكم الأحراض والأمراض » (الجامع الصغير 2 / 14)

(3156) : قيل « إذا انقطعت الأسباب فالسبب هو الدعاء لله » .

(3159 - 3163) : كانت العجوز ساحرة ماهرة ، ولا يفل سحرها إلا ساحر أستاذ وهكذا تطلب الأمور من أسبابها « وفوق كل ذي علم عليم » ولا يكون في أي فن إلا ويوجد من هو أعلى يدا منه ، والمنتهى إلى الله تعالى ، فكل علم العلماء قطرة من محيط علمه « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

(3167) : فرق بين سحر وسحر ، وبين السحر الموسوي وسحر السحرة فرعون (انظر الكتاب الثالث - لقاء الساحرين على قبر والدهما) وشتان ما بين سحر للإفساد وسحر من ذلك الطرف يوهب لبعض الناس فلا يستخدم إلا في الخير .

(3172) : واضح أن الحكاية من الحكايات الشعبية التي كانت معروفة على عهد مولانا جلال الدين وإلا ما ترك بعض تفصيلاتها لا تهم السامع في شئ أو على أساس أن معظم السامعين يعرفونها ، أو ربما لأن التفصيلات لا تخدم الرموز التي ينوى الحديث عنها فيما بعد . . كما أن عدم ذكر تفصيلات عن شفاء الأمير حتى لا يفهم المريدون أن الشفاء تم عن طريق السحر ، فالشافى حقيقة هو الله سبحانه وتعالى ، والوسيلة دعاء الوالد والساحر الإلهى مجرد « دريئة » أي مجرد حجاب لإظهار السبب الحقيقي وهو بين .

(3182) : هكذا يكون الإنسان عندما يشاهد الجمال الحقيقي ، بعد أن ينجو من القبح الذي يظنه جمالا ، والجمال الدنيوي كله لا يساوى عشر معشار الجمال الإلهى ، وهو ما هو موجود في الدنيا من جمال عارية . . فما بالك بمعدن الملاحة . . إن الأمير كان لا يزال ينظر إلى هذا الجمال الجديد بنفس تلك الحواس التي كان ينظر بها إلى الجمال . . فلم يتحمل . . ولمولانا في ديوان شمس الدين التبريزي :
في يد كل ما هو موجود فتات من الجمال * وإنما رغبتى هو معدن الملاحة وذلك المنجم غزل 441 ص 203

(3185 - 3187) تذكّار أيام الكفر يتذكرها المؤمن التائب حيناً على سبيل الندم
وحيناً على سبيل السخرية والمزاح من نفسه كيف كان مدفوعاً إلى هذه الحمأة دون أن
يدري ؟ ! نعم إنه لم يكن يدري « وزين لهم الشيطان أعمالهم » .

(3190 - 3198) : يقدم مولانا جلال الدين رموز القصة وخلصتها والمطلوب
منها فالأمير ابن الخليفة هو الإنسان ولد في العالم القديم فكل من ولد لآدم ، والسلطان
هو آدم ، والعجوز الكابلية الساحرة هي الدنيا « وهي أسحر من هاروت وماروت »
فيما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس « يؤتى بالدنيا يوم
القيامة على صور عجوز شماء زرقاء أنيابها بادية لا يراها أحد إلا كرهها فتشرف
على الخلائق فيقال لهم : أتعرفون هذه ؟
فيقولون : نعوذ بالله من معرفتها فيقال لهم : الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم »
(انقروى 4 / 730 - 731)

والنجاة من سحرها إنما يكون بالاستعاذة ، حتى تحل عقدها التي تزينها عما يخالف
الشرع والعقل . . إنها تنفث السحر في القلوب ، ولو كان العقل يصلح لعلاج سحرها
لما أرسل الله الأنبياء والأولياء ، إنها تزين كل شئ للعقل . . بحيث يكون اتباعها
أحياناً من مطالب العقل نفسه ، وما هذا العقل ؟ !
أليس يقال لكل إنسان يحاول أن يقف ضد مفسد الدنيا : إ عقل . . فالعقل دنيوي ولا بد
لك من نبي لينجيك منها أو ولى عظيم .

(3199 - 3206) : هيا فإن الأمير قد مكث سنة في حبائل العجوز الساحرة ، وأنت
إن لم تجتهد بقيت في حبائلها ستين عاماً بل بقيت إلى آخر العمر . . فإن الستين هنا
كناية عن آخر العمر مصداقاً لحديث البشير النذير (أعمار أمتي بين الستين إلى
السبعين) . . وأنت عرفت أنها بهذا القبح وتعلقت بها فقد خسرت الدنيا والآخرة ذلك
هو الخسران المبين ، وما النجاة من نفخها

الخلاق الفرد . . وذلك عن طريق الولي الكامل . . القابل للفيض ، والفيض على الخلائق فنفخة سحر الدنيا هي نفخة القهر ، ولا بد لعلاجها من نفخة اللطف الإلهي ، وإذا كانت الرحمة قد سبقت الغضب فاسع بالرياضة وابحث عن رحمته ، ابحث عن السابق إليها واقتبسها منه ففي الحديث النبوي « لكل قرن من أمتي سابقون » وجاء في القرآن الكريم « السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ » (الواقعة / 10) وفي وصية الرسول لعلّ رضي الله عنه « يا علي إذا تقرب الناس إلى خلقهم بأنواع البر فتقرب إلى الله بأنواع العقل لتسبق الناس درجة وزلفى عند الله في الدنيا والآخرة » (انقروى 4 / 38) ،
وذلك حتى تنجو من العجوز القبيحة وتزوج بالهور العين بناء على قوله تعالى «وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ» (التكوير / 7) (نقلا عن أحاديث المثنوى ص 120 مع شئ من التصرف) .

(3207 - 3209) : إذن الخيار في يدك : فإما العجوز الشمطاء وإما تلك الحورية الجميلة ، ولا تظن أنه من الممكن أن تجمع بينهما ، فهما كما يقول سيد البشرية صلى الله عليه وسلم الدنيا والآخرة ضرطان بقدر ما ترضى أحدهما تسخط الأخرى ، ومن هنا ينبغي لك من فراق ووصال . . وصحة جسدك هنا سقام للروح .

(3200 - 3215) : و عليك أنت أن تقارن وأن تقيس إذا كنت تحس بكل هذه المشقة للزهد في الدنيا والانصراف عنها وهي مجرد ممر ومعبر وحلم نائم ومزرعة للآخرة ودار امتحان . . فما بالك بالمقر ، وإذا كنت متعلقا هكذا بالصورة هلا فكرت في فراقك للمصور وبعده عنك عنه ، وإذا كنت بلا سكوت ولا صبر عن هذا الشرب . . فكيف تبتعد عن الأبرار وعما يشربون ، « إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » (الإنسان 5 / 6) . . إنني أقول لك كل هذه المعاني في معنى واحد :

إنك إن أبصرت جمال الخالق العظيم لألقيت في النار بالروح والوجود أي لفرطت في كل روحك ووجودك فداء لهذا الجمال الذي يبدو جمال دنياك كله إلى جواره قبحا .
(3218 - 3219) : افناء الذات والانسلاخ عنها هو الوصول إلى البقاء الكامل
(أنظر مقدمة الكتاب الثالث) .

(3220 - 3227) : إن مجرد ترددك في هذا الأمر وتعثرك هكذا هو من قصور نظرك الذي لا يرى عثرات الطريق ، فاجعل دليلا إلى الحق كما كانت رائحة قميص يوسف عليه السلام تملأ أنف يعقوب في كنعان وهي التي ردت إليه بصره . . ومن الممكن أن يكون قميص يوسف هنا رمزا للمرشد والشيخ ومن الممكن أن يكون رمزا للمجاهدات ومن الممكن أن يكون رمزا للقرآن الكريم وفي رأى لاستعلامي إنه آثار عالم المقر 4 / 363 إن صورته خفية . . لكن نور وجهه أضاء وجوه الأنبياء . . وهذا هو المعنى الذي عبر عنه مولانا في ديوان شمس الدين التبريزي قوله :
إنه خفى عن الأبصار وكل ما تعبرون عنه .
ومطلبي هذا الخفي الواضح ، في صنعته (غزل 441 ص 203) .
عليك إذن بطلب هذا النور ، فهو النور الحقيقي . . وكل الأنوار انعكاس أو قبس منه
(انظر مشكاة الأنوار للغزالي) وكلها إلى جواره أنوار مستعارة . .
إن النور الذي ترى به العين إنما به ترى به للحظتها فحسب ، ويصيب العين والجسم والروح بداء الجرب (الأجرب مشغول بحك نفسه فحسب مبتعد لآفته عن الناس) أي يجعل الجسم والنفس والروح مشغولة بما يفيدها في اللحظة الحاضرة بعيدة عن الطريق وعن الجهاد للوصول إلى النور الأصلي إنه

في الصورة نور لكنه في الحقيقة نار . . فابتعد عنه . انظر إلى البصيرة والروح ، التي تكون بنت لحظتها لا ترى إلا الحاضر وإلا اللحظة وإلا المنفعة الحاضرة إنما تتعثر وتسقط على وجهها لأن الحاضر لا يدوم واللحظة لا تستقر ولا تثبت . . انظر إلى ابن لحظته دائما يلهث . . لا يستقر على حال . . يظن كل ما يجده شيئا ثم لا يلبث أن ينصرف عنه . . كأنما يجري أحد وراءه بسوط . . وفي النهاية يسقط وقد خسر كل شيء . . لكنه غير الباحث عن الثابت . . عن القيمة . . عن خلود الروح بالعلم والعبادة .

(3228 - 3241) : إن حديثي عن رؤية من نوع آخر . . لكن ليست رؤية تلك العين وحدة بصرها الحسى ، إن العين التي تكون خالية من الفضل « النور الإلهي » قد ترى على البعد لكنها مثل رؤية شئ على البعد في النوم . . تماما كالنائم ظمأنا إلى جوار نهر . . فالنور أقرب إليك من حبل الوريد ، ليس بينك وبينه إلا الإخلاص والطلب ومع ذلك فإنك إلى جوار هذا النهر الفياض تنام ظمأنا . . (تظل متعلقا بالدنيا) وتسرع في إثر سراب . . أليس نعيم الدنيا كله سرابا ؟ ! ألا يتوقف كل التمتع بالحياة على فترة من الزمن . .

وألذ لذائذ الدنيا تدوم متعتها بعض لحظة . . ما أشبه عابد الدنيا بنائم على شاطئ جدول ويحلم بالماء ويسرع خلف السراب . . ويعجب بسعيه ، يجلس متفاخرا متعازما يضع يده تحت إبطيه ويلعب إصبعيه من بين دخان سيجاره قائلا : لقد بنيت نفسي بنفسي . . منذ سنوات قليلة لم أكن أملك شيئا . . خفف قليلا من غلوائك ربما بعد لحظة تخرج منها عاريا (!!)

هذا تماما ما عبر عنه مولانا في البيت 3230 يجلس أحدهم بين أصحابه . . ها لقد وصلت إلى الماء ، وعندي « خميرة » جيدة . . افعلوا مثلي وأنت في الحقيقة تبتعد عن الماء لحظة بعد لحظة . . الماء تحت قدمك . . وعزمك هذا ورحيلك نحو الماء هو الحجاب الذي يبعدك عن الماء

الحقيقي ، فكأنك تضع بيدك حجابا على حجاب . . وما أكثر البشر الذين يرحلون عن موضع فيه عزهم الحقيقي . . يعيشون من خوف الفقر في فقر ، ويجهلون وهم يظنون أنهم يعلمون ، فأياك ورؤى النائمين ونفاجهم فهي لا فائدة منها . . إنها ليست سوى خيال . . إنها ليست حقيقة ، إنها تبعدك من حيث تظن أنها وصل . . وإن كنت ولا بد عاشقا للنوم فتم . . لكن في طريق الله . . أليس هناك من النوم ما هو عبادة . . نم عن أذى الناس . . أو نم في طريق تعلم أن أهل الله يسلكونه ربما تعثر بك سالك فأيقظك من نوم عميق وأخذ بيدك . . هذا هو فيض الله الذي يمكن أن يأتيتك في نومك . . إن النائم (محب الدنيا) مهما كان دقيق الفكر . . فإن فكره يظل محصورا في نطاق هذه الدنيا وهي ساحة ضيقة أضيق مما تظن . . إن كل فكره العظيم لا يستطيع أن يدلّه على طريق الحي الذي فيه المحبة والصفاء . . مهما كان فكره مضاعفا فقد تضاعف خطوه أيضا . . إن موج الرحمة ، الإلهية يتخاطفه بينما هو نائم في صحراء قاحلة لا يحس به وإن لم يكن أي حي يعتمد على حفظ الله ورحمته فعلام يعتمد ؟ ! إن الرحمة أقرب إليه من حبل الوريد بينما هو يمضى في عطش شديد .

(3242) : يرى فروزانفر أن الحكاية التي تبدأ بهذا البيت واردة في جوامع الحكايات لمحمد عوفي في ذكر سبب توبة الصوفي شقيق البلخي ، وقال بعضهم إن سبب توبته إن الخلق ذات سنة بلغت قلوبهم الحناجر من القحط ، وصار الخبز أندر من الكبريت الأحمر ، وأمسك المطر ، وكان القوم قد خرجوا للاستسقاء كثيرا ، أخذوا يطلبون من الله المطر بضراعة وبكاء وأثناء ذلك رأى شقيق غلاما زنجيا يمرح ويضحك ، فقال له شقيق : أي مرح هذا تمرح ألا ترى هموم الناس ؟ ألا تشاهد محنتهم إذ سفك بسيف عقاب القهر دماءهم . . فقال ذلك الغلام : وأي بأس عندي عن القهر . . إن لي سيّدا عنده مخزنان من الغلة وأفهم أنه لن يضيعني (فروزانفر - مأخذ ص 150)

(3247) : إشارة إلى الحديث النبوي الشريف « المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله وإن اشتكى عينه اشتكى كله » (انقروى 4 / 747) والحديث النبوي الشريف « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

(3249 - 3255) : إن الزاهد يرى أن القحط من الله ، فالبلاء على المؤمن فيض ونعمة ورحمة ، ومن ثم فإن كل مظاهر القحط تنقلب إلى ضدها ، أليس هذا هو مصيرها في النهاية ، إن صبر المؤمنون على القحط ، وراجعوا أنفسهم ، وأصلحوا ذات بالهم . . . وليس هذا ببعيد أن يرى الزاهد ذلك . . ألم يكن النيل ماء لقوم موسى دما لقوم فرعون وغير هذا ألا يغضب الإنسان أحيانا حتى على أبيه . . فيراه في أسوأ صورة . . ثم يرضى فيراه أبا رحيمًا ؟ ! إن الناس من سخطهم يرون قحطا والزاهد من رضاه وأمله في عفو العفو الغفور يراه رحمة . . .
إنهم ينظرون بعين الظاهر التي ترى اللحظة . . وهو يرى بعين الباطن ترى العاقبة : وعين الرضا عن كل عيب كائلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

(3259 - 3262) : يرى المولوي (4 / 441) أن العقل الكلى هنا هو الحقيقة المحمدية كما يرى الانقروى (4 / 750) نفس الرأي ويرى السبزواري (4 / 318) أن المراد بالعقل الكلى علم الحق بالكل فصور العالم من الجبروت إلى الناسوت مسبوقه في علم الحق والمعلومات طبقا للصور العالية وهذه الصور العالية برزخية ورابطة بين الوحدة والكثرة وهذا بناء على أن علم الحق صوري كما يقول بذلك أغلب الحكماء وعلى الأخص المشاؤون ، أما الإشرافيون فيرون أن الوجود من الذرة إلى الذرة في علم الحق الحضورى ، وصفحة نفس الأمر وصحيفة الأعيان بالنسبة للحق مثل الأذهان بالنسبة للنفس

الناطق . . والكل بإرادته ولم يجر خطأ على قلم الصنع . . وتفسير مولانا جلال الدين هنا شديد الوضوح : العالم كله . . الوجود كله صورة للعقل الكلى . . جداول تنبعث من المحيط الأعظم . . ظل الشمس شمس الحقيقة ومن ثم يكون التصرف على كل ما يحدث في هذا الكون متعلقا بموقف منه سبحانه وتعالى . . ويرى الأنقروى والمولوى أن المقصود بأهل المقال . . أي كل الناطقين (انقروى 4 / 771 - مولوى 4 / 441) فيما يرى السبزواري أنهم أهل خطاب الحق كالأنبياء والعلماء ذوى وراثه العلم مصداقا لقول نبينا عليه الصلاة والسلام « إن في أمتي مكلمين محدثين (4 / 318) ،

وهذا العقل الكلى بمثابة الأب الرفيق بالوجود الراعي له ، فإذا كنت ساخطا على هذا الأب فقد ضاقت بك الأرض بما رحبت ورأيت في الوجود كل ما يسخطك . . وإن كنت راضيا وفي صلح وسلام فقد ظهر لك الوجود وهو من ماء وطين وشيا منمنما على سجادة ذهبية فإن وصلت إلى مرحلة الرضا فقد قامت القيامة بالنسبة لك . . وصفت لك الجنة على الأرض ، بل وبدلت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء ، عن علي رضي الله عنه أنه قال « تبدل أرضا من فضة وسماء من ذهب » وعن ابن مسعود « ويحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة » وعن ابن عباس رضي الله عنهما « هي تلك الأرض وإنما تتغير صنعا فقط » .

(3263 - 3270) : نادرا ما يتحدث مولانا جلال الدين بضمير الأنأ ، وهو عندما يتحدث عن نفسه فإنما يقصد الولي أو المرشد الكامل على وجه العموم وربما يكون هذا إكمالا لكلام الزاهد . . فهو يقول الولي دائما في حالة صلح مع هذا الأب ومن ثم فهو يرى جنته على الأرض ، جمالها وحسنها متجددان ويراهما مليئة بالنعيم . . وإذا كان هذا الجمال كله ينعكس في اللباد (نهر وفي رواية للسبزواري أنه الماء القليل) (سبزواري 4 / 318) فما بالك إذا كان إنعكاسه في مرآة صافية . . إنني لن أتحدث . . فالآذان مليئة بالشك والأفكار ، إذا تحدثت عن أرض وأنتم ترون بأعينكم القاصرة أرضا أخرى مليئة بالقحط

والكوارث والمجاعات . . إنه ليس بشارة بما سيحدث ، وليس وهما . . إنه نقد الحال . . . والحقيقة القائمة .

(3271) : عزير في رأى المفسرين وقصاص الأخبار هو الذي ورد في الآيات الكريمات أو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ : أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ، قَالَ : لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ : بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة / 259) .

قال أبو إسحاق الثعلبي وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت ، وقال الضحاك هو أنه عاد إلى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود اللحية (قصص الأنبياء / ص 345) . . وما جاء أولاد عزير للتفحص بل دلتهم عليه أمة كانت له .

(3276 - 3285) : هي عند الجاهل الذي ينتظر ما سيأتي بشرى ، لكنها عند ذلك الذي يعلم أن الجنة والجحيم موجودان هي نقد حال وواقع معاش . . والذي يراها بشرى إنما حجبها الوهم . . مثل أولئك الذين يظنون من وهمهم أن الله تعالى غائب عن الأبصار فهو غائب . . وهكذا فإنه ألم بالنسبة للكفار لكنه بشرى للمؤمنين . . والعاشق فوق المؤمن والكافر ، فإنه ثمل دائما بالمشاهدة الإلهية . . الجنة والنار بالنسبة له نقد حال وواقع معاش ، لكنها وجود دائم مستمر ، الكفر والإيمان بالنسبة إليه كالقشر ،

وإن كان الكفر قشرا باليا مرا (متصلا بثمار المر وأصل المرارة في وجوده) والإيمان قشر حلو (متصل بمنبع الحلاوة والجمال في وجوده) ، لكنه قشر على كل حال ، وهذا على كل حال كلام لا يلقى على عواهنه فعد عنه وارجع « موسى الروح » إلى بحر الحقيقة وشقه حتى يرتفع الغبار منه . . فالعاشق فوق الكفر والإيمان « لأن الدنيا والآخرة حرامان على أهل الله » وفي ديوان شمس تبريز :

- من الذي رأى الإيمان هو في مقابل الكفر بك أيها المليك .
 - إن العنقاء التي تطوى الفلك أمامك مجرد ذبابة .
 - وماء حياة الإيمان وتراب الكفر الأسود .
 - إلى جوارنا (عشقك) كلاهما كالقذى .
 - وليل الكفر ، وصباح الإيمان ، سطعت الشمس .
 - قال الإيمان للكفر ، لقد ضعنا وكفانا هذا .
- (كليات ديوان شمس غزل 608 ص 261 - 262) (3286 - 3293) : إن ما قلته يكفى العوام : ولا بد أن يخفى بقيته عنهم فهم ليسوا أهلا له . . إن عقولهم أشبه بشذرات الذهب ، ليس ذهباً مسبوكا أستطيع أن أمهره بخاتم الحقائق الإلهية ، وأستطيع أن أخاطبه بهذا الكلام الذي يمكن أن يخاطب به الخواص وخواص الخواص ، أولئك الذين جمعت همهم وأصبح همهم واحدا لا أولئك العوام الذين تفرقت قلوبهم وتفرقت همهم وتعددت مشاغلهم ولا جامع لكل هذه الشتات إلا العشق ، فالعاشق له هم واحد ، وهو به سعيد . . كأنه سمرقند أو دمشق .

يحس أن العالم كله في جمال سمرقند ومجد دمشق « سمرقند جمال الموطن ، دمشق حيث كان شمس الدين » وحين يصير مجموعا لا مجرد شذرات يمكن حينذاك أن يكون ذا قلب صلب كأنه الكأس في يد المليك . . أو يجعل من وجودك موزعا للتجليات الإلهية ، تكون آنذاك من ذوى اللون الواحد الذي لا يتغير . .

ويصير حتى خبزك وشرابك ومصباحك ونقلك وكل عيشك وطربك وطعامك وشرابك هو ، تراه في كل شئ (تراه في كل معنى دقيق رائع بهج) .

(3294 - 3299) : وهكذا تكون الجماعة رحمة « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » من أحاديث المثنوى (استعلامى 4 / 396) ألا تتوزع بين الهموم وتتقاذفك كالقشة ، فإن كنت مجموعا (أي جمعت كل همتك في وقتك أو مرشدك) (، شرح التعرف 4 / 65) قد نجوت والفرقة أعمال البدن والجمع حصول المشاهدة ، والفرقة حضور لكن الجمع غيبة (شرح التعرف 63 / 64) ويضرب الأفلاكى (1 / 552) حكاية عن الجمع والفرقة يقول :

سئل أنوشيروان : ما أفضل شئ في العقل والمال والدولة قال : اتفاق الخلق واجتماع الأصدقاء أي كلما حدث اجتماع واتفاق حدثت هذه الأمور الثلاثة ، تستطيع أن تعطى كل اهتمامك للمرشد . . وأستطيع أن أحدثك آنذاك بكل ما هو موجود لأن حديثي سوف يجد منك آنذاك استعدادا للقبول . فالإنسان يتحدث من أجل أن يؤمن الناس بحديثه لا من أجل مجرد الحديث ، والروح التي تكون محلا للشرك (ليس بمعناه المعهود بل المشاركة أي همم سوى الله) لا موضع عندها لحديث الإيمان . . إن الروح التي توزعت على ستين رغبة في وسط الفلك ومن محتويات الفلك . . أولى بك أن تصمت أمامها حتى تثبت علي حال من الأحوال . . لأن الكلام يزيدها اضطرابا وقد لا يصادف رغبة واحدة من رغباتها . . وإني لأعرف كل هذا ومع ذلك أتحدث مع أنى أنوى الصمت . . لكن متى يستطيع ذلك الذي يغلى باطنه بهذه الأفكار أن يصمت ؟ ! إن الوجد الذي يملؤنى يجعلني أفتح فمي بهذا الحديث بالرغم منى . . إنه من الطبيعي جبرا أن أتحدث ، تماما كالعطس والتثاؤب . . تقوم بهما مرغما . . وهكذا أنا لا أستطيع أن أحبس هذه الأحاديث في باطني .

(3300 - 3310) : الحديث الشريف « إنه ليغان قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة » ، وفي رواية « سبعين مرة » والغين حجاب رقيق ، وقال

بعض العلماء الغين هو التقليد بأحوال فئة أو الانقياد لهم ولو كانت هذه من رحمته بعباده لكنها أيضا نوع من الحجاب تمنع القلب من التلذذ بالجمال الإلهي ومن هنا طلب المغفرة (مولوى 4 / 450) ، لكن هذا السكر - والحديث لمولانا - يجعلني دائما أرجع عن توبتي ، إنه ينسبني ما أزمعت عليه ويجعلني انطلق في الحديث ، إنها الحكمة الإلهية لإظهار الأسرار ، هي التي تجعل هذا السكر الإلهي يصيب العالم بالأسرار (أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) حتى يبوح بهذه الأسرار ولا يضمن بها ، هذه الأسرار هي ظاهرة منذ الأزل ذات طبل وعلم منذ جف القلم الإلهي من كتابة اللوح المحفوظ وقدر ما سوف يحدث إلى يوم القيامة وهذه الأسرار تفور كالماء الجاري في أودية قلوب العارفين . . ولا بد من السكر حتى تفوه بها السنة الأنبياء والعارفين وإلا ما عرفها أحد ، فهم في السكر مغلوبون كالمجنون لا رابط على لسانه (شرح التعرف 4 / 145)

وهذا في حد ذاته من رحمة الله سبحانه وتعالى بعبيده . . وهي لا تنقطع في أي زمان لكنكم نائمون عن إدراكها أيها الخلق . . وما أشبهكم بنائم على جدول ماء (غشاه النعاس) ثيابه تبتل من ماء وهو في نومه (حياته الدنيوية) يسرع في أثر سراب أو هامه وأفكاره فيغلق طريق الرحمة على نفسه ، إنه يظل يعدو في أثر السراب ويزداد بعدا عن الرحمة . .

إنهم فيما يتصل بالدنيا يتميزون بحدة النظر لكن أرواحهم نائمة ، لا ترى أبعد من همهم ، فأتوهم بالرحمة أيها السالكون في طريق الحق العالمون بمرتفعاته ووهاده ومصاعبه . .

والعجب أنهم ينامون وهم ظمأى ، فأى ظمأ هذا الذي يجلب النوم سوى ظمأ الأحق الذي لا عقل له . .

ولست أقصد بالحق ذلك الذي سميته أنت عقلا . . بل أقصد به ذلك الذي يرعى من فضل الإله .

(3311 - 3322) : إن صاحب عقل المعاش أو العقل الجزئي لا يرى إلا ما يستطيع هذا العقل أن يدركه ، أما صاحب عقل المعاد فهو الذي يدرك إلى أبد الأبد ، فابحث إذن عن عين الغيب واستفد منها في التطلع إلى ساحات الآخرة وإلى ذلك العالم الذي لا تدركه عينك الدنيوية - حينذاك يفتح عليك كما فتح على موسى عليه السلام ، وهل وجد موسى عليه السلام ما وجده من معجزات بعكوفه على الكتب أو ملازمته لأستاذ (أي من استخدام هذا العقل الجزئي) . .

فاستمع وانظر في صنع الله وكن مستمعا أفضل لك من أن تكون متحدثا ، فإن منصب التعليم شهوة . . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول « الشهوة الخفية والرياء شرك » ،

هذا الكلام أو الحديث من قبيل الفضول وهو آفة الحال ، ولو أن كل فضولي عرف الطريق وحده إلى الله بهذه الشقشقة في الألفاظ إذن لما كان الله سبحانه وتعالى قد أرسل الرسول ، والمعنى قريب من بيت لسنائي الغزنوي :
متى وصل كل خسيس من تلوين الكلام إلى هذا الطريق ، ينبغي ألم محرق للعمر وأن يكون المرء موقفا (ديوان سنائي / 458) .

إن هذا العقل الجزئي مؤقت ، ذكاؤه مؤقت ، ووميض فكره مؤقت تماما كوميض البرق ضعيف سريع الزوال ، لا يمكن السفر فيه إلى بلد بعيد ، إنه إيذان فحسب ببكاء السحاب ومن ثم فكلما أجهد هذا العقل الجزئي نفسه . .
أدرك أنه قاصر . . لا يستطيع أن يقدم حلا لكل المشكلات فيكون ذلك إيذانا ببكاء الطبيعة ، . .

حيث تنقشع غيوم العقل الجزئي وتطلع شمس عقل المعاد وبنورها ينجو الإنسان من ظلمات الغفلة والجهل . . ويحس المرء بضعفه إذن ويكي . .
من كونه عدما شوقا إلى الباقي الذي لا يندم . . إنه وسيلة تدلك على الصلاح . .
لكنه ليس الصلاح في حد ذاته .

(3324 - 3330) : إن عقل المعاد هذا ذو وسيلة واحدة هم الأنبياء والرسل والأولياء هم حملة الأسرار . . وحتى الشياطين نفسها كانت تسترق السمع عليها تعرف بعض الأسرار فكانت تتبعها الشهب ، قال الله تعالى في كتابه العزيز «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، دُخُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ» (الصافات 6 - 10) وكان عليها أن تطلب هذا العلم من الرسل لا من استراق السمع . . وعليهم طلب العلم من بابيه . . اطلبوا هذه الأسرار من الإنسان ، المخلوق من تراب والذي كرم بالأمانة وفضل بالعلم واصطفى للرسالة .

(3332 - 3334) : ظهور الخضرة من التراب كناية عن الحياة من بعد الموت ، وأولئك الذين يبتعدون عن الرسل والأولياء أموات ، وهذه الخاصية خاصة الأحياء واخضرار الأرض القاحلة كيف تكون لحافر جواد جبريل ولا تكون للأولياء ،

قال الثعلبي : « لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى : إني ذاهب إلى الجبل لميقات ربي وأتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذررون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة وهي بلقاء أنثى لا تصيب شيئاً إلا حياً ، فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه ، وقال إن لهذه الفرس شأناً عظيماً ، وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل » ص 208 –

فإذا كانت هذه الخاصة في تراب حافر جواد الروح القدس فكيف لا تكون هذه الخاصية في أصحاب روح القدس من الأنبياء ؟
(مولوى 4 / 457) . لقد أخذ السامري قبضة من أثر الرسول فوضعها في قلب العجل الذي صنعه من ذهب المصريين المسروق فخار العجل «قال فما

حَطُّبُكَ يَا سَامِرِيُّ ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي» (طه 95 - 96) . .
 قال نجم الدين : يشير بهذا إلى أن الكرامة لأهل الكرامة كرامة ولأهل الغرامة فتنة واستدراج والفرق بين الفريقين أن أهل الكرامة يصرفونها في الحق والحقيقة وأهل الغرامة يصرفونها في الباطل والطبيعة (مولوى 4 / 457) لقد كانت الفتنة في أن السامري أخرج لهم من الحلوى (عجلا جسدا له خوار) .

(3335 - 3338) : كن صامتا إذن لتسمع من الناطقين ، وكن أمينا واتجه إلى أهل السر ، فإن فعلتم رفعت عن عيونكم الغمامة التي تغطي عين الصقر وعرفه أثناء تدريبه ، وما هذه الغمامة إلا الجسد أنتم منه في نصب مثلما يكون الصقر في نصب وعذاب من هذه الغمامة التي تفصله عن هم من جنسه ، فإذا رفعت الغمامة عنه ورأى وجه الملك أصبح متجانسا معه لا يستريح إلا على ساعده ، وهكذا البشر إذا رفعت غمامة الجسد أصبحوا من جنس سلاطين الدين .

(3339 - 3347) : إن العقل الجزئي . . عقل المعاش . . مستبد ، لا يرى إلا في حدود ذاته . . ومن هنا كان مطرودا من الله تعالى ومأمورا بأن يكون تابعا للقلب فهو أكثر علما وساحته أكثر رحابة ، وكن عبدا لسلطان عادل خيرا من أن تكون أنت نفسك سلطانا لكنك ظالم ، فالعبودية لله تعالى أعظم من ملك الدنيا . . لا كإبليس عندما قال « أنا خير منه » أي من آدم عليه السلام . . أو طاغية متكبرا كإبليس إن المتواضع هو المقصود بقول صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن ذلت نفسه » وأصل الحديث « طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وأنفق من مال جمعه في غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة (الجامع الصغير 2 / ص 55) ، فاختر إذن بين ظل طوبى وبين الطغيان في الدنيا والضلal .

(3348 - 3352) : البيتان المذكوران في العنوان أغلب الظن أنهما لسنائى الغزنوي وإن كنت لم أستطع العثور عليهما من الديوان أو من الحديقة ومع ذلك لم أنصرف عن الاعتقاد أنهما لسنائى ، وقد رحج عبد الباقي أيضا (4 / 478 - 479) فأرجع البيت الأول إلى سورة الحجرات « لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » لكنه رأى أن البيت الثاني على وزن الحديقة وإن لم يجده في الحديقة ، والواقع أنني اكتشفت أن الشطرة الأولى من البيت الأول هي الشطرة الثانية من بيت ورد بالفعل في حديقة سنائى « فكن رجل همة لا رجل شهوة ، وما دمت لست رسولا فكن من الأمة » . (البيت رقم 2531 من الحديقة) عليك إذن أن تمضى صامتا ، ولا تهزل بما لا تفهم واستمع إلى قول الشيخ وعش تحت ظله ، فأنت غالب في ظلال الغالبيين . . وإلا أذهب استبدادك هذا بظنك أنك قد وصلت وتشدقك بألفاظ الكمال . . فما دمت قد أصبحت في حاجة إلى عطاء الواصلين فكيف يهبونك هم هذا العطاء . . فلا تغتر ب بدايات الفتوح ، واصبر مع شيخ الصناعة حتى تستطيع أن تتقنها وإلا بقيت عند درجاتها الدنية ، فإن أولئك الدين يقومون بخصف النعال لو صبروا على الصنعة لصاروا فيها عمالا مهرة .

(3353 - 3356) : إنك إن لم تصبر مع شيخك وأستاذك واعتمادك على عقلك فسوف تقول في نهاية المطاف « إن العقل عقال » قد عقلك عن الانطلاق في ساحات القلب الواسعة والقطاف من بساتين الصالحين من الأولياء والمرشدين ، مثل ذلك الرجل المتفلسف الذي رأى على أعتاب الموت قيمة عقله الحقيقية دون زيادة ونقصان فاعترف قائلا : لقد سقنا جيانا على الظن قاصدا أننا اتبعنا عقولنا الجزئية والظن لا يغنى من العلم شيئا . .

ومن الغرور ابتعدنا عن رجال الله وسبحنا في بحر الخيال ، والمقصود هنا أبو النصر الفارابي الذي رأى أن السعادة لا تحدث إلا حين يموت الجسد وفي قول إنه الفخر الرازي الذي كان يردد قبل أن يسلم الروح : وكم قلت للقوم أنتم على * شفا حفرة من كتاب الشفا

فلما استهانوا بتوبيخنا * فزعنا إلى الله حتى كفى
فماتوا على دين أرسطاطاليس * وعشنا على دين المصطفى

(مآخذ / 151 - 152 . انقروى 4 / 786 . مقالات شمس / ص 24) .

(3357 - 3361) : لا جدوى من السباحة في بحر الخيال والاعتماد على هذا العقل الجزئي بإمكانياته القاصرة ، وما ينفع لهذا البحر العباب إلا سفينة نوح ، وسفينة نوح هنا ممثلة في الرسالة المحمدية الشريفة مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم « مثل سنتي كمثلي سفينة نوح من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها غرق » وفي رواية أخرى « مثل أهل بيتي » وفي رواية ثالثة « مثلي ومثل علماء أمتي » ، فمن لم يتمسك بهذه السفينة غرق ولو كان في علم علي بن سينا . . .
 وشبيه بهذا قول شهاب الدين عمر السهروردي :
 نهاية أقدام العقول عقال * وأكثر سعى العالمين ضلال
 ولم تستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جميعنا فيه قيل وقالوا
 وأرواحنا في وحشة من جسمنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
 (انقروى 4 / 786) وهكذا فالرسول عليه الصلاة والسلام هو سفينة النجاة ومن يحكم من بعده بشريعته « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » .

(3363 - 3376) : إن كنعان السيرة هو الذي يرى فكره وحوله وطوله أعظم من هذه السفينة وكثيرون جدا من أمثال كنعان يعيشون بيننا ، يرى أنه أعلى وأسمى فكرا من أن يتبع الشريعة ، ويسميها رجعية وسلفية ، ويرى أنها لا تصلح لهذه العصر ، ومهما كان جبل فكره زائد العلو فإنه لن يستطيع أن ينجو به من هذا الطوفان . . .
 ولكن هيهات أن يسمع كنعان نصيحة نوح . . .
 لقد ختم على سمعه وعى بصره غشاوة ، وإنما أواجهك بهذا الحديث عليك لا تكون في باطنك من أمثال كنعان ، وأستطيع أن أوقظك ، وتستطيع أن ترى العاقبة ، فكل من نظر في أول الطريق إلى نهايته نجا . . .
 وإذا أردت أن تنجو يا كنعان من هذا العثار الذي يوقعك فيه ضعف بصيرتك وعقلك القاصر ، واعتمادك على حولك وطولك ، فاكتحل بتراب أقدام العارفين ، فإذا أقدامهم حيثما تطأ تهب الحياة

وتستطيع أن تتغلب بها على شياطين الإنس والجن . . تتحول من إبرة لا حول لها ولا طول إلى سيف في عظمة ذي الفقار ، إن هذا الكحل قد يحرق عينيك لكنه سيصلحها ، سيهب لك بدلا منها عينا ناظرة للعواقب ، متبصرة ما وراء الظواهر ، ألا ترى أن الجمل يشرف بعينه على كل الوهاد ، ويرى نهاية طريقه وهو لا يزال في أوله . . . ويصبر كل هذا الصبر . . أتدري لماذا ؟ ! لأنه يقنع بالشوك ويعيش عليه ومن هنا امتاز على غيره من الدواب أيمن أن تكون أقل حصافة من جمل ؟

(3337) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت مكررة إذ وردت في الكتاب الثالث (انظر شرح الأبيات 1746 - 1754) والحكاية هنا فيها إضافات جديدة .

(3393 - 3406) : الصدر الأجل هنا هو كل من عرف الله حق معرفته وعبده حق عبادته ونور قلبه بنوره ، وصار عالما من لدنه . . تتكشف له المستورات ، وترتفع من أمام أبصاره الحجب فيرى كل ما هو آت ماثلا أمامه كأنه يراه في التو واللحظة ، فالنور ساكن في عينه وفي قلبه . . يتخذ موطنا . . ولا يغادره من حبه له . . وإن لم تكن تصدق ذلك فانظر إلى أحوال الماضين : ألم ير يوسف عليه السلام من البداية أن الشمس والقمر قد سجدا له . . ولم يحدث ذلك إلا بعد سنين . . ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة العبد المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . . أما أنت أيها الغافل (أيها السفلى فالخطاب من الجمل إلى البغل) ليس في عينك هذا النور ، لأنك رهين الحس الحيواني لم تتخلص من الجسد كي يسكنك النور . . وإنك لضعيف في سيرك لأنك تتبع ضعيفا ، فبصرك ضعيف ، والبصر هو القائد الذي يرى المكان الصالح للسير والمكان غير الصالح للسير ، ثم إن الجمل من أولاد الحلال . . جاء من ناقة وبعير ، أما البغل فهو لا يشبه أباه ولا يشبه أمه . . هو هجين مخلط لا هو بالحصان ولا هو بالحمار . . والأصلاص الطاهرة ذات معول عظيم . . فإن السهم إذا انطلق من قوس معوج أو من يد معوجة أخطأ هدفه وغير اتجاهه وهو مثل فارسي .

(3407 - 3416) : من هذا البيت إضافات على الحكاية وتوسعة فيها عن الجزء الثالث لم يجادل البغل ولم تأخذ العزة بالإثم ، بل طلب من الجمل أن يكون مقتداه وهكذا ينجو المرء إذا أخذ بذيول أثواب الناجين وتبعهم ، ينجو من البلاء ويصير من أهل الولاء فإن البغل لم يكن سىء الجبله . . فيجحد وينكر .
 كآدم عليه السلام ، كانت زلته عارية ، شيئا مؤقتا ، فسرعان ما تاب على عكس إبليس كان سيئا في أصله وفي جبلته لم يتب وقال « رب بما أغويتني » وقال « إن هي إلا فتنتك » .

(3417 - 3422) : الحديث موجه إلى التائب عموما : لقد وجدت أيها التائب مضمون قوله تعالى : « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي » . . وعندما اطمأنت نفسك قلت « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ » فأخذ الله تعالى بيدك وأدخلك جنة النعيم . . لقد كنت نارا فصرت نورا ، وكنت حصرم فتم نضجك وصرت عنبا بل زبيبا ، لقد كمل النقص فيك بتوبتك . . لقد كنت كوكبا صغيرا فصرت شمسا . . لقد تم نضجك تماما فاسعد وكن هائنا ، فإن ظل المرشد قد نشر على رأسك . . إن طبيعتك كاللبن قابلة للتغيير ، سريعة العطب ، أقل قذى يبدو على سطحها ويعكرها . .
 ولا بد لهذا اللبن من غسل المرشد ، يمزج به فيخلصه من آفة سرعة التغيير والفساد ، ويراقب أحواله ، ويدل على وقته ، ويأخذ بيده حالا بعد حال .

(3423 - 3430) : الخطاب لحسن حسام الدين : المراد بشهد الغسل المثنوى المعنوي والمراد بحوض اللبن العلم والمعرفة (فاللبن يعبر عنه في الأحلام بالمعرفة) (سبزواری 4 / 321) والمراد : يا حسام الدين امزج معرفتك التي هي دون معرفة المرشد بهذا الشخص الخالص الناجي من آفات التغيير والتبدل . .
 وذلك حتى يكون جديرا بالاتصال ببحر العلم الإلهي الموجود منذ « يوم الميثاق » و « يوم العهد » و « يوم الإقرار » بعبودية الخلق كلهم لله سبحانه وتعالى . .

وبعدها لا يتأثر السالك . . وكيف يتأثر وقد صار متصلا ببحر الحقيقة مباشرة ، حينذاك يبلغ الإنسان الضعيف المتهالك حول جيفة الدنيا مرتبة أسد الحق يزأر فيصل زئيره إلى السماء السابعة (يدعو فيصادف دعاؤه الاستجابة) يقول فينفذ قوله من خلال الأكوان ، يسيطر بصوته على كل ما في الكون . . كل هذا يبلغه المريد السالك الواعي بقوة المرشد العظيم . . فهيا يا حسام الدين اكتب هذا المثنوى بمادة الذهب فهو أحوالك أنت ، وهو أحوال أهل الله في الحقيقة ، وأنت جامع لها فإن هذا المثنوى ما ألف إلا للخواص من أهل الحق الذين يطلبونه من حيث يوجد . . إنه كما النيل عذب زلال كما قال في الديباجة « وهو كنيل مصر شراب للصابرين وحسرة على آل فرعون والكافرين » فاجعله يا إلهي دما في عيون قوم فرعون حتى لا يقتربوا منه ويسئوا فهمه . . ويفسرونه بأفكارهم القاصرة .

(3431) : الحكاية التي تبدأ بهذا البيت في قصص الأنبياء للثعالبي « فأرسل الله عليهم الدم ، وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب إلى شاطئ البحر فيضربه بعصاه ففعل ذلك ، فسال عليهم النيل دما ، وصارت مياههم كلها دماء ، وما يسقون من الأنهار والآبار إلا وجدوه دما أحمر عبيطا ، فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا : إنا قد ابتلينا بهذا الدم ، وليس لنا شراب غيره فقال لهم : إنه قد سحركم موسى ، فكان يجتمع الرجلان على الماء الواحد ، القبطي والإسرائيلي يستقيان من ماء واحد ، فيخرج ماء القبطي دما وماء الإسرائيلي ماء عذبا ، وكانا يقومان إلى الجرة التي فيها ماء فيخرج للإسرائيلي ماء وللقبطي دم ، حتى أن المرأة من آل فرعون تأتي إلى المرأة من بني إسرائيل حتى يجهدا العطش فنقول : استقني من ماءك فتسكب لها جرثها أو تصب لها من قربتها فتعود في الإناء دما حتى إنها تقول لها اجعليه في فمك ثم مجيه في فمي فتأخذ في فمها ماء فإذا مجته صار دما (الثعالبي ص 194) ، والمثال ورد أيضا بنصه

في معارف بهاء ولد (1 / 37) .

(3445 - 3452) : إنما يشرب من هذا الماء من هو متقى ، إنما يتلقى الإفاضات الربانية من هو جدير بها ، ويفهم هذا المثنوى من هو جدير به ، والمتقى الجدير بالإفاضات هو ذلك الذي يضيق بكل فرعون ، ولا ينضم إليه . . . ولا يأكل من فئاته ولا يتبجح بعزه الزائل الذي لا يستطيع أن يهب شربة ماء إلا إذا أَرادها الله ، ولا يتكبر بكبرياء فرعون ، فأفق إذن وتصالح مع قمر الطريق ونبي الله حتى تستطيع أن تنظر إليه . . فكيف يمكن أن تعرفه وأنت تنكره ، وأن تنتفع به وأنت تنكره ، أول درجات الشفاء أن تكون معترفا بقيمة طبيبك مصدقا له ، فإن صدقته استمعت إلى تعليماته ، وإن وثقت به قرب إليك الشفاء دون أن تحس أما أن يكون المرء كافرا ويطلب مساعدة المؤمن ، فإن كفره يكون سوف يكون في ثقل جيل قاف مانعا من تلقى الفائدة ، وظلمه لعباد الله يجعلان ولوج الجبل في إبرة أيسر من ولوج ظالم الخلق إلى جنة الإله ، فاجعل هذا الجبل قشة باستغفارك عما بدر منك . . . وحينذاك تمسك بكأس الإفاضات الربانية التي هي من نصيب المغفور لهم وتشرب منها .

(3453 - 3458) : كيف تستطيع بهذا التزوير وهذا النفاق وهذا الكفر أن تشرب من ماء المتقين ؟ ! وهب إنك تتوسل ب صداقتي ، فهل تغنيك هذه الصداقة عن الإيمان بالله ؟ لقد حرمه الله على الكافرين . . إن الله يعلم فيك هذا التزوير والنفاق . . وهو خير الماكرين . . وهو أعلم بمكرك منك فكيف يمكن أن يتقبل منك هذا المكر ؟ لا حيلة لك إلا أن تقبل دعوة موسى عليه السلام ، وإلا فإن سمحت أنا لك بالماء فإن الماء نفسه سوف يتحول بمجرد أن يلمس شفتيك إلى سم ، لن يخالف الماء أمر الله سبحانه وتعالى . . إن كل ما يذهب إلى جوفك في حالة عصيانك إنما يتحول إلى سم يفت في عضدك ، ينقلب خبزك إلى سم .

فإنما يصلح الخبز ذلك الوجود الذي يكون لله فحسب . . كن جديرا بالعطايا الإلهية . . حتى تفعل هذه العطايا الإلهية فعلها (لتفصيلات كيف يتحول القوت إلى سم . . وكيف تضيق الروح بكل ما به الجسد . . عندما يغيب الإيمان . انظر الكتاب الثالث قصة قوم سبأ شرح الأبيات 2602 وما بعده) .

(3459 - 3463) : إياك أن تظن إذن إنك مجرد أن تقرأ المثنوى تكون قد فهمته وأدركته . . وأن هذا أمر يحدث لك بالمجان : هكذا دون جهاد ودون استحقاق ودون قابلية ودون صقل لمرآة قلبك ، وجلاء يزين نفسك وانصراف عن متابعة هواك ؟ ! تراك إذن بمجرد أن تقرأه قد أصبح لك ! ! إنك تقرأه لكنه يصل إليك كالأساطير ، فهكذا هممتك وهكذا استحقاقك إنه يبدي لك قشره لكنه لا يسفر لك عن لبه ، لقد اختفى أمامك كما يخفى المحبوب وجهه بالبرقع والحجاب . . ذلك أنك غير خبير بأقدار الكتب ، بحيث يبدو لك القرآن من تجبرك وعنادك مجرد أساطير وحكايات كأنه كتاب الشاهنامة أو كتاب كليلة ودمنة .

(3464 - 3472) : إن الفرق بين أن تدرك المجاز من الحقيقة ، ليس حولك أو طولك أو عقلك الجزئي بل العناية الربانية التي تكتحل بها عيناك « فبى يبصر » وهذا البصر لا يزيغ ولا يطغى ، وإلا فإن الروائح تستوى عند الأخشم ، كما تستوى المرئيات عند ذلك الذي ينظر بعين الجسد ، فإن نظر بعين الجسد فالقرآن كتاب وكليلة ودمنة أو الشاهنامة كتاب . . وكل الكتب عنده تكون لهدف واحد . . هو لمجرد قتل الوقت ودفع الملل ، وليس التفكير والتدبر فسيان لإطفاء نار الملل قدر من الماء الطاهر أو البول - كلاهما يستطيع أن يطفى نار الوسواس والغم لكن هناك من ألوان الهموم ما لا يستطيع أي ماء أن يطفئه ، بل يلزمه الماء الطاهر الذي يقطع دابر الوسواس ، ويجد قلبك الطريق إلى رياض الجنة . . وما هذه الكتب إلا الصحف الإلهية وإلا هذا الكتاب الذي اقتبس من هذه الكتب .

(3473 - 3483) : وأنت لا ترى هذا الكتاب على حقيقته من إنكارك وكفرك ونفاقك تماما كنظراتك إلى وجوه الأولياء . . فهل تظن أننا نرى وجوه أولياء الله كما هي بالفعل ؟ هل نراها نحن كما تراها أنت ؟ لقد تعجب الرسول صلى الله عليه وسلم من أن المؤمنين لا يرون النور الذي في وجهه ويرونه بشرا كالشجر ورجلا كالرجال . . كيف لا يرون نور الحق في أوصافه في وجودي « من رأيي فقد رأى الحق » (انقروى 4 / 812) وإذا كانوا يرونه . . فلماذا هذه الحيرة والحق قد صار واضحا ولائحا وليس الإيمان في حاجة إلى تردد . . وهكذا حتى يرد جبريل عليه السلام : إنه بالنسبة لك نور ، وبالنسبة لهم سحاب ، وذلك حتى لا يرى الكافر هذا النور بالمجان أي دون أن يتقدم إيمانه على رؤيته . . إنه بالنسبة لك حب . . لكن الآخرين يرونه فحا . . لكيلا يكون هذا الشراب - وشرطه الإيمان - لكل إنسان مؤمنا كان أو كافرا . . وهكذا قال الله تعالى في شأنهم «وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» (الأعراف / 198) وارجع الضمير إلى الأصنام فكأن الكفار والأصنام واحد ، وهم نقش حمام ، صور تبدو لك حية لكن عيونها ميتة لا تنظر ولا ترى ، خشب مسندة ، إنه لا يرد عليك تحية ، ولا يحمل منة منك من السجود له . . ولا يجازيك عليه ، وأهل الدنيا مثلهم تماما صور بلا أرواح . . فليصبك اليأس مما في أيديهم ، ولتنتجه إلى ذي العطايا والمنن .

(3484 - 3493) : لكن انظر إلى اللذة التي يهبك إياها الحق من عبادته ، إنه لا يحرك رأسا في الظاهر ، إنك لا تراه ، لكنك بعبادتك إياه تحس بلذة عطاياه تسرى في داخلك ، تزداد سرورا ، إنه لا يحرك رأسه لك لكنه يمنحك قبسا منه يجعل العالم كله يسجد لك . . إنه يضع في الحجر سرا فيصبح ذهباً ، ويجعل من قطرة الماء العذبة التي تقع في الصدفة درة يتيمة ، وكرم الإنسان المخلوق من تراب فجعله سيذا على كل الدنيا ، في حين أن هذه الدنيا تضل الآخرين ، وتجعلهم يحيدون عن الطريق ، وتجعل من سلاطينها وقادتها فتنة للمؤمنين

وهم صور بلا معنى ، تغمر لك الدنيا بعينها فتقع صريع هواها خادما لها . .
وقد خلقت في الأصل لتخدمك . . بشرط أن تكون عبدا لله وحده .

(3494 - 3498) : إن الرجل من قوم فرعون لا يملك الفم الذي يدعو به (انظر الكتاب الثالث : ادعوني بفم لم تذنّب به . شروح الأبيات 180 وما بعدها) فمن دعاء المؤمن المستجاب الدعاء تتبدل المصائر ، يفتح الله أقفال القلوب ، ويحول المسخ إلى حسن الجمال ، كما تحول الغصن اليابس بهمة مريم إلى غصن مثمر يفوح برائحة المسك .

(3499 - 3503) : ها هو السبّطى ينطلق في الدعاء ، والله سبحانه وتعالى هو الذي يضع الميل إلى الدعاء عند الإنسان ، فكأنه يدعوّه إلى الدعاء ، الدعاء هو عين الاستجابة ، وليبك هي عين الدعاء (انظر الكتاب الثالث شروح الأبيات 189 وما بعدها) فالداعي والمدعو هو الله سبحانه وتعالى . . ونحن عدم في عدم لا يتأتى منا شئ . . وظل هكذا يدعو حتى سقط مغشيا عليه . . أي أن جسده الواهي لم يتحمل هذا الاتصال وهذا الوجد . . ثم عاد إلى وعيه ليرى آثار سعيه بالدعاء (الدعاء هو أيضا من قبيل السعي : انظر الكتاب الثالث قصة الذي كان يطلب رزقا بلا كدح : شروح الأبيات 1450 وما بعده 2315 وما بعده) .

(3504 - 3509) : لقد دعا السبّطى ، ومن بركة دعائه اهتدى الفرعوني فهكذا أصاب الدعاء الاستجابة ، لقد أحس الفرعوني بأن النار قد أضرمّت في كل روحه ، إنه يطلب من السبّطى أن يعرض عليه الإيمان ، وكأن الإيمان قد وقر في روحه في البداية دون أن يعلم له اسما ، وما دور السبّطى هنا الآن إلا أن يضع ما أحس به الفرعوني في إطار الحروف ، وكم من واجد للمعنى لا يجد لسانا للحديث ، وكم من صاحب لسان منطلق لم يذق ذرة من معنى !! وهكذا تكون الأخوة النافعة ، والصدقة المثمرة ، وانظر إلى ذلك الفرعوني الذي كان يطعم في ماء يتحول في فمه إلى دم يجرفه سيل الإيمان حتى بحر الحقيقة يكتال منه كيلا

بكيل . . بحيث لا يصبح لماء الدنيا قيمة عنده وقد ارتوى بماء الإيمان وشرب شربة منه لا يظماً بعدها شاربها أبداً .

(3510 - 3520) : وها هو السبطي يعرض عليه الماء ، لكن أي ماء ؟ لقد شرب الله روحه وشرب شربة لن يصيبه من بعدها ظمأ أبداً . . لقد تفجرت عيون الماء داخله أي معرفة المقر ولن يحتاج بعدها إلى ذلك الماء الذي يأتي من الخارج ويمكن يسد عليه الماء : بل إن كبده الحرى التي يطفئ الماء حرارتها لم يعد للماء عندها أي قيمة . . فهو الكافي لعباده ، وإن لم تكن تفهم اقرأ «كهيعص» بلسان القلب . . وهذه الكاف دليل على صدق وعده . . وقد قال أصحاب التحقيق إن كل حرف مفتاح كل اسم فالكاف تدل على اسمه الكافي ، والهاء تدل على اسمه الهادي والياء تدل على بسط يده بالرزق لعباده والعين تدل على اسمه العليم والصاد تدل على صدق وعده وعن علي رضي الله عنه (إن لكل كتاب سرا ، وسر القرآن الحروف المقطعة التي في أوائل السور وهي سر من أسرار الله استأثر الله بعلمها) (انقروى 4 / 821 ، ومولوى 4 / 482) ولابن عربى في الكاف حديث مطول فحواه « إن الكاف من عالم الغيب والجبروت ، يرفع من اتصل به عند أهل الأنوار ولا يرفع عنده الأسرار » (الفتوحات / أول ص 68 . طبعة صادر) وهذا هو معنى الكافي : أهبك الخير كله بلا واسطة ، اشبعك بلا خبز ، أجعلك رئيسا بلا جيش ، أقويك دون دواء . . أجعل البئر الضيق والقبر المظلم واسعين عليك ، أعطيك النرجس والنسرين دون ربيع ، أعلمك بأن أقذف العلم اللدني في قلبك فتصير عالما دون كتاب أو أستاذ . . وهذا عطائي فأمنن أو أكثر بغير حساب .

(3521 - 3528) : انظر إلى عطائي لموسى عليه السلام : عصا تنقلب إلى حية ، يد بيضاء تزرى بضوء الشمس . . إنني لا أخلط ماء النيل بالدم بل أحول الماء نفسه إلى دم هذا أيضا عطاء ، فبعض عبادي لا يصلح له إلا القهر ، ولا أستدعيه باللفظ ، وكم من لطف خفى في ثياب القهر ، فأحول فرحك

وسرورك إلى غم حتى تجأ بالشكوى إلى وتدعوني أنا البر الرحيم . .
وتقوم بتجديد إيمانك وتبتعد عن فرعون وفراعنة كل عصر وتقاومهم وتفضح ظلمهم
وألا عيبهم . . فتري موسى الرحمة قد حل بك . . ودعاك . . وحول لك الدم إلى ماء
فينقلب حزنك إلى سرور حقيقي . . فلا سرور حقيقي إلا بي ، إن ما يبقى لك هو أن
تحتفظ بطرف خيط الإيمان في داخلك ، وحذار أن ينفطر منك هذا الخيط ، فما دمت
متمسكا بعروة الإيمان ، تلك العروة الوثقى ، فإن نيل ذوقك « طهرتك ومعرفتك » لن
ينقلب إلى دم « شهوة وغضب » أبدا ، لن يتبدل سرورك إلى حزن أبدا . . بل ستظل
في فيض من الألفاظ الإلهية .

(3529 - 3536) : عودة إلى الفرعوني الذي آمن : لقد كان ظنه أن يؤمن حتى
يشرب الماء . . فإذا بالألفاظ الإلهية تجري نيلا (من الفيض في داخلي) وأنا ثابت
على حالتي الأولى أمام الآخرين . . ويلق مولانا : إن هذا يشبه ذلك العالم الذي يبدو
أمامنا صامتا وهو أمام النبي غارق في التسبيح . . أن عالم الجماد مغلق ميت أمام
العوام . . وهذا لأنهم حجبوا عن الحقيقة . . والمقابر سواء أمامنا . . لكنها عند النبي
صلى الله عليه وسلم « إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .
3537 - 3543 : حذار من الأخذ بالظاهر ، فإن الظاهر موقوف على العين الناضرة :
لقد كان العوام يرون النبي صلى الله عليه وسلم عبوسا ، لكن إن نظرتهم بعيوننا
وجدتموه بشوشا ضاحكا رحمة للعالمين . . وتروا الضحك والاستبشار والنضرة
والنعيم في الآيات الواردة في سورة هل أتى ، وتري النضرة والنعيم في اليوم العبوس
القمطير ، فها هي شجرة الكمثرى التي تنظرون من فوقها ، وشجرة الأنية والوجود
الجسدي وعين الجسد التي ترى الظاهر : فانزلوا لتروا الأمر على حقيقته وتخلصوا
من أنيتكم ، إنك من فوق هذه الشجرة ترى عالما دنسا مليئا بالحيات والعقارب
والفاحشة لكن إن تخلصت منها ونزلت من فوقها وجدت العالم على حقيقته مليئا
بالنضرة والنعيم والجمال والرعاية

(3544) - يبدو أن الحكاية التي تبدأ بهذا البيت من المأثور الشعبي ووردت قبل المثنوى في كتاب الأذكياء لابن الجوزي ويضيف عبد الحسين زرّين كوب « سرنى 1 / 324 » أن قصة شبيهة بها وردت في قصص الديكاميرون لبوكاتشيو (1313 - 1372 م) وفي قصص كانتربرى لتشوسر (1400 - 1430 م) . وائتية نيكلسون إلى هذا الموضوع (استعلامى 4 / 382) وكان الصوفية لا يستنكفون استخدام بعض الصور والحكايات التي تسمى بمصطلح عصرنا « الخارجة » لبيان أفكارهم ، فضلا عن أن تلك العصور لم تكن تنظر إلى هذه الحكايات نظرتنا إليها اليوم وعند سنائى الغزنوي رغم جهامته بعض هذه الحكايات التي أشار إليها بقوله :

- هزلى ليس هزلا إنه تعليم وبيتى ليس بيتا إنه إقليم . (الحديقة 718 سطر 9) ولا تكاد توجد موسوعة من موسوعات التراث العربى الإسلامى تخلو من أمثال هذه الحكايات ومولانا جلال الدين نفسه يشير من خلال الحكاية إن كل إنسان يأخذ منها ما يوافق مقتضى حاله بقوله :

- إن كل جد هزل أمام الهازلين ، وكل هزل جد عند العاقلين وهو يذكر بقول ابن الفارض :

-فلا تك باللاهى عن اللهو معرضا * فهزل الملاهى جد نفس مجدة(انقروى 4 / 841)

(3559 - 3563) : إن هذا الذى تظنه هزلا تعليم والبيت حرفيا مأخوذ من سنائى .

بيتي ليس بيتا بل إقليم * وهزلى ليس هزلا بل تعليم
ورواه الأفلاكى لمولانا على هذا النسق :
هزلى ليس هزلا إنه تعليم * من أجل إرشاد الحلقة والتفهم
(مناقب 1 / 374)

فخذة على سبيل الجد لا على سبيل الهزل إن كنت عاقلا ، فالكسالى فقط هم الذين
يقفون على ما حدث حول شجرة الكمثرى ولا يبحثون عن المغزى الذي وراءها
والمقصود من روايته ، والعقلاء يعلمون أن المقصود منها هو شجرة الوجود الإنسانى
التي تحجب الحقيقة أمام طالبها ، وبين طلب العقلاء لها وطلب الهازلين بون شاسع . .
فدعك من شجرة الكمثرى هذه ، تخل عن وجودك وهوى نفسك وأنيئك فهي التي
جعلتك هكذا ضعيف البصر تمشى على العمياء . . تخل عنها إذن ليتخلى عنك العوج .

(3564 - 3575) : هناك غير هذه الشجرة الخبيثة شجرة أخرى طيبة تمد فروعها
إلى السماء السابعة ، وهي شجرة إقبالك . . تصل إليها عندما تتخلى عن تلك الشجرة
الخبيثة ، وهذا هو التبديل ، هذه هي الكيمياء الإلهية التي تبدل الإعوجاج إلى
استقامة . . لقد نزلت من فوق تلك الشجرة الخبيثة تواضعا لله وطلبا للحقيقة . . فيريك
الله الأشياء كما هي مصداقا لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم « اللهم أرنا الأشياء
كما هي » . . وهذه الشجرة هي الشجرة الموسوية ، يظهر فيها التجلي الإلهى ،
تجعلها النار خضراء نضرة ، تهتف فروعها « إني أنا الله » وتقضى كل الحاجات
تحتها ، وهذه هي الكيمياء الإلهية الحقيقية التي بدلت موسى عليه السلام من طريد
خائف تارك لدياره إلى حامل للقبس الإلهى ، وإلى مدمر لعرش فرعون عصره . .
وحين تتبدل هكذا ، لا يبقى جسدك جسدا . .

بل يصير هو الآخر وجودا نورانيا حلالا عليك يتصف بالصفات الإلهية ، تصير بأجمعك روحا ، لأن صفات ذي الجلال قد تلبستك . . فتلك الشجرة المعوجة : شجرة وجودك قد قومت وصارت موضع تجلى للحق ، لا لتلك الرؤى الذميمة الدنسة ، لقد صارت شجرة عظيمة أصلها ثابت وفروعها في السماء (انظر تفسيرها في الكتاب الثالث في حكاية عاشق صدر جهان) . . لم تعد مجرد شجرة معوجة ، إذ جاءها الأمر فاستقم . . إشارة إلى قوله تعالى في سورة هود «فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ» وقد مر تفسيرها في الكتاب الثالث في حكاية ذلك الرجل الذي كان يدهن شاربه بشحمة (شرح الأبيات 740 وما بعده) .

(3576 - 3589) : عودة إلى سيرة سيدنا موسى وفرعون : إن الوجود الإنساني بمثابة عصا موسى خيرها وشرها . . فانظر ما الذي تحولت إليه هذه العصا التي كان يسقط بها أوراق الأشجار للحملان ؟ لقد باتت مسيطرة على رؤوس آل فرعون وأتباعه . . وانظركم من المصائب والكوارث قد توالى على آل فرعون بكفرهم وصددهم عن السبيل . . بحيث رق لهم قلب موسى عليه السلام وصاح : يا إلهي لأي شئ كل هذا ، ما دامت هذه الجماعة من الكفار لن تؤمن . . لكن متى كان لرسول شأن بهداية قوم أو عدم هدايتهم ، إنما هو مبلغ ولكل قوم هاد ، وما عليه إلا البلاغ ، فالهدى والإضلال من الله سبحانه وتعالى . . إن أقل حكمة من إرسال الرسل ، ومن وعظ العارفين ، هو إلزام الناس الحجة ، حتى لا يقولوا فيما بعد ما جاءنا من رسول ، فضلا عن أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يظهر ما في الناس من بغى وعتو وضلال . . فالمقصود من الوجود كله هو الإظهار « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفوني » ، وينبغي عجم عيدان البشر بالإغواء . . لا بد أن يفعل الشيطان فعله ليفعل النبي فعله ، وليميز الله الخبيث من الطيب . . وورد عن النبي صلى

الله عليه وسلم « بعثت داعيا مبلغا وليس إلى من الهدى شئ ، وخلق إبليس مزينا للضلال وليس إليه من الضلال من شئ . . » وما للنبي للشيخ « فالشيخ في قومه كالنبي في أمته » .

(3590 - 3604) : مقابلة بين الطغيان الفرعوني والرحمة الإلهية ، فيها هو فرعون عندما يتضرع إلى الله . . والله يعلم إنه لكاذب ، ويعلم أنه لو رد لعاد إلى ما نهى عنه ، إلا أنه سبحانه وتعالى يأبى مع كل علمه بأن يعامل عباده كما يعاملوه ، ولا يرضى بأن يخدع موسى عليه السلام في مقابل خدعته «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ» (النساء / 142) بل عليه أن يبين معجزة دون أن يتدخل موسى فهذا الفرعون لا يستحق إلحاحا في الهداية ولن يزيد ملك الله به خردلة . . ليرد التراب ثانية ما أكله الجراد دون زرع ولا رى . . ليعلم الجميع أن ملك الله كله خرق للأسباب ، وإن كل الأسباب إنما هي مجرد دريئة وغطاء على المقدرة الإلهية حتى يلتمس الناس الأسباب ، وحتى يعمل الناس ويكدحون ، لكي يلتمس الطبيب الدواء ولكي يتجه المنجم إلى النجوم وينصرف التاجر إلى دكانه وتعمر الدنيا فإنما يقوم عمرانها على الأسباب ، ولكن يكون طعام الجحيم من لم يحقق عبوديته ويتعبد وظل منصرفا إلى طلب اللقمة .

(3605 - 3610) : فكرة أن كل شئ آكل ومأكول : انظر تفصيلات في صدر الكتاب الثالث شرح أبيات (18 وما بعده) .

(3611 - 3615) : إن الإنسان هو عقله ووعيه ، وهناك لمولانا بيت آخر .
- أيها الإنسان إنك أنت الفكر ، وما تبقى منك عظام وعروق .
ومن ثم فإن كل شهوة تفعل فعلها هي كالخمر وكالحشيش تذهب العقل . .
فليست الخمر وحدها هي التي تذهب العقل ، بل إن كل شهوة تغلق العين

والأذن ، وهل كان إبليس سكرانا عندما ارتكب المعصية الكبرى ، أبدا لقد كان ثملا بالكبرياء . . والسكران حقيقة هو الذي يرى نفسه معدوما ، ويخطئ في تقييم الأشياء فيرى النحاس ذهباً .

(3616 - 3624) : عودة إلى موسى وفرعون ، الروح والجسد ، والعقل والهوى ، النبي والطاغية ، الذائب في وجود الحق والهارب من الهداية . . ثنائيات الجدلية الصوفية التي يمثلها مولانا جلال الدين دوما في هذين العلمين ، لقد نبت النبات ثانية لقوم فرعون ، فلم يفهموا تلك المعجزة التي حولت الأرض الجدباء إلى خصبة دون أسباب ، بل انطلقوا يأكلون كما تأكل الأنعام ، ونسوا تماما ثم شبعوا وطغوا ، «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِيَ أَنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى» (العلق / 6 - 7) وهكذا النفس داخل الإنسان ، إنها مثل فرعون ، إنها حديد بارد غير قابل للطرق فما لم يلحقها شرار الإيمان لا تدق عليها وإن بكت وأنت فإن بكاءها من أجل القوت لا من أجل الملكوت .

(3629 - 3635) : في مقابل النفس انظر إلى الروح تنسى موطنها ، كرجل يحلم أنه في مدينة جديدة ينسى دائما مدينته القديمة ويظن أنه عاش في هذه المدينة الجديدة طول حياته ، الروح تنسى موطنها . . لقد مرت بمدن عديدة ومراحل عديدة ولم تنفض التراب عن إدراكها . . ولك أن تجتهد لكي يطالع القلب تلك الرحلة التي تكلفتها ، لقد جاءت نائمة ، ورحلت نائمة فالدنيا حلم (انظر الكتاب الثالث - الأبيات 1535 وما بعده) .

(3637 - 3646) : مر الحديث عن الأطوار الخلقية للإنسان ، وعن قوس الصعود وقوس النزول في الكتاب الثالث (انظر شروح الأبيات 3906 - وما بعده) وإن كان مولانا يتوسع بعض الشيء في هذه الأبيات ، ويرى أنه بما أن الإنسان هو العالم الأكبر ، والجامع لكل ما في الكون فإنه لا يعبر مرحلة من

المراحل حتى ينساها تماما وإن احتفظ في خلقة ببعض ما فيها ، انظر إلى ميل الإنسان إلى النبات وإلى الخضرة خاصة في فصل الربيع ، إن هذا من آثار المرحلة النباتية . . إنه مثل ميل الأطفال إلى الرضاع طبيعي تماما كميل المريد إلى شيخه . . لماذا ؟ ! لأن عقله الجزئي جزء من عقل الشيخ الكلي . وكل شيء يحن إلى أصله ، وعندما ينمحي المريد في ظل الشيخ ، يعرف سر الميل إلى المرشد . . يكون منه كغصن من شجرة ، وهل يتحرك الغصن إن لم تتحرك الشجرة ، هذا هو الحنين إلى الأصل ، وكل ما في الإنسان يحن إلى أصله ، الطاهر يحن إلى الطاهر والتراب يحن إلى التراب ، ويمضي كل جزء إلى معدنه الأصلي .

(3647 - 3654) : وهكذا من إقليم إلى إقليم حتى يصبح عاقلا وعظيما وهو لا يتذكر عقوله الأولى وعندما ينجو من عقل المعاش الملى بالحرص والطلب يربى عقولا عجيبة تعد بالآلاف ، والإشارة هنا إلى ما يقوله الحكماء الإشرافيون إنه بإزاء كل نوع من الجواهر الموجودة في هذا العالم للأجسام سواء كانت نفوسا أو أجساما طبيعية يوجد عقل يحفظ عليها علاقتها بالعالم الأعلى على نحو أكمل وأتم ، والأنوار المدبرة التي هي النفوس الأنية عندما تصل إلى الكمال بعد طرح جلابيب الأبدان وطي الفيافي والبرزخ ملتحقة بالأنوار القاهرة والعقول المفارقة ، ومن ثم تعدد العقول غير متناه وسوف يزداد وفيض الله لا ينقطع ونور الله لا يأفل وكلمه الله لا تنفد (سبزواري 4 / 323 - 324)

والإنسان وإن كان نائما ناسيا للمراتب التي قطعها من قبل ، فإنه لا يترك لهذا النسيان ، بل ينبه من نومه هذا ، فيسخر من كل العالم لمعرفته بالعوالم التي قطعها من قبل ، ويتساءل أية أشياء هذه تلك التي جذبت اهتمامي في عالم الدنيا ، لقد كان هذا من قبيل المرض والنوم والخداع . . وهكذا الدنيا مجرد حلم نائم ، يظنها النائم دائمة ، وهي حلم ، والرجل فيها كطالب القافلة والقرار فيها كقدر المتخلف

عن القافلة وما بينها وبين الآخرة غمضة عين ، وسرعان ما يشرف على الدنيا صبح الأجل فينبه الناس من ظلمات الظن والخداع والاحتتيال .

(3655 - 3667) : وهكذا فكل مرحلة تأتي يحس المرء بعبث المرحلة التي تسبقها وعندما يجد الإنسان نفسه في مستقره يضحك من اهتماماته السابقة ويسخر منها وكل ما تراه في الدنيا (النوم) يفسر لك في الآخرة . . حتى لا تظن أن أحلامك التي حلمتها دون تعبير . . ضحك في الدنيا بكاء في الآخرة ، بكائك ونواحك وحزنك سرور وحبور . . إن كنت مزقت جلود الطيبين فسوف تنهض من نومك ذنباً ، خصالك الذميمة سوف تتحول كلها إلى ذئب تنهش كل أعضائك . . الدم لا ينام والثأر لا ينام . . إياك أن تظن أنك بموتك قد نجوت من الثأر ومن عاقبة ظلمك للناس . . لكنك نجوت من قصاص هين إلى قصاص شديد ، إن قصاص الدنيا مجرد لعب بالنسبة لقصاص الآخرة ، ومن هنا قال الله تعالى «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» (الأنعام / 32) جزاء الدنيا بالنسبة لجزاء الآخرة كالختن بالنسبة للإخصاء . . فكن على حذر ، « فإن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من جهنم » كما ورد في الحديث الشريف .

(3668 - 3676) : هيا يا موسى دع هؤلاء الناس في نوم الغفلة ، دع هذه الحمر ترعى في عشبها حتى تسمن ، فإن كلاب الجحيم في انتظارها . . فسمنها لهم . . كفاك دعوة لكي ينقلبوا إلى بشر . . فليست الهداية من رزقهم . . هيا اجعلهم غارقين في النعمة كي يغطوا في نوم الغفلة والكسل . . وعندما يستيقظون يكون شمع الهداية قد انطفأ . . وساقى الفيض الإلهي قد مضى إلى حال سبيله . . طالما هديت ولا مهتد ، دعمهم يتحسرون يوم القيامة عندما يرون مصداق قوله تعالى في أهل الجنة «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا» (الإنسان / 12) .

(3677 - 3682) : إنهم لم يتقبلوا الهداية . . فليتحملوا العدل ، لقد كان ذلك المليك معهم : أقرب إليه من حبل الوريد ، ولم يتابعوه وتابعوا الشيطان ، تماما كما يكون العقل مشرفا على الجسد في حين أن المنصرف إلى شهوات جسده لا علم له بالعقل . . فأي عجب أن يكون خالق العقل أيضا معكم ؟ أنت غافل عنه وهو ليس بغافل ، عنك إنه يلومك كلما أسرعت في أثر جسديك وشهواتك ولا تستطيع نفسك أن تلقى بك في الشر إلا إذا غفلت عن العقل .

(3685 - 3692) : إن علاقتك بالعقل هي ميزان على سطوع الحقيقة على وجودك . . وأنت تفكر أن العقل قريب منك ساكن معك ، إذن فاعلم أن هذا القرب قرب بلا كيفية تماما كقرب المليك منك ، وحركة إصبعك هل تستطيع أن تحدد كيفية قربها من هذا الأصبع ؟ ! أليست تغادره هذه الحركة عند النوم والموت ثم تعود عند اليقظة ؟ ! فمن أي طريق تأتيه هذه الحركة وتذهب عنه ؟ ! ونور عينيك من أين جاء ؟ ! إنه من عالم الأمر . . عالم المجردات . . وكل ظنك وفكرك من عالم الخلق . . فكيف يمكن أن تصل إلى عالم الأمر ؟

(3694 - 3699) : إذا كان العقل بلا جهات تحده . . فما بالك بخالق العقل ؟ ! لا يوجد مخلوق غير مرتبط . . ولكن كيفية هذا الارتباط خافية وفي الروح لا فصل ولا وصل . . بينما الوهم لا يمكنه أن يفكر إلا في الفصل والوصل والاتصال والاختلاف . . فافهم من دليلك شيئا غير الفصل والوصل ، وإن كان هذا الفهم لن يشفى غليلك لأنك لن تقنع ، وإن كنت رجلا فجاهد حتى تصل إلى الوصل وتتجو من الفصل . . وحذار أن تحاول فهم هذا بالعقل . . فالعقل هو الآخر لا يفكر إلا في الوصل والفصل .

(3700 - 3710) : من هنا قال المصطفى صلى الله عليه وسلم « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا » (كنوز الحقائق بهامش الجامع

الصغير) وفي رواية أخرى « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » وفي رواية
ثالثة « تفكروا في كل شئ ولا تفكروا في ذات الله » إن كل ما تصل إليه الأوهام في
ذاته . . إنما تنبع من ذات المفكر لا ذاته هو ، فهناك مئات الآلاف من الحجب على
ذاته مصداقا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « إن لله تعالى سبعين ألف حجاب
من نور وظلمة ، لو انكشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره » وقال على
رضي الله عنه « كل ما يعلم عقلك فالله خالقه » فالعقل والفكر لا مدخل له في هذا
الخصوص وكل ما يعلمه فهو عين الحجاب . .

وكل من ظن أنه وصل فهو في حجاب ، ومن ثم فقد جاهد المصطفى صلى الله عليه
وسلم في دفع هذا الوهم ، ومن ابتعد عن الأدب فإن مصيره الانتكاس . . إنه ينزل من
حيث يظن أنه يصعد ، يظن أنه في السماء وهو في الأرض ، وهذا هو حد من تاه
عقله من الخمر ، وما عليك إلا أن تفكر في خلقه وفي آلائه وفي عجائبه . .

واعلم أنك لن تحيط بها وأنت ذرة في بحر علمه ، وهي كلها صنعه الذي تعلمه فما
بالك بالذي لا تعلمه . . ولتقف أمام هذا الصنع خاشعا متنازلا عن كبريائك . . ولا
تقترب من الصانع . . وقل كما قال خير خلق الله وأجدرهم بمعرفة ذات الله إن كان
يمكن معرفتها والإحاطة بها « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »
واعتبر بعالم عظيم جليل مثل ابن سينا الذي قال :

-اعتصام الورى بمغفرتك * عجز الواصفون عن صفتك-تب علينا إنا بشر * ما
عرفناك حق معرفتك(المولوي 4 / 508 - 509 - الأنقروى 4 / 861 - 863)

(3711) - الحكاية التي تبدأ بهذا البيت تعتمد على رواية وردت عند الثعلبي « قال
وهب إن ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا ،

فقال له : من أنت ؟ قال : أنا قاف ، قال : فأخبرني ما هذه الجبال التي حولك ؟
 قال : هي عروقي ، فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أمرني فحركت عرقاً من عروقي
 فتزلزل الأرض المتصلة به ، فقال : يا قاف أخبرني بشأن عظمة الله تعالى ، فقال : إن
 شأن ربنا عظيم تقصر عنه الصفات ، تنقضى دونه الأوهام ، قال :
 فأخبرني بأدنى ما يوصف منها ، قال : إن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام من
 جبال الثلج يحطم بعضها بعضاً ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ولولا ذلك الثلج
 والبرد لاحتزقت الدنيا من حر جهنم (الثعلبي قصص ص 5) وفي المأثور الفارسي
 أن قاف اسم على جبلين يمسك كل منهما بطرف من أطراف الأرض ، وأن طائر
 العنقاء يقيم خلف هذا الجبل .

(3720) : المثال الذي يبدأ بهذا البيت ورد في إحياء علوم الدين للغزالي « مثال
 النملة لو خلق لها عقل ، وكانت على سطح قرطاس ، وهي تنظر إلى سواد الخط
 فتعتقد إنه بفعل القلم ولا تترك في نظرها إلى مشاهدة الأصابع ثم منها إلى اليد ، ثم
 منها إلى الإرادة المحركة لليد ثم منها إلى الكاسب القادر المرید ثم منها إلى خالق اليد
 والقدرة والإرادة ، فأكثر نظر الخلق مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من
 الترقى إلى مسبب الأسباب (إحياء / أول / ص 30 - مطبعة عيسى البابي الحلبي /
 القاهرة 1957) .

(3728 - 3730) : إن عظمة النمل . . وهي رمز على ذلك الإنسان المتعالم الذي
 يظن أنه أحاط بالكون علماً وهو لا يعدو نملة تنظر إلى خط في كتاب ترى أن العقل
 والفؤاد هو السبب في الصورة والنقش ، ولم يصل علمها إلى معرفة أن بدون خالق
 العقل والفؤاد لا يمكن أن يأتي العقل والفؤاد بشئ ، بل إن أعقل العقلاء إذا تخلت عنه
 رعاية الله لحظة واحدة لأتى عقله من ضروب البله ما يفوق الحمقى أجمعين .

(3740 - 3754) : تعليق على رواية جبل قاف : إنه لو لم توجد جبال الثلج هذه لاحترق جبل قاف من الشوق . . ليس هذا فحسب بل إن الغافلين هم بمثابة جبال الثلج في هذا العالم ولولا هم لاحترق العقولون من نار التجلي ، فكأن هؤلاء الغافلين يخفون من نار التجلي التي لو تجلت لأحرقت العالم كله . . ثم ماذا تكون هذه النار إلى جوار الغضب الإلهي ، إنها مجرد سوط (درة) في يده يهدد بها اللئام في الدنيا . . وأنت لا تزال تردد أن الرحمة قد سبقت الغضب ، فإن رأيت السابق والمسبوق فقد اعترفت بالإثنية . . إنه سبق معنوي ، وإلا اقتضى وجود سابق ومسبوق في الذات الإلهية ، وأنت إن لم تدرك هنا فلك عذرك فإن ذلك من نقصك . . فأنت من تراب وما للتراب ورب الأرباب . . أنت طائر طيني من الصعب عليك أن تصل إلى فلك الدين . . وما الذي تستطيع أن تفعل كن طائرا مندهشا (عن الحيرة انظر الكتاب الثالث / شرح الأبيات 1108 - 1117) قل : اللهم زدني تحيرا ، لا تصدق ولا تنكر ، فإنك إن صدقت تكلفت ، فكيف تصدق ما لا تحيط به ، وإن أنكرت فكأنك أنكرت صفات رب العالمين وجلبت القهر على نفسك . .

فكن طائرا مندهشا مبهورا صامتا حتى تنزل عليك رحمة الله ويبدو لك الصعب سهلا والمشكل واضحا ومحلولا ، فالأمر إنما تشكل على المنكر ، أما المقر عجزه وحيرته أمام الصنع الإلهي والصفات الإلهية فقد استجلب لنفسه اللطف والرحمة .

(3755) - الرواية هنا أقرب إلى رواية الإحياء (ج - 4 ص 130) ولذلك قال النبي لجبريل عليه السلام : أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال : لا تطيق ذلك . قال : بل أرى ، فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبي فإذا هو به قد سد الأفق يعنى جوانب السماء فوق النبي مغشيا عليه ، فأفاق وقد عاد جبريل إلى صورته الأولى .

(3757 - 3764) : إن الحس وإن كان حس المصطفى صلى الله عليه وسلم ضعيف ، محدود القدرة ، لا يستطيع أن يستوعب حتى بعض المحسوسات ، ولولا القوة الموجودة في باطن الإنسان ما استطاع أن يطمح إلى إدراك ما هو فوق محسوسه . . وانظر إلى الصورة في البيت التالي : قد يكون جسد الإنسان مجرد حديد وحجر ، أي مجرد جماد . . لكن حتى من الحديد والحجر يتولد الشرر ومن جسم الإنسان هذا تتولد طموحات عظيمة ، منهما ما يمكن أن يحرقه هو نفسه كما يحرق الشرر الحديد والحجر وهو متولد منها . . لكن الإنسان ليس حجرا أو حديدا بل إن فيه شعلة تحرق برج النار نفسه وتكون النار بلا حيلة أمامه ، كأنها النار التي ألقى فيها إبراهيم الخليل ومن هنا قال الرسول عليه الصلاة والسلام « نحن الآخرون السابقون » (انظر شرحها في الكتاب الثالث شرح الأبيات 1126 - 1135)

(3765 - 3767) : إن هذه القداحة (التي يخرج منها الشرر) والمقصود الإنسان تبدو في الظاهر وكأن حديد السندان يستطيع أن يفلقها . . لكنها في الباطن والحقيقة أقوى من مناجم الحديد ، إنه ضعيف من حيث هو جسد ، هو فرع وهو العالم الصغير باعتبار الجسد لكنه أصل العالم بالنسبة للروح هو أول الفكر وآخر العمل ، هو الأخير السابق ، هو ثمرة شجرة الوجود والمقصود منها ، ظاهره تستطيع أن تصيبه بعوضة بالأذى لكن باطنه محيط بالوجود كله .

(3771 - 3785) : إن تلك المهابة التي أصابت الرسول صلى الله عليه وسلم عندما مد جبريل جناحيه هي من نصيب الحس ، لكن تلك الملاطفة التي أبدأها جبريل هي من نصيب الأحاب ، هذه المهابة لأهل الدنيا هلاك ولأهل الآخرة رعاية . . إنها أشبه بتلك المظاهر التي يحيط بها السلطان نفسه من حرس

ومطرقين . . هي ردع للعوام وإرهاب لهم بمظاهر السلطة كيلا تسول لهم أنفسهم الثورة على السلطان . . لكن السلطان في مجلسه بين أصحابه وندمائيه مختلف تماما ، هو ملئ باللهو والموسيقى والحبور . . وهذا كلام يبدو بلا نهاية . . إذ يطول شرح تلك الأحوال التي يكون فيها سلاطين الدنيا . . فما بالك بسلاطين الدين وقلوبهم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، أصبع للطف وأصبع لقهر .

(3786 - 3799) : وهكذا أحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حسه الذي لم يطق رؤية جبريل غارب وآفل وموجود الآن حيث يثوى جسده الشريف صلى الله عليه وسلم تحت تراب يثرب ، لكن تلك الروح العظيمة حالها دون تغير ودون تبدل « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » فإن البدن هو محل التغيير أما الروح الباقية فهي الشمس التي لا تأفل ، شمس الحقيقة وموضع السر الإلهي ، لأنها لا شرقية ولا غربية ، هي من نور الله ، لا شرقية : أي ليست من شرق الأزل والعدم ولا غربية : أي ليست من غرب الفناء والعدم كعالم الأجساد (مولوى 4 / 521) ومن ثم فإن الجسد وإن اندهش ولم يحتمل رؤية جناح جبريل فكيف تندesh الروح وهي شمس من ذرة . ومتى يفقد الشمع الوعي من فراشة تطوف به ، هذا التغير لائق بالبدن ، كما يجري عليه المرض والنوم والألم ، أما الروح فلا تجرى عليها هذه الأوصاف . . هي ظاهرة منفردة ، عالم أكبر انطوى في جسد الإنسان ، وشتان ما بينه وبين جسد الإنسان . . عالم لا يوصف ولا توصف دقائقه (انظر الكتاب الثالث قصة الدقوقي شرح البيت رقم 2063) فلو تحدثت لزلزل المكان والزمان ، فإذا كان الجسد قد فتر فلأن الروح قد تكون قد غفلت ونامت لحظة واحدة . لكنه نوم الأسد . . يتناوم ليرى ماذا تفعل كلاب الطبع . . لقد كانت تلك الدهشة أشبه بخدش في كف زبد بحر أحمد ، لكن روحه التي كانت في سعة المحيط كانت تفور وتلقى بالزبد . . والقمر (روح أحمد) هو كف ناثر للنور ، وإن لم يكن للقمر كف فماذا يكون ؟

(3800 - 3804) : ولو أن أحمد المصطفى فتح جناحيه أي أبدى عظمة روحه لأغمر على جبريل إلى الأبد ، وإلا فاقراً في المعراج النبوي الشريف : أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلى سدره المنتهى قال له جبريل :
تقدم أنت لأنني لو دنوت أنملة لاحترقت . . لقد جاوزه الرسول صلى الله عليه وسلم (الإنسان الكامل أعلى مرتبة من الملائكة وهذه قمة الإنسانية عند الصوفية) .

(3805 - 3809) : يا لها من حيرة تثيرها هذه القصص ، إنها حيرة الخواص أولياء الله . . والملائكة المقربين في الأخص أي محمد صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين ، إن كل أنواع الغياب عن الوعي هنا مجرد ألحوبة . .
إنها ليست جديرة بأقل من التضحية بالروح فحتام تحتفظ بروحك . . ويا جبريل أو يا من أنت في مقام جبريل كفاك فخرا بجناحك ، بالرغم من عزتك وشرفك لست أنت بالشمع ، فالشمع هو الحضرة الإلهية والفراشة هي المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو الجدير بالمشاهدة . .

والجدير بالفناء في ذات الله لأن في فناءه بقاء في بقاء . . ودعك من هذا الحديث المنقلب ، انتبه : لقد قلبت الحديث جعلت الأسد صيد الحمار الوحشي . . والأولى بك أن تخفى هذا . .
ثم قلبته مرة ثانية فوضعت الأسد في موضعه الصحيح . . فعد واجعل من أسد الحقيقة صيدا لحمار الوحش ، حتى يجد الخلق سبيلا إليه . . وحتى يطلع العارف على باطنه . .

ولا يراه شيئاً فوق مستوى المثال ، هيا اختم النص حتى لا تنساق إلى قول ما لا تريد .

(3810 - 3819) : كلامك هذا يتناثر بالرغم منك كأنه البول . . فكف عنه . .
وكفاك هذرا . . فأني أسد وأي حمار وحشي . . وما هذا الكلام تلقاه أمام أولئك الذين لا يزالون متشبثين بالأرض ورهن الطين . . وهو يبدو أمامهم معكوسا

ويسيتئون فهمه . . دارهم . . فقد أمر الرسول بمداراة الناس ومخاطبتهم على قدر عقولهم . . وأنت غريب في دارهم وظعين مسافر ، وبينك وبينهم ما بين الرازي والمروزي من بعد ومسافة (الري غرب إيران ومرو أقصى شرقها) فدارهم حتى تصل إلى سلطان الحقيقة . . ويا من أنت تتخذ من موسى مرشدا تحدث إلى فرعون الزمان بالحديث اللين . . فإنك إن وجهت إلى غلاظ القلوب الذين تشبه قلوبهم زيتا مغليا كلاما قاسيا (الماء البارد) لا شتعل الإناء واشتعلت الأثافي ولهدمت من حيث أردت أن تبني . . تحدث بالكلام اللين لأنه يمكن أن تقول الصواب بالكلام اللين .

(3820 - 3825) : إيدان بختم هذا الكتاب الرابع : لقد حل العصر ، فلأقصر الكلام . . والعصر في المأثور الصوفي هو زمان خاتم الأنبياء بالنسبة لزمان آدم فكأن علينا ونحن في أوان خاتم الأنبياء ألا نطيل الكلام ، وإن كان هذا الكلام تنبيه وتوعية لأهل العصر . . وهو الذي يعطيهم شهد الروح ويبعدهم عن طين الدنيا وطين النفس . . والكلام موجه إلى حسن حسام الدين : إنك روضة روحانية ومستغن عن الحروف والأصوات بالنسبة لفهمي . .

لكن لا محيص من اللجوء إلى هذه الحروف والأصوات حتى يفهم الناس ويدرك العوام ، أولئك الذين يكونون في حاجة إلى حروف وكلمات ، ألسنت ترى الرياض والبساتين يضع فيها الناس ملواحا على شكل رأس حمار ، هكذا الكلمات والحروف والأمثال والحكايات في المثنوى . . وكثير من الناس يرى رأس الحمار ولا يرى الروضة ورياحينها وثمارها . . وكثير من الناس أيضا يحيطها بالأشواك . . ويظن المحروم من بعيد أن البستان هو هذا فحسب ، فيتقهقر عن الروضة كأنه كبش مغلوب . .

فهيا يا حسام الدين هات رأس الحمار (الحروف والأصوات والحكايات) وضعها في مزرعة البطيخ هذه . . فإن رأس الحمار وإن كانت ميتة (الحكايات المنسية) فإنها ترتد حية مرة أخرى في أذهان العوام من وضعها في هذا المكان لأنها تصبح ذات معنى وفائدة .

(3826 - 3834) : إن التصوير فن لكنك أنت الذي تبعث فيه الروح . . لا . .
لقد أخطأت فالصورة والمعنى كلاهما منك (في الحقيقة الصورة والمعنى يسيطر
عليهما المخاطب وليس المتحدث) إنك محمود كالأولياء في السماء . . فلتكن محمودا
إلى الأبد في الأرض ، وذلك حتى يتوحد الأرضي مع السماوي وتتدفى التفرقة
والاثنية والشرك ، فإن هذا العمل المسمى بالمتنوى مع عظمتة هذه هو من توحيد
روحينا وعندما تتوحد أرواح الطيبين الأولياء يحدث التغيير في الأرض ، فإن الأفكار
بين الأرواح حجاب ، حجاب يوضع على وجه الحقيقة فيخفيها الغرض ويخفيها
المرض . . وكثيرا ما عرف الناس الحقيقة فأداروا لها وجوههم ، فغضب ذلك الولي
الكامل القمر المنير والرسول المصطفى فغضبه من غضب الرب .

(3835 - 3844) : ومن هنا ولعدم التجانس فإن روح الشرير لم تتعرف على روح
النبي وجهلتها وأعرضت عنها . . وكل هذا قرأته . . فاقراً «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ، رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً
، فِيهَا كُتِبَ قَيِّمَةٌ» إن عناد الكفار ولجاجهم لما يحير : قبل أن يظهر المصطفى صلى
الله عليه وسلم في الدنيا . . كان ورد أسنتهم ، كان ذكره كالتعويذة ، كانوا
ينتظرونه . . كانت قلوبهم تخفق بذكره ، وأسنتهم تلهج بالثناء عليه . . كانوا يدعون
الله صباح مساء أن يعجل بعثته ، كانوا يستفتحون باسم الرسول أحمد .
قال تعالى «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ
عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» (البقرة /
89)

(ينظر أيضا البيهقي دلائل النبوة / 1) كانوا يستنجدون به في حروبهم وعند مرضهم
، كانت صورته تبدو لهم

في طرقهم . . لا . . إن صورته لا يستطيع أي كافر أن يتخيلها ، لقد كانت مجرد صورة في مخايلهم .

(3845 - 3847) : إن هذه الصورة لو انعكست على جدار دمي قلب ذلك الجدار . . ولأصابت الجدار بركة انعكاس هذه الصورة عليه ونجا من كونه ذي وجهين . . ولصار جديرا بأن يكون ذا وجه واحد كأهل الصفاء .

(3848 - 3855) : كل هذا التعظيم والوداد ذهب أدراج الرياح بمجرد أن رأوه كانوا زيفا عرض على النار فاسود واقتضح . .

وهكذا الزيف يهزل طالبا المحك ، وهو يعلم أن المحك سوف يفضحه ، كان يفعل ذلك حتى يلقي بمريديه في الشك والظن في صلاحه ، وهكذا يقع من ليس بأهل في حبال مكره ، وينخدع فيه كل خسيس ، نعم إن مجرد طلبه للمحك دليل على صدقه . .

وهو لن يعرض نفسه على المحك أبدا ، وإن عرض نفسه على محك فسوف يطلب محكا زائفا مثله . .

والشيخ الذي يخفى عيب كل وجه من أجل كل ديوث في الطريقة ليس بشيخ بل هو منافق . . فابتعد عنه ما استطعت فهو لا يخفى عيبا ، واختم يا حسام الدين إذن هذا الكتاب الرابع والله الموفق .

(تم الكتاب الرابع من المثنوى بحمد الله تعالى ويليه الكتاب الخامس بإذنه تعالى) .

*

تم بحمد الله تعالى رب العالمين
عبدالله المسافر بالله

.